

جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية
أطروحة
للحصول على شهادة دكتوراه في العلوم
في الأنثروبولوجيا

معاني وأشكال القيم السلوكية في التقليد الشفوي لدى الشباب

تيارت نموذجاً

مقدمة ومناقشة علنا من طرف:

السيدة(ة): بودواية مختار

أمام لجنة المناقشة:

اللقب والاسم	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
العايدي عبد الكريم	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 02	رئيساً
جرادي العربي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عبد الحميد ابن باديس_مستغانم	مشرفاً ومؤطراً
ميموني مصطفى	أستاذ التعليم العالي	جامعة عبد الحميد ابن باديس_مستغانم	مشرف ومؤطر
بلحاج حسنية	أستاذ محاضر - أ -	جامعة وهران 02	مناقشا
إيزلي بن عمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 02	مناقشا
محمد داود	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 01	مناقشا
سعيدي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مدعو

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
مدرسة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا



بالشراكة مع:

✚ جامعة السانبا - وهران (الجامعة المؤهلة)

✚ جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

✚ جامعة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم

✚ جامعة مولود معمري - تيزي وزو

✚ جامعة عبد الرحمان ميرا - بجاية

✚ جامعة منتوري - قسنطينة

✚ المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية

السنة الجامعية 2019-2020

كلمات شكر

الحمد لله الذي أنعم علي بنعمة العقل ووهبني السمع والبصر والفؤاد، الحمد لله .

أشكر كل من أضاء لي الدروب ووضع في شخصي الأمان، إلى من ضحوا لكي أكون، فكانوا القدوة والمثل، إلى كل من أعانني شكرا .

أشكر الأبوين الكريمين وكل من زودني بالمعرفة والتوجيه، أسمى عبارات الشكر والتقدير إلى:

كل من الأستاذ جرادي العربي والأستاذ ميموني مصطفى على قبولهم الإشراف على هذا العمل، وتعاملهم المثالي وتوجيهاتهم طيلة هذه السنوات، أشكرهم على تشجيعهم وصبرهم .

أشكر اللجنة الموقرة على قبول مناقشة هذا الموضوع .

شكر خاص إلى باحثي وموظفي مركز البحث (CRASC) ومركز البحث (CNRPAH)، أشكر كل المبحوثين والإخباريين على تعاونهم .

شكرا لكل من علمني حرفا، إلى روح الأساتذة الذين غادروا (إلى العالم الآخر)، أوجه لكل أسمى آيات التقدير والاحترام .

بودوايته مختار

إهداء

أهدي هذا العمل إلى:

رمز الوفاء إلى نبع الحنان والعطاء إلى من جعلت يوم نجاحي يوماً لنجاحها تحية تقدير لكريم صفاتها ونبيل وجدانها "أمي الحبيبة"

إلى القلب الرحيم، إلى من علمني دروس الفضائل وعلمني أن الدنيا صمود وأن الحياة كفاح والعلم سلاح "الوالد الكريم".

إلى الزوجة الكريمة والأبناء، محمد وكنزة، أميمة، الإخوة، الأخوات.

إلى من لهم فضل علي الأستاذ جرادي العربي والأستاذ ميموني مصطفى، إلى كل أساتذة المدرسة الدكتورالية للأشروبولوجيا.

إلى كل الزملاء والأصدقاء.

الفهرس

المدخل المنهجي

أ	مقدمة
ط	الإشكالية
ط	الفرضيات:
ي	أهمية الدراسة:
ك	منهج الدراسة:
ك	حدود الدراسة:
م	أدوات البحث:
ف	عينة البحث والإجراءات الميدانية:
ر	الدراسات السابقة:
خ	مصطلحات ومفاهيم البحث:

الباب الأول

التعاريف والمداخل النظرية

الفصل الأول

ماهية القيم وتعريفها

30 -	تمهيد:
30 -	تعريف القيم:
30 -	القيمة من المعنى اللغوي إلى المعاني الأخرى:
32 -	المعنى الاقتصادي:
41 -	علاقة القيم بالسلوك:

43	تصنيف السلوكيات وعلاقتها بالقيم:
45	أنواع القيم:
51	خصائص القيم ووظيفتها:
52	مرجعية القيم:
56	مكونات القيم:
56	القيم الشفوية والتواصل:
57	خصائص القيم:
62	القيم والتغير الاجتماعي:
66	القيم والعولمة:

الفصل الثاني

ماهية الشفويات

72	تمهيد:
72	التقليد الشفوي؛ تحديد المصطلح:
75	الأدب الشفوي:
80	الشفويات منتج اجتماعي ثقافي-شعبي:
81	الكتابة والشفاهة:
83	النص الشفوي والتواصل:
85	الشفوية واستراتيجية المرسل:
87	الشفويات والفضاء:
89	الشفويات والصورة:
90	الشفوية؛ التاريخ والقيم:

- 92 - المراحل التي تمر بها الشفويات:
- 93 - مميزات النص الشفوي:
- 94 - خصائص الثقافة الشفوية :
- 98 - الشفويات والقيم كمقولات تمييزية:
- 104 - مناهج وطرائق دراسة الشفويات:
- 106 - الاجتهادات العلمية لدراسة الشفوية:
- 106 - الاجتهادات الكولونيالية لدراسة الشفويات:
- 113 - الشفوية الأنواع والتعريفات:
- 120 - الشفويات الجسد والفرجة:

التعريف بالمنطقة

الدراسة المنوغرافية

- 124 - تمهيد:
- 124 - التعريف بالمنطقة:
- 126 - اهم المحطات الاثرية حسب الكتابات الاركيولوجية:

الباب الثاني

التحليل الأنثروبولوجي للتقليد الشفوي

الفصل الأول

القيم الاجتماعية

- 142 - تمهيد:
- 143 - رهانات البحث الأنثروبولوجي في القيم:
- 145 - القيم الاجتماعية/الغيرية والأنا:

- 146 القيم الثقافية والهوية:
- 147 القيم/اللغة كنظام معرفي:
- 149 المشافهة/القيم وامتدادية التاريخ:
- 170 فعل تلقين القيم الشفوية وعلاقات القوة:
- 171 القائمون على القيم: (حراس الذاكرة):
- 172 القيم، السلطة والهيمنة:
- 173 الشفوية، القيم والرباط الاجتماعي:
- 175 القيم العائلية:
- 178 القيم السياسية:
- 182 القيم الأسرية:

الفصل الثاني

القيم الدينية

- 190 تمهيد:
- 190 العلاقة بين الشفويات الدين والتدين:
- 193 القيم الدينية:
- 196 القيم الدينية، التدين، الشفوية:
- 200 قوة الكلمة المولدة النظام القيم:
- 206 من القيم الدينية إلى الوصف والمشهدية:
- 214 المنتجون للقيم الدينية:
- 214 أ.المنتجون للقيم من الدرجة الأولى (الولي المرابط):
- 216 ب.المنتجون للقيم من الدرجة الثانية (العيارين والشطار):

- 217 القيم الدينية العصرية/القديمة:
- 218 الشباب ورفض القيم الدينية التقليدية:
- 220 الوسطاء وتقاطب القيم السلوكية:
- 226 الغاية من قيم/الدينية:

الفصل الثالث

قيم الجنوسة الجسد والجمال

- 229 تمهيد:
- 230 القيم، المشافهة والنوع الاجتماعي:
- 234 النوع الاجتماعي كقيمة مؤسسة:
- 234 السلطة الأنثوية كقيمة:
- 244 العذرية كقيمة:
- 245 الفضاء الجسد والقيم الجسدية:
- 247 الجسد الديني:
- 248 الجمال كقيمة للجسد:
- 249 الحشمة كقيمة:
- 256 الطهارة كقيمة ملازمة للجسد:
- 256 من قيمة الحياء، الحشمة، إلى الشرف كقيمة:
- 259 تنشئة الجسد على القيم:

الفصل الرابع

القيم الاقتصادية

- تمهيد: - 266 -
- القيم الاقتصادية والشفوية: - 266 -
- قيم/قيمة الاستهلاك: - 267 -
- الشفويات ومحتوى القيم الاقتصادية: - 268 -
- الشفويات/السلوك وقيم الاستهلاك: - 270 -
- العمل كقيمة: - 272 -
- المشافهة، أشكال التبادل وعلاقتها بالقيم: - 273 -
- الشفويات والتغير الاجتماعي/الاقتصادي: - 279 -
- نتائج الدراسة - 285 -
- خاتمة - 303 -
- الملاحق
- قائمة المصادر والمراجع

قائمة الجداول

- 50 جدول رقم (1) يبين مستويات القيم والمؤشرات المرتبطة بها.
- 59 جدول رقم (2) يوضح العلاقة بين حاملي القيم.
- 174 جدول رقم (3) يوضح العلاقة بين الكبار والصغار (نموذج الباحث المغربي إدرس كرم)
- 174 جدول رقم (4) يوضح العلاقة بين الكبار والصغار ونوع القدرة حسب الباحث المغربي إدريس كرم.
- 175 جدول رقم (5) يبين العلاقات بين الرجل والمرأة وشكل القدرة حسب الباحث المغربي إدريس كرم.
- 175 جدول رقم (6) يبين التغير الاجتماعي وطبيعة النشاطات قبل وفي ظل العصرية (نموذج الباحث إدريس كرم).
- 273 جدول رقم (7): يوضح التغيرات على المستوى الاجتماعي والاقتصادي وعلاقته بالافراد

قائمة الأشكال:

- 40 الشكل رقم (1): يوضح أبعاد الخطاب الشفوي وعلاقته بالقيم.
- 56 الشكل رقم (2): يوضح مكونات القيم.
- 57 الشكل رقم (3): يمثل خصائص القيم.
- 58 الشكل رقم (4): يمثل المراحل التي تمر بها القيم.
- 59 الشكل رقم (5): يوضح سيرورات تحليل القيم
- 60 الشكل رقم (6): مخطط يبين ارتقاء القيم.
- 60 الشكل رقم (7): يبين كيفية الوصول لفهم المعنى.
- 62 الشكل رقم (8): يوضح كيفية تغير القيم.
- 65 الشكل رقم (9): يوضح علاقة القصص التاريخي بالايديولوجيا ووظائفه.
- 88 الشكل رقم (10): يوضح العلاقة بين المشافهة والصورة
- 97 الشكل رقم (11): يوضح دور ووظيفة الإيقاع.
- 146 الشكل رقم (12): يبين القيم على أنها رهان داخل حقل القيم نظام معرفي.
- 172 الشكل رقم (13): يوضح النظرة للعلاقات مع الآخرين.
- 172 الشكل رقم (14): يوضح شبكة العلاقات حسب المبحوثين.
- 207 الشكل رقم (15): يوضح التقابل بين القيم
- 209 الشكل رقم (16): يمثل رؤية الأفراد للانتماء المبرر من خلال المتون الشفوية
- 215 الشكل رقم (17): يمثل إحالة المتن اللغوي إلى الديني.
- 247 الشكل رقم (18): يوضح استخدام الجسد للتدليل على واقع خارج اللغة (نموذج عن الأستاذ سعيدي محمد)
- 286 الشكل رقم (19): شكل يوضح جوانب المتن الشفوي

المدخل المنهجي

مقدمة

تعرف الأنثروبولوجيا بأنها العلم النظري الجرد الذي يهتم بدراسة سلوك إنسان بهدف فهمه وتفسيره، من هذا المنطلق يمكن القول بأنها لون من المعرفة الإنسانية تهتم بالجوانب الشخصية المختلفة، بغية الوصول إلى حقائق حولها، لهذا فالباحث يأخذ في الحسبان العوامل البيئية والخبرات الاجتماعية/النفسية، التي أسهمت في إكساب أشكال السلوك وأعطته معنى.

الأنثروبولوجيا تركز على العبور للآخر من خلال دراسة السلوك الإنساني بشكل عام؛ من بين اهتماماتها الممارسات اللغوية الفردية والجمعية النابعة من التراث أو التي توصف بأنها تقليد، تنصب هذه الدراسة على المآثور الشفوي وما يميزه، فهو لا يقطع الصلة بالاجتماعي والثقافي بل يعبر عن سماته مثل طبيعة البناء الوظائف والعناصر الأخرى التي تلازمه كالتعاون والغيرية، نمط/أنماط التدين أشكال التبادل... الخ؛ كل هذا للوصول إلى معنى القيم من جهة وشكل السلوك من جهة أخرى. هذا الموضوع، محاولة للوصول إلى بناء استنتاجات عن الأنماط المثالية/الواقعية للثقافة الشفوية؛ من خلال التركيز على جزأين: اللغة-التقليد الشفوي-والسلوك/القيم. مع تقديم تأويلات مناسبة.

هذه الدراسة محاولة لفهم ثقافة لازالت قائمة، لأن مستوى المتون والعدد الهائل من الألوان التراثية الشفوية الموجودة اليوم والعناية الفائقة بها؛ تجعلها مركز اهتمام والأنثروبولوجيا تستوعب وتتسع لهذا الطرح.

يهتم البحث الحالي باللغة الشفوية من الجانب التواصل، فهي نظام خاص من العلامات تمكن أفراد الجماعة من التواصل بينهم، وجها لوجه؛ هي أداة أساسية، لأنها تمكن الأفراد من التعبير والإبلاغ، هي كل مركب يضمن التقابل بين الفردي والاجتماعي (البحث ينطلق من العادات اللسانية التي تتيح التواصل للوصول إلى فهم وتفسير القيم والسوك) كما أن تناول الشفوي هو رجوع إلى التقابل بين الذاكرة والمخيال، لأن القوالب الشفوية إبداع (مخزون في الذاكرة يتصرف فيه الفرد) عبارة عن شفرة جاهزة للاستعمال، شفرة مشتركة بين جميع من ينطق بها ويستخدمها. إذن اللغة الشفوية نشاط إنساني يتطور بالممارسة وفق الأنماط المتاحة، حسب المقام ومقتضيات الحال ومحور الاهتمام في هذا البحث هو معنى/محتوى القيم الناتجة عن تداولية اللغة الشفوية وأشكال السلوك المرتبطة بهذا النشاط الذي اعتبره الكثير من الدارسين كنشاط لغوي عادي، عابر أو هامشي (تافه).

تمكن دراستها التقليد الشفوي من الانتقال من الظواهر اللغوية الشعورية إلى بناءها اللاشعوري (بناءها القصدي)، فالغويون يؤكدون بأن الإشارة اللغوية ليست وسيطا محايدا بين الشيء والتعبير عنه، بل هي تنشأ

علاقة بين المدلول (هو ما يريد المتحدث إيصاله، أو الرسالة المراد تبليغها) والذال (هو الوسيلة الصوتية الشفوية التي يجب أن يمتلكها نفس المتحدث). بمعنى آخر تهتم هذه الدراسة بنسق الرموز الذي ينشأ عن حتمية الاتصال بين فئتي الذال والمدلول وآثاره ومرجعياته الاجتماعية.

الدراسة الحالية هي محاولة لإقامة علاقة بين مباحث الشفويات، اللغة والقيم السلوكية الواقعية؛ يمكن أن نلاحظ ببساطة أن المتون الشفوية تتميز بوجودها الحي فهي جزء قابل للاستخدام الاجتماعي، كما أنها عبارة عن قوالب جاهزة تعطي الفرصة للتعبير وإبانة تعتبر وسيلة للإبلاغ، فليست اللغة الشفوية -الثابتة- مجرد وعاء للأفكار وتحلي للقيم هي -أيضا- عالم وعامل مؤثر في تكوين الأفكار والقيم... قابل للتغير والتطوير، الملاحظ أن الموروث الشعبي -الشفوي- يتطور بدخوله وخضوعه للاستخدام من طرف كل الفئات الاجتماعية، التي تطبعه بطابعها الخاص، هناك تعبيرات جديدة ألفاظ، تسميات، كنايا واستعارات قد تحمل معاني/قيم جديدة، كما أن القوالب اللغوية الشفوية تحوى أو على الأقل تشير لأفعال تفاعلات وممارسات طقسية وعادات وتقاليد، وأساطير يفهمها أصحاب اللغة المتداولة (المنتجون والمستخدمون) يبلورون فيها جل خيراتهم (وهو ما نسعى إلى اختباره).

على الرغم من التغيرات الاجتماعية البنيوية المرحلية أو الجذرية لازالت هذه الممارسة اللغوية-الشفويات- موجودة في المعاش اليومي مثقلة بزخم "الماضي" مرتبطة "بنا" "الآن، وبالماضي"، تعبر عن التقاليد والعادات وكل شيء من خلال أمثال، قصص، أشعار، أساطير، وحكايات خرافية، هي حكمة شعب كامل صاغ وجوده الثقافي فيها لا زالت مستخدمة بكثافة لدى كل الفئات الاجتماعية.

كانت الانطلاقة من السؤال الجوهرى التالي هل التقليد الشفوي قادر على نقل مضامين اجتماعية؛ أفكار ومضامين قيمة؟ هل هناك رسالة يراد نقلها؟ لهذا نفترض وجود حقول للتداول ومحترفين للإنتاج الرمزي ورؤية للاجتماعي.

اتجه البحث نحو شكل السلوك ومرجعياته الموجودة على مستوى اللغة الشفوية؛ التي تعمل كمؤطر مباشر أو غير مباشر؛ أي أننا أمام معرفة تم صياغتها رمزيا، تساعدنا للوصول إلى فهم كيف يعمل الأفراد على التأويل، إعادة التأويل وإنتاج/تعبير لغوي شفوي عن قيم والسلوك. على الرغم من أن الشفويات تدين في وجودها إلى زمن تاريخي انقضى؛ إلا أنها موجود اليوم وفق الشكل الذي انتهت إليه؛ تتسم بأنها مستخدمة بكثافة لدى كل

الفئات بما فيها فئة الشباب. على الرغم من كل التحولات، تحتوي المتون على احالات للقيم المؤسسة لأدبيات السلوك الإنساني؛ نسعى إلى وصفها وفهمها كمنطلق يحيل إلى المرجعية القيمية خاصة أن جزء كبير منها متوارث؛ تتميز بأنها شائعة؛ مهيمنة-مرجعية-تظهر في كل استخدام "آني" اجتماعي للغة، موجودة لدى كل الفاعلين الاجتماعيين؛ تستوعب كل شيء -تقريباً-تجسد كخطاب، ممارسات تؤطر التصورات يعمل الأفراد على إشاعتها.

تقدم المتون على تنوعها مجموعة متباينة من القيم، يمكن أن تُعتمد كأسلوب للتحليل والتفسير، لأن المتداولين من فئة الشباب -على الأقل- يعتبرها كنسق، خطي جزء من نشاطهم المعرفي. أو ينظرون إلى القوالب اللغوية المتوارثة على أنها فعل يشكل صدى لقيم عامة متداولة قد لا ترتبط بالاجتماعي. في البدايات الأولى للبحث تم التأكيد على الدور البارز للشفويات فهي تؤسس للإطار العقدي-المعرفي وتوفر للأفراد مسلمات سلوكية يتم الاهتداء بها أي أنها "قاعدة تأسيسية" لكل قضايا الوجود والكون معاً قد تقدم تفسيرات لمتداوليها وتعبر عنهم.

يمكن القول إن ثنائية الشفويات/القيم تشكل رؤية محددة تجاه قضايا الإنسان والمجتمع. لها حضورها القوي في الحياة اليومية إلى حد يجعلها تحتل مكانة بارزة إذا ما تم مقارنتها بقوالب لغوية أخرى شفوية أو مكتوبة.

تعكس المتون الشفوية حضور "الآخر"، "الأنا"، "الأصل"... الخ حضورها المعلن يميزها ويعزز من قيمها، هذا الاستحضار والاستدعاء لا يمكن أن يعتبر كنشاط ثانوي/عفوي. يساعدنا هذا الفهم الأولي؛ في التأسيس للمنطلقات التي تقوم عليها القيم وخلفياتها، معانيها محتواها وأشكال السلوك المعلن عنه من خلال كل فعل لغوي كل هذا في الوسط المحلي.

هذا البحث هو تقديم للقوالب اللغوية الشفوية التي يتم تبادلها في السوق اللغوية لدى فئة الشباب فهي تمكنهم من أن يصوغوا سلوكهم مواقفهم وكذلك تفكيرهم، فهي تعبير عن القواعد العامة التي يخضع لها الأفراد، تعتبر كنظام عام للتفكير موازي/بديل للأنظمة الأخرى، (وهو موضوع يمكن أن يخضع للملاحظة من خلال تتبع ودراسة ما يتم تبادلته من لغة ومقارنته بالسلوك الواقعي).

ثنائية الشفويات/القيم تقدم تصور مهياً للفرد عن الكون (رؤية للعالم)، الرجوع إلى الاستخدام الاجتماعي للمتن الشفوي يمكن الباحث من تقديم رؤية تفسيرية عن الاجتماعي، المتون ليست مستقلة قد تتماهي مع معارف مثل الدين والمعارف الأخرى نسعى لتحليلها وفهمها وتبيان علاقتها بالسلوك.

البحث؛ عبارة عن مسائلة للممارسات الخطابية، ما يتأسس عليه الخطاب/الشفوي، يتم ذلك بتجاوز العتبة الجمالية (الطابع الخطي، المروفولوجي للمتون والجانب البنائي والجمالي... الخ) لصالح الجانب الاجتماعي والثقافي؛ تناول الشفوية كخطاب هو تناول للأنساق والدلالات الثقافية والإيديولوجية والكشف عن علاقته بالسياق التاريخي والثقافي ودوره في تشكيل هوية المجتمع المحلي، دون الفصل بين مبدأ الخصوصية والعمومية الملازم للمتن، القيم والسلوك.

نفترض في هذا البحث أن جل النصوص الشفوية حمالة لأنساق محددة ترتبط بالثقافة وتسهم في بنائها وهي تعبر عن علاقات القوة والهيمنة بين الجماعات والثقافات والهويات، وهو ما يقودنا إلى اختبار الكثير من المقولات السابقة بالرجوع إلى الميدان، لهذا يجب الاهتمام بمحددات مثل القصديّة، الدلالات النهائية للعلاقات التي تقيمها المتون مع الواقع، المنتجون للقيم.

هذا البحث رجوع إلى ثنائية اللغة الشفوية/المتخيل الرمزي، لأن الشفويات كموضوع تتطلب التعامل مع الرمزيات، التمثلات، التصورات والدلالات والمعايير، الإيديولوجيا والتاريخ على اعتبار أن اللغة المستخدمة تعبر عن الاجتماعي وقيمه وهي تعكس تمثلات الأفراد والجماعات بل أكثر من ذلك تحاول أن توظف ميدان الفعل الاجتماعي أيضا.

يحق لنا أن نتساءل هل أسهم تداول المتون الشفوية في تشكل أو المحافظة على معاني وأشكال للسلوك وأسست لحضور القيم؟ الملاحظ أنه على الرغم من قدم النصوص التي وصلت إلينا، وعلاقتها بأحداث قد انقضت إلا أنها تتميز بالثبات والتكرار؛ لهذا لا يمكن القول عن الاستخدام الاجتماعي للمتون الشفوية أنه عرضي زائد-زائل وفاقد للمعنى فهو يتمتع بحضور قوي لدى جل الفئات الاجتماعية وحاضر في الممارسات ذات الطابع الجمعي نسعى من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن سر ماضوية/تاريخية، هذه المتون علاقتها بسياقات التداول الآنية... هل يعتبر استخدامها واستدعائها مجرد استراتيجية؟ هذا لأن المتون الشفوية تنتمي إلى فترات تاريخية مختلفة، في الغالب يمكن ردها إلى زمن محدد أو منتج معروف إلا أنها لازالت مستخدمة على الرغم من وجود

أشكال أخرى للتواصل (حديثية جديدة أكثر فعالية) الغاية من هذا البحث الوقوف على آليات وسر بقاء هذه القوالب اللغوية... يمكن أن نتساءل أيضا: هل استمرارية القوالب اللغوية يعتبر كامتدادية للقيم؟ خاصة أن المجتمع المحلي قد عرف تغيرات جذرية مست البناء الاجتماعي ككل.

الغاية هي دراسة نمط من الاتصال الجمعي، الذي يراعي قوة الكلمة التي تنشأ تعدد على مستوى المعاني. بالرجوع إلى الاستخدام الاجتماعي للقوالب اللغوية، نلاحظ أن المتن غني بالمعلومات والاحالات والتقاطعات، البحث محاولة لرد الاعتبار لأشكال التواصل الموجودة، إذ أنه على الرغم من وجود أشكال اتصالية (حديثية، جديدة، متطورة) لازال المجتمع الذي ننتمي إليه يحتفظ بالتراث الشفوي ولا زال يعتمد على المتون الشفوية (التواصل التقليدي الذي يعطي قوة ل"الكلام" كقيمة اجتماعية)؛ تعكس هذه القوالب اللغوية طبيعة الحياة الاجتماعية، الرجوع إلى هذا الموضوع هو رجوع للسلوكيات الاجتماعية وإلى سياقات خاصة، (تناول ظاهرة قائمة موجودة ضمن سياقات محددة) مع احترام السيرورة الاجتماعية التي يعبر عنها المتن وإقامة دراسة لا تقطع الصلة العلائقية مع مجالات العلوم الاجتماعية (الاستفادة من الطرح الأنثروبولوجي وبقية المفاهيم الموجودة في العلوم الاجتماعية ككل) والغاية هي الوصول إلى الفهم.

على الرغم من أن الاستخدام الاجتماعي للغة يتميز بالشفوية-التلقائية إلا أنه يمكن أن يخضع للتحليل-التفسير، لأنه سلوك منظم هادف مهيكّل ومؤسس، متجذر كممارسة معبرة عن القيم/السلوك؛ يحتاج إلى الفهم، واسع الانتشار كشكل اتصالي حامل للتصورات منتج/محافظة على نمط من القيم يرتبط بالسلوكيات، غني نظرا لما يصاحبه من أداء فني، طقوسي، جسدي. البحث محاولة للإحاطة بمعاني المتن وشكل السلوكيات التي يعبر عنها أو التي تصاحب فعل إنجاز التلفظ. تتوسط الشفويات بين الكثير من الخطابات وتقدم لنا صورة عن الاجتماعي وعن الحدود والمعايير (الممنوع، المحرم والمسموح...مثلا: ترتبط المتون بنظام المحارم) لهذا فأثما تقدم لنا صورة عن المجتمع وعن ثقافته تحتاج إلى التحليل والتفسير والفهم وهي الغاية من البحث.

مثلا: يمكن أن ندرك ببساطة ولأول وهلة أن مجتمع البحث (المحلي) يعطي أهمية للكلمة-المشاهدة، الملاحظ وجود تدريب وتهذيب للقدرات اللفظية وعناية واسعة بحفظ وتناقل المتن في لحظات محددة؛ إذن هذا اللون من النشاط اللغوي يمكن أن يخضع للدراسة والتحليل الأنثروبولوجي لأنه ثابت يتميز بالتكرار، الديمومة،

الاستمرارية وطابع التكتيف الرمزي. الشفويات عبارة عن قاموس ومعجم موزع على كل الأفراد يمكننا هذا من الوصول لفهم القيم، المجتمع والثقافة المحلية.

البحث عن معاني القيم هو تناول لمحتواها بالرجوع إلى كيفية تشكل القيم وكيفية نقلها وكيفية التعبير عنها في المتن/الخطاب الشفوي، وهو بحث في تقاطعات هذه الخطابات مع الاجتماعي والتاريخي والديني والاقتصادي، يحق لنا أن نتساءل: كيف تتفاعل الشفويات مع ما هو موجود اليوم من متون غير شفوية (طقوس، خطابات، كتابات)؟ خاصة أنها ذات بعد زمني موغل في القدم لم تتغير على الرغم من مرور الوقت؛ على الرغم من التغيرات الاجتماعية (الظرفية). من هنا يمكن القول إن البحث يتجه إلى الفهم، فهم فاعليتها وإسهامها في إنتاج القيم والتعبير عن السلوك خاصة أنها خزان للتصورات والتمثلات الفردية والجماعية؛ هي تعبير عن رؤية خاصة للوجود (ترتبط بالهوية والكيونة والمعرفة الاجتماعية/الثقافية). لذلك يجب الاهتمام بمرجعيتها.

يتحقق الطرح السابق نتيجة للإيمان بعدم وجود سمة تجزيئية للمعارف (الاجتماعية والإنسانية)، لا وجود للانفصال بينها وهو ما يخدم البحث، لأننا أمام بناء اجتماعي يعلن عن منظومة ازدواجية تعددية للقيم من خلال اللغة، أي اعتبار اللغة الشفوية جزء من الوقائع القابلة للفهم جزء معبر عن أنساق المعرفة المتنافرة. في هذه الدراسة يتم التعامل مع نماذج نظرية متعددة من أجل تقديم تفسير عقلائي عام، موحد للظاهرة؛ نتساءل: هل هناك إنتاج لنفس القيم السلوكية من خلال تداول نفس المتن؟ هذا البحث محاولة لتجاوز المعيارية/الأخلاقية (ما يجب أن يكون) لدراسة الاجتماعي والثقافي (دراسة موضوعية "آنية") على اعتبار أن الشفويات إسقاطات معرفية جاهزة موجودة في المجتمع لأداء وظيفة؛ تقدم على أنها محصلة للخبرات السابقة لذا فالمنطلق هو جمع وتحليل المتن بالإضافة إلى جمع التأويلات من الأفراد واستخدامها كأداة للوصول إلى فهم أحسن للاجتماعي، للوصول إلى منابع القيم مرجعيتها ومعناها (أي تناول المرويات التي تحتل قيمة كبيرة في مجتمع البحث وينظر إليها على أنها ليست منبع للقيم فقط بل هي أصل للمعرفة) دون إغفال، أن المتون الشفوية هي عبارة عن بناء له وظيفة تفسيرية. لها بعدها التاريخي المتعالي على الآني.

إن القوالب اللغوية على اختلافها، تعمل على تحفيز الأفراد ودفعهم إلى غايات وأهداف أي نحو سلوكيات مثالية هذا على الرغم من عدم حضور طرفي العملية التبادلية وجه لوجه (المنتج للمتن والمتداول له) فالشفويات تعبر عن كل شيء مثلاً: تتعرض للفعل ولطبيعة العلاقات الاجتماعية، تربطها بالبنية والموقع

الاجتماعي، تجعل منها متعالية منظمة للاجتماعي، وبالتالي فهي تحول السلوك إلى لغة؛ الغاية من البحث الوصول إلى الكيفية التي يُوجه بها السلوك من خلال اللغة/القيم، في الواقع الاجتماعي، تعمل اللغة على وضع قواعد للسلوك وتجعلها متناسبة ومتناسقة معه (كيف يتم بناء التوقعات وهندسة الاتفاق والاشترك؟).

الغاية من البحث وصف وفهم الكيفيات التي يظهر من خلالها السلوك على الرغم من أن اللغة ليست هي السلوك بل هي مجرد تجريد ثانوي يستخدم للوصف/الوصف يمكن من الوصول إليه، بعد فهم سياق التداول والوصول إلى التأويلات التي يثبتها الأفراد من خلال اللغة المستخدمة في اليومي، ينظر إلى المتون السلوك ضمن العلاقة بالاجتماعي والتمثلات، أي كمعرفة تختزن القيم تعبر عن السلوك¹، ننظر للكلمات من خلال علاقتها بالإنسان، أي من حيث أنها أفعال صادرة عن فاعل واع، فهي تصنف في خانة سلوك. "يعتمد الأفراد أثناء وصف السلوك على الترميز ويستعينون بالمتون، التي تعتبر كنظام للتصنيف والتمييز تحدد الممنوع والمسموح (على علاقة بما هو معياري، أخلاقي وعلى علاقة بنظام الضبط الاجتماعي) على علاقة بنظام القيم، تعبر عن الذوات الاجتماعية، فالشفويات تعمل على توفير استجابات من خلال ربط السلوك بمعاني يرمز إليها لغويا حتى لو كان المعني يختلف عن الحقيقي والواقعي إلا أن الأفراد يؤمنون به يحولونه إلى خبرات-تجارب، الشفويات هي ما تم مراكمته في المراحل السابقة، تمكن الباحث من تتبع القيم أي بالرجوع إلى المتن، يقودنا إلى فهم التغير والانتقال المتدرج للجماعات الاجتماعية، والبدائل المتاحة أمام الأفراد (حرية اختيار السلوك أو بمعنى آخر العموميات ثم الخصوصيات والبدائل المتاحة) فهم كيفية النقل آتيا وزمنيا (نقل القيم ونقل المتن للتعبير عن السلوك).

الملاحظ في الميدان أن هناك قدرة على تضمين اللغة قيم محددة لدى كل جماعة اجتماعية بالإضافة إلى إلحاق معان غير مباشرة تجريدية بالأشياء والأحداث، هذه العملية مستمرة في الزمن، لوجود متون ذات طابع تاريخي (يمكن ردها لمنتج، مكان أو لزمن محدد) تضمن هذه المتون إيجاد تفسيرات لما يعتقد المتداولون للغة والمستخدمون للقوالب اللغوية. الملاحظ أيضا وجود نوع من الاشتراك في القوالب اللغوية بين الجماعات؛ مع وجود قوالب ومتون تعبر عن تفردا وخصوصيتها، هذا البحث يسعى إلى الرجوع إلى الاستعمال اللغوي، شروطه موضوعاته وعلاقته بالسلوك والقيم والاجتماعي والجماعي.

¹ - غيرتس كليفورد: "تأويل الثقافات؛ مقالات مختارة"، ترجمة محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2009، ص 10.

نفترض أن الغاية من إشاعة المتون اللغوية هي جعل الحياة الاجتماعية ممكنة، قابلة للاستمرار، خلق عموميات ومعارف شمولية وإجابات للأفراد. لكن أمام حتمية التغير وصعوبة المحافظة على التنظيم الاجتماعي التقليدي، وصعوبة المحافظة على الثبات، التأثير والارتباط بسياقات تاريخية مغايرة ومعاني جديدة، يحاول المنتحون للمتن اللغوي إعادة عقلنة المتون القيم/المعاني، خاصة إذا ما اخذنا بعين الاعتبار بروز اتجاهات نقدية من طرف الشباب، مثل التشكيك أي محاولة بناء معاني جديدة، تتجلى أهما مبعثرة، لكنها جزء من القيم الاجتماعية تبرز في السلوكيات/الفعل نسعى لفهمها. الغاية من البحث فهم هذه الازدواجية وفهم لحظات القطيعة والتغير الاجتماعي ككل من خلال المتون الشفوية المتداولة.

الهدف هو بناء نظام تحليلي بالرجوع إلى اللغة الشفوية، الرجوع إلى الاستعمالات الفعلية الثابتة والعبارة المرتبطة بغايات ووظائف محددة، فهم علاقة اللغة بالضبط الاجتماعي المعياري للسلوك؛ البداية تكون بشرح التعبيرات الاجتماعية المتداولة بالرجوع إلى الممارسين للتداول-التبادل اللغوي أي فئة الشباب، ربطها بالسلوكيات والمعاني في كل تبادل؛ الأفراد يقومون بعمل تواصلية ذو غاية بطريقة محددة، موجه لفئة (رسالة، شفرة متعارف عليها)، الغاية من البحث الوصول إلى ترتيب التراكيب اللغوية، حسب شدة ترديدها وما يتوافق معها من سلوك، تقدم تفسيرات وفهم بالرجوع للاجتماعي.

يستند البحث إلى الكثير من الأسئلة التي تعتبر كمنطلقات (متنفس للبحث؛ هذه الأسئلة تتجاوز البحث الحالي) للوصول إلى فهم أحسن للخلفيات والمرجعيات القيمة التي تظهر أثناء/بعد كل استخدام الاجتماعي للغة، غير أنه لا يجب أن يفهم أن هذا النشاط اللغوي/الشفوي محكوم نهائيا بمرجعيات محددة ونهائية، نفترض وجود قيم معاني وأشكال سلوكية متعددة لدى فئة الشباب وما يهم هو الدلالات الكبرى (القيم الاتفاقية فقط) التي تجعل المجتمع يبدوا متماسكا ككل، وما يقابلها من قيم جديدة يعبر عنها في كل فعل مشافهة وفي كل رد فعل. في هذا النوع من الأبحاث يتم الاعتماد على نموذج تحليلي يساير الواقع يساعد على الوصول إلى معنى-محتوى القيمة وشكل السلوك لدى فئة الشباب (كل هذا دون الإفراط التعميم لأن الغاية المعلنة والنهائية هي الفهم)؛ إذن البحث محاولة لتحليل المتون الشفوية وتفسير القيم، بعد الوصول إلى وصف النماذج السلوكية ومنه تحدد سؤال الانطلاقة كالتالي:

كيف يقدم الأفراد من خلال اللغة الشفوية قيم ونماذج سلوكية (أنماط للسلوك)؟

الإشكالية:

كيف يعمل الأفراد على إنتاج القيم من خلال الاستخدام الاجتماعي للغة-القبالب اللغوية؟ ما هي الاستراتيجيات التي يقوم بها الفاعل لإنتاج قيم سلوكية منتظمة؟ كيف تؤسس اللغة الشفوية لمعاني القيم وتفرض أشكال سلوكية محددة؟ هل هناك امتدادية للقيم السلوكية؟

لا نسعى لإصدار أحكام بل إلى تفسير وفهم هذه السيورة؛ الاهتمام بالاستخدام الاجتماعي للغة لأنه يمكن أن يقدم -للباحث- فهم للعالم الاجتماعي أي اتخاذ كوسيلة لبلوغ وتحديد معاني القيم وأشكال السلوك. الغاية هي الانتقال من اللغة الشفوية إلى الوقائع الاجتماعية.

بالإضافة إلى الإجابة عن أسئلة لا تقل أهمية عن الإشكالية المركزية تتماشى معها:

الوصول إلى فهم، كيف يدرك الأفراد-الشباب-القيم وكيف يعبرون عنها من خلال الاستخدام الاجتماعي للغة؟ كيف يتم تقديم فهم عن الاجتماعي لغويا من خلال إنتاج معنى؟ البحث يسعى للإجابة عن "كيف" تتم ترجمة الاجتماعي إلى لغة هل يمكن فهم الاجتماعي بالرجوع إلى الشفوية، القيم/السلوك؟

إذا كان الاجتماعي قد ترجم إلى لغة ثابتة (قبالب لغوية، متون... الخ) موجودة في كل استخدام-تواصل يمكن القول إن معاني القيم وأشكال السلوك امتدادية أم على العكس من ذلك تأثر بالتحويلات الاجتماعية والدينامية التي يعرفها المحلي؟ إذا كانت اللغة تحافظ على شكلها الخطي وتميز بأنها تاريخية قابلة للاستخدام، النقل سهلة التداول؛ هل يعني هذا أن معاني القيم وأشكال السلوك تتميز بالثبات، الديمومة والاستمرارية مقارنة بما هو ملاحظ من تغيرات مست البناء الاجتماعي؟ أم أننا أمام حالة جديدة تتميز بخروج اللغة عن دلالاتها ومعانيها لتعبر عن هذا التحول الجديد؛ الثبات ثبات في الشكل لكن المعنى يتغير. أم أننا أمام محاولة بناء وإعادة تشكيل؟

الفرضيات:

- يمكن رد الاستخدام الاجتماعي للمتون الشفوية إلى كونه يسعى إلى خلق-تبرير القيم السلوكية وتوفير شروط موضوعية للتعبير عن الذات؛ والاجتماعي.
- تستوعب اللغة-المتون الشفوية-التحويلات الاجتماعية على مستوى القيم والسلوكيات تعبر عنها وتعيد بلورتها من خلال ربطها بمعاني ذات طابع خاص.

- القيم كما هي في المتن على علاقة بالهوية، الغيرية، الفضاء المرجعية... الخ؛ يمكن أن تتحدد كمعالم للإدراك بالنسبة للمتداولين لها (تعبير عن نماذج/ أشكال السلوك ذات طابع خاص) تقدم لنا الشفويات فهم عن معاني القيم والتحويلات ولحظات القطيعة التي لازمتها. (كل هذا بالرجوع إلى الشفويات بالوسط المحلي).

النماذج النظرية العامة لمقاربة الظاهرة:

البحث محاولة لتفسير السلوك والوصول إلى معاني/محتويات القيم كما يراها المستخدم للمتن الشفوي، لذلك تم الرجوع إلى عدة أطروحات نظرية (الدمج بن نماذج نظرية مرجعية مختلفة) لمقاربة هذه الظاهرة، مع الاعتراف بأن الطرح الذي سيقدم هو عبارة عن محاولة للتأليف بين الأطر النظرية لكن مع إعطاء قوة للوصف المكثف وللميداني، لا يمكن فهم هذه الظاهرة إلا بعد الإحاطة بلحظات التفاعل التي تم فيها الاستخدام اللغوي (ربط الظاهرة بمفاهيم من أجل التحليل).

الاهتمام بلحظات التفاعل والرجوع إلى مفاهيم كالبنية (الانتقال من البنية اللغوية إلى البنية الاجتماعية) من خلال اللغة المتداولة فحضور اللغة للتعبير عن الاجتماعي - يمكن أن يتسع له البحث الأنثروبولوجي - هو تناول للعقلاني، للدلالات المنطقية التي يصوغها الأفراد للتعبير عن الذات والكينونة والانتماء والاجتماعي ككل. من بين النماذج النظرية التي تم الاستعانة بها.

مقولات الوظيفية، نظريات الاتصال، التفاعل، الأنساق الرمزية ومفاهيم التبادل الاجتماعي ومفاهيم من الألسنية. انتماء البحث إلى الأنثروبولوجيا الثقافية جعل من الممكن الدمج بين هذه المقولات من أجل التفسير والفهم.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أنها محاولة لتأصيل التعامل مع التقليد الشفوي بدءاً بتدوينه ثم معالجته بطريقة موضوعية من خلال المناهج المتاحة. بالإضافة إلى الكشف عن القواعد السلوكية والنماذج المعرفية المصاحبة له. كما أنها محاولة لرصد الأشكال الشفوية الأكثر تداولاً كما وردت لدى متداوليها في ميدان الدراسة عن قائله الذين توارثوه، استراتيجيات نقله وتداوله وفهم سر الاستمرارية والدوام وأصل الجماعات التي تتداوله.

محاولة إدراك مدى تغلغل الموروث الثقافي ومدى مساهمته في توجيهه وتحديد السلوكيات المتوقعة وكيف يبين الهوية، الأنا والغيرية... الخ، فالتراث يعكس نظرة المجتمع وعن طريق التحليل يمكن إدراك الكثير من التفاصيل الإثنوغرافية الوصفية البارزة للجماعة الإنسانية.

كما أن الدراسة ذات أهمية، خاصة أنها تتعرض "للمحلي" لميدان أو المجتمع من زاوية خاصة انطلاقاً من اللغة المتداولة، في قوالبها المتعددة، وأشكالها المتنوعة بالارتكاز إلى أفكار؛ المرجعية، الامتدادية، التاريخية والتغير الاجتماعي.

تكمن أهمية البحث في أنه يتناول جل القوالب اللغوية-الشفوية، المتنوعة على اختلافها دون التميز بينها أي دون اعتبارها منتج شعبي هامشي، يحيل إلى ما هو قديم، ريفي، مبتذل، منقطع عن الأصل.

منهج الدراسة:

ستركز الدراسة على استراتيجية بحثية تقوم على جمع البيانات تفصيلية عن عدد محدود من الحالات ولذلك تتوخى الأسلوب الكيفي لتحقيق هذا الهدف سيتم اعتماد المنهج الإثنولوجي وذلك بالتركيز على الوصف والتحليل والاستعانة بأدوات بحثية تتناسب مع الطرح السابق مثل المقابلة الحرة غير المعلنة -أحياناً- لجمع مدونة بيانات تفصيلية عن الجماعات الاجتماعية والفاعلين، وفضاءات التداول، ذلك قصد معرفة مكانة ودور النصوص الشفوية ووظيفتها.

الاعتماد على الوصف، التحليل مع استخدام عدة أدوات كتحويل المدونة بعد جمع المعطيات العلمية الخام (التقليد الشفوي) ومعالجتها وتنقيحها ثم الاعتماد في مرحلة لاحقة على الملاحظة بالمشاركة قصد معرفة العلاقة بين الشفوي والسلوك في ميدان الدراسة، بالإضافة إلى اعتماد أداة المقابلة الحرة المكثفة غير معلنة "أحياناً" مع أفراد المجتمع محل الدراسة والوقوف على التصورات والسلوكيات ومدى تأثير الموروث وتغلغله في ميدان الدراسة.

حدود الدراسة:

يجب ضبطها كي نتحكم في البحث في مختلف مراحلها. والدراسة تمت في ولاية تيارت وسبب اختيار هذه المنطقة راجع إلى طبيعة المكان المدروس الذي يسمح بإجراء الدراسة. كما أن الإطار الجغرافي محدود بالإمكان

التعامل معه والإحاطة به. مع الأخذ بعين الاعتبار كثرة تداول الأدب الشفوي في صورته الكثيرة الأمثال القصص الشعر في ميدان الدراسة.

الحد الزمني للدراسة:

بداية الدراسة كانت بجمع المادة المعرفية كتب معاجم وقواميس والاطلاع على الدراسات السابقة والمشاهدة، وهو ما ساعد على بلورة سؤال الانطلاقة والتعرف على المجتمع المدرس والعينة من فئة الشباب (البداية في سنة 2011، جمع المراجع الببليوغرافية والدراسة الاستطلاعية نهاية 2012، بداية الدراسة الميدانية كانت بالاتصال بالاحباريين والانطلاق خلال شهر أبريل-مأي 2014 إلى غاية شهر مأي 2015. مع الأخذ بعين الاعتبار الملاحظات والمقابلات المتقطعة-غير المنتظمة نهاية سنة 2016).

بداية الدراسة الاستطلاعية كانت باختبار مدى ملائمة المنطقة الجغرافية لإجراء البحث، حصر العينة التي تم التعامل معها. البحث عن طبيعة التقليد الشفوي المتداول مع مراعاة إمكانية الاتصال بالمبحوثين وإثارة الموضوع معهم، مع الاستعانة بالاحباريين حسب الحاجة. ومراعاة تنوع أدوات البحث وتدعيمها بالملاحظة مع إجراء قيد للملاحظة بالمشاركة بالإضافة إلى محاورة أكبر عدد ممكن من الأفراد ومقابلتهم عدة مرات. نهاية الدراسة الاستطلاعية كانت سنة 2013 أجريت على مراحل، وتم من خلالها الإعداد النهائي للزول للميدان، تم مقابلة عدة شباب ممن تجاوبوا مع الطرح وأجريت العديد من الملاحظات خلال السنوات اللاحقة (حتى نهاية سنة 2016) أين تم تحليل المعطيات الميدانية بمساعدة الاحباريين للوصول إلى نتائج النهائية.

الحد الأكاديمي:

الدراسة تقتصر على التقليد الشفوي أي المنطوق في ميدان الدراسة وعلاقته بالقيم والتمثلات والأنماط المعرفية المتداولة وكيفية انتقاله وإنتاجه وكيف يعاد إنتاجه مرة أخرى. لكن بالرجوع إلى فضاءات محددة للتداول ولحظات التلفظ (المناسبات ككل، المناسبات الجمعية الاعتيادية والطارئة) لهذا كانت بعض النصوص محل اهتمام مثل أساطير التأسيس والمتون المناقبية، يضاف إليها الأشعار، الأمثال والقصص/الحكايات.

تم اختيار عدة أهداف لهذه الدراسة، قصد ضبط الموضوع ووضع في إطاره الأكاديمي-الأمريقي لكي يتحدد الموضوع ويكون أكثر دقة ووضوح. فالدراسة تهدف إلى جمع مدونة مكونة من جميع الأشكال الأدبية

المتبادلة لكن بالتركيز على الأمثال الشعبية (لأنها غالبية ومتداولة بكثرة بين كل الفئات العمرية دون إقصاء بقية القوالب اللغوية التي يحاول الأفراد إشاعتها واستخدامها).

كما أن هذه الدراسة تهدف إلى الالتفات إلى الأدب الشفوي كونه جزء من الثقافة الشخصية المحلية والجماعية، كما أنها إخراج الأنثروبولوجيا من المواضيع التي نالت حضاها من الدراسة العلمية.

ومن خلال الدراسات السابقة والقراءات لمختلف المقاربات الثقافية الأنثروبولوجيا تم اللجوء إلى جرد مجموعة من الأمثال والقصص والشعر الشعبي الأكثر تداولاً في مرحلة أولى للبحث الميداني عن طريق التسجيل الكتابي بعد الاتصال بالمبحوثين على اختلافهم خاصة الذين يحفظون الشعر ورواة القصة ثم تحليلها في مرحلة لاحقة ثم تنقيحها واستبعاد ما تكرر منها ثم إخضاعها للدراسة والتحليل وفي مرحلة أخيرة مقارنة بين التقليد الشفوي والواقع.

أدوات البحث:

الأنثروبولوجيا معروفة بالتوجهات التوليفية التي تسعى إلى الفهم، وهو ما يتوافق مع الدراسة التي تهدف إلى العودة للمحلي وإعطاء أولوية للميداني. لمقاربة الموضوع تم اللجوء إلى عدة أدوات للبحث حسب الحاجة؛ مع الاعتماد على الطرائق التقنية العملية القابلة للتطبيق، التي تكون ملائمة لنوع وطبيعة الميدان، البحث في هذا الاختصاص يميل إلى نوع محدد من المعاينة الميدانية المتكررة لمفردات مجتمع البحث، والغاية مقاربة للمجتمع من الداخل؛ بالاعتماد على التحقيق والوصف الدقيق؛ استغلال لحظات التفاعل (الفضاء، الزمن والمكان).

من أجل التأكد من المعلومات المتحصل عليها تم عزل مفردات العينة وتقسيمها مع الحرص على القيام بمقابلات وملاحظات متكررة (حتى مع نفس الأشخاص في بعض الأحيان لأكثر من مرة)، والهدف هو الحصول على التمثيلية، وإمكانية التعميم لاحقا داخل الوسط المحلي. لذا تم الاعتماد على:

المعايشة:

الهدف منها الاستقصاء والتقرب من المبحوث، والغرض منها اكتشاف معلومات أو تصحيحها، الوصول إلى الكشف عن القوانين العامة المنظمة للسلوك/الأفعال، المبادئ التفسيرية المقبولة علميا.

الملاحظة:

هي المشاهدة الدقيقة لظاهرة ما مع الاستعانة بأساليب البحث والدراسة التي تتلاءم مع طبيعة هذه الظواهر¹، قصد رصد السلوك الإنساني خاصة أن الجماعة المدروسة محدودة الانتشار جغرافياً؛ ارتكز الكثير من الباحثين الأنثروبولوجيين على هذه التقنية مثل مارغريت ميد M MEAD قامت بدراسة عدد من الثقافات قصد مشاهدة وملاحظة سلوك الأفراد أثناء القيام بالأنشطة المختلفة²، وكذلك فعل اريفيغ كوفمان E.GOFFMAN عندما درس نزلاء إحدى المستشفيات عن طريق "الملاحظة بالمشاركة" نجد أن الباحث يشارك بفعالية في الأنشطة اليومية التي يقوم بها الأفراد خلال فترة الملاحظة مما يتطلب معيشة الباحث مع المبحوثين وأن يكون عضو مقبول في مجتمع البحث وقادر على الحديث مع أفراد المجتمع بطريقة غير رسمية وقادر أيضاً على المشاركة في اهتمامات أعضاء المجتمع.

لهذا تم إعداد شبكة الملاحظة³، قصد تحديد موضوع الدراسة أكثر مع تسجيل الملاحظات بالاستعانة بدليل ميداني بعد التأكد من صدق الملاحظة عن طريق المقارنة وتكرار الملاحظة⁴. الملاحظة تستهدف التجمعات (الطارئة، الاعتيادية)، والسلوكيات، والواقع الاجتماعي ككل.

الملاحظة بالمشاركة:

هي مصدر ظهور كل الأشكال الأخرى للملاحظة في عين المكان أنها تتطلب الاندماج في مجال حياة الأشخاص محل الدراسة، يعتبر الأنثروبولوجيون أول من مارس الملاحظة بالمشاركة والتي تفيد في دراسة ممارسات فردية أو جماعية ضمن أوضاع معينة.

بهذه الأداة يمكن رصد "العلاقات المباشرة، العلاقات المميزة" وما تتميز به هذه العلاقات "كالتعاون، تنافس عداوة، زمالة" وحصر معاني الأحداث التي يقوم بها الفاعلون الاجتماعيون "الأحداث التي تقع" "الأوضاع الاستثنائية" تهدف إلى استخراج المعنى الذي يعطيه الأفراد والفاعلون الاجتماعيون والقائمون بالتغيير للوسط،

¹ - طلعت إبراهيم لطفي: "أساليب وأدوات البحث الاجتماعي" دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 1990، ص 76.

² - طلعت إبراهيم لطفي: مرجع سابق ص 77.

³ - ملاحظة يمكن الرجوع إلى الملاحق وإلى إطار وشبكة الملاحظة

⁴ - طلعت إبراهيم لطفي: مرجع سابق ص 79.

وكيفية إدراك الأفراد للواقع، كيف يعيشون الأحداث؟ وباختصار فهم أحسن للوسط الذي يعيشون فيه بكل شمولية¹.

إطار الملاحظة:

الملاحظة هي أداة لجمع البيانات والمعطيات يتم بناءها من أجل رصد ومراقبة وسط معطي، وهي موجهة للفضاء المحلي الذي تم اختياره وتمت فيه الملاحظات بانتظام، حسب الحاجة لخدمة البحث في مراحلها المختلفة؛ تم اللجوء إلى فضاءات التفاعل الجمعي التي تتميز بحضور الفاعلين الذين يرددون المتون الشفوية، والمتبين لها (المتدوقين لها) تم اللجوء إلى اللحظات الجمعية المميزة للجماعات مثل "الوعدة، الجمع، العرضة، الحلقة، المآتم... الخ" للحصول على تقديرات وتأويلات ثم اختبار النتائج الأولية والتقديرات؛ اللجوء إلى فضاءات أخرى مغايرة لها (للتأكد من صدق التأويلات وثباتها) مثل "الأسواق الشعبية" تم جمع الملاحظات من التجمعات "حلقات المشافهة" وفي الأخير تم بناء تقديرات حول الموضوع والاجتماع بالإخباريين وحثهم على إجراء نفس الملاحظات في لحظات مختلفة حول نفس الموضوع، نفس الفضاء ومع عينة من الشباب؛ كانت الاهتمام منصب حول:

1. جمع معطيات منوغرافية عن الوسط المحلي، بالتزامن مع بداية الدراسة الميدانية وبعد الانطلاق فيها، تم اللجوء إلى أكثر من فضاء وفي النهاية تقرر الرجوع إلى الفضاءات التي تشهد عناية بالمتون الشفوية، والتي يوجد فيها أفراد من مختلف الفئات العمرية وفي أكثر من نطاق جغرافي، مع محاولة القيام بدراسة منوغرافية للمنطقة ككل ثم اللجوء إلى تسجيل الملاحظات على مراحل ثم المقارنة بينها. على العموم كانت الانطلاقة عبارة عن استكشاف لميدان الدراسة؛ تم فيها وصف الأماكن التداول بشكل عام -نوع الأشخاص - وتم توزيع الملاحظات على مواقع مختلفة في نطاق جغرافي واسع (في أكثر من مكان) مثلا تم التركيز على الأحداث؛ نوع الأحداث على مستوى المتون الشفوية والواقع؛ وهو ما مكن من القيام بمقارنات بين المواقف والسلوكيات الاعتيادية وما هو موجود على مستوى اللغة الشفوية (الاتجاه من الشفوية للواقع والعكس).

2. الإحاطة بالظواهر المتكررة من أجل تأسيس شبكة الملاحظة، وقيد الملاحظة". جمع معلومات عامة عن الأشخاص، بالإضافة إلى تقديرات الملاحظة.² والاستفادة من الأوقات الاعتيادية والاستثنائية (الأوقات

¹ - أنجوس موريس: "منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات علمية" ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصة، الجزائر 2004 ص 184 - 186.

² - أنجوس موريس: مرجع سابق ص 236 - 238.

المناسباتية، الاحتفالات واللحظات الطارئة غير الاعتيادية مثل المآتم) ومحاولة جرد ملاحظات في أوقات مختلفة والتأكد عن مدى ثباتها. أما في ما يخص الفئة المستهدفة فهي فئة الشباب (من 18 إلى 36 سنة فقط) الغاية هي رصد أغلب السلوكيات اللغوية التي تصدر عنهم (التعبيرات، تأويلاتهم للمتون الشفوية آرائهم وانطباعاتهم حول ذواتهم وحول الآخر والاجتماعي بشكل عام) تم جمع مجموعة من التأويلات استغلت لاحقا في الجانب الميداني، ساعدت الملاحظات على الانتقال من الجانب الشكلي الظاهري إلى الجانب الضمني أي من السلوكيات الظاهرة إلى الرهانات والتأويلات والتقديرية وساعدت على الانتقال إلى المقابلة ودعمها (لم يُفصل بين الملاحظة والمقابلة من حيث الزمن والمكان؛ حتى أنه تم دمج النتائج المتوصل إليها ثم استغلالها في المقابلات).

المقابلة:

تعد المقابلة أداة. يمكن تعريفها بأنها تفاعل لفظي يتم عن طريق موقف مواجه يحاول فيه الشخص القائم بالملاحظة أن يستثير المعلومات وآراء أو معتقدات شخص أو أشخاص للحصول على المعلومات، والبيانات الموضوعية¹. تمت المقابلة مع فئة الشباب لكن مع استبدال دليل المقابلة بالمدونة. كما إن المقابلة تتم مع المنتجين للشفويات أو الذين يكررونها دوما.

ليس من السهل إجراء مقابلات مع عينة تمثيلية يمكن من خلالها فهم كل أبعاد الظاهرة خاصة أننا أمام مجتمع بحث ممتد على نطاق جغرافي واسع، لهذا تم الاستنجاد بأفراد وشبكة علاقات خاصة بهم، وتم الاستعانة بالمدونة كصحيفة مقابلة² مع تحديد الموضوعات التي يجب التطرق إليها والتي ركز عليها الباحثون والتي تتصل أساسا مع مشكل البحث. في مرحلة أولى تكون الأسئلة المطروحة ذات طابع عام كي تساعد المستجوب على الاستطراد في الشرح والتوسع في الإجابة، بكل حرية، ثم التوجه نحو المقابلة المقننة حسب الحاجة، مع الجمع بين المقابلة الجماعية والفردية، وبناء الدليل الميداني؛ JORNALE DENQETE في بعض الحالات تم اللجوء إلى التسجيل فقط. تم اللجوء إلى المقابلة الحرة غير المعلنة في كثير من الأحيان لأنها "مرنة"، تساعد الباحث على الإدلاء بإجابات بسيطة، حرة، تعبر عن تجربة الأفراد دون تكلف (دون خوف من الباحث أو الإخباري) في بداية

¹ - زرواتي رشيد: "مناهج البحث في العلوم الاجتماعية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى الجزائر، بدون سنة نشر، ص148.

² - في المراحل الأولى للبحث تم الاستعانة باستبيان لكن بعد توزيعه عدة مرات على فئة من الشباب تبين أنه دون فائدة لأن الأفراد يحاولون الإدلاء بإجابات مقتضبة لا تخرج عن الموافقة على كل الأسئلة لكن بعد استبداله بمدونة للأمثال الشعبية تم ملاحظة التفاعل مع الموضوع والاستجابة الطوعية والإدلاء بإجابات جديدة تخدم الموضوع.

هذه الدراسة تم الاستعانة بدليل مقابلة تم تعويضه لاحقا بالمدونة لأن الشباب في الغالب يقدمون إجابات سريعة ولا يتفاعلون مع البحث؛ هذا لأن الموضوع المطروق على علاقة بالرمزيات، الدلالات والسلوك، وفي حالات أخرى تم اللجوء إلى المدونة كدليل للمقابلة مع فئة أبدت اهتمام بالموضوع (مثل الأفراد الذين يحفظون ويرددون المتون والأشعار والقصص) كل هذا لفهم وتحليل ما هو متداول ولفهم الأفعال.

في مراحل متقدمة تم اللجوء إلى مقارنة تأويلات الباحثين مع بعضها، لأننا أمام تجارب في الغالب تتميز بأنها غير متجانسة -نسبيا- متنوعة، كانت الأسئلة مفتوحة كل هذا للتواصل بسلاسة وفتح المجال للشباب للتعبير عن تقديرهم، وفي مرحلة أخرى بعد تبلور الموضوع تم اللجوء إلى مقابلات مركزة تكون فيها الأسئلة موجهة (نقاشات عامة، اعترافات، سير لأحداث.. الخ كلها تخدم البحث) هذه الخطوات والمراحل تم الرجوع إليها للتركيز على مبحثين -ذوي ثقة- والتركيز على قيم محددة ومعانيها للتعلم في الموضوع، كل هذا للتخفيف من توجس الباحثين وإعطاءهم ثقة في شخص الباحث/الإخباري، تم الاستعانة بأدوات للتسجيل مع حالات فقط وتم تعويضها بالتسجيلات البعدية (لأن الباحثين في الغالب لا يجذون هذه الطريقة).

الإخباري:

"هم الأشخاص الذين يسمحون للباحث الحقلية بإجراء المقابلة معهم ويتاح له مراقبة سلوكهم... وهم أبناء المجتمع المحلي الذين يعتمد الباحث على خبراتهم ويقضي مدة طويلة في مقابلاتهم وإجراء الملاحظة عليهم، هي وسيلة للحصول على معلومات عن أساليب الحياة التي انتهت أو التي تغيرت وهي تعوض الملاحظة بالمشاركة تستهدف إعادة بناء الثقافة واستثارة الناس الذين عاشوا في تلك الثقافات"¹.

عينة البحث والإجراءات الميدانية:

يتميز هذا البحث بالرجوع إلى فئة تتميز بالتباين وجعلها محل اهتمام-استقطاب كان بهدف الوصول إلى بناء نماذج مثالية لاستقراء الواقع لأن هذه الفئة يمكن التعامل معها بسهولة (لها قدرة على استيعاب وفهم الموضوع المطروح) لهذا تم اللجوء إلى عينة من الفئة العمرية الممتدة من 18 سنة إلى 36 سنة مع التركيز على الشباب الذين

¹ - غام عبد الله عبد الغني: "طرق البحث الأنثروبولوجي"، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى، مصر، 2004، ص 116 - 117.

يُحفظون أو يرددون المتون الشفوية باستمرار (الفئة الأكثر ترديدا والأكثر استحابة للموضوع) تجاوز عدد مفردات العينة 58 مفردة¹.

هذه الدراسة يمكن أن توصلنا لفهم واقع القيم والسلوكيات لفئة اجتماعية في لحظة انتقال (انتقال من سن/عمر مستوى إلى آخر)، مما يجعلها الأنسب للبحث، لفهم الكيفية التي يتم بها التعبير عن القيم باستخدام قوالب لغوية؟.

لا يمكن أن ننفي وجود تبادل لغوي وفي لنوع خاص من الاستخدام مشترك بين فئة الشباب ككل (على الرغم من تمايزها) لكن نلاحظ وجود فئة تستعين بنماذج وقوالب لغوية ثابتة للتعبير والإبلاغ أي أننا أمام نوع من الاستخدام الاجتماعي للغة يمكن أن يكون موضوعا للبحث وفئة نشطة تسعى للمحافظة على المتون بل تحاول أن تجدد وتبدع فيها.

مجتمع البحث:

هو مجموعة غير منتهية من العناصر المحددة سلفا ولاية تيارت ككل وهذا لفتح المجال للمقارنات وللملاحظة ضمن فضاءات مشابهة أي أننا أمام مجتمع بحث مفتوح قابل للملاحظة، به مجموعة من العناصر لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها من العناصر الأخرى والتي يجري عليها البحث.

عينة كرة الثلج، (والعينة القصدية):

يتم اختيار العينة على مراحل، في المرحلة الأولى تم اختيار ومقابلة عدد قليل من الأفراد الذين تتوفر فيهم الخصائص الأساسية ويمكن النظر إلى هؤلاء الأفراد باعتبارهم إخباريين²، يمكن أن نستخدمهم للاستدلال على أشخاص آخرين تتوفر فيهم الخصائص المطلوبة وتتضمن المرحلة الثانية إجراء مقابلات "معمقة" مع هؤلاء الأفراد يمكن اعتبارهم بمثابة إخباريين نستدل منهم على أفراد آخرين لإشراكهم في المقابلة³.

¹ - ملاحظة يمكن الرجوع على الملاحق للاطلاع على الجدول الخاص بالإخباريين، والجدول الخاص بالمقابلات.

² - تم اختيار الإخباريين من مجتمع البحث ككل وتوفر فيهم مجموعة من الخصائص مثل التجاوب مع الموضوع، الانتماء إلى تخصص العلوم الاجتماعية أو على الأقل الإلمام بطرق البحث، الانتماء إلى فئة الشباب الذين يحفظون أو يرددون المتون الشفوية.

³ - لطفي طلعت إبراهيم: مرجع سابق ص 87.

يتم بناء الفصول انطلاقاً من هذه الردود التي تجمع من الميدان (من عينة قصدية) وتجدد الإشارة إلى أن الدراسة تسعى للتعامل مع أكبر عدد ممكن من الأفراد من فئة الشباب وفي جل فضاءات التداول (أي الفئات المعبرة عن معنى شباب) والاتصال بهم في كل وقت بالإضافة إلى التركيز على من يحملون رصيد معرفي وبإمكانهم إدراك أهمية الموضوع ومدى دقته، مع التأكيد على الرجوع إليهم أكثر من مرة، خلال مراحل التدوين وخلال المراحل اللاحقة أي أثناء محاولة التفسير وإدراك التصورات والسلوكيات والقيم.

محاولة الحصول على سيرة حياة بعض الفاعلين التاريخيين ومناقبتهم، من أجل المقارنة، لمعرفة مدى ثبات بعض السلوكيات ومدى تأثير القيم بالتغير الذي مس البناء الاجتماعي.

على العموم يمكن اعتبار التقليد الشفوي كمنتج عقلي وهو كغيره من أشكال الاتصال "مصدر صريح" للمعلومات "فمنتجه أو الشاب المتداول له إنما ينقل من خلال -الخطاب الشفوي- شيئاً من نفسه للمستمع أو الطرف الآخر لهذا نُهتَم بقصدية التداول. يتم هذا النقل والتبليغ من خلال الإشارات اللغوية خاصة الإستعارات، الكنايات والإشارات والشعارات المرافقة للمتن نسعى لتحليلها، تتخطى الكلمة أو الشعار كل الحدود لغاية وهدف مثل التعبئة، جل القوالب الشفوية تحتوي على قدر من المعلومات الموضوعية، عن حقيقة المجتمع، وعلى أعلى حد من الانفعالية المباشرة أو غير المباشرة بمعنى أنها نداء للمشاعر والعواطف.

ترتبط الشفوية بقوة الكلمة والمفاهيم اللغوية المركبة وبالصور المختلفة، حسب المتداولين لها "حروفها وكلماتها تمتلك قوة سحرية" يعتقد أنها تحتوي قدر من الحقيقة -هذا بالنسبة إلى بعض الشباب فقط- يتم الإستناد إليها -شعارات- للمحاجة يعتقدون أنها عقلانية لا يمكن نفيها، كل هذا ضمن فضاءات قد لا تخرج عنها لهذا تم الرجوع إلى اللحظات الاعتيادية والاستثنائية/الجمعية من أجل التفسير والتحليل (الأسواق، المقاهي، الأضرحة، المآتم، والوعدات...).

تتميز الشفويات على العموم بطابع التكثيف والارتباط بالرموز والشعارات لكل منها مقابل ومدلول في المعاش اليومي والواقع الاجتماعي للجماهير فاللغة هي الوعاء المادي للفكر لذا وجب دراسة تلك المدلولات بعد تصنيفها في موضوعات ومعاني وقد تم حصرها في مايلي:

- العلاقة التي تقيّمها المدلولات مع الأشياء التي ترمز إليها أي معطيات العالم الخارجي، العلاقات، البناء الاجتماعي.
- العلاقة التي تقيّمها مع مدلولات من نفس الدرجة ومواقف سلوكية محددة، هل هناك نفس القوالب لكل السلوكيات؟.
- العلاقة التي يقدمها المدلول الرئيسي والمدلولات المعيارية القياسية.

ويمكن القول بأن للكلمة أكثر من معنى: تصريحي، إيمائي، بحسب التداخليات التي يمكن أن تحدثها خلال الاستعمال¹، وهو ما يصعب من حصر معانيها لذا تم ترك الفرصة للمستجوبين لتعيينها وضبطها ثم تصنيفها ضمن حقول.

طريقة الحقول الدلالية:²

وهي طريقة تعتمد على تصنيف المدلولات في حقول مفهومية ألفها الفكر البشري سواء المبنية على القرابة المعنوية أو الترادف والتماثل (مثلا: ولي، تثير وترتبط بضريح، مقدس، أصل، سلالة أحفاد...الخ.) أو مبنية على التضاد ذكورة/أنوثة أو مبنية على معيار الأصغر والأكبر أو علاقة التدرج (رضيع، طفل، شاب...) أو نظام النسبة (عالم، عارف، مقدم...).

الدراسات السابقة:

دراسة الباحث رضوان بوجمعة الموسومة ب: "أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل، محاولة تحليل أنثروبولوجي"، تحت إشراف زهير إحدادن، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية، قسم علوم الإعلام والاتصال، السنة الجامعية، 2006-2007.

يهتم البحث بالثقافة الشفوية من الزاوية الاتصالية وفق اتجاه تاريخي، شملت الدراسة ستة قرى (بالولايات التالية بومرداس، تيزي وزوا، بجاية، سطيف) اعتمد على مفهوم إثنوغرافيا الكلام/اللغة الذي جاء به جيمس دال ومدرسة التفاعلية الرمزية والظاهرانية، البنيوية، دراسات النقد الثقافي، أشكال التواصل، فهم بنية الاتصال. آثار

¹ - بوزة صالح: "المناهج والمقاربات المنهجية في بحوث الإعلام" عن مجلة الثقافة (وزارة الثقافة الجزائرية) العددان سبتمبر ديسمبر، سنة 1995، 110-111، ص120.

² - تم تخصيص مخطط لتوضيح أهم الحقول الدلالية المرتبطة بالمشاهدة ارجع إلى الملاحق.

الباحث الكثير من التساؤلات مثل هل الثقافة الجزائرية شفوية؟ كيف كان الأفراد يتواصلون على الرغم من حضور الاتصال الجماهيري الذي يمكن أن يعوض أو يقضي على التواصل الشفوي؟ تناول العلاقة بين الشفوية والمكتوب وطرق الاتصال في المجتمع القبائلي (مسألة الأنواع الأدبية وعلاقتها بالمجتمع المحلي)، كما حلل بنية الاتصال وأشكال التفاعل الرمزي، كيف يعطي الفاعلون معنى للاجتماعي من خلال وضعيات التواصل الشفوي، ما هي الدلالات التي يعطيها الفاعلون لوضعياتهم، كيف يؤولون الواقع من خلال اللغة، لهذا اعتمد على المقاربة الإثنوغرافية (أبحاث كل من جيمس دال ومالينوفسكي وإيف ونكن) اعتمد على المنهج الكيفي واهتم بالفاعلين أنفسهم والمنهج التاريخي بالرجوع إلى الوثائق، الأرشيف والشهادات والأحداث التي تم تأويلها (الأحداث التاريخية ذات المصدقية) أجرى الباحث أكثر من 30 مقابلة مع أشخاص محددتين (كبار السن الفئة العمرية 57-95 سنة)، حاول الباحث تحديد مفهوم الاتصال بشكل عام ثم الاتصال بالوسط المحلي (السياق الاجتماعي للاتصال الدور والوظيفة، وضعيات الاتصال السابقة قبل الاتصال الجماهيري)، فعل الكلام وسلطة الكلمة من خلال عرض مجموعة كاملة من الأشعار القبائلية التي تعطي إمتياز لفعل المشافهة، واستخداماتها المتعددة لنقل المعرفة والمقاومة لكل أشكال الهيمنة والتعريف بالهوية. قام الباحث بربط المتون الشفوية بالفضاء الذي لا تخرج عنه عادة مثل مكان تواجد تاجماعت أو المنزل، السوق، مكان تواجد النسوة (نوع الماء) والمناسبات الأخرى أي أن هناك نوع من التمايز بين المتون الشفوية أحدها راقى ينتمي إلى فضاءات مقدسة والآخر لا ينطبق عليه الوصف السابق كما فصل بين الطبوع والتلوينات الشفوية مثل "آشويق، آحيحًا وإزلان".

أوجد المجتمع المحلي أشكال للاتصال الشفوي تتميز بالتنوع والتعدد وهي لا تخرج عن المشافهة (المجتمع المدروس يولي أهمية للمشافهة على عكس الكتابة التي كانت حكر على الأجهزة البيروقراطية وعلى الأفراد الذين ينتمون إلى مكانة مرموقة) الملاحظ سيطرة رسائل ومرسلين بعينهم على الاتصال ووضعياته حسب الفضاء والسن والحاجة، وهو ما يميز عملية الاتصال على أنها نسق له قواعد اجتماعية ثابتة وقواعد ومنطق خاص يتقاطع مع الحياة اليومية، يعمل القائمون على السلطة على تشكيله وتنظيم فضاءات الاتصال مثل (تاجماعت الأعيان في المجتمع التقليدي) ويقومون بتعديله وتطويعه أو إلغائه (لأنه لا يتوافق مع القيم)، يخضع الاتصال الشفوي لمحددات أخرى مثل النوع الاجتماعي (لكل لون وطابع ومتن شفوي فضاء وفاعل خاص به) البحث في الاتصال والمشافهة حسب الباحث يعتبر بحث في السلوكيات والالتزامات المتبادلة الملزمة للأفراد ويمكن أن يقدم فهم أحسن للقواعد الضابطة للسلوكيات التي تُختصر إلى وضعيات اتصال قابلة للملاحظة والتحليل.

دراسة فوزية شريفى بوشارب الموسومة بـ "سيكولوجيا القيل والقال، تحليل نفسي واجتماعي لممارسات اجتماعية شفوية" دار هومة للطباعة النشر والتوزيع، 2009؛ تضمنت على ستة عشر فصل، كانت البداية بمحاولة تعريف هذه الظاهرة وضبط المفاهيم مع الاحتفاظ بمفهوم "القيل والقال" والاعتماد على اصطلاحات من علم الاجتماع وعلم النفس، اهتمت الباحثة بالنسق الاتصالي "ثقافة الاتصال من الفم للأذن"، اعتمدت على الملاحظات المباشرة وتسجيل الممارسات الكلامية (القيل والقال) بالإضافة إلى الملاحظات الميدانية استعانت بوصف الممارسات اللغوية الاعتيادية. أعطت أهمية كبرى للاتصال الشخصي والجمعي وترى الباحثة أن هناك سلطة للكلمة (الكلام قيمة اجتماعية) ترقى إلى القداسة لأنها عبارة عن نشاط مؤسس منظم ومهيمن يتمركز حول القضايا الاجتماعية ويعكس الحياة النفسية والاجتماعية للقائمين عليه، كل هذا رغم حظر وتحريم هذا الفعل (هذا الفعل مؤطر من خلال مرجعيات دينية وأخلاقية) إلا أنه موجود، فعال؛ لأنه -حسب الباحثة- يحقق إشباعات نفسية اجتماعية ويلبي فضولها. القيل والقال يرتبط أساسا بالنظام الاجتماعي التقليدي "نظام شفوي موجه وهو نظام علائقي يقوم على العلاقات الاجتماعية ويتمحور كسلوك حول القضايا الشخصية، دراسة العلاقة بين القائم بالقيل والقال والشبكة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد الذي يمارس هذا النشاط" وأرجعت سبب هذه الممارسة إلى محاولة تفرغ الشحنات الانفعالية وتحقيق للتوازن النفسي، أشارت الباحثة أيضا؛ إلى أنها آلية دفاعية يقوم الأفراد بتفعيلها كرد على عنف الآخر واستبداله بعنف لغوي للحفاظ على الذات وشبكة العلاقات كما أنه يستخدم للتنفيس وإشباع لرغبات عدوانية، اعتمدت الباحثة على مفاهيم من التحليل النفسي ونماذج تفسيرية مثل "النماذج الثقافية"، ترى أن خصائص المجتمع الجزائري مثل شكل السلطة ومفهوم العضوية والجماعة والعلاقات الاجتماعية بالإضافة إلى شكل الفضاء هي المحدد الأساسي لتفسير. اعتمدت الباحثة في الفصل الخامس على نموذج سليمان مظهر وملاحظات لظاهرة القيل والقال في التنظيمات، ثم حاولت تفسير كيفية تشكل الجماعات هل هي ممارسة عابرة؟ أم أنها ظاهرة متأصلة تنتمي إلى الاجتماعي، أفادت الباحثة أنها منتشرة بين الفئات الاجتماعية وتمارس بدرجات مختلفة، موجود في التنظيمات العائلية والمهنية على حد سواء. تتقاطع دراسة الباحثة مع الدراسة الحالية في الموضوع أي الممارسات اللغوية بالوسط المحلي إلا أنها تتجاوزها في كونها ترتبط بالمتون الشفوية الأكثر تداولاً وعلاقتها بالقيم والسلوك لدى فئة الشباب فقط، وفق المحددات التالية: الاجتماعي، الديني، الاقتصادي والنوع الاجتماعي، كما أن الدراسة الحالية هي رجوع إلى المحلي وإلى فئة اجتماعية وثقافة فرعية.

دراسة منديب عبد الغني الموسومة بـ "الدين والمجتمع دراسة سوسولوجية للتدين بالمغرب"، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء الطبعة الثانية 2010، التي اعتمد فيها على الدراسات الكولونيلية والدراسات المنوغرافية الوصفية للدين والتدين الشعبي، ركز على دور الفاعل الديني، الطقوس والممارسات وحاول نقد التوجهات الكولونيلية التي أسست للديني (أصل وامتدادية الظاهرة والممارسات الدينية) من حيث المنهج اعتمد على الوصف والمعاشة الميدانية كما أنه اعتمد على الاتجاه التأويلي، هذه الدراسة هي خلاصة لأهم الدراسات التي تمت بالمغرب من طرف باحثين مثل إيرنست غلنر، جاك بيرك وديرمنغهام وغيرهم وهي محاولة لتأسيس "إثنوغرافية" تهتم بالشأن الديني وإدارة المقدس، من الجانب المنهجي اعتمد الباحث على الملاحظات المباشرة والمعاشة كما أنه اعتمد على المقابلات والقصص (قصص التأسيس)

تتقاطع هذه الدراسة مع الدراسة الحالية بحكم التقارب في الممارسات الدينية (مثلا العلاقة بين الفاعل الديني وبقية الأفراد في المجتمع، والممارسات ذات الطابع الديني) في دراسة الباحث منديب عبد الغني نجد العديد من الاصطلاحات والمفاهيم التي يمكن أن تقدم تفسيرات لمحتوى القيم ومعانيها مثل "المكتوب، الأصل، المؤسس الأول، الولي والولاية، يضاف إليها مفاهيم حول الطقوس والممارسات... الخ، كل هذا استخدم في تحليل القيم ومعانيها ومرجعيتها (العلاقة بين المقدس، الفضاء، المؤسس الأول والقيم وأهم السلوكيات بالوسط المحلي).

دراسة مرقومة منصور الموسومة بـ: "القبيلة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، مقارنة أنثروبولوجية" ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015. هي محاولة لدراسة النظم والبنى الاجتماعية كما هي موجودة اليوم ويتساءل الباحث ضمنا عن سر استمرارية البناء الاجتماعي التقليدي المعروف بـ "القبيلة" في هذه الدراسة نلاحظ رجوع إلى الكثير من المفاهيم التي أشار إليها باحثون مثل جاك بيرك وروبير مونطاني وحليم بركات ونجيب بوطالب، قدم الباحث دراسة عن المحلي (دراسة منوغرافية وصفية) واهتم بالتغير الاجتماعي الحراك والتنمية، الملكية المجال وعلاقة كل ذلك بالقبيلة بمنطقة "تيارت"، وقدم انتقادات للكثير من المفاهيم التي تبدوا راسخة لا تقبل النقد مثل القرابة، التنظيم الاجتماعي الانقسامي، السلطة المحلي، من أجل مقارنة الموضوع اتجه الباحث إلى الممارسات/المشاركة السياسية (السلوك الانتخابي) كخيار عقلائي وعلاقته بالقبيلة والعشيرة/الهوية. توصل إلى النتائج التالية، هوية المجتمع المحلي ليست متجانسة تتميز بالتعدد والانتماءات المتقاطعة، كما أن هناك علاقة بين الممارسات السياسية (السلوك الانتخابي) والقبيلة وهي ممارسات تكاد تكون ثابتة ومستمرة في الزمن

والمكان، اعتمد الباحث على المقابلات والملاحظات الميدانية كما أنه اعتمد على الدراسة المنوخرافية للمجتمع المحلي، تشترك كل الدراسات السابقة في نفس الموضوع -جزئيا- وتتقاطع مع الدراسة الحالية.

مصطلحات ومفاهيم البحث:

المعنى:

يكمن المعنى في القصديفة بعد أو أثناء الاستخدام للقوالب اللغوية وهو إنتاج يمكن أن يوصلنا لمحتوى القيم، بالرجوع إلى السياق الاجتماعي للاستخدام، كل هذا للوصول إلى المعنى المقصود أو المعنى الإتيافي الغالب (ليس الهدف هو المعنى اللغوي فقط المفهوم من خلال اللغة وحدها بل يجب تجاوزها للمعنى المفهوم في سياق الاستخدام) وتجاوز المفهوم الظاهر إلى المفهوم الكامن للألفاظ؛ أي المفهوم كما هو موجود لدى الجماعات اللغوية التي تستخدم المتن على اختلافها، الغاية من البحث تتبع حركة المعنى وعلاقته بالقيم/السلوك، على الرغم من وجود معاني متعددة الدلالة على الرغم من وجود نفس الاستخدام لها. الملاحظ وجود معاني متعددة ناتجة عن تكرار التوظيف مع الاعتراف بأن المتن لم يقطع الصلة بالمعارف الموجودة في المجتمع (المعارف الدينية، النص الديني، المعارف الأسطورية والعملية) حتى أن الفاعلين على مستوى المتن يضفي عليهم طابع عجائبي، كاستراتيجية لتغيير الدلالة والإحاطة بالسلوكيات والقيم ككل وللتعبير عن الواقعي والاجتماعي. (الاستعانة بالمخيلة الشعبية من أجل إنتاج معنى مقصود).

تقوم المتون على التعدد في الصياغة؛ خدمة للمعنى؛ للوصول إلى دلالة جديدة دون الخروج عن الإيجاز والعمق والتكثيف للوصول إلى مغزى (المقاصد) وللتأثير، والإقناع. الهدف هو الوصول إلى ما يريد المتكلم التبليغ عنه من قيم.

يغلف المعنى بالإيقاع ففي هذا البحث نتعامل مع متن ومع نوع من الاستخدام للغة مفارق للاستخدام اليومي -العابر- الانقطاع¹، عن السائد من استعمال اللغة للتماهي مع قيم من نوع خاص"، وفق انتظام محدد يعتمد على التكرار والمزاوجة والتوازي والتداخل في العبارات لتحويله إلى إيقاع يخدم توجهات المنتج.

¹ - الاعتماد على التفعيلات وعلى القوافي لخلق توازن في التعبير وتوازي في السلوكيات باستخدام النفي والإثبات لاحقا. أو ترك المتداولين يحسون بهذا التضاد الذي يخدم معنى معين.

إن تناول معنى التقليد الشفوي بالبحث هو رجوع إلى خطاب يستخدم في الشأن اليومي؛ وفي للمخيلة يميزه الطابع الخيالي/الواقعي (قد يكون عبارة عن دعوة للتدبر في التجارب السابقة مثل التعبير عن تجربتين)¹ ففي الغالب يسعى المنتج إلى التعرض لإشكاليات من الواقع المعاش والإجابة عنها بصيغ متعددة (الحديث عن الأزمة وعن الراهن وعن التجارب الماضية) محاولة تقييمية/تقويمية للمعاش ككل. والملاحظ هو نزوع إلى التحقيب وفق نزعة تقديس الماضي وقيمه؛ هي محاولة لتأسيس/بناء لمنظومة من القيم، دون الخروج عن طابع التأصيل الذي يلازمها للوصول إلى معنى؛ مثلاً هناك نوع من المتون تحث على فاعلية وكينونة الذات وبالتالي فهي تسعى لتأسيس قيم ذات بعد خيالي، واقعي ولتقديم معنى معرفة عن الوجود/الموجود أي التأسيس لمعنى لا يمكن فهمه من خلال الجانب التركيبي والجمالي بل من خلال رده إلى الاجتماعي.

الشباب:

إشكالية تحديد مفهوم الشباب من الصعب تحديد هذا المفهوم بناء على حدود مضبوطة لأنها قد تشير إلى معاني مثل الفتوة، بروز بوادر نمط تفكير عقلائي يشار إليه بعبارة "الرشد" أو قد تمتد إلى مرحلة ما بعد المراهقة وترتبط بتغيرات فيزيولوجية أو محددات اجتماعية مثل المسؤولية وتقلد مجموعة من المهام غير معهودة في سن سابق، بالنسبة للأثروبولوجيا تعتبر مرحلة الشباب انتقال من سن إلى سن آخر (لكن بعيداً عن الفهم الخطي) تتميز هذه المرحلة بالاستقلالية والحرية والفردية وإمكانية اتخاذ بعض القرارات بعيداً عن المحيط وحسب تعبير الباحث حمدوش رشيد "مرحلة الشباب هي مرحلة تتوسط الطفولة والسن الذي يصبح فيه الفرد راشداً"²، يشير الباحثون مسألة صعوبة التحديد منهم من يتحدث عن الفترة الممتدة من 15 سنة إلى 30 ومنهم من يجعلها ممتدة إلى سن 35 سنة لكنهم يربطونها بمحددات مثل الاستقرار وتغير نمط العيش وطبيعة الالتزامات الاجتماعية مثل الاستقلال وعدم التبعية، عدم وجود اعتمادية على الآخر مثل مرحلة الطفولة أو كنتيجة لتجاوز الحياة الدراسية والانخراط في العمل، إنشاء أسرة، القدرة على أداء واجبات مثل الانتخاب أو الانتماء إلى مركز ومكانة جديدة... الخ، كل هذه المحددات متغيرة وغير ثابتة، لذا يصعب تحديدها ضمن فئة واحدة لهذا تم تحديدها بالفئة

¹ - المتن الشفوي الذي تم جمعه مثل شعر محمد بلخير يعبر عن تجربة عبد القادر الجيلاني وتجربة الشيخ بوعمامة على أنهما يحملان نفس المعاني والقيم ويتقطعان في التجربة يمكن الرجوع إلى القصائد الموحدة في الملحق مثل قصيدة "المَرَاكِنِي" وفيها نجد إشارات إلى إنقراض طفل من الغرق، زيارة بيت الله الحرام ومثلها قصيدة "سَلَاكُ الْمَعْبُودِ"، "سَلَاكُ المَرهون".

² - حمدوش رشيد: "مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة، إمتدادية أم قطعية؟ دراسة ميدانية مدينة الجزائر نموذجاً توضيحياً"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، 176.

ما بين 18 إلى 36 سنة من بداية الالتزامات إلى غاية الارتباط (وفق محدد الاستقلالية والإعتمادية) وهي المرحلة التي تبرز فيها وتعمق الملامح الفيزيولوجية والبيولوجية نفسية واجتماعية.

التصورات التمثلات:

الاجتماعي والثقافي يتأسس على تصورات التي ينتجها المجتمع وتتأثر بعاداته وتقاليده... هي تشكل الجزء الأكبر من مكونات اللاشعور المتغلغل في أعماقنا ومن جانب آخر فهي متوارثة عبر الأجيال... تحدد لكل منا طريقة الحياة سواء كان ذكر أم أنثى وتحدد رؤيته الآخر.¹

التصورات هي جزء من الصورة الحسية المعقدة للأشياء والظواهر والوقائع التي تحتفظ بها وتتردد في الوعي دون فعل مباشر... وتتخذ بفضل ممارسات الأفراد شكلا معيناً... رغم أنه شكل من الانعكاس الحسي كما أنه لا ينفصم عن القيم المشتركة المنتشرة اجتماعية من خلال اللغة وهي ذات دلالات اجتماعية، دائماً ما يتم استيعابها هي عنصر هام من عناصر الوعي.² وهي على علاقة حافة بالاصطلاحات مثل: الخيال؛ يجب فصل كلمة خيال عن الخيال وهو دلالة على اسم الآلة الذي ينتج التخيلات والصور أي البحث عن آليات التخيل في حضارة ما. هناك مفاهيم تدل على مثل الصورة، التمثيل، الذي يدل على استحضار العالم الواعي. يفيد أيضا بان التخيل هو استحضار العالم، يبدو فيها الشيء حاضرا في الذهن بصفة غير مباشرة كاستدعاء بعض الأحداث الماضية لذا يتم تمثيلها عبر صور نتيجة لغياب الحس المادي لهذا سمي شكل الوعي مخيالا.³

الدور: يعبر عن التمايز يمكن تعريفه على انه نظام التزامات معيارية يفترض بأن الفاعلين الذين يقومون به يحصلون على حقوق مرتبطة بالتزامات محددة سلفاً؛ هكذا فالدور يحدد منطقة الإلزام والواجبات، تكون هذه الالتزامات معروفة ومتعارف عليها بين مجموعة من الفاعلين المنتمين إلى تنظيم معين. مما يخلق توقعات عند الدخول في نشاط معين فالفاعليون ينتظرون تحرك الآخر في الإطار المعياري الذي يحدده الدور وبالتالي يمكن للدارس تحديد السلوك وتوقعه. الأدوار القابلة للتغيير رغم أنها معطي قبلي مما يولد هامش من الاستقلال الذاتي.⁴

¹ - شريف فاتن محمد : " الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة؛ دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية " الطبعة الأولى، 2007، ص 23 - 24.

² - كرم سمير: الموسوعة الفلسفية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1974، ص 127.

³ - جويلي محمد: "الزعم السياسي في المخيال الإسلامي"، دار سيراس للنشر والتوزيع، تونس، 1992، ص 24 - 25.

⁴ - بودون ريمون؛ ف-بوريكو: "المعجم النقدي لعلم الاجتماع"، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986 ص 288-289

الدور يعتبر كمشاركة للفرد عن طريق سلوك في البناء الاجتماعي والأدوار ترتبط بالأوضاع التي يشغلها الأفراد في شبكة كبرى هي المجتمع؛ يمكن فهمها من خلال التفاعلات الاجتماعية التي تؤسس لشبكة من العلاقات وحسب رالف لينتون فان الدور هو الجانب الدينامي من المركز، والفرد الذي يحتل مركزا له علاقة بمراكز أخرى. كما أن جورج هاربرت ميد أكد على أهمية الدور في الجانب التوقعي في ترشيد سلوك المتفاعلين؛ إذ أن المرء يتوقع الكيفية التي يكون عليها رد فعل الأشخاص حيال أفعاله المختلفة وعليه فان الفرد يشكل سلوكه طبقا لهذه التوقعات.¹

¹ - شتا علي: "نظرية الدور والمنظور الظاهري لعلم الاجتماع"، مطبعة الإشعاع، مصر، 1999. ص 15.

الباب الأول

التعاريف والمداخل النظرية

الفصل الأول

ماهية القيم وتعريفها

تمهيد:

مبحث القيم يتقاطع مع جل المعارف في العلوم الإجتماعية والإنسانية، تأثر بها تعددت انتمائه وتعريفاته نسعى من خلال هذا الفصل إلى ضبط هذا المصطلح/المفهوم وتبيان علاقته بالأنثروبولوجيا، الدراسات ذات الطابع الميداني وتقريبه من بعض المعطيات الإثنوغرافية من أجل التمكين للقياس، في هذا الفصل تم التطرق لأنواع القيم مرجعيتها ومنابعها مع الإلتزام قدر الإمكان بتأسيس علاقة بينها وبين الإستخدام الاجتماعي للغة (تداول المتون الشفوية). تم تعزيز كل ذلك عن طريق استدعاء مجموعة من النماذج النظرية لباحثين في العلوم الاجتماعية تم الاستعانة أيضا بخطاطات وجداول من أجل الشرح والتفسير للوصول إلى فهم أحسن للقيم وتحليلتها الواقعية بعيدا عن المعيارية وبعيدا عن إعتبرات كالمثالية وما يجب أن يكون.

تعريف القيم:

تعد من المفاهيم ذات العلاقة مع كثير من التخصصات والمعارف كالتربية، الاقتصاد، المجتمع، الفلسفة وعلم النفس إن لم نقل إنها موضوع لجل العلوم الاجتماعية والإنسانية على حد سواء؛ تتضمن من حيث التعريف العديد من المعاني المتداخلة لعل من أبرزها:

القيمة من المعنى اللغوي إلى المعاني الأخرى:

تشير أو تستخدم لمعرفة قيمة الشيء، وقدره؛ قيمة المتاع، ثمن الشيء بالتقويم، وفي المعجم الوسيط قِيمَ الشيء أي قَدَرَهُ، تستخدم القيمة بمعنى التعديل، الاستقامة والاعتدال، قَامَ الأمرُ أي استَقَامَ، قَامَ الحَقُّ أي ظهر وفي المعجم الوسيط ومعجم مقاييس اللغة نجد، تقارب بين الألفاظ التالية؛ قِيمَة، قِيَام، تقويم لتدل ولو ضمنا على نفس الدلالات التي نعرضها كالتالي:

قَوِّمْتُ-: السلعة وهو سعرها وثننها؛ تَقَوَّمَ الشيء أي تَعَدَّلَ واستوى و-تبينت قِيمَتُهُ، استقام الشيء: اعتدل واستوى ... القَوِّيم؛ المُعْتَدِل. و-الحَسَن، القِيمِ بالأمر، المعتدل. و-حسن القامة.

القيمة: قيمة الشيء قدره وقيمة المتاع ثمنه. ومن الانسان طوله (حسن قامته) جمع قيم ويقال ما للإنسان من قيمة، ما له ثبات ودوام على الأمر ... وأمر قيم، مستقيم وكتاب قيم أي ذو قيمة.¹

"ومن باب قَوْمَتُ الشيء؛ تَقْوِيماً، وأصل القيمة الواو، وأصله أنك تُقِيمُ هذا مكان ذاك ... اسْتَقَمْتُ المتاع أي قَوْمْتُهُ ... وأما القَوَامُ فالطُولُ الحُسْنُ،"² دون أن ننسى أن قَامَ تعني العزم حسب القاموس ويمكن أن يشتق منها "القيَامُ" فتفيد معاني أخرى قريبة من المعنى الذي نتناوله بالدراسة.

والمِلَّةُ القِيَمَةُ: المعتدلة، وقوامُ الجسم: تمامه. وقوامُ كل شيء.³

القيمة من اللاتينية Valère تعني الحصول على القيمة⁴ avoir de la valeur، اللفظ "قِيَمَةٌ" نشأ من استخدامها في الاقتصاد حيث استخدمت لفترة طويلة بمعنى ضيق ومفهومها الاقتصادي جزء من معناها العام.⁵

إن كلمة "قيمة" تدل على أن الشيء يحمل في ذاته منفعة أو وزناً أو ثمناً، وكلمة قيم هي جمع كلمة-مفرد قيمة ... تدل على أنواع المعتقدات التي يحملها الشخص أو مجموعة أو مجتمع بأسره ..."⁶

تتعدد التعاريف من تخصص لآخر فالمعجم الفلسفي يعرفها على أنها: أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية يتشربها الفرد ويحكم بها، تحدد مجالات تفكيره وسلوكه وتؤثر في تعلمه ... تختلف باختلاف المجتمعات.

يرى فيبر أنها معطيات موضوعية ووضعية تحدد نماذج السلوك المختلفة عن تلك الموجهة عقلياً نحو هدف محدد أو بعض التصرفات العاطفية أو التقليدية، تعني القيمة معطى تحريبي يفهمه مجمل أفراد الجماعة الاجتماعية ومعناه أنه يمكن أن يتحدد كمنشأ.⁷

¹ - ضيف شوقي: "المعجم الوسيط"؛ لجمع اللغة العربية، الطبعة الرابعة مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص 769.

² - أبي الحسن احمد بن فارس بن زكرياء: "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، المجلد الخامس دار الجليل، بيروت لبنان، 1991، ص 43

³ - لسان العرب لابن منظور. أنظر لفظ ومادة (قوم).

⁴ - Gaston Mialaret, Vocabulaire de l'éducation, PUF, Paris, 1979. P453-454.

⁵ - عطية أحمد عبد الجليل: "النظرية العامة للقيمة، دراسة للقيم في الفكر المعاصر"، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2004، ص 39.

⁶ - المغربي كامل محمد: "السلوك التنظيمي، مفاهيم وأسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم"، الطبعة الثانية، دار الفكر، عمان الأردن، 1995، ص 158.

⁷ - صليبا جميل: "المعجم الفلسفي"، الجزء الأول، الشركة العالمية للكتاب، بيروت لبنان، 1994، (مادة قيم).

من خلال ما تقدم من الاشتقاقات اللغوية والمترادفات، يمكن أن نفهم أن القيمة لغة قريبة من معنى الاعتدال والاصلاح، هي تفيد في معانيها قِيَامَ الشيء محل الآخر بالتقويم (السعر محل السلعة بالتقويم) وتعني أنه يجب للقيمة من قائم هو الذي يُقَوِّمُ بما تبلغ الاعتدال والكمال، تتضمن القيمة معنى القَوَام وهو تمام القد والحسن والجمال الذي يفيد التناسق، وهي كلها معاني قريبة من المعنى الاصطلاحي تفيد في فهمه واستيعابه.

نفهم من المعنى اللغوي أنها تستخدم لمعرفة قيمة الشيء، قدره وقيمة المتاع ثمن الشيء، قدره وقيمة المتاع ثمن الشيء بالتقويم. نستنتج أن التعريف اللغوي يتضمن، الإشارة إلى معاني متعددة ذات علاقة مع الجانب الاقتصادي للقيمة.

المعنى الاقتصادي:

القيمة تتعلق بالثمن والجهد، ترتبط بهما لئتم تحديدها على أنها (ما تستحقه السلعة أو الخدمة بما يعادلها... مثل قيمة الجهد العضلي في مؤسسة والتي يقابلها على وجه التحديد المال، المنصب، الامتيازات... إلخ) كما أننا نجد أيضا مفهوم القيمة المضافة، هي الربح أو الخسارة الذي يتبقى بعد طرح ثمن تكلفة جميع أنواع رأس المال المستعمل، أي فوائد من استثمار رأس المال والعوائد بعد احتساب كامل النفقات لنحصل على الربح الصافي. (القيمة هي ناتج إجمالي التدفقات المالية لاستثمار في أصل ما)، يمكن أيضا الإشارة إلى القيمة الاستعمالية والقيمة النفعية، والقيمة السوقية، أي تقدير السوق للأصل، على أساس تقويم المستثمرين للشيء (كالسلعة أو الخدمة المقدمة...). ما يمكن تأكيده أيضا من خلال هذا الطرح هو أن قيمة شيء مرتبطة بالحاجة إليه (الندرة، العرض، الطلب)، لهذا تتفاوت الأشياء من حيث القيمة بناء على شدة الحاجة إليها. وكلما كانت الحاجة أكبر كانت القيمة أكبر وكان الشيء نادرا، نستخلص مما سبق أن القيمة ترتبط بمفاهيم أساسية هي التبادلية، تنوع القيم وارتباطها بالحاجة والرغبة، كما أننا نفهم وجود سوق قيمية.

مثلا مصطلح "القيمة التبادلية" الذي استمد من كارل ماركس يعد جزءا من قيم أخرى تتضمنها السلعة ... وهي ثمن الشيء تقريبا، أي ما يجب الحصول عليه بدلا لهذا الشيء، ... قد تكون القيمة بعض السلع الاستهلاكية أعلى كثيرا من قيمة الاستخدام.¹ يقودنا هذا التعريف إلى مسألة التفاضل والتفاوت بين القيم.

¹ - أنابيل موني بيتسي إيفانز: "العولمة المفاهيم الأساسية"، ترجمة أسيا دسوقي، إعداد الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، 2009، ص 229.

لكن بالرجوع إلى مفاهيم أخرى بعيدة عن المفاهيم الاقتصادية البحتة نستنتج أن القيمة صفة "عينية" كامنة في طبيعة الأقوال والأفعال والأشياء وما دامت كامنة في طبيعتها فهي ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والملايسات وبهذا قال المثاليون والعقليون وبهذا المعنى تطلب لذاهما.¹ أي أنها متعالية عن أي وصف وتحديد.

أما الآخرون أفادوا أن العقل يخلعها على الأقوال والأفعال والملايسات وبالتالي تختلف باختلاف من يُصدر الحكم، وبهذا قال الطبيعيون ... القيمة بهذا المعنى تعني الاهتمام بشيء لصفة فيه؛ استحسانه أو الميل إليه والرغبة فيه، ونحو هذا مما يوحي أن القيمة ذات طابع شخصي ذاتي يخلوا من الموضوعية وتكون وسيلة لتحقيق غاية.²

ولما أبعدت القيم عن الواقع الخارجي، فقد تأخرت دراستها في العلوم الاجتماعية، وكانت الفلسفة والاقتصاد أسبق هذه العلوم إلى دراستها؛ لا تزال نظرية القيمة تشكل جزءاً هاماً من الفكر الاقتصادي.³ إلى اليوم وهي محل جدل يمكن القول عنها أنها:

القيم ضربان: ذاتية تخص الشيء ذاته، تكون ص. فاته كامنة فيه، غير ذاتية، خارجية عن طبيعة الشيء ولا تدخل في ماهيته.⁴

إن كلمة "قيمة" من وجهة علم النفس؛ "تمثل ما نُؤثره وما نُفضله وتتجه إليه رغباتنا وما تميل إليه حاجاتنا وتتنظم القيم لتصبح مكونة لنسق ما؛ يعني أنها جزء مكون لإيديولوجيا الشخصية للفرد ... القيمة ضرب من الاتجاه الأمثل يؤسس هذا الاتجاه لإستعداد نفسي أو تَهَيُّ عقلي قابل للتعلم/التعليم والنقل؛ "القيمة عبارة عن إستجابة "موجبة" أو "سالبة" نحو الأشخاص أو المواقف أو الموضوعات المختلفة؛ القيم أبعد من ذلك لأنها مفهوم مجرد يتصل بالذات".⁵

مما سبق يمكن القول إنها عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص، الأشياء والمعاني تعتبر كواجبة للنشاط والسلوك تعتبر بمثابة "المعيار" الذي في ضوئه يمكن الحكم بخيرية الخير وحسن الحسن وقبح القبيح، ما يجوز وما لا يجوز، وما هو مرغوب وغير مرغوب؛ وغير ذلك مما تبده الجماعة، يحكم تصرفاتها

¹ - المعجم الفلسفي مجمع اللغة العربية، تحت إشراف مجمع اللغة العربية، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983، ص 158.

² - المعجم الفلسفي تحت إشراف مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، ص 158.

³ - المعجم الفلسفي تحت إشراف مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، ص 158.

⁴ - المعجم الفلسفي تحت إشراف مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، ص 158.

⁵ - عبد المنعم حنفي: "الموسوعة النفسية علم النفس والطب النفسي"، مكتبة مدبولي، مصر، 2003، ص 96.

ويظهر كيانها الخاص. القيمة هي محصلة مجموع الاتجاهات التي تتكون لدى الفرد إزاء شيء أو حدث أو قضية معينة، تعتبر القيم دوافع مهمة للسلوك، لها أهمية كبرى ليس فقط في حياة الإنسان الخاصة بل فيما يقوم به الأفراد والجماعات من سلوك.¹

يعرفها أليكسي توكفيل بأنها تمثل "الأهواء العامة المهيمنة"، يربطها إميل دوركهايم بالوعي الجمعي وهي مستخدمة وشائعة في علم الاجتماع خاص لدى الفبريين -نسبة إلى فيبر- وهي تعني "طريقة تصرف الفرد أو جماعة معروفة"².

المعجم التربوي يعرف القيمة، على أنها؛ مجموعة من القواعد والمقاييس الصادرة عن جماعة ما، يتخذونها معايير للحكم على الأعمال والأفعال، وتتميز بقوة الإلزام والضرورة والعمومية، يعد الخروج عنها بمثابة انحراف عن قيم الجماعة ومثلها العليا. ترتبط بعناصر البناء الاجتماعي، وتمثل الصفات والمثاليات المرغوب فيها للفعل الاجتماعي الذي يطمح الناس إليه ويتطلعون له.³

بعض التعريفات ترى بأن القيم هي جزء من المعتقدات الغيبية التي يعتقدونها الإنسان من ديانات وعقائد، هي التي تضفي على حياته معنى هدف وغاية.

بعض التعاريف الأخرى ترى أن "القيم هي قدر الشيء وما يساويه وثمنه، كان الشيء مادي أو معنويًا، تتحدد قيمة الشيء على أساس ندرته وما يحققه من نفع أو سعادة أو مقدار ما بُدِلَ فيه من عمل، وهي المثل العليا والأفكار التي لها وزن في المجتمع."⁴ القيم تتميز حسب المحددات السابقة بالحمية، أي سيطرتها وارتباطها بكل النشاطات البشرية، وليس للأفراد دوما القدرة على التحرر منها.

القيمة هي الدافع الإيديولوجي الذي يؤثر في أفكار الإنسان وأفعاله وقد انتقلت من المناقشة الفلسفية والسوسيولوجية إلى ميدان ودراسات الأنثروبولوجيا، على يد مالينوفسكي الذي عرفها... "إن القيمة عبارة عن ارتباط قوي وحتمي بين الكائن الحي وبعض الأهداف والمعايير؛ أما كلاكوهن يعرفها - بعد تعديل مفهومها

¹ - حسن شحاتة، زينب النجار، حامد عامر، "معجم المصطلحات التربوية والنفسية"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2003، ص 243.

² - Gilles Ferréol : Dictionnaire de sociologie, Armand Colin 3^{ème} Edition, Paris, 2004, P 217.

³ - إسماعيل عبد الفتاح الكافي وآخرون: "معجم المصطلحات عصر العولمة (مصطلحات سياسية اقتصادية اجتماعية ونفسية وإعلامية)"، الثقافية للنشر والتوزيع، 2003، ص 366-367.

⁴ - إسماعيل عبد الفتاح الكافي، "معجم المصطلحات عصر العولمة"، مرجع سابق، ص 367-368.

لدى ريدفيلد Redfield - بأنها: "تصور معين - واضح أو ضمني خاص بفرد أو جماعة - للشيء المرغوب؛ يؤثر في عملية الاختيار من بين الأساليب والوسائل والأهداف المتاحة" تدرس القيم من طرف علماء الأثنولوجيا الذين افترضوا أن هناك قيم خاصة في الثقافات ولدى كل الشعوب (البدائية)، إذن هي موضوع للدراسة في علمي الأثنولوجيا والفلكلور بصفة مباشرة أو ضمنية؛ مثلا: طرح هيرتسوج Herzog التساؤلات التالية: كيف تؤثر الحياة الاجتماعية للجماعة على كيان الفلكلور؟ هل يحدث فعلا أن قيمتها المعترف بها تنعكس وتصبح محكمة وربما يتم الاتفاق عليها في الفلكلور، أم أن الفلكلور يعبر كذلك عن القيم المغمورة أو المنحرفة أو اللاشعورية؟¹

غير أن بعض الباحثين - في الأنثروبولوجيا - اهتموا بمواضيع أخرى مثل قبول القيم وتغيرها وانتقالها أي استعارة عناصر ثقافية مثل ما ذهب إليه كل من ردفيلد Redfield ولنتون Linton وهيسكوفيتس Herskovits الذين ربطوا القيم بعمليات التثاقف من الخارج أو الداخل، أي بوجود حركية للقيم، القيم تمثل الجانب الأكبر من الثقافة وليست مجرد استعارة من ثقافة أخرى ترتبط بالتمثل "القيم الآن هي نتاج كل أنماط السلوك وهي مجموع القيم الأصلية والأخرى الدخيلة للثقافات الجديدة ... يمكن الوصول إليها من خلال دراستها على أنها أحكام تقديرية عقلية؛ فالقيم عبارة عن تنظيمات معقدة لأحكام عقلية وانفعالية معممة نحو الأشخاص أو الأشياء أو المعاني سواء كان بالترتيب الناشئ عن التقديرات المتفاوتة صريحا أو ضمنيا، هذه التقديرات يمكن القول عنها: هي اساس يبدأ أو يتراوح بين بالترتيب ويمر القبول، الاستهجان وينتهي بالرفض.

"القيم هي مستوى أو معيار للانتقال بين بدائل أو إمكانات متاحة أمام الشخص ضمن نسق اجتماعي وفي موقف محدد،"² فالقيم كما يقدمها هنري مندراس "Henri Mondres" ... تمثل "نسق من التنظيم المعنوي" الذي يوجه فعاليات السلوك الانساني وهي بالتالي تعكس منظومة احتياجاتنا واهتماماتنا.. هي تشير إلى تركيب الأفكار والاتجاهات التي تعطي مقياسا للترتيب أو أولوية للدوافع والأهداف..³

القيم مقياس أو معيار نستهدفه ونسلم به في سلوكنا؛ نسلم بأنه مرغوب فيه أو مرغوب عنه، مقياس أو مستوى له استمرار وثبات لفترة زمنية محددة؛ أي أنها نوع من الأحكام أو "الحكم" الذي يصدره الانسان على

¹ - إيكه هولتكراوس: "قاموس الإثنولوجيا والفلكلور"، ترجمة محمد الجوهري، حسن الشامي، القاهرة مصر، الطبعة الأولى دار المعارف، مصر، 1972، ص 295-296.

² - فرفار جمال: "سوسيولوجيا القيم والعولمة"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ العدد رقم 03، الصادرة عن جامعة معسكر (مصطفى سظمبوني)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، شهر ديسمبر 2008، ص 369.

³ - جمال فرفار، مرجع سابق، ص 369

شيء ما مهتديا. مجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحدد له ما هو مرغوب فيه وما هو مرغوب عنه من السلوك.

القيم مفهوم يشير إلى أحكام ومعايير تتكون من خلال التفاعل مع الوسط الاجتماعي تكون مكنسبة وتتجلى في مواقف فردية أو جماعية أو اجتماعية تمكن من الاختيار بين بدائل متعددة ومتنوعة في موقف محدد وتضمن ديمومة هذه الخيارات مؤقتا، لتعمل كتوجهات أساسية تظهر كمبادئ سلوكية لمعتنقي القيم.

ينظر للمجتمع -من ناحية القيم- على أنه "بناء معياري" يعكس حياة اجتماعية معنوية يتمثلها كل الأفراد تتميز بالقوة والأصالة... البناء الاجتماعي ينظم القيم التي تعكس العلاقات الاجتماعية تكون متسامية، لها مكانة بين الفردية والجماعية، ينعكس هذا البناء المعياري على الواقع، يرسم المثل العليا، لذا يجب أن تكون الأفعال السلوكيات والأقوال متماثلة مع البناء المعياري، تُرَسَخ ليستمد النظام الاجتماعي قوته منها يعمل على تحديدها؛ كل نظام يشمل على نوع من القيم، تحدد هويته وتعكسها، يتبناها الأفراد، "قد تكون مكتوبة فتصبح قانونا، أو غير مكتوبة فتصبح عرفا أو تراثا".¹ "إن هذه النظرة مؤسسة على محصلة أبحاث تيارين متميزين للبحث القيمي؛ التيار المثالي والتجريبي".²

1. التيار المثالي: يرى أن القيمة مطلقة توجد منعزلة عن الانسان، ولكنها مرتبطة به، لأنها تمثل مكنم

السعادة التي ينشدها من أجل إرضاء الروح.

2. التيار التجريبي: يرى أن القيمة مرتبطة بذات الفرد نابعة من تجاربه الشخصية وبذلك فهي نسبية تختلف

من شخص لآخر ومن جماعة لأخرى.

كل التيارات التي اهتمت بالقيم تركز على مبدأ قطبيتها وصفتها النسبية، المطلقة؛ بينت الدراسات الاجتماعية أنها عبارة عن تصنيفات ودرجات تتميز أيضا بالمقبولية فهي مرغوبة أو غير مرغوبة ظاهرة، جلية أو كامنة، "يمكن قياسها والاستدلال عليها من السلوك بالاستتار أو الملاحظة ومن بين الأعمال التي مهدت للبحث

¹ - بيومي محمد أحمد: "علم الاجتماع القيم"، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص 24-25.

² - بوغازي الطاهر: "القيم التربوية مقارنة نسقية"، الطبعة الأولى، منشورات الحرير بيني مسوس، الجزائر، 2010، ص 26.

القيمي دراسة كلوكلوهن، تيسدال، وطوماس التي أستخدمت فيها طريقة المقارنة بين خمس مجتمعات متباينة ثقافيا للكشف عن القيم".¹

في الأنثروبولوجيا تتخذ فكرة القيمة محتوى معياريا لكنها ذات معنى واضح ملموس يخص أفراد معينين. القيم تشكل "التصرفات الثقافية المعيارية المسيطرة" وقد أدخل الأنثروبولوجيين مفهوم القيمة للدلالة على الملامح الثقافية المعيارية [وطوروا فيما بعد مفاهيم متعددة كالبؤر الثقافية مثلا]. ونتج عن ذلك القيام بمقارنات بين الثقافات المتغيرة المعتبرة ككليات والمنظور إليها كمنظومات قيم خاصة لكل منها تفردتها.²

يذهب دوركهاميم إلى أن، "قيم الأشياء مرتبطة "بالمثل العليا" ويعتبر الأشياء ذات قيمة إذا ما عبرت عن مظهر من مظاهر المثل العليا، ووفق ما تعكسه من معنى ... لكنه أقر أن "المثل الأعلى" أمر نسبي يختلف حسب الزمان المكان، كذلك الحال بالنسبة لسلم القيم وهو راجع إلى طبيعة الأشياء التي تلازم الجماعة الانسانية".³

تعتبر القيم "تشاركية" بين الأفراد وعامل أساسي لتربطهم ... تتحقق الصلة بين النسق الاجتماعي ونسق الشخصية، من خلال تبني القيم وتحذيرها في الذات الفردية، بواسطة التنشئة الاجتماعية؛ في الواقع أكدت الدراسات أنه لا يمكن اختزال القيم وتفسيرها بالرجوع إلى محدد واحد مثلا: فكرة المصالح الفردية أو الحاجة البيولوجية أو الطبقيّة فقط، لوجود المحددات التالية:

(1) إن المجتمعات قائمة على الرغم من عدم الاتفاق حول القيم.

(2) قد تقبل القيم عمليا أكثر منها معياريا.

(3) تَبَنِي القيم وانتقالها لا يتأثر بفاعلية البناء الاجتماعي الضاغظ والدليل هو وجود قيم فرعية، قيم جزئية.

من خلال الاختلافات والانتقادات السابقة حاول الباحثون إعادة تعريف القيم وربطها بمحددات اجتماعية ثقافية، وصفوا القيم بأنها صفات الموضوعات والظواهر المادية للوعي الاجتماعي، التي تتميز بأهميتها للجماعات الأفراد والمجتمع؛ ترتبط بطبقة ما وبإنسان ما، وترتبط بالأشياء المادية لتؤسس لأنواع من القيم وموضوعات ومصالح إنسانية، بشرية مختلفة (مادية اقتصادية روحية) مثل الزجاج لما يكون وعاء للشرب يمثل قيمة مادية أي "قيمة استعمالية" أو سلعية وهو كمنتج بشري يمتلك صفة سلعة تقابلها قيمة اقتصادية، أما إذا كان

¹ - بوغازي الطاهر، مرجع سابق، ص 27.

² - صليبا جميل: المعجم الفلسفي، مرجع سبق ذكره، ص 741.

³ - بيومي محمد أحمد، مرجع سبق ذكره، ص 27.

موضوعاً فنيا فتكون له قيمة جمالية، وإن تم استخدامه في معبد، كنيسة، أو مسجد يكتسب قيمة أخرى مغايرة، إلا أنه لا يبدو في هذه الأمثلة إلا مجرد شيء مادي وإنما ظاهرة اجتماعية.

وبالمثل فإن القيم تعتبر كظواهر ترتبط بالوعي الاجتماعي، هي أفكار يعبر بها الناس عن مصالحهم وإرادتهم في صورة إيديولوجية، مثلاً؛ "الشيوعية" كفكرة تجسد مصالح وأمانى ورغبات الجماهير وإرادة الشعب أو العمال والطوائف؛ هي مثل أعلى للأفراد الذين يؤمنون بها، "هناك قيم اقتصادية أخلاقية قانونية سياسية ثقافية تاريخية تكون موضوع موافقة أو استنكار، يخلق المجتمع نسق من المفاهيم الأخلاقية (المثل العليا) المبادئ والتعبيرات لكي يوجه وينظم سلوك الناس والأفراد".¹

"القيم الأخلاقية تلعب دور هام في التربية ... من طرف مجموعة اجتماعية وهي متعالية بالنسبة للأفراد Transcendantale تكون مفروضة، تبين الخير والشر وتكون مرجع يجب طاعته، ولكن هناك من يرى أنها تحمل إيديولوجيا، فهي معالم Point de repère خلال عملية التنشئة الاجتماعية تجعل الفرد يتبنى معتقدات وممارسات، يمكن أن تكون خاصة بفترة تاريخية ووقت محدد وبحضارة معينة، بأماكن مقصودة".²

"يرى سميث Smith أن القيم هي تصورات فكرية شخصية لما هو مرغوب، تتعلق بالسلوك تتصف بالانتقائية وترتبط بجل النشاطات الإنسانية مثل الحكم على العمل بما يدره من مال أو دخل، أو مراعاة الأخلاق في جميع التصرفات، أو الاحترام الدائم أو المفرط، أي ان القيم تتعلق بأشياء ومفاهيم مهمة في الحياة، يمكن أن تكون موجبة (التسامح الاجتماعي، المعايير الخلقية ...) أو سالبة (الجريمة، التحيز العرقي، الفقر أو الجهل ...) وتتكون القيم من تجمع ميول الفرد وتذوقاته وتفضيلاته واتجاهاته. تحتاج القيم إلى وقت طويل لكي تتكون وتشكل، لها وظيفة تربوية وهي قابلة للتعلم من خلال القول والملاحظة ولها علاقة بالبيئة".³ وهو ما يبينه كلوكوهن في تعريفه للقيم، إذ أنه يعتبرها جزء من الفعل تكون ايجابية أو سلبية، معلنة أو مضمرة تنتظم منهجياً ضمن مجمل ثقافي وبين أنها تتميز ب:

¹ - خياط يوسف: "معجم المصطلحات العلمية والفنية"، المجلد السابع، دار الخليل، دار لسان العرب بيروت لبنان، 1995، ص 382.

² - Gaston Mialaret : Ibid ,P 453-454.

³ - صلاح محمود غلام: "القياس والتقييم التربوي والنفسى، أساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة"، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، 2000، ص 520.

(1) المحتوى المعرفي المعياري.

(2) الارتباط بالسلوك لذا يمكن دراستها من خلال التعبيرات اللغوية، أكد على ان دراسة القيم تعني دراسة السلوك.

إذا كان الكلام عن القيم يعني الكلام على السلوك، يجب على الباحث الاهتمام بالتعابير/السلوك على أنها تعابير/قيم توصلنا لدراسة المحتوى/ممارسات-تصرفات، أي دراسة الممارسات الاجتماعية المعبر عنها لغوياً، مما يتيح توصيف كيفية انتاج المجتمع للقيم وكيفية تحديد هذه الأخيرة للنظام الاجتماعي؟ إذن هناك تحليل شكلي للقيم بالنظر إلى نظام القيم كمجمل تراثي يقوم على التحليل الدلالي بتفكيكه لبيان كيف أن القيم هي رهانات¹ بين فاعلين اجتماعيين داخل نسق اجتماعي محدد.

اعتبر كلوكلوهن Klulhohn نسق القيمة على أنه أحد موضوعات البحث التي تتساوي في الدرجة مع موضوعات أخرى كالبناء الاجتماعي، الثقافي؛ "يمكن أن تدرس كمدلولات التزامات أخلاقية وأحد الأنماط الثقافية الأساسية ينظر إليها على أنها أسلوب حياة، يجب دراستها كنسق قائم بذاته متغلغل في اوجه الأنشطة الاجتماعية المختلفة".²

لكن بالنسبة ل هيسكوفيتس Herskovits الذي أكد بأن "القيم نسبية لا يمكن اعتبارها مطلقة، لأن كل ثقافة تعلم أبناءها أنها ثقافة مطلقة وأن طريقتهم في الحياة أفضل من أي طريقة أخرى، بالنسبة لهذه المدرسة فإن القيم والمعايير نسبية الشكل محتواها ثابت نسبياً إذ تتأثر حسبه بالتجربة الثقافية والتغير الاجتماعي".³

يجب الإقرار بأن هناك العديد من المداخل النظرية والفكرية لمقاربة القيم.

المدخل الأول: يعتبر أن القيم ما هي إلا أفكار عامة أو ما يستحق أن يكون له قيمة تنعكس في الأفعال الفردية.

المدخل الثاني: تعتبر القيم الزمامات اجتماعية، أو افتراضات أساسية للمجتمع.

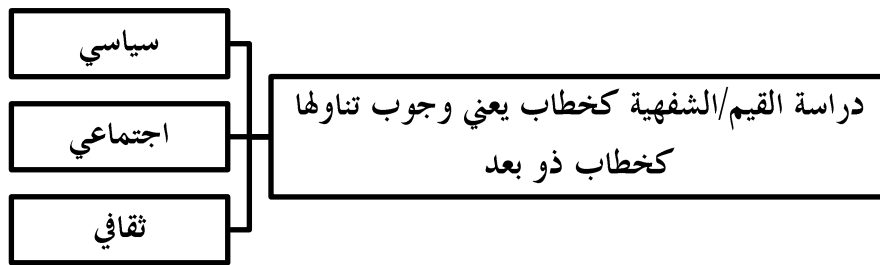
المدخل الثالث: يساوي القيم بالترفضيات الفردية كما يعبر عنها الأفراد من خلال سلوكهم (سواء على مستوى الانفعالات، الدوافع، الأهداف) وقد طورت مقاييس للقيمة.

¹ - صليبا جميل، المعجم الفلسفي، مرجع سبق ذكره، ص 741-742.

² - بيومي محمد أحمد، مرجع سبق ذكره، ص 60.

³ - بيومي محمد أحمد، مرجع سابق، ص 60-61.

بالرجوع إلى النماذج والتعاريف السابقة يمكن دراسة القيم من خلال الشفوية لأنها تعتبر كخطاب هامشي، (يتأثر بالاجتماعي وبالمؤسسات الاجتماعية)؛ لكن هل يمكن القول بأن القيم هي جزء من خطاب هامشي حاول أن يتجسد كممارسة؟ يتجسد في الذوق ... في الحياة اليومية اتخذت من الشفوية وسيلة وأداة على سبيل المثال لنشر خطاب (ذو خلفية إيديولوجية) -وسيلة فعالة للانتشار-، لذا يجب تحديد المعالم الكبرى لهذا الخطاب الثقافي وهو ما يقود إلى إختزلها وفق الخطاطة الموالية:



الشكل رقم (1): يوضح أبعاد الخطاب الشفوي وعلاقته بالقيم.

لذا يحق أن نتساءل: هل تعتمد القيم على الخطاب الشفوي لتظهر؟ هل هي خطاب موازي تواصلتي يتقاطع مع خطابات أخرى مغايرة، متنافرة، ومختلفة ألا تعبر القيم عن تصور ثقافي؟ أم أنها خطاب شفوي يتميز بالسكونية النمطية والمحافظة؟ أم على المغايرة والاختلاف؟ هل تعبر عن مواقف إلتفات، انخراط، انتساب، تعمل على إعادة إنتاج التراتب الاجتماعي؟ خاصة أننا نلاحظ، بأن المشافهة على العموم تتميز بالمحددات التالية، هي خطاب توجيه (غنية بعبارات الأمر والنهي)، هي عبارة عن خطاب مرتبط بالممارسة اليومية (يتم استدعائها للتعبير عن اليومي)، من أجل التنبيه، المنع والنهي وهي ذات مرجعية (الاحالة إلى الماضي/المنتج من جهة وإلى الزمن الراهن/الفاعل أي الشخص الذي قام بالسلوك).

البحث يسعى إلى إثارة الأسئلة منها ما هي الأهداف العامة النهائية للخطاب الشفوي القيمي، Les

?Finalité

من التعريفات السابقة يمكن أن ندرك أن القيمة ينظر لها في إطار علاقتها باللغة-الخطاب، على أنها تلي أهداف مشتركة، نتيجة اقتناع ذاتي نسبي بها، يمكن ان نفهم وجود امكانية إعطاء القيمة أي أن الأفراد يستطيعون أن يعطوا قيمة نحو موضوع محدد أو ظاهرة لغوية، يلاحظ هذا في السلوكيات والنشاطات على اختلافها، وهو ما يجعل من هذه الأشياء التي وقع عليها التقييم قيمة غير مرغوبة أو مرغوبة ومفضلة عن غيرها، "إعطاء القيمة" من

خلال اللغة عبارة عن سيرورة تُولد القبول والتفضيل والتمييز بين القيم حتى تصبح من خلال هذا الفعل منتظمة في مجموعات، ذات بنية ونسق؛ يتولد الالتزام كطابع مصاحب لها خاصة إذا ما تم التعارف عليها والاتفاق حولها، نسق القيم هو مركب من القيم يسعى الفاعلون إلى غرسها وإشاعتها.

علاقة القيم بالسلوك:

القيم مفهوم أكثر تجريداً من السلوك، فهي ليست مجرد سلوك انتقائي، بل تمثل المعايير التي تم التفضيل على أساسها، ليبقى السلوك مجرد حصيلة للتوجهات القيمة. القيم تشكل النسق المعرفي للفرد، تمثل بالنسبة له أساساً للحكم كقناعات ومعتقدات ثابتة يتصرف بموجبها، تعمل كموجهات وضوابط سلوكية، تتحكم في غاياته التي يسعى إليها.

ينظر للقيم على أنها جزء ينتج الضبط الذاتي حالما يتم استبطانها لدى الأفراد والجماعات، "من خلال القيم يتم السيطرة على السلوك؛ القيم معيار للسلوك؛ يمارس الفرد من خلالها على مشاعره ودوافعه وأفعاله نوع من التقدير، يكون قادراً على التحكم به وتوجيهه وفقاً لها، كما يتسنى له أن يدرس عواقبه ويتجنب المضاعفات التي قد تنجم عنه،"¹ كما أنها ترتبط أو تستهدف كل السلوكيات السوية وغير السوية.

وهو ما يمكن ملاحظته _ مبدئياً في مدونة المتون الشفوية التي تم جمعها- من خلال اللغة المتداولة التي تستهدف كل السلوكيات، مثل السلوك غير المنتظم، أو أي انحراف عن السلوك الذي يعد سويًا. من خلال اللغة اليومية والمعتادة تتم الإشارة إلى السلوك ليتم تقييمه كممارسة يحقق من خلالها مطالب ذاتية شخصية مثلاً نلاحظ وجود تلميحات وإشارات لغوية عن الممارسات الجنسية في المتون، يقاس السلوك بالقيم ويعتبر على أنه غير ممثل أو متماثل، لأنه يشير إلى اختراق المعايير الاجتماعية وغالباً ما تحذر منه المتون الشفوية وتلجأ إلى تمجيد السلوكيات/القيم السوية.

يرى الباحث تشارلز هيربرت كولي Charles H.Cooley أن الحياة الاجتماعية هي عملية نظامية مستمرة من خلالها ينتمي الأفراد إلى بعضهم، والقيم هي "مثل" ترتبط بالسلوك والاتجاهات تساعد على تشكيل التضامن الاجتماعي من خلال الالتزام الأخلاقي؛ يتصرف الأفراد في الجماعات حسب ميزان، سلم القيم. القيم لها

¹ - القيس نايف نزار: "المعجم التربوي وعلم النفس"، دار أسامة، عمان الأردن، 2006، ص 278.

تجسّدات لغوية تعبر عن التنظيم الاجتماعي، وقد ذهب إلى: "أينما نجد نسق من القيم فإن هناك دائما تنظيما عقليا واجتماعيا، يتناسب مع النسق القيمي".¹

اهتم إميل دوركهيم Durkheim بالجانب المعياري للحياة الاجتماعية وأكد على دور نسق القيم في تحديد السلوك الاجتماعي، من خلال إشارته للشعور الجمعي أو إشارته للاعتقادات المشتركة أو القيم العامة وبين أن القيم نسق من التوقعات المشتركة ذو طبيعة أخلاقية، يضمن نسق القيمة الوصول إلى (التضامن) أي الالتفاف حول القيمة العامة التي تعطي شرعية للمصالح والأهداف الجمعية، وتحدد المسؤولية، كما أن دوركهيم نبه إلى تعدد الأنساق الاجتماعية وطبيعة القيم والاعتقادات الرئيسية المشتركة للجميع؛ "لذا فالقيمة هي أساس المسؤولية تجاه الآخرين تكون عبارة عن التزامات تتجسد في السلوك، كما أنه تحدث عن فقدان المعايير القواعد Anomie".²

أكد ماكس فيبر M. Weber على إمكانية دراسة القيم سوسولوجيا فهدف علم الاجتماع هو الفعل الاجتماعي، الذي يجمع من جهة القيم ومن جهة أخرى السلوك؛ (السلوك هو تجلي للقيم) كل سلوك يتضمن معنى يعطيه الفرد، فثنائية الفعل/السلوك يتضمن فكرة تقييم، أهداف أو نسق معنى يمكن استيعابه وتفسيره من خلال منهج الفهم؛ "الفهم أنساق المعاني الثقافية المخترنة كقيم لها معنى يجب فهم السلوك؛ فهم ما يقدمه الفرد خلال مواقف معينة ويعرف على أنه قيمة، "تقديم علاقة -سببية علمية- بين القيم والفعل في موقف معين"³، وتساءل لماذا يستمر الفرد في إشباع هذا النمط من الفعل (الموصوف بأنه ذو علاقة بالقيمة)؟

أما جورج هاربيرت ميد G.H. Mead فتساءل؛ كيف تصبح الاتجاهات القيمة المعيارية جزء رئيسي من الشخصية وتتحدد من خلال السلوك/الفعل كل هذه الأبحاث سعت للإحاطة بالقيمة وبمعنى السلوك وعرفته وقسمته وجعلت منه محدد يرتبط بالقيم.

¹ - بيومي محمد أحمد، مرجع سابق، ص 70.

² - بيومي محمد أحمد، مرجع سابق، ص 80.

³ - بيومي محمد أحمد، مرجع سابق، ص 76-77.

تصنيف السلوكيات وعلاقتها بالقيم:

حسب الدراسات السوسولوجية؛ يعرف الفعل/السلوك بأنه ذلك الجزء من التفاعل الكائن الحي مع بيئته، يمكنه من الحركة في الزمن والمكان، ينتج عنه تغير قابل للقياس، "يعرف بأنه الاستجابة الكلية التي يبديها الكائن الحي إزاء مواقف يواجهها، يمكن القول بوجود عدة أنماط وأنواع للسلوك مثل: السلوك التوائمي؛ يحقق به الفرد التكيف مع متطلبات البيئة والسلوك الانفعالي كسلوك متأثر، يبين مشاعر الفرد، والسلوك المسيطرة أي السلوك الذي يصدر عن شخص يضع نفسه في موقع توجيه الآخرين محاولاً إخضاعهم لرغباته "مهيمن"؛ كل الأنماط السابقة ترتبط بقيمة أو مجموعة من القيم، أي أننا أمام بيئة سلوكية مكونة من المثيرات التي يستجيب لها الفرد في موقف معين.¹

يمكن فهم السلوك من خلال فهم طريقة الاستجابة لمثيرات القيم، يمكن القول بوجود سلوك سلبى يتسم بالرفض والتجنب وعدم التقبل لشخص أو شيء أو موقف ما، وسلوك عادي هو سلوك يتماشى مع القيم والمعايير والمستويات المألوفة التي يرتضيها المجتمع. كما أن الباحثين لجؤوا إلى تصنيفات أخرى مثل:

السلوك ظاهر،"هو مجموع إستجابات الكائن الحي للبيئة الخارجية، يمكن ملاحظته مثل السلوك الإيجابي وهو سلوك يتسم بالموافقة والتقبل لشخص أو شيء أو موقف ما، يعمل على تعزيزه والاندماج مع خصائصه. أما السلوك الاجتماعي يقصد به سلوك الفرد كعضو في المجتمع، هو السلوك المقبول اجتماعياً، سلوك استجابي؛ (رد فعل انعكاسي) يرتبط بمثيرات تسبقه وهو أقرب ما يكون إلى السلوك الآلي.² في كل التصنيفات والتنوعات السابقة لا يمكن فصل السلوك عن القيم؛ أما "السلوك الأخلاقي المثالي"؛ كتصنيف يقصد به رؤية الفرد لما ينبغي أن تكون عليه أفعاله وتصرفاته من جهة وما يتوقعه من الآخرين من جهة أخرى، في ما تعلق بالكثير من الأمور والقضايا الدينية والاجتماعية والحياتية؛ بحيث تعكس هذه الرؤيا مدى تمثل الفرد واستيعابه للقيم والمعارف وحقائق الدين والحرص على تبني القيم والاتجاهات وتوجيهاتها، كمعتقدات يجب أن تظهر في التفاعلات على نحو يؤكد صدق الامتثال للفردى والتزامه الخلقى.³ نحن أمام سلوك أخلاقي واقعي، بعيد نسبياً عن المعيارية، بعيد نسبياً عما يجب أن يكون؛ أي "أنماط محددة من الاستجابات التي يمكن ملاحظتها وقياسها تتميز بأنها متكررة؛ تظهر من

¹ - حسن شحاتة، زينب النجار، حامد عامر، "معجم المصطلحات التربوية والنفسية"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2003، ص 196-197.

² - حسن شحاتة، زينب النجار، حامد عامر: "معجم المصطلحات التربوية والنفسية"، مرجع سابق، ص 196-197.

³ - حسن شحاتة، زينب النجار، حامد عامر: معجم المصطلحات التربوية والنفسية، مرجع سابق، ص 197.

خلال ما يصدر عن الفرد من أقوال وأفعال وتصرفات تعكس مدى تمثل الفرد لقيم مجتمعه الايجابية ومدى انحرافه عن تلك القيم.¹

كما أن الباحثين أضافوا للتنوعيات السابقة مصطلحات أخرى معبرة عن السلوك مثل: "سلوك تعبيرى، هو عبارة عن سلوك تلقائي حر يتم من خلاله التعبير عن بعض خصائص الكائن الحي، يتضمن حركات تعبيرية هو سلوك حركي أو فكري أو عاطفي يميز شخصا عن غيره ويفيد في دراسة شخصيته؛ مثلها مثل، السلوك الخطر؛ أي التصرفات الخاطئة أو غير المسؤولة التي يقوم بها الفرد وتعرضه للأخطار أثناء تفاعله مع البيئة والنتائج عن عدم الفهم أو الوعي بالمخاطر التي يؤدي إليها مثل هذا التصرف.² كما أنها سلوكيات قد تحيد عن القيم أو تتماهي معها يضاف إليها أيضا، "السلوك القيادي، الذي يعرف بأنه عملية التأثير في جماعة أو على الجماعة في موقف معين وظروف معينة بهدف حفزهم على السعي لتحقيق أهداف التنظيم وقيمه."³

يمكن الاستفادة أيضا من الطرح الذي قدمه السلوكيون الذين اهتموا بالسلوك/القيم على أنها "ظواهر يمكن إخضاعها للملاحظة والضبط، وتؤمن السلوكية بإمكانية التحكم في سلوك الانسان؛ تعتبره على أنه إنتاج تلقائي لمدخلات بيئته، خاضع لمبدأ التعلم من خلال تعلم مبادئه وفق آلية المثير استجابة والتعزيز،⁴ بينت هذه المدرسة أيضا أن السلوكيات لا تنفصل عن القيم وهو ما تدل عليه الاطلاحات التالية:

"السلوك الرشيد؛ السلوك الذي يستند إلى التفكير والاستدلال المنطقي لا إلا الانفعالي؛ السلوك المستهدف؛ يقصد به بصفة عامة السلوك المرغوب فيه من الفرد، ويقصد به ما اكتسب في نهاية برنامج ما."⁵

"توجيه سلوكي؛ إرشادات تهدف إلى معاونة الفرد على التكيف مع بيئته"⁶، يتضمن مفهوم السلوك أيضا مفهوم الخلق، أي أن السلوك هو عبارة عن "تنظيم متكامل لسيمات الشخصية أو الميول السلوكية، التي تمكن الفرد من الاستجابة للعرف وآداب السلوك بطريقة ثابتة نوعا ما، بالرغم مما يتعرض هذه الاستجابة من عقبات،"⁷ وهو قريب من المفهوم العام الشائع للقيمة ومنه أيضا مفهوم "نمط خلقي"، نمج منتظم من الأعمال ذات القيمة

¹ - حسن شحاتة، زينب النجار، حامد عامر: معجم المصطلحات التربوية والنفسية، مرجع سابق، ص 197.

² - حسن شحاتة، زينب النجار، حامد عامر، مرجع سابق، ص 198.

³ - حسن شحاتة، زينب النجار، حامد عامر، مرجع سابق، ص 198.

⁴ - حسن شحاتة، زينب النجار، حامد عامر، مرجع سابق ص 198.

⁵ - حمدان محمد، "معجم مصطلحات التربية"، دار كنوز المعرفة، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 2006، ص 11.

⁶ - حمدان محمد، مرجع سابق، ص 11.

⁷ - حمدان محمد، مرجع سابق، ص 19.

المثالية أي الصفات غير الموروثة من البيئة كنتيجة للتفاعل معها، "الأفكار والتراعات والاتجاهات يتخذ كأساس للتنبؤ عن السلوك.¹

أي أن السلوك/القيمة وجهان لعملة واحدة هما بالخصلة أي فعل يستجيب به الكائن الحي برمته لموقف ما استجابة واضحة للعيان وتكون عضلية أو عقلية أو كلاهما معا، وتترتب هذه الاستجابة عن تجربة سابقة وقد يكون السلوك فطريا أو مكتسبا. يمكننا أن نلاحظ وجود سلوك مضاد للمجتمع؛ يتميز بكرهية للقيم وللقيود والقوانين الاجتماعية ويعمد على الخروج عليها. وهو مؤسس كمنط سلوكي؛ أي "مجموعة من الاستجابات تبدو للملاحظ كأنها ترتبط بوحدة داخلية ثابتة.²

أنواع القيم:

القيم هي جزء من المعتقدات والآراء ذات مرجع معروف Abstracts أو مبادئ تكون معايير سلوكية أو نماذج Model وهي تحمل معنى أحكام أخلاقية Jugement moreaux أو أوامر Impératifs، وتبين المرغوب فيه كمعايير ونماذج سلوكية وهي تنقسم إلى أنواع كالقيم النظرية (تشير للموضوعية والبحث عن الحقيقة... الخ)، القيم الجمالية (البحث عن القدرة في التأثير)، تشير أخرى إلى السلوكيات والممارسات Les pratiques ويمكن التعرف على عدد غير محدود من القيم -لا نقاش فيها- ثابتة لأمد بعيد، القيم المضافة والقيم المهيمنة والقيم الخالصة، والقيم الحقيقية³، ومن خلال العرض التالي سنستطرد في تفصيل أنواع القيم وعلاقتها بموضوع الدراسة.

هناك أنواع أو طبقات مختلفة من القيم، نذكر منها "القيم الطقوسية الاجتماعية والقيم الظاهرة والضمنية، وعندما تتركز عدة قيم من نوع معين حول قيمة معينة يطلق على هذه القيمة اسم "قيمة بؤرية-قيمة القيم"، كما أن التصنيف يكون على أساس النسق فتقسم إلى قيم جماعية اجتماعية قيم جمعية، جماعية.⁴ بالإضافة إلى ذلك توجد تقسيمات أخرى مثل:

¹ - حمدان محمد، "معجم مصطلحات التربية"، مرجع سابق، ص 20.

² - حمدان محمد، "معجم مصطلحات التربية"، مرجع سابق، ص 34.

³ - Gilbert de Landsheere, Dictionnaire de l'évaluation et de la recherche en éducation, 2e édition, PUF, Paris 1992, P.321.

⁴ - إيكهيو لكرانس، ترجمة الجوهري محمد الجوهري، الشامي حسن: "قاموس مصطلحات الأنتولوجيا والفلكلور"، مرجع سابق، ص 296.

أ) من حيث المضمون: قيم اقتصادية، اجتماعية، جمالية، روحية... إلخ.

ب) تصنيف القيم من حيث المقصد

1. قيم وسائلية: مطلوبة للتلبية قيم أخرى غيرها توصل إليها مع الاختلاف بين الأفراد (وسائل لتحقيق غايات).

2. قيم غائية: وهي قيم تعتبر كغايات نهائية لأفعال الأفراد.

ت) تصنيف القيم من حيث الشدة:

1. قيم ملزمة: لا يمكن أن نتخلى عنها ملزمة لكل الأفراد؛ تعتبر قيم "مقدسة" يلزم بها الأفراد، كالقيم الخاصة بتنظيم العلاقات الاجتماعية والعلاقات بين الجسدين والقيم المتعلقة بالأدوار والمكانة الاجتماعية... إلخ، تتعلق بالثواب والعقاب (حتى لو كان هذا العقاب ناتج عن/جراء خرق القيم البسيطة)

2. قيم تفضيلية: يمكن الاختيار بينها وتعتبر كبدايل متاحة للجميع. تهتم بترتيب المجال الرسمي وغير الرسمي تتعلق بالاختيار بين بدائل مفضلة وأخرى مغايرة لها، لأن القيم قطبية تطرح القيم في التواصل الشفوي لتخير الأفراد بين عدة سلوكيات محددة، وتجنب الأفراد ما هو غير مرغوب لكن دون أن تكون ملزمة ودون التعرض للجزاء والعقاب جراء الاختيار والتفضيل بينها، لكن تفضل القيم ملزمة بصورة أو بأخرى لأنها تطرح نماذج سلوكية.

3. القيم المثالية: وهي القيم التي يستحيل تحقيقها "طوباوية" لكنها مطلوبة في السلوك لدى الأفراد وهي التي تبين وجوب سلوك محدد في مواقف محددة (كمقابلة الإساءة بالإحسان، السكوت في كل المواقف مثل ما تنصح به كلمات المجدوب) لكن على الرغم من كل هذا فهي مطلوبة.

ث) تصنيف القيم من حيث العمومية:

1. قيم عامة: وهي القيم السائدة في كل المجتمع، كما يمكن القول بوجود قيم خاصة بأقاليم وثقافات وقيم عالمية معروفة بشكل كبير على أنها منتشرة بشكل على نطاق واسع ومحل اعتراف، تبجيل وانتشار بين غالبية الناس.

2. قيم خاصة: وهي قيم خاصة بفئة أو طائفة أو مكان أو مختصة بزمان معين، ذات الانتشار المحدود تتعلق بالثقافة الفرعية أو طبقة محددة أو فئة عمرية دون أخرى، تميزها عن غيرها، وهي تجعل من

معتنقها فئة واحدة متفردة، تعمل على ضمان تماسكها وديمومتها، تضمن نفس التوجه القيمي السلوكي بين منتجها ومتداوليها.

3. تصنيف القيم على اساس الوضوح:

1) **قيم واضحة:** جلية مصرح بها في القول والفعل وتتجلى في الممارسات العامة، محل إجماع ومحل اتفاق عام، جزء من الحياة العامة كما أنها مطلوبة سلوكيا.

2) **قيم ضمنية:** غير جلية يستدل عليها من الملاحظة وتكون غير مصرح بها إلا في مواقف محددة ومن أشخاص أو فئات خاصة.

ج) تصنيف القيم على أساس الدوام:

1. **قيم دائمة:** دائمة نسبيا وتبقى زمنا متداولة وتنتقل من جيل إلى آخر تكون مرتبطة بالعرف والتقاليد والتقديس والطقوس.

2. **قيم مؤقتة:** ذات دوام مؤقت نسبة الانتشار ذات وقت قصير مقارنة بغيرها عابرة (الموضة، القيم الجمالية) سريعة الزوال، غالبا ما تكون فردية شخصية.

ح) تصنيف القيم حسب عدد المنتسبين إليها:

1. **قيم فردية - شخصية:** خاصة بالأفراد، تتجلى على المستوى الشخصي فقط. وقيم خاصة بأفراد بعينهم كالقيم الأبوية؛ أنها توصيف لسلطة ممتدة في الزمن لأشخاص بعينهم إلا أنها تشير مباشرة لرب الأسرة أو الأكبر سنا فيها. وفي الغالب قيم ترتبط بالإنجاز وتأكيد الذات.

2. **قيم جماعية:** ذات انتشار بين الجماعات خاصة بالجماعات الاجتماعية كالقيم السرية، وتحدد الواجبات والحقوق وكيفية الانتساب والعضوية والتنظيم كتنظيم علاقات الجيرة على سبيل المثال لا الحصر.

3. **قيم الفضاء/ المجال العام:** ترتبط من بالممارسات، تبين للأفراد السلوك العام الواجب انتهاجه، وطريقة الاستجابة للمواقف المتعددة، وتمكنهم من التنبؤ بسلوكيات الغير واستجاباتهم وتسهيل التكيف وتساعده على تكوين العلاقات وتنظيمها مكانيا وزمانيا.

4. **قيم الفضاء/ المجال الخاص:** ترتبط بمجال الخاص كالفضاء المتزلي الداخلي، وتبين شروط هذا المجال وكيفية شغله وتوزع الأفراد فيه، تسهل التكيف مع هذا المجال وتمده بقيم تعرف بطبيعة العلاقات فيه

وتربطه بالجماعة المرجعية، وتخفف من وطأة السلوكيات التي يصعب تفهمها. تساعد على الثبات وتحديد الاختيارات الملائمة لهذا الوسط دون غيره.

هناك تصنيفات عديدة وتنوعات للقيم، إلا أن أكثرها قبولا هو التصنيف الذي اقترحه عالم النفس الألماني "سبرانغر"¹ وهو النموذج-التصنيف المعتمد في هذه الدراسة -مع تحويره حسب مقتضيات الدراسة الميدانية- حيث وضعها في ست مجموعات هي: الخلقية، الفكرية والاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية والجمالية.

القيم الخلقية: يمكن القول عنها أنها الفضائل السلوكية المراد نشرها وإشاعتها بين أفراد المجتمع، يرغب في امتلاكها ودمجها في السلوك، سواء من الناحية الفردية أو الجماعية وكل المجتمعات تحوي قدرا من القيم الواجب الالتزام بها معروفة على أنها خلقية بالدرجة الأولى.

القيم الدينية: وهي مشتقة من الانتقادات التي ينظر إليها على أنها جزء من الدين، وينظر إليها على أنها متعالية عن غيرها لتماشيها مع الدين ولأنها مقدسة تدعمها نصوص وسلوكيات متوارثة عن السلف. وتعرف على أنها: "قيم متسامية تؤدي لخلق قيمة عليا مجردة تحكمها فكرة الانتماء إلى نظام من العلاقات بكونه خلقية...".²

القيم الجمالية: تهتم بالشكل والتنسيق والميل إلى كل ما يحقق ذلك، وبما أننا سنهتم بالقيم السلوكية لدى الشباب فإننا سنقتصر على القيم الجمالية ذات العلاقة بالجسد فقط وجماليات أخرى كجماليات (المكان، الكلام حسب ما جمع من المدونة فقط دون تجاوزه). وهي "القيم التي تتميز اهتماماتها بالجوانب الفنية والجمالية في الحياة في التشكيل والتنسيق والانسجام في التعبير".³

القيم الاقتصادية: يمكن القول أنها القيم التي تشير إلى النواحي المادية والسلوكيات المتعلقة أساسا باهتمامات وميولات الفرد تجاه الماديات، كالمال، الثروة، والاستهلاك، الانتاج والعمل والكسب وطرق التسيير والتصرف

¹ - المغربي كامل محمد: "السلوك التنظيمي، مفاهيم وأسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم"، الطبعة الثانية، دار الفكر، 1995 مرجع سابق، ص 158-159.

² - المغربي كامل محمد، المرجع السابق، ص 158-159.

³ - المغربي كامل محمد، السلوك التنظيمي، مرجع سابق، ص 158-159.

عامة؛ أي أنها: "القيم التي تؤدي إلى تبني اتجاهات عملية مع التركيز على الجوانب والأهداف الاقتصادية وما ينتج عنها من تحقيق مادي."¹

القيم السياسية: هي قيم تتعلق بالتنظيم السياسي والانتماء، وضبط وتنظيم المراكز والنشاطات والقيادة والتدبير السياسي. وتعرف أيضا بكونها "هي التي تهتم بمظاهر القوة والنفوذ والسيطرة سواء على مستوى الفرد أو الجماعة."²

القيم النظرية: هي قيم خاصة بالمعرفة وسعة الأفق، تعبر عن ميول الفرد الفكرية واتجاهاته المعرفية، والقيم المتعلقة بالاكشاف وكسب المعرفة، وكيفية إدراك المجتمع والعالم والبيئة الخاصة، وكيفية إدراك قوانين الوجود وفهمها وبالتحديد القيم التي تمثل النظرة للعالم (القيم النقدية، المعرفية، التنظيمية).

"تعرف هذه القيم كذلك بكونها "قيم فكرية" وهي الناتج عن الاتجاهات العقلية والفلسفية للفرد وتهتم بشكل خاص بالبحث عن الحقائق وأسباب حدوثها بشكل تطبيقي منظم."³

القيم الاجتماعية: "هي التي تتعلق باهتماماتنا بالعلاقات الانسانية وترابط المجتمع وتفاعلات أفراده."⁴ من خلالها يمكن فهم كيفية إدراك الفاعلين لتكون الجماعة وتأثيرها في أعضائها، وتضمن التماثل في المعتقدات والأفكار بما يلي الحاجة للانتماء وفهم حل أشكال التبادل الممكنة. وتحدد نوع السلوكيات المرغوبة داخل الجماعة.

تكون القيم وتصنف على أساس مستويات متفاضلة يعكسها الجدول التالي:

¹ - المغربي كامل محمد، السلوك التنظيمي، مرجع سابق، ص 158-159.

² - المغربي كامل محمد، السلوك التنظيمي، مرجع سابق، ص 158-159.

³ - المغربي كامل محمد، السلوك التنظيمي، مرجع سابق، ص 158-159.

⁴ - المغربي كامل محمد، السلوك التنظيمي، مرجع سابق، ص 158-159.

جدول رقم (1) يبين مستويات القيم والمؤشرات المرتبطة بها.

مستوى القيم	نوع القيم	مفرداتها التي يمكن قياسها والأمثال التي تناسبها من المدونة
فردية	عقلية فكرية	الذكاء، العلمية، المنطقية، الموضوعية، الحذاقة واللباقة، وهي تشير إلى الصعاب وما يواجهه من مشاكل وحلول مستعصية، ومنها تلك التي تشير إلى الاستشراف للمستقبل مثل أمثال المتعلقة بالفصول.
جماعية	نفسية وجدانية	الأنانية الغيرية الأنطوائية الانبساطية القلق الخوف الحب الكراهية، يمكن الاستدلال عليها من خلال الأمثال التالية: "لِي حَبْكَ مَا بَنَّاكَ قَصْرَ وَالِي كَرَهَكَ مَا بَنَّاكَ قَبْرَ"، "زَيْتَنَا فِي بَيْتِنَا"، ومنها القصص التي تشير إلى هذه الأمور الوجدانية.
	أخلاقية دينية	التدين التسامح الخير الفضيلة الحرام الحلال الإيمان الإحاد الكرم الشجاعة الذيب حلال الذيب حرام الترك أحسن، الجود بعد العرب بدعة.
	سياسية	الانتماء الوطنية القومية الاثنية المشاركة العقيدة العدل القوة الواجب الحق القانون، ومنها الأمثال والقصص التي تشير على العروش والاثنيات وقصص البطولة البدوية وقصص الشرف والانتماء
	اقتصادية	العدل النجاح الربح المنفعة المصلحة العامة الانتاجية، والتي تشير إلى العمل "الخدمَة مع النصارة والقعاد خصارة" "أخدم بفرنك وحاسب الراقد" "سيد الناس خديمهم"
إنسانية	ثقافية فكرية	التذوق الإبداع التغيير التطور الثبات التاريخية الماضية المستقبلية "الزین زین من عند ربی"
	دينية أخلاقية	المقدسات الدينية، المحرمات الدينية المناسبات الدينية، العبادات، الشعائر الدينية، البطولة. وقصص الأولين.
	سياسية	العالمية، القومية، السلام، العدالة، الحق، القانون
ثقافة حضارية	اقتصادية	المصلحة، التبادلية، المنفعة
	ثقافة حضارية	التطور، العلاقة مع الآخرين، البنية التوافقية

خصائص القيم ووظيفتها:

القيم حسب الباحث فرفار جمال تتميز بصفة الضدية والقطبية وهي معيارية تستخدم لإصدار الحكم نقيس بها السلوك كما أنها نسبية ليست مطلقة مكتسبة قابلة للتعلم ذات صبغة اجتماعية، ويمكن حسب الباحث الحديث عن "مثيرات للصراع القيمي كالفروق الفيزيولوجية والفروق بين الآباء والأبناء كنتاج لعملية التطبيع الاجتماعي وتأثر الأجيال ببعضها وبغيرها، كما أنه تحدث عن خاصية القيم وأفاد بأنها واقعية للكبار ومثالية بالنسبة لجيل الشباب، لذا يعمد إلى خلق قيم جديدة يشوبها التصادم نتيجة الحداثة، كما انه يوجد تمايز بين قيم الريف المدينة وتمايز طبقي قيمي، واعتناق قيم جديدة يعني الإقرار بنمط حياة جديدة.¹

لا بد من الإشارة إلى أحد "وظائف القيم كحافز على الاستمرار ووجود التضامن الاجتماعي، لهذا فإن القيمة المطلقة بالنسبة للمالينوفسكي Malinowski وراذكليف براون Radcliffe-Brown وظيفتها المحافظة على استمرار المجتمع وأن كل القيم يجب ان تفهم على أنها وسائل لتحقيق هذا الهدف."²

القيم ذاتية: لأنها تتعلق بطبيعة الانسان وتمثل ميوله وعواطفه واتجاهاته الخاصة وتتميز بالخصوصية والتغير من فرد لآخر.

القيم موضوعية: محل لأنها اتفاق بين أفراد المجتمع مجمع عليها، اتفاقية.

القيم النسبية: ليست مطلقة وثابتة للأبد.

القيم متعلمة ومكتسبة: من خلال التنشئة الاجتماعية والتعلم.

القيم متسامية: متعالية على الأفراد ذات إلزام.

القيم متغيرة: من شخص إلى آخر من مكان إلى آخر، ومن جيل لآخر، ونتيجة للتغير الاجتماعي وفعل الثقاف.

القيم إنسانية: ترتبط بالإنسان.

القيم وجدانية تتميز بالعدد: تتميز بالجانب العاطفي الذي يساعد على تقبل القيمة واعتناقها أو النفور منها.

القيم ارتقائية: لكل قيمة من القيم فترة عمرية تتناسب معها.

القيم تراتبية: من الأكثر قبولاً إلى الأقل قبولاً في سلم للقيم تتراتب من الأقوى إلى الأقل قوة ومقبولية.

¹ - فرفار جمال: "سوسيولوجيا القيم والعولمة"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات، العدد رقم 03 ديسمبر 2008 مرجع سابق.

² - بيومي محمد أحمد، مرجع سابق، ص 61.

القيم كنظام هرمي: تتميز القيم بأنها نظام هرمي ذو أولويات محدد سلفاً، ناتجة عن التفاضل والتفاوض الاجتماعي وحالما يتم الاتفاق عليها ولو ضمناً يتم الاعتراف بها وترتيبها في سلم من الأولويات، تتخذ هذا الهرمية طابعا الزاميا -نسبياً- إذ أنها تتغير من وقت لآخر نسبياً، من حيث الأولويات، حسب التغيرات الاجتماعية البنوية وحسب التغيرات التاريخية.

من المؤكد وجود علاقة تلازم بين السلوك والقيم، فهي تمثل نقطة ارتكاز لفهم السلوك Point de référence ضمن محيط (مجتمع، جماعة، فئة اجتماعية... الخ) يتميز بالمنافسة بين المنظومات الاعتقادية ومنظومات التواصل اللغوي، حيث تظهر على السطح تلك الصراعات الدائرة حول الحق في الأسبقية وأشكال السيطرة والرقى والتزول في سلم المراتب وبالتالي على الاحتكار والمصادقية في تعريف الواقع وامتلاكه والتأثير فيه، ولما للقيم من الأهمية ولكونها تتميز بالتعدد، التنوع الغيرية والقطبية فهي تنتظم في سلم أو هرم يمكن أن نبين هذا من خلال نماذج محددة لكل جماعة فهي تتميز بالاختلاف (كل جماعة تعطي أولوية لقيم دون أخرى).

مرجعية القيم:

1. الموروث: يعني ما يهبنا أسلافنا دون أن تكون لنا يد في تكوينه، وهو ما نتلقاه وهو يحدد معالم رؤية العالم وحدود السلوك إنه يقدم القوالب بمعنى المفاهيم وأنساق القيم التي تمكن من إدراك العالم انطلاقاً من ذلك يمكن القول إننا نتاج لموروث. الموروث هو رصيد واسع من الانتاجات الثقافية التي تراكمت تاريخياً لتشكل خزانات مرجعية للهوية. تشغل الذاكرة من أجل أن توفر لذاها ماضي (قيم) يجيب عن بعض انشغالات الحاضر.

2. العرف: Coutume أي القواعد الثابتة للسلوك التي تتبقى على طول فترة زمنية طويلة، والتي تنظم طريقة حياة الناس من مجال إلى آخر، يتأثر تطور العرف بتطور تاريخ شعب ما ونشاطه الاقتصادي وظروفه الإيكولوجية ووضعه الاجتماعي وآرائه الدينية ... "كل عرف يؤسس لقيمة محددة؛ إذا تميز الأعراف بالقوة لأنها عادة اجتماعية متكررة؛ متجذرة وهي تؤثر على سلوك الناس، نظراً لأن الأعراف ذات طابع اجتماعي فهي تخضع للتقييم الاجتماعي من جهة ومنتجة للقيم من جهة أخرى."¹

¹ م. روزنتال، ب. يودين: الموسوعة الفلسفية؛ ترجمة سمير كرم، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، 1987، ص 294-295.

تنظم القيم وترتبط وفق مرجعية ثقافية اجتماعية، لها تاريخ تكوّن ووظائف بنيوية تتكيف معها وتدعمها ومن خلال الممارسات اليومية والاستراتيجيات الاجتماعية يمكن إدراكها كنسق متكامل تبرز فيه القيم كأحد مظاهر الثقافة ذات البعد التراثي - المتوارث - تتجلى كمقاومة "هوياتية" اجتماعية بين منطقتي ثقافي محلي للمجموعات التي تستميت في العناية بها وأخرى مغايرة ترفضها، ويتبين لنا مرجعية القيم وأنها مشبعة بالعادات والتقاليد وتتعلق مع الطقوس وتتخذ طابعا رمزيا، في مواجهة الرسمي والحداثي وما هو بعيد عن المحلي، ويتبين أكثر من ذلك أن هذه القيم ومن خلال مرجعيتها تستمد معناها من التراثي ومن العادات، وتساعد الفاعلين الاجتماعيين المتداولين لها على التعريف بأنفسهم ومعرفة الآخر، أي أن القيم ما هي إلا آلية يتم من خلالها تبيان نوع من العلاقات (خلق ونشر وتأكيّد الرابط الاجتماعي) وتعمل كآلية "هوياتية".¹

تعكس النصوص الشفوية السائدة مجموعة من القيم ذات العلاقة بالتنظيم الاجتماعي السائد كقيم البناء القبلي بالرغم من التمدن إلا أن النصوص الشفوية تسعى - في موقف محددة - إلى إثارة الروابط القرابية والتعريف بالمجموعات والأنساق القرابية وتفرعاتها، وتثير انفعالية وشعور لدى أفراد الجماعات، وتضمن الشعور بوحدة الجماعات (القبيلة، العرش أو الفرقة على الرغم من تباعدها الجغرافي/ المكاني) وهو ما يجعل من هذه البنية فعلية ذات فعالية ويجعل من الجماعات الاجتماعية مرتبطة بالجماعات الأصلية من خلال نظام قيمي، وتبقيهم في علاقة مع محيطهم الاجتماعي مما يولد معارضة للقيم الجديدة ويعزز من نظام القيم المتوارث، "خاصة أنها تظل مرتبطة باعتقاداتها وتقاليدها وعاداتها وفنها القولي المتوارث. والتعلق بالتراث أي "ما بقي منه في وجداننا".²

الملاحظ أيضا ارتباط القيم باللغة أي بمجموع الآراء والأنماط والعادات المتنقلة، عبر الكلمة التي تعبر عن ذاتها بأنها أكثر من سلسلة من الحروف - الفونيمات، بل أنها تعبير عن الواقع وعن موقفنا من الواقع وعن فعلنا في الواقع وتغييراته، والشفوي في انتقاله يعبر عن الواقع ويعمل كنظام سلوكي - تراثي - يهدف إلى تنظيم العلاقات الاجتماعية.

من النصوص الشفوية ما يتناول قانون الشرف (Code d'honneur)، إشاعتها دلالة على وجود قيم من نوع خاص (جزء من العرف) يمكن أن تتربط مع البنية الاجتماعية وتدل على نوع محدد من العلاقات. يمثل هذا

¹ - من الملاحظ في المدونة التي تم جمعها أنها تتميز بطابعها التراثي بحيث أنها ترجع إلى وقت بعيد تم تداولها بالتواتر بين العديد من الأجيال وصولا إلى الجيل الحالي، هي تعمل كآلية هوياتية بحيث تحدد "الأنا" الجمعي وترسم ملامح الشخصية الجمعية وترسم ملامح غريبة الآخر، خاصة في ما يتعلق بالنصوص الشفوية التي ترتبط بالقبيلة أو العرش أو الجهة، تعبر عن الهوية وتبين غيريتها، لعل النصوص التي ترجع إلى سيدي أحمد بن يوسف، الملياني والتي جمعها روني باسي في Le journal Asiatique تعكس ذلك التوجه للشفوية.

² - معلمي عبد الوهاب: "السيبيل إلى الحداثة" مجلة مقدمات، المحلة المغربية للكتاب، 1996، ص 05-06.

القانون الإطار المرجعي للفعل، لأنه يوفر للأفراد فهم خاص للاجتماعي وللمساحات ويضمن وجود معاني وأفعال تجاه الناس وأهدافه وأفكاره وتبين لهم السبل لبلوغ الأهداف المشروعة، كما أنها تضمن تفاعل الفاعلين وإفراز توقعات مشتركة عن الغير؛ يمكن ان تبين التحالفات الممكنة وعلاقات الجيرة وكيفية انتظامها.

العرف بمفهوم التقليد يمثل مرجعا للقيم، "خاصة انه ينتقل من جيل لآخر، لما يكون لفضيا وبالذات عندما يشير إلى بعض أسس الثقافة التي تعتبر جزء من الارث العام لجماعة معينة، ويعد التقليد مصدر استقرار الاجتماعي والشرعية العامة."¹ إجمالاً فبعض القيم لها مرجعية للتقليد ولهذا تقبل من غير نظر أو تأمل فيها، ينظر إليها في المجتمع المحلي على أنها ملزمة للأفراد؛ الشخص ملزم بها لأن السلف اقراها فهي صالحة لكل زمان ومكان، ولا يحق لأحد القرار بغيرها أو الطعن فيها والحكم عليها بدون الرجوع إليها وتغليبها وترجيحها بالقول والفعل والسلوك.

3. الدين: تنهل القيم وتتماشى مع النص الديني وتسعى لتقريبه للغالبية من أفراد المجتمع، ومن خلال المدونة الشفوية يمكن ان نلاحظ على سبيل المثال نماذج تسعى لنشر قيم روحية معينة مثل قصائد محمد بلخير المنتشرة في المنطقة المدروسة، والتي تتحدث عن الطريقة "الشيخية"، تعرف أنها متداولة بكثرة من خلالها تنتشر قيم ذات علاقة بالتدين الشعبي. كما ان الأفراد يسعون من خلال إشاعة المتون لإشاعة القيم؛ هذا الربط بين المشافهة-اللغة؛ الطقوسي والديني يمكن أن يخضع للتحليل؛ الدين والقيم لا يمكن فهمهما كل على حدة بل معا كوجهين لعملة واحدة.

كما أن ثنائية الشفوية، القيم تشير إلى العلاقة بين الاجتماعي والطقوسي، كل شيء خاضع للتقييم، مثلا ضمان تقديس الأوقات والأماكن، يحفظ القيم، "للحفاظ على معتقدات التي تؤسس لوجود الجماعة وتحافظ على تلاحمها فكل تلك التجمعات والاحتفالات والتبادلات (حتى اللغوية منها) تخلق جوا ممكنا وممتعا للعيش معا كما يعيد تكريس الرباط الاجتماعي في كل مرة بحكم أن الطقوسي يتكرر باستمرار"² ومن خلال تكراره وكنتيجه لطابعة القدسي الديني فإنه يعمل على إحياء القيم وتعزيزها لتعمل ككبح لدى الأعضاء الجماعة ومؤسسيها الأوائل.

¹ - القيس نايف نزار اسامة: "المعجم التربوي وعلم النفس"، عمان الأردن، 2006، ص 415.

² - مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، عدد خاص أبريل 2005، ص 164-166.

4. أشكال التجمع المختلفة؛ التي تضمن حد أدنى من "التفاعل التبادلي الوجداني" "إنه عملية يتم فيها حضور الأفراد متقابلين وجها لوجه بحيث يؤثر فعل كل منهما في فعل الآخر، كما حددها إيرفينغ غوفمان وهي تأثير أفعال الأفراد المتبادل وبالذات عندما يكون الآخر حاضر فعلا (جسدياً)¹، إن التفاعل الاجتماعي وجها لوجه يولد القيم من خلال التعارف والتعاقد على نوع من القيم التي أثبتت عمليتها في الوسط الاجتماعي، ثم ترسخ هذه القيم ومن خلال الرقابة تفرض وتغرس ويتم استبطانها لدى أفراد الجماعة بالتعلم والتنشئة الاجتماعية ويطلب تجسيدها في سلوكيات الأفراد. يجب ان نؤكد بأن القيم تكون قوية كلما كان التفاعل تقابلي وجاهي قويا، خصوصا في المجتمعات التي توصف أنها محلية (تعيش في منطقة جغرافية معلومة الأبعاد) متميزة متفردة عن غيرها من خلال الانتماء المشترك أو ممارسة نشاطات ذات طابع خاص.

تتكون القيم من خلال

1. القدوة: الاحتكام للأكبر سنا، كما هو مبين في النصوص الشفوية "كي يغيب الكبير يغيب التدبير".
2. الالتزام بالمعايير: بحيث أنها تعزز بالتدرج من خلال الالتزام بالمعايير وكلما التزم الفرد بالمعايير تلقى الاعتراف والجزاءات من المجموعة المرجعية التي ينتمي إليها ومن المجتمع ككل (تعزيز السلوكيات).
3. الإعلام: تتكون القيم من خلال الإعلام الذي يساعد على نشرها بين قطاع واسع من الجماعات والأفراد ويزداد تأثيرها تحت سلطة الصورة وتطور وسائل الاتصال.

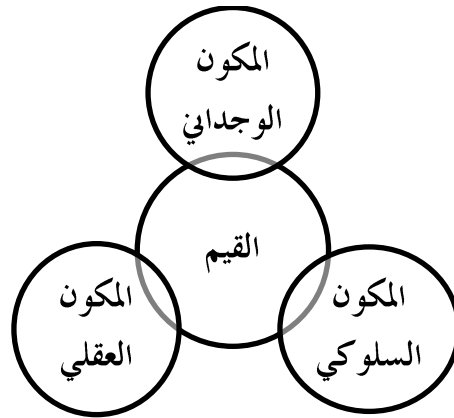
بالإضافة إلى ذلك يمكن الحديث عن مالكين للقيم يعتبرون كمتشددين Orthodoxies وقيم ناتجة عن فعل المؤسساتي كالمدرسة، المسجد، الزاوية... إلخ والمؤسسات الأخرى والقيم الناتجة عن فعل الدولة étatisation كقيم المواطنة لكن ما هو ملاحظ ان بعض منها يتم تقديسه، شرعته وربطه بالمرجعية والذاكرة الجمعية الأصلية الواقعية أو ربطه بالجماعات المتخيلة، ويكون مخيال جاهز للاستقبال، كل القيم الموجودة اليوم هي نتيجة للظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية التي اسهمت في تكوين نوع خاص من القيم، ويمكن ملاحظة العديد من القيم كالقيم الناتجة عن البناء القصصي التاريخي التي تتحول إلى قيم حركانية Activistes تدعمها النصوص توصف بأنها تأسيسية Fondateurs ذات علاقة بالأطر والمرجعية التقليدية، والذاكرة الجمعية المطبوعة بطابع القداسة، "وعلم

¹ - معن خليل العمر: "معجم علم الاجتماع المعاصر"، عمان، دار الشروق، 2000، ص 255.

الاناسة يفتح لنا أفاق جديدة امام تقصي هذا القصص إذا ما تعلمنا قراءتها مثلاً: عبر الرؤية التي اختطفها ليفي شتراوس في تعريفه للأسطورة: "قصر إيديولوجي مبني بحطام اجتماعي قدم"¹.

مكونات القيم:

الجانب العقلي والسلوكي يرتبطان لتكوين المعتقدات لدى الفرد، يظهر الجانب العقلي في الاختيار لاتجاهات تتناسب مع المعتقدات وييدي الأفراد من خلال ذلك تعاطف وشعور ذو طابع خاص، ميل وحالة وجدانية تتناسب مع الاختيارات والتفضيلات وترجم إلى سلوك ظاهر، وهو ما يبينه الشكل التالي:



الشكل رقم (2) يوضح مكونات القيم.

القيم الشفوية والتواصل:

من خلال الدراسة الحالية نهتم بالإرسال الثقافي، نهتم بالتواصل القيمي من خلال الاهتمام بالممارسات الخطابية الشفوية، وعلاقتها بالنظام القيمي ومختلف الميكانزمات التي تؤمن للقيم التواصل ولانتقال الزمني والمكاني مما يضمن لها الفعالية والاستمرارية عبر الزمن كانتقال عبر الأجيال، ومن خلال هذه المقاربة يمكن ان نميز بين باث/مرسل للقيم حتى ولو لم يكونوا من المعاصرين لنا (كالجيل السابق لنا في الوجود مثل الجد المؤسس)، أو غيرنا ممن لا يعيشون معنا داخل نطاق جغرافي، من لا ترتبط معهم بأية علاقات جغرافية لغوية أو حتى إثنية... الخ إن الرجوع إلى ثنائية باث/ متلقي تمكنا من معرفة التواصل القيمي وتبين التأويلات الممكنة لفهم السلوكيات الملاحظة في ميدان الدراسة. إجمالاً يمكن القول إن الخطاب "الشفوي/القيمي" له مضمونه الخاص يستجيب لمواقف

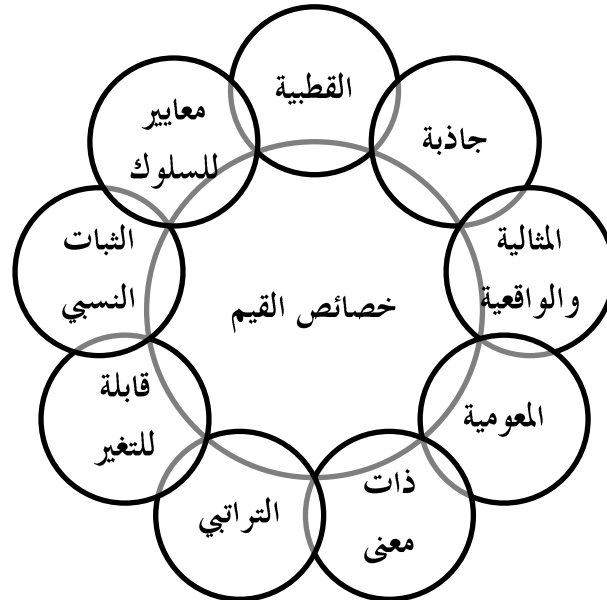
¹ - أركون محمد، جوزيف ميلا: "من مناهن لبغداد ما وراء الخير والشر"، ترجمة عقيل الشيخ، الطبعة الأولى، دار الساقى، بيروت لبنان، 2008، ص115.

تاريخية محددة، له مرجعية معينة، فمن خلال دراسة السياق اللغوي الآني (الشفوية) لا يمكن نفي وجود سياق اجتماعي ذو بعد تاريخي يمكن ان نلاحظ وجود ديناميكية حركية وسيرورة للقيم وللخطاب الشفوي.

دراسة القيم/المشاهدة على أنها خاضعة لمبدأ التواصل بكل معانية هو إنتقال من دراسة الظواهر اللغوية الواعية إلى دراسة بنيتها التحتية اللاواعية، وتجنب معالجة المفردات بوصفها كيانات قائمة بذاتها، وإتخاذ العلاقات القائمة بين هذه المفردات والمحيط الاجتماعي كأساس للتحليل، أي الاعتماد على فكرة النسق التواصلية للكشف عن قوانين عامة، أي الاقرار بوجود علاقة بين هذه المفردات (النصوص الشفوية) وعلاقات بالمحيط الاجتماعي والتاريخ يعبر عن نسق قيمي ووعي مباشرة أو بصفة غير واعية له، "أي البحث عن شكل مشترك بين مختلف تجليات الحياة الاجتماعية"¹.

خصائص القيم:

من خلال كل ما سبق ندرك وجود مساحة للاختيار الحر بالنسبة للأفراد وتوفر البدائل الممكنة مع إمكانية معرفة نتائج الخيارات بين البدائل، هذا لوجود تعلق بالقيمة، والإعلان عن القيمة والعمل بها وتكرارها. وهو ما يشكل نسقا للقيمة.

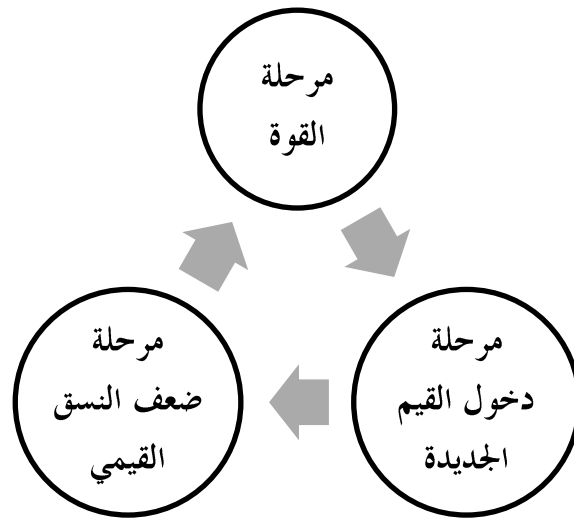


الشكل رقم (3) يمثل خصائص القيم.

¹ - عبد الله بن معمر: "الأفروبولوجيا البنوية وحدودها العلمية والإبستمولوجية"، مجلة الآداب العدد العاشر (خاص بأعداد أعمال ملتقى المناهج) مارس 2006.

النسق القيمي يتشكل تدريجياً، قابل للتغير؛ "لا يبقى ثابتاً، بل يتعرض لاختلال في توازنه، بفعل تغير العناصر المساهمة في تكوينه كالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، فأى تغير يطال هذه المحددات ينعكس بوضوح على قيم الفرد يعاد النظر في ترتيبها ومن ثمة إعادة التقييم لمعنى القيمة ذاتها إن تغيير نسق القيم تميزه ثلاثة مراحل وهي:

- المرحلة الأولى: يكون النسق القيمي الأصيل قوياً، ويكون الامتثال إليه تام أو قريباً من ذلك.
 المرحلة الثانية: التعرض للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية فتتداخل القيم القديمة والحديثة.
 المرحلة الثالثة: سيادة النسق القيمي الجديد واستقراره نسبياً؛¹ وهو ما يعكسه الشكل التالي.



الشكل رقم (4) يمثل المراحل التي تمر بها القيم.

مرحلة الانتشار والقوة تليها مرحلة المقاومة: (résistance et diffusion) ثم تليها مرحلة الاستقرار ثم مرحلة العودة إلى القيم الجديدة. سعت الأبحاث السوسيو-أنثروبولوجية إلى الإجابة عن الأسئلة التالية: كيف تتغير القيم؟ مثلاً: من خلال التفاعل الاجتماعي كيف يمكن للفاعلين إمتلاك قيم متعارضة؟ كيف يكافح الفاعلون منهم من يوزعون القيم « novateurs » وآخرون يقاومون « gardiens »؟ يجب البحث عنهم؟ من أي فئة والوسط؟ ماذا يحملون كقيم؟ ما هو هدفهم وتطلعاتهم أهدافهم؟ لماذا يدخلون في صراع؟

¹ - بوغازي الطاهر، "القيم التربوية مقارنة نسقية" مرجع سبق ذكره، ص 38.

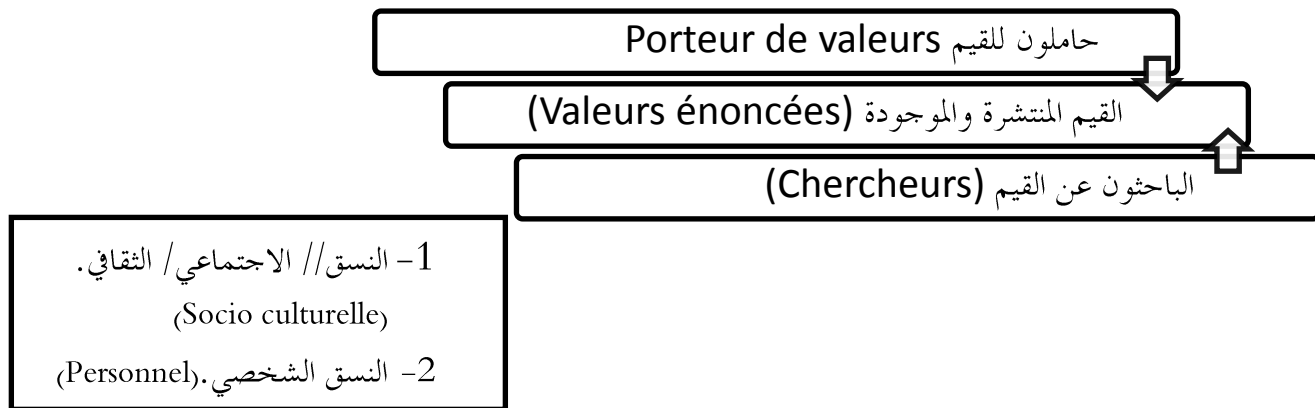
ويوضح ذلك من خلال الجدول التالي:¹

جدول رقم (2) يوضح العلاقة بين حاملي القيم.

المحافظون Gardiens	المجددون Novateurs	النتيجة
مقاومة قوية	قتالية نضالية Combativité	عنف أو صراع
مقاومة قوية	بدون عنف	توقف الانتشار
مقاومة ضعيفة	قتالية نضالية Combativité	التغير الجذري
مقاومة ضعيفة	بدون عنف	الانتشار

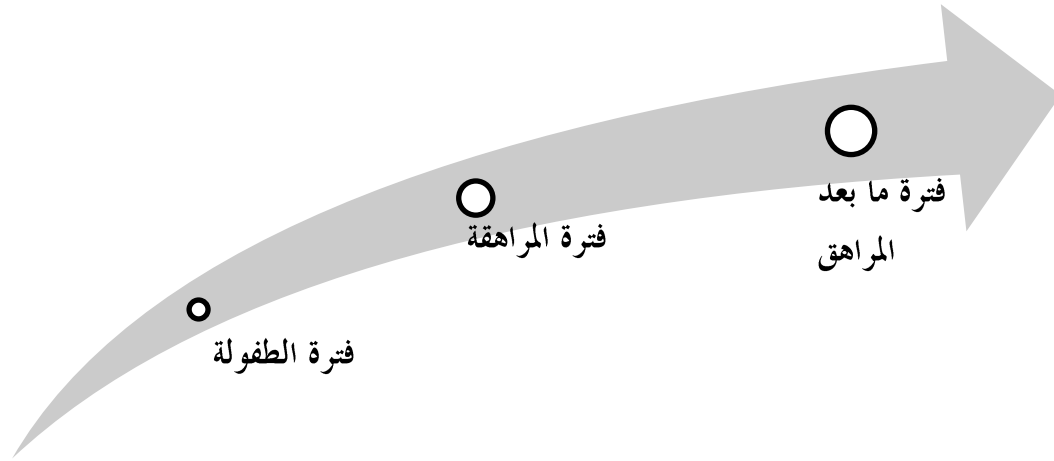
يمكن أن نجد هذه الأشكال في الحروب أو في لحظات محددة مثلاً؛ قدوم شخصيات كاريزمية توصف بأنها حاملة وحامية للقيم، يتوقف العنف والنضال على مدى الرغبة في التغيير، يبين الشكل السابق تقاطب القيم فالمجددين وقوتهم في مقابل المحافظين، نلاحظ عبارات دالة على وجود حراك قيمي "لا يمكن التغيير" كل حركة تجند إخباريين ومرسلين ومن يقومون بالدعاية. هناك من يقدمون أنفسهم كقوة تاريخية حقيقية، يقومون بالتغيير خاصة إذا كانت القيم تلي تطلعات ورغبات التغيير.

سيرورات التحليل القيمي:



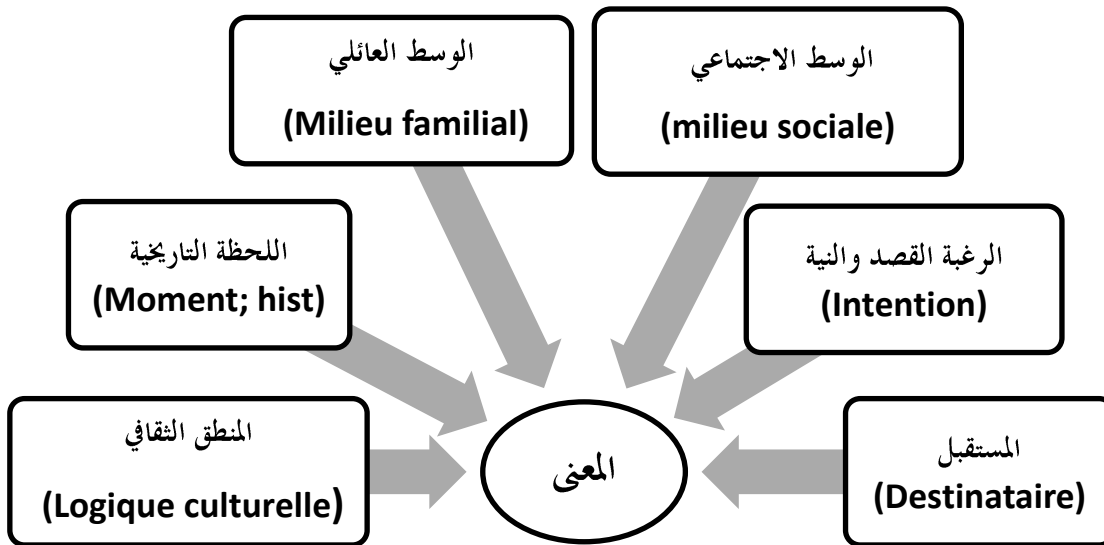
الشكل رقم (5) يوضح سرورات تحليل القيم

¹ -Rezsohazy Rudolf: Sociologie des valeurs ,ArmandColin, Paris , 2006,P. 45.



الشكل رقم (6) مخطط يبين ارتقاء القيم.

في جل دراستها، أكد الباحثون على ضرورة استجواب حاملي القيم Porteur de valeurs للوصول للفهم؛ من أجل الوصول لاكثر القيم اعتناقا أو ليوضح الفاعل ومعتقد القيم معنى سلوكه؛ يجب الاهتمام بالأفراد حاملي القيم ممن تمت ملاحظتهم أو سماعهم يعطون أفكار وخطابات، تفسير اللغة لأنها تحمل القيم التي يؤمنون بها، لكن يمكن ان يخفوا شيئا، يجب المرور من الشق الحرفي Littéral إلى الواقعي، المعنى الحقيقي يتجلى من خلال النسق السوسيوثقافي Socio culturelle، الذي يتجلى ككل مركب ضمن النسق الأدبي Littéraire. والمخطط التالي يبين النسق السوسيوثقافي الذي يحوي ثمانية عوامل يجب اخذها بعين الاعتبار من أجل التفسير والتحليل والوصول إلى معنى القيم المدروسة.



الشكل رقم (7) يبين كيفية الوصول لفهم المعنى.

المنطق الثقافي: يمد الباحث بنماذج من التفكير، المشاعر والسلوكيات التي ترسخت في البناء الاجتماعي وتعكسه القيم وفق نظام، يمكن أن يكون المنطق الثقافي حضارة ما أو بلدا ما، أو حتى تنظيم اجتماعي. مع الاهتمام بمحددات أخرى مثل:

دور الرقابة: تمثل الرقابة الاجتماعية لما يقال وما يقال، ما يظهر وما يخفي، هذه القيمة مرغوبة ام مرفوضة يجب ان تظهر أو تختفي؛ يجب الاهتمام بالجانب اللغوي وتحليلات الرقابة في المتون الشفوية من أجل فهم القيم ككل متساند. ثم يجب الاهتمام ب:

وظيفة التأثير Sa fonction influence: مرتبطة بالمكانة والدور وللوصول إلى المعنى نطرح الأسئلة التالية من يؤثر كيف ولماذا؟ هل يستند إلى المتون الشفوية في أي وقت؟، يجب الاهتمام بما هو مصرح به وما هو غير مصرح به؛ بكل دور بارز وبطرق التأثير، حسب الفضاء العام أم الخاص الحميمي.

الفضاء الاجتماعي: يؤثر على معاني القيم، قيمة واحدة يمكن ان يعبر عنها بطرق مختلفة لدى الأفراد الذين ينتمون إلى فضاءات متعددة، حي راقى شعبي، وسط عمالي، وسط طلابي، شارع... إلخ.

الفضاء العائلي: هو منطلق لكل القيم ويمكن ان تختلف من شخص لآخر، حسب السن، وحسب التجارب التي مر بها الأسرة.

اللحظة التاريخية: يجب الرجوع إلى اللحظة التاريخية التي جعلت من القيمة موضع اهتمام أو احتقار، مثل قيمة الوطنية التي ظهرت مع الدولة لكنها تختفي في لحظات تاريخية، بالرغم من أنها قيمة مشحونة مكثفة عاطفية تحشد الناس حولها، بالإمكان ان نجد أنها تخلق قطيعة بما أو معها.

النية والقصد: Intention الموجود خلف إعلان القيمة Manifestation لتظهر على دلالتها الحقيقية، لتعطي التحليل المناسب لها، قد تكون مناسبة لقصد الفاعل وتلقي مع مصالحه، كما أنها قد تحافظ على وحدة الجماعة وأي تهديد لها يؤدي إلى الثورة.¹

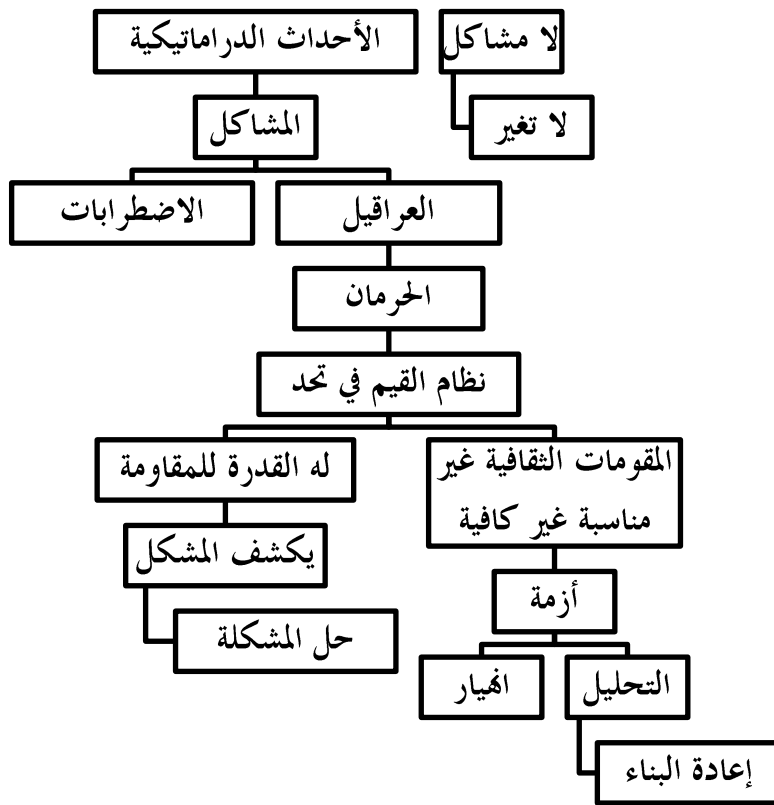
المرسل إليه: Destinataire هم الحاملون للقيم والمشاركون فيها، أو الجمهور بصفة عامة، أو المتأثرون بها.

¹ - Rezsóhazy Rudolf : Ibid,P 45.

السياق الشخصي Le Contexte personnel: المعنى الحقيقي لسلوك حاملي القيم والاهتمام بالجانب النفسي وتنشئتهم الاجتماعية، سيرة حياتهم، القيم الهامة بالنسبة لهم وغير المهمة.¹

القيم والتغير الاجتماعي:

تعالج القيم على أنها عناصر بنائية تشتق من التفاعل الاجتماعي وتتأثر بالتغير والحرك، يشعر أفراد الجماعة بالارتباط الانفعالي القوي بها في كل لحظة؛ كما أنها توفر لهم مستوى للحكم على الأفعال، سعت الأبحاث لادراك العلاقة بينها وبين التغير الاجتماعي والتغير القيمي، وتغير البنية الاجتماعية، كما هو موضح في نموذج الباحث (Rudolf Rezsosahzy) الذي يبين فيه لاضطرابات والمشاكل الاجتماعية وعلاقتها بالقيم:



الشكل رقم (8) يوضح كيفية تغير القيم.

¹-Rezsosahzy Rudolf: Ibid, P 46.

داخل كل مجتمع أو جماعة أو حتى بالنسبة للفرد، نجد إيمان بالتغير؛ القطيعة والاضطراب تمس نظام القيم بصفة جزئية أو كلية؛ يتم إحداث تغيرات وإعادة صياغة النظام فتتعرز القيم وتعمل على تساند النظام أو تقويضه، وفي حالة الفشل تتغير المعاني وتتحوّل القيم إلى نظام سكوني.

يعمل النظام الاجتماعي بصفة عامة على القضاء على القيم المضادة،¹ Contre-valeurs - يمكن أن نوضح هذه الفكرة من خلال استعارة بعض المفاهيم من محمد أركون - نفسر النسق القيمي على أنه "حلقة هوياتية" Identitaire يأخذ بعدا انفعاليا. القيم الاجتماعية راسخة وتصهر عليها مؤسسات وفاعلون، لا يمكن أن تتغير ببساطة وفي وقت وجيز. يعطينا الباحث نموذج المبني على فكرة قصص التاريخ التي تقترب من المشافهة في هذه الدراسة:

القصص² - التاريخ؛ القصص الايديولوجي وقصص بشكل عام لدى الشباب يمكن اختزالها على أنها مجموعة من العمليات اللغوية التي يكون من خلالها كل ناقل للذاكرة الجماعية - القاص، الكاتب، المؤرخ، الفيلسوف، المفسر - منظما نشط في الوقت نفسه لهذه الذاكرة - وللقيم -، فهو يقوم بدور تجميل صور الأشخاص الفاعلين والأحداث والمسلكيات؛ القيم نتاج لحظات مميزة من الماضي يتم منحها قدسية، عبر ربطها بقوى فوق طبيعة وبمسلكيات نموذجية ليجعل منها نماذج تصبح موضوعات للتأمل، لبناء الأجيال الحالية واللاحقة روحيا وأخلاقيات، يتحوّل الماضي إلى تراث حي ملموس ممتد في الزمن تدعمه ممارسات اجتماعية سائدة، اعراف وعادات عامة، تقويه سير الصالحين واولياء الله وكل ذلك يخضع لعملية ترقية تحولها إلى مركب من الصور الرمزية المثالية.³

كما أن الشفوية تحاول زرع قيم من خلال "الاسقاط" نحو ماضي تأسيسية، لا يعاش كأنه قصص بل على انه تاريخ يتم استعادته على الرغم من كونه مجرد تصورات رقيت إلى درجة "مثُل" ناتج عن (تمجيد وتزيين للشخصيات والأحداث...). كل هذا يعتبر كمنشاط مضاد يعمل على التقليل من أثر القيم الجديدة.

¹ -Rezsohazy Rudolf: Ibid,P 19-20.

² - إن تتبع مادة "قص" في القوامس اللغوية نجد أنها تعبر عن أحداث تروي (أي أنها تعبر عن حدث تخبر عنه) وهي على أنواع عبارة عن حديث يحدث به الآخر، هي حكاية ثرية طويلة أو قصيرة تسرد واقعة أو جملة وقائع من الخيال أو الواقع. القصص؛ لها عدة معاني حسب سياق الاستعمال فهي تفيد رواية الخبر أو تشير إلى الخبر المقصود أو الأثر فتقصص اثره أي تتبعه، تقصص أثر القوم، وتقصص الخبر أي تتبع الكلام حفظه. أما الحكيم فهو يأخذ معاني التتبع النقل والمشاهدة، (يمكن الرجوع إلى المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، الطبعة الرابعة 2004 مكتبة الشروق الدولية).

³ - أركون محمد ميلا جوزيف: "من منهاتن إلى بغداد، ما وراء الخير والنشر"، ترجمة: عقيل الشيخ حسن دار الساقبي، بيروت لبنان، 2008، ص 115.

فالعقل الثنوي Dualiste (خير/ شر، حق/ باطل، عدل/ ظلم ...) يجعل من الشخصيات صور رمزية مثالية تغذي الحاضر. وتعطي معنى للقيم وللسلوكيات في ضل التغيرات المتسارعة.

كما أن إستراتيجية تمجيد الأشخاص تعمل على جعلهم "محطات للذاكرة" مما يضمن تفسيراً لائقاً لكل ما هو موجود، إذن هناك سعي منهجي-للمحافظة على الوضع الراهن- كل هذا لتشكيل القيم وغرسها ووضع بدائل ممكنة للفعل، لتقبله كفعل كقيمة، يتم اختيارها دون غيرها يتم طبعها وإدماجها في بنية التنظيم، من أجل شرعنتها كقيم أبدية-أزلية وفي مرحلة لاحقة يتم ربطها بـ"المقدس" ثم تتحول إلى منظومة متكاملة وخطاب تحقيقي Performatif أي الذي ينجز فيه الفعل بمجرد قول العبارة.

الحديث عن الحكيم أو القصاص كبناء إيديولوجي له هدف أولي يتمثل في شرعنة الأفعال والسلوكيات، وإعادة تشكيل نسق المفاهيم، وتركيب تصورات قيمية، وله هدف ثانوي؛ فرض نماذج مجتمعية مراقبة ومسيطرة عليها، لكن هناك من يعتقد أنها يوتوبيا فقط، الملاحظ أن الفاعلين يستخدمون المتون الشفوية للتأكيد على إلزامية "الوفاء بالمثل العليا" خاصة أنها تتماشى مع المقدس وتعلق به فيكتسب منه الشرعية، المقبولية لدى المتداولين. مما يوفر العديد من الخيارات أمام الفعل (السلوك) لكن بتوفير الأرجح والأنسب والأحسن لانتهاجه؛ يسعى الأفراد لبلوغه ولتقبله في الأخير كفعل وكسلوك لا مناص منه (بهذا يتم تحديد وحصر السلوكات الممكنة وفق ثنائيات محددة [مرغوب/ غير مرغوب]).

كما أنه يتم من خلال الحكيم خلق محطات للذاكرة وخلق مخيال لا يزال يتحرك يتغذى على القصص التاريخي أكثر حضور في الخطاب السائد وهو يؤرخ للواقعة¹ المحلية أو الاقليمية أو حتى القومية، تسعى الأنثروبولوجيا إلى ادراك الحدث ودلالاته بالنسبة للجماعة وتحدد كيفيات تلقيه وتفسيره وكيفيات إنتاجه وإعادة إنتاجه من خلال فعل الحكيم، السرد والقصص أي تشكيله لغويا ثم المطالبة بتحويله إلى سلوكيات.

من جهة أخرى نلاحظ وجود نشاط للمقاومة (مقاومة القيم الراسخة بقيم مضادة) هذا يعبر عن قطيعة، قطيعة رمزية لها ما قبلها وما بعدها، وهو تأكيد على وجود مستويات متعددة للوجود الاجتماعي (التأكيد على

¹ - كمثال: لازال الكثير من القصص والحكي متداولة عن أحداث كالسيرة الهلالية بنفس الشخصيات، لتعبر عن تغريبتهم وتعبر عن القيم البدوية وقيم البطولة، ومثلها الأمثال الشعبية المنسوبة إلى عبد الرحمان المجدوب وقصص الأولياء المؤسسين إذ لا تخلوا أي منطقة من ذكر لهم ولكراماتهم ولدورهم في الرباط وإدارة الصراعات يجري تلقيها بصفة ممنهجة وفي أماكن وسن محدد حتى أنه يختص بما ففة دون أخرى كتخصص الأشراف (الشرفة وأنساجهم).

الوجود الاجتماعي التاريخي الأزلي والانتماء إلى الماضي الخالد والنموذج الذي يجب أن يقتدى به أو الاستغناء عنه واستبداله) غنى الموروث والمخيل وتعقيد الذاكرة الجماعية. وهو ما نعرضه في الخطاطات التالية:



الشكل رقم (9) يوضح علاقة القصص التاريخي بالأيديولوجيا ووظائفه.

نحن أمام صياغة قيم من خلال الحكيم نحن أمام بناء من الأخلاقيات وإنتاج لقيم تتغذى على التمثلات ووقائع ومعايير ومخيل اجتماعي رمزي مكثف، لازالت وفية للرمزية المخيل ومطبوعة في تصرفات الأفراد، نلاحظ إفراط في الرجوع إلى زمن تأسيس الحدث الأصلي لتقاس عليه جل الأحداث، على الرغم من أن صفة الماضي ملازمة للحدث التأسيسي إلا أنه لازال حاضرا بشكل أو بآخر، فالفعل القصصي الذي يتحول إلى قصص إيديولوجي يسهم في غرس القيم والاعتقادات ويدعم السلوكيات والتصورات ويضمن ديمومتها؛ يتم استدعائه كلما صادفنا مواقف محددة أو أحداث معينة.

كما أنه يعمل على تأمين ديمومة القيم التي تتغذى على الماضي (إعادة الماضي في الراهن) يتجلى ذلك من خلال تصريحات المبحوثين (بكري كان الوقت زين، يا حصره على بكري، منين كُنَّا حنَّا هُمَّا حنَّا... بكري هو الصَّح).

لكن على الرغم مما سبق يجب دحض العموميات المصطلح عليها والتي يجري ترديدها باستمرار والانتباه للخصوصيات الجماعات الهامشية "الشباب" وثقافتهم الفرعية، التي تمكنهم من المناورة؛ ووجود هامش للتعبير ولتبني الوافد والأشياء الجديدة، المفارقة، المغايرة والالتفاف حول الرقابة والضوابط الاجتماعية وتمكنهم من الابداع والتذوق لما هو موجود.

القيم والعمولة:

إن مسألة تغير المحلي إلى واقع معولم تفرض على الأفراد اعتناق قيم جديدة (خاصة أننا أمام أطروحات جديدة تتحدث عن موت المحلي)، نحن أمام معاني ونمط حياة جديد كنتيجة لتأثير الكونية، والعمولة الإعلامية،

تحول العالم إلى قرية، يتم اسباغ واكتساب الثقافات المحلية بمعارف جديدة غير التي يتم غرسها اجتماعيا، العولمة حسب البعض تسعى إلى تجاوز الهويات المتعددة والعرق والطائفية إلى التوحد في نظام قيمي عالمي، نحن أمام ابتكار وتشكل هوية في ضل العولمة (نحن أم واقع ومقولات جديدة مثل؛ موت الجغرافيا، عالم السماوات المفتوحة، التأثير المطلق للوسائط الجديدة... الخ) يقابله صناعة القيم محليا.

يمكن القول إن الدراسة الحالية مقارنة تهدف إلى:

- البحث عن الاشكاليات والرهانات والقيم المتحدرة.
- حصر الفاعلين ومكانتهم.
- تسجيل الخطاب والحجج
- التحليل والمعالجة.
- استنتاج القيم وترجمتها
- مقارنتها تاريخيا (recherche de analogues historique).

لكن مسألة الموضوعية تبقى مطروحة يمكن القول أن العلم ما هو إلا خطاب عقلائي ناتج عن تناول الوسط الاجتماعي، نجد فيه الثقافة، محصلة خبراتنا وفلسفتنا في الحياة، بالإمكان من خلال القيم تناول هذا الكل (في حدود ما تسمح به الدراسة) وتناول ما تخفيه المتون الشفوية من حقائق موضوعية، كما أن الموضوعية لا تعني أننا نتجاوز موضوعات على قدر كبير من الأهمية فالقيم هي رهانات مدمجة في سياق معين يتبناها الفاعلون ويفرضونها لذا يجب حصر الفاعلين (لأنهم الحاملون للقيم والمنتجون لخطاب قيمي خاص) ثم العمل على ترجمة القيم من خلال تناول علاقتها بالنظام الرمزي وكيفية انتاجها من خلاله، مع الأخذ بعين الاعتبار القوة الرمزية للمشاهدة والقيم، والحديث عن تطورها ونظامها. كنتيجة لعدم إمكانية حصر الشامل لمعتنقي القيم نلجأ إلى قطبية القيمة، من هم "مع" ومن هم "ضد" (Pour /Contre) القيم ومحاولة التعرف على خطابتهم واستخداماتها المتعددة، ثم البحث عن مقاربات ومحاولة الفهم Pourquoi les acteurs s'engagent dans telle ou telle ligne d'action، لذا يمكن الحديث عن ممارسات وعن قيم متعددة كالقيم الجديدة، التقليدية القيم المركزية والقيم الخادمة والقيم العابرة للتاريخ « Transhistorique ».

الاعتراف بعالمية القيم أو حتى عولمتها هو اعتراف بالتقاطع الثقافي؛ كمبدأ كمصطلح أساسي أستخدم لدى كثير من الباحثين مثلاً؛ في فلسفة التاريخ لدى فيكيو الإيطالي، الذي استخدمه بهدف التمييز بين "نقاط الالتقاء بين ثقافتين أو أكثر" حيث تتفاعل الثقافات بالتناقض أو الاتفاق وينتهي الأمر يذوبان إحدى الثقافتين في الأخرى (بشكل طوعي أو قصري أو رفضها تماماً)... وقد أثبت فيكيو أن تقاطع ثقافتين أو أكثر قد يؤدي إلى تغييرهما مما يسهم في إنشاء ثقافة جديدة أو أكثر... تتطور لتصبح أكثر تعقيداً أو تركيباً... وبعد ذلك انتقل هذا المصطلح من فلسفة التاريخ إلى علم التاريخ الثقافي وتحول إلى منهج لدراسة التفرعات التقاطع الثقافي وجزئياته في اللغة والتصورات الكلية المميزة لكل ثقافة في ما يختص بالدين واللغة والأسرة والمؤسسات الاجتماعية والتقاليد وأنماط أو النماذج العليا التي تجسد إما المثل العليا الثقافية (الخاصة بالثقافة المهيمنة) أو أنماط وتقاليد العمل الإبداع الفني والتكنولوجي والسلوك اليومي.¹

انتقل هذا المفهوم إلى علم النفس التربوي للإشارة إلى "لحظات تقاطع الثقافي" المتميزة في مراحل النمو العقلي للنفس الطفل، حيث تتقاطع وتمتزج أو تتفاعل (بالتناقض أو الاتفاق) ثقافة الأم والأب والمكونات (التعليمية) للبيئة (الجيران، الميراث الثقافي الشائع ووسائل الإعلام والتعليم... إلخ) في النهاية يؤدي إلى تكوين الفرد صاحب الوعي الذي يمثل "الثقافة العامة" التي تقع خارج كيانه الشخصي (إذ يصبح هو أحد تجسيداتهما) ويكون في نفس الوقت (وعاء ومصدراً ثقافياً)²، يمكن أن نجد أيضاً التفسير الأنثروبولوجي الذي يعترف بوجود قيم وذاكرة جماعية عابرة للجغرافيا وأساس ثقافي مشترك يجب اكتشافه ووجود مجال للتبادل المعمم، يعمل على عقلنة القيم لتداولين يتميزون بالتعدد والتنوع (كتراث القصصي المشترك، المنتشر في البحر البيض المتوسط) أي أننا نتلمس وجود خلفية تاريخية ثقافية تعمل على إنتاج القيم كقطب رمزي لتحديد الذات.

هناك قيم أخرى "غيرية" لا ترى في الآخر امتداد للذات بل كتهديد لها بحيث ترى نفسها مستغنية عن الآخر وتنتج خطاباً القيمي الخاص بها، وترى في الحاضر امتداد للماضي الخالد لذا يجب في الكثير من المناسبات الرجوع للماضي لإعادة فهم حركية نشوء وتطور القيم.

¹ - القيس نايف نزار، دار أسامة: المعجم التربوي وعلم النفس، عمان الأردن، 2006، ص 183.

² - القيس نايف نزار، دار أسامة، مرجع سابق، ص 183-184.

البحث محاولة للتطرق للتحويلات الثقافية التي فرضتها التطورات الاجتماعية (كتغير البنية الاجتماعية) والتغيرات الاقتصادية التي عرفتها مجتمعاتنا المحلية، نتيجة التفاعل مع المحيط القريب أو البعيد مما يؤثر على منظومتنا القيمية (لنتساءل هل هي مؤطرة ضمن ثوابت ومتغيرات "مرجعية موحدة" أم العكس؟).

منظومة القيم هي إحدى المكونات الثقافية التي تتميز بانتمائها لثنائية المحلي، العالمي، يمكن الوقوف عليها لألها جزء معبر عن الروح الجماعية المشتركة وأتماط السلوك الجماعي. القيم تعبر عن هذا الاشتراك وهذه الروح الجماعية من خلال اللغة. يمكن أن نميز أكثر من حالة من التفاعل القيمي كل هذا من أجل تجاوز المفهوم الشائع والسلبى للعولمة والمعولم؛ مثل: حالة الغزو والاختراق والإبادة الثقافية والقيمية؛ علاقة بين الثقافة ومنظومة القيم علاقة هيمنة وغزو اعتماد على القوة التكنولوجية ومحاولة خلق تبعية ثقافية؛ حالة الممانعة الثقافية القيمية، أي مقاومة الوافد والرضى بالثوابت؛ حالة التبادل القيمي أو الثقاف التلقائي؛ والبحث محاولة للحديث عن القيم والاشباع القيمي خاصة مع ثورة التكنولوجيا وتطور الاتصال.

يمكن الرجوع إلى آراء جان بودريار Jean Baudrillard الذي استخدم توصيف "الصورة الزائفة" هذا المصطلح للإشارة إلى النسخة البعيدة كل البعد عن القيم والواقع الأصلي، يحاول من خلال هذا الطرح أن يبرهن على ان الصورة الزائفة لحقبة ما بعد الحداثة (التي أحيانا وليس دائما، تتشكل عبر إحدى وسائل الإعلام الرقمية) بدأت تحل محل الأصل حتى أصبح من المستحيل التمييز والتفرق بين ما هو "حقيقي" وما هو زائف "إن المحاكات الواقعية المفرطة مفهوم مفسر، يمكننا من فهم المجتمع المحلي البسيط ونقصد بالمحاكات كل ما "يتولد عبر نماذج لواقع ليس له من الأصل أو الحقيقة، بمعنى آخر هو واقع الزائف" إذن فالواقع زائفا أو الواقعية الزائفة المفرطة هي شكل من أشكال الواقع تسيطر عليه الصورة الزائفة الناتجة عن عملية المحاكاة.¹ يحق لنا أن نتساءل هل القيم اليوم هي تعبير عن الواقع المحلي الثابت التاريخي أم أنها نتاج الواقع الافتراضي في عالم السماوات المفتوحة؟

يمكن القول ان القيم ما هي إلا رأس مال ثقافي، يشير إلى معرفة ثقافية يمتلكها الأفراد ينتجونها ويتبادلونها (كرأس مال رمزي) تضمن لهم معرفة آداب التصرف والكلام وطريقة السلوك ومعرفة كل ما يتعلق بالتبادلات والتفاعلات، وهي عبارة عن مهارات مختلفة عملية ومعرفية يكتسبها بشكل فردي أو مؤسسي أو بطرق أخرى خارج الثقافة نفسها، وهي الضابط لتفكير الفرد وسلوكه.

¹ - أناي موني بيتسي إيفانز: "العولمة المفاهيم الأساسية"، مرجع سابق، ص 198.

يمكن اللجوء إلى فكرة الاغتراب، لتفسير التغيرات القيمية الحاصلة على مستوى الذات والمجتمع " الذات المنقسمة أو كما وصفه رونالد ديفيد لاينج Laing الذي أشار إلى الشخص الذي تنقسم خبراته جميعها بطريقتين رئيسيتين، في الموضوع الأول يوجد صدع أو انقسام في علاقته بمجتمعه (العالمي)، وفي الموضوع الثاني يوجد تمزق في علاقته بذاته وبالوسط المحلي، في الفكرة السابقة إشارة واضحة إلى تأثير العولمة على الأفراد وإلى شعورهم بالإغتراب عن أنفسهم وعن بيئتهم بسبب العمليات المتصلة بالعولمة والتي تؤثر على التجربة على المستوى المحلي.¹ المؤكد أننا أمام تغيرات جذرية وقيم تتميز بالتعدد والتقاطب وهي من حيث المرجعية تتجاوز المحلي والثقافة والوطن.

عززت العولمة من أنماط جديدة ظهرت "كأسلوب في الحياة" وأشكال جديدة من التنظيم نلاحظ " بروز سلوكيات وممارسات استهلاكية وآراء واتجاهات محددة... قد نفرق بين أسلوب الحياة الفردية والاجتماعية، الأسلوب الفردي يعني أن نتصرف بصفتنا أفراد، كما يوحي الأسلوب الاجتماعي أننا نتصرف بما تمليه علينا عضويتنا في الفرق الاجتماعية مثل الجنس والطبقة الاجتماعية...² نلاحظ أن هذه الأنماط توفر وتفسح للاختيار بين بدائل وسلسلة من الاتجاهات تحدد نوع من الخصائص والقيم السلوكية نلاحظ أننا أمام نمو للترعة الاستهلاكية... وتحول أشكال النشاط الإنساني إلى سلعة ليغمر السوق حقول الحياة الاجتماعية كل هذا ناتج عن قيم نسعى للبحث عنها وعن فهم معانيها.

¹ - أنابي موني بيتسي إيفانز: العولمة المفاهيم الأساسية، مرجع سابق، ص 161-162.

² - أنابي موني بيتسي إيفانز: العولمة المفاهيم الأساسية، مرجع سابق، ص 49.

الفصل الثاني

ماهية الشفويات

تمهيد:

أجمع العديد من المختصين على ضرورة الاهتمام بالتقليد الشفوي فهو يمثل التراث التاريخي الحاضر اليوم، هو لواء تنضوي تحته مجموعة بشرية معينة يعبر عنها، يعتبر بمثابة بطاقة تعريف جماعية تحدد معالم العلاقات داخل تلك المجموعات البشرية؛ يُثبَّت به الانتماء، يسمح بالتعريف بالوقائع والأحداث، -نفترض أنه- من خلال ترديده تبيين المكنات والأدوار. التقاليد الشفوية على تنوعها تعتبر "بمثابة مكون لغوي على علاقة بالذاكرة الجماعية الحية تحمل في طياتها حكمة وموعظة تحدد للإنسان سلوكه الاجتماعي وتمكنه من اكتساب دراية"¹ تناط بالتقليد الشفوي عدة وظائف داخل المجتمع كالتوعية، العبرة، ترسيخ الهوية وتخليق الحياة اليومية، التسلية والترفيه... الخ، ويعد المقول على وجه الخصوص مرآة للمجتمع ولذهنيات أفرادهِ وهو يفصح عن ماهية اعتقادهم."²

التقليد الشفوي؛ تحديد المصطلح:

الشفوية لغة واصطلاحاً:

بالرجوع إلى الموسوعة العالمية Encyclopédie Universelle نجد أن مادة شفوي (Orale) تستخدم كصفة لتدل على ما يتم التلفظ به (exprimé par la voix, relatif à la bouche)، ضمن نفس الموسوعة نجد أن مادة "شفوية" تعني الصوت المنبعث عن طريق الفم فقط، ومصطلح الشفوية يستخدم كاسم يحيل ويعبر على الكلمة المنطوقة التي تقابل المكتوب la voix l'écrit؛ أما في علم النفس نجد نفس المصطلح الذي يعبر عن "المرحلة الشفوية"؛ أي مرحلة من مراحل التطور اللغوي/النفسي للرضيع. لكن بالرجوع إلى المعاجم والقواميس المتخصصة نجدها موضوع مركزي مشترك للعلوم الإنسانية والاجتماعية. إن ارتباط المفهوم بأكثر من اختصاص يجعل معانيه متعددة ويُصعب من عملية التعريف، هناك تعريفات تضيق المفهوم وتربطه بتخصص واحد، تعريفات أخرى تجعله واسعاً، كما أن الإحاطة-مطابقة-كل التعريفات أمر في غاية الصعوبة. تتفق قواميس اللغة على أن "مشافهة" من المصدر "مُفَاعَلَةٌ"، تدل على الممارسة؛ مثلاً؛ في لسان العرب نلاحظ وجود معاني متعددة وسلسلة من الدلالات تفرض نفسها على الباحث وهي تشير إلى كل المعارف غير المكتوبة، التي تتميز بأنها "موثوقة" لدى معتنقيها (تشير إلى مقولات لغوية غير مكتوبة عبارة عن بناء يرى الأفراد أنها ملائمة ومعبرة عن الواقع)، إلا أن المنشغلين

¹ - الحاج بن مومن: "استراتيجية الخطاب لدى العرب الرحل" سلسلة ندوات ومناظرات رقم 163، التراث الشفوي وسؤال الهجرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط المغرب، الطبعة الأولى، 2006، ص34.

² - الحاج بن مومن نفس المرجع السابق، ص35.

بالأنثروبولوجيا علم الاجتماع والفلكلور ابتدعوا مفردات حافة تتقاطع معها أو تتجاوزها؛ في كل دراسة يجد الباحث نفسه أمام محاولة بناء متجددة للمفاهيم نحن أمام مفاهيم تستفيد من الأطروحات الموجودة في العلوم الاجتماعية والإنسانية ككل لكنها تتفق على وجود علاقة بين الشفوية والمجتمع وإمكانية دراسة المجتمع من خلال المادة الشفوية.

المشاهدة هي مجموع أقوال "من مادة" قول"، هو كل ما ينطق به الإنسان بعد فترتين من الصمت سواء كان كلمة أو عدة كلمات أو جملة أو عدة جمل... يحمل معنى مفيدا، يتبع نظاما نحويا يتميز بالعمومية...¹، عرف الباحثون الشفوية بأنها ظاهرة لغوية؛ فمتى أخذ الإنسان في الكلام والحديث فانه يخرج من وضعية السكوت التي هي شبيهة بالسكون وينتقل إلى وضعية جديدة هي الأخذ في القول إذا ينطلق لسانه ومنذ تلك اللحظة ينكشف سلوكه اللغوي للمخاطب -أو القارئ- عن طريق ما ينم عنه من المفردات والتعبيرات. لكن الشفوية تتجاوز هذا الطرح المبسط لأنها تتميز بخصائص ترفعها وتميزها عن القول العادي والعابر، نجد أن الباحثين يستخدمون مفاهيم أخرى مثل:

التقاليد الشفوية، هي الثقافة التي تنتقل من جيل إلى آخر عن طريق الكلمة المنطوقة وليس عن طريق الكلمة المكتوبة، "يستخدم الاصطلاح عادة فيما يتعلق بالجماعات "الفطرية" التي ليست لها لغة مكتوبة ومع ذلك توجد في المجتمع الصناعي الحديث الكثير من التقاليد "الشفوية" غير الرسمية التي تستمر جيلا بعد جيل بدون أن تدون كتابة،"² نجد من الباحثين من يعوض مصطلح مشافهة، شفوية ب"المتن الشفوي اللغوي" يقصد به مجموعة من النصوص تشكل مادة للبحث، وهو مادة لا يستغنى عنها في الأنثروبولوجيا. المتون الشفوية جزء من اللغة، لا يمكن الإحاطة بها في كليتها لذا يلجأ الباحث الميداني إلى جمع المتون؛ الأجزاء الثابتة المنقولة ثم يضيف إليها التحليلات المتتالية للأفراد كل هذا لفهم المجتمع. المتون تم إنتاجها في فترات زمنية مختلفة تتميز بأنها "غنية بالمواقف والإحالات الحية والتمثيلية، تسمح بتطبيق تقنيات للتحليل".³

التقليد الشفوي هو جزء من التراث-الشفوي؛ وهو يعرف في اللغة العربية؛ "من مادة (و. ر.ث)، تجعله المفاهيم القديمة مرادفا ل"الإرث" و"الميراث" وهي تدل على ما يرثه الإنسان من والديه وقد فرق قديما

¹ - معجم مصطلحات اللغة ص 134.

² - معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ص 296.

³ - زيتوني لطيف: "معجم مصطلحات نقد الرواية"، عربي انجليزي فرنسي، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، لبنان، 2002، 141.

بين "الميراث" وهو خاص بالمال و"الإرث" وهو خاص بالحسب وهو جزء من الخطاب المعاصر ليحيل إلى الموروث الثقافي والفكري.¹

التقليد الشفوي يخرق الكلام العادي ويوازيه ويرتبط بكل شيء؛ عبارة عن خامات تعبيرية مستعارة؛ هو عبارة عن طقوس كلامية ترتبط بالحياة اليومية، يتميز بالتعدد والتنوع كالنوادير، الأحاجي، الأحاديث اليومية، الألغاز، أشكال التلاسن، الكنايات، النعوت والأوصاف، وجل العبارات المرتبطة بالوضعيات الجسدية كالتحية، "عبارات التحية"، أشكال النداء مثل الشعارات الشفوية للباعة، كما أن الشفويات ترتبط بطقوس التجميع أو التفريق؛² هي نصوص يصهر الأفراد على ترديدها ويعتقدون بقوة الكلمة الشفوية وأثرها البالغ؛³ وهو ما تدل عليه الأمثال التالية: "الحديث قياس فيه الفضّة وفيه النحاس"؛ كما أننا نجد العديد من العبارات التي تركز على ضرورة الاقتصاد في الكلام وتعطي أولوية للكلمة المسموعة-الموزونة مثل نصح المستمع دوماً بالعبارة التالية "كُلّ الحديث، الكلام الزّين يَغْدَى مع الدّية، كآين لي جوابه في فُمه وكآين لجوابه في كُمه وكآين لي جوابه عند أمه" ونجد أيضاً المثل الذي يرجعه الأفراد للمجذوب: "لا تسرّج قبل ما تلجم وعقد عقدة صحيحة؛ لا تتكلم قبل ما تخمّم لا تصرّك فصيحة."

إذن التقليد أو التراث، الشفوي هو عادات الناس وتقاليدهم، جل ما يعبرون عنه من آراء، أفكار ومشاعر، يتناقلونها جيلاً عن جيل، يتكون الجزء الأكبر من التراث-التقليد الشفوي-من: الحكايات الشعبية والأمثال والأساطير، ويشمل على الفنون "القولية" كالأغاني، والحكايات الشعرية والأمثال السائرة والألغاز والأحاجي والمفاهيم الخرافية التي تبرز أساساً في الاحتفالات والأعياد الدينية. يرددها الشعب-بمعناها الخاص هي مجموعة من الناس تشترك في عامل تواصل مشترك، واحد على الأقل، ربما يكون جغرافياً، أو عرقي أو ديني، أو مهني (الجماعات المهنية).⁴ كلها قد تشترك في قصص البطولة الأغاني والمعتقدات الخرافية. وغيرها من الألوان التي لم تنل حظها الوافي من الدراسة والاهتمام.

حسب **لاكوست دي جاردان** هي كل التعبيرات غير المكتوبة التي ينتجها الفرد من أي جماعة كانت، لها شكل معين؛ أنتجت لكي تتكرر وتنتقل من وسط إلى آخر أو داخل نفس الوسط داخل نفس الجماعة التي

¹ -الجابري عابد محمد: "التراث والحداثة" مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، 1991، ص22.

² - هناك مجموعة من الطقوس ترتبط بما عبارات وشفويات تردد دوماً على الرغم من أفولها إلا أنها لا زالت تردد في الأعراس الماتم وفي المناسبات (طقوس العبور)

³ - التركيز على وصف ما هو موجود (العيش في الركب ولأ الكتاب، تخليد للرجال والأعلام الأولياء وفة الحارين أي الأجواد).

⁴ - الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، الناشر أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1999، ص181.180.

أنتجتها وتكون بالتالي جزء من ثقافتها، ما من أثر "شفوي" إلا وجدنا فيه رواسب نفسية موعلة في القدم، تعود إلى عهد قدم؛ التقليد الشفوي أصدق في الدلالة على النفسية الشعبية من الوثائق وروايات أصحاب التاريخ.¹

التقليد الشفوي يكاد معناه يتعدى الجانب اللغوي ليدل مجازا على المعتقدات والعادات الخاصة بحضارة ما. وهي اليوم محملة بشحنة وجدانية ومضامين إيديولوجية، تشير إلى ما هو مشترك بين الجماعات -مثلا- "كالتركيبة الفكرية والروحية التي تجمع بينهم لتجعل منهم جميعا خير خلف لخير سلف وهو بالنسبة للوعي حضور الأب في الابن والخلف في السلف والماضي في الحاضر؛" يجب النظر إلى التراث لا كبقايا ثقافة الماضي بل كعقيدة، توجه ومفهوم أساسي بل هو المعرفي والإيديولوجي والوجداني معا.²

التقليد الشفوي عادة ثابتة متكررة، دائمة ملازمة للمجتمعات الإنسانية؛ يرى مالمينوفسكي أن: "العادة أسلوب مقنن من أساليب السلوك يتم فرضه بالتدرج على المجتمع المحلي، يتخذ صفة الإلزام، يتصل مع نواحي أسطورية، طقسية أي عادات وتقاليد مجتمع معين... تقوم بتكريس ديمومة الحدث الاجتماعي أو الأسطوري - من خلال اللغة- إذن هي إعادة خلق وإحياء الماضي لكن القائمين عليه يرون أنه فعل ديني؛"³ التقليد الشفوي يتلازم مع الكثير من العادات غير القولية ويعمل على تفسيرها وتقديم رؤية عنها.

الأدب الشفوي:

يستخدم هذا الاصطلاح بديلا لمفهوم "التقاليد الشفوية، أو الفلكلور" وهو يحيل إلى مواضيع مختلفة ومتباينة من حيث الشكل والمحتوى، يحيل إلى طبيعة الإرسال الثقافي الشفوي (النكت، الطرف، الحكايات، الحكايات البطولية والخرافات، العجائبي... الخ) الذي يقابله نظام الإرسال الكتابي، هذا الإرسال الثقافي الشفوي يرتبط بالمعرفة، الدين، الأساطير... الخ، لا يمكن نفي الجانب الجمالي عن هذه الأعمال، يرى كثير من الباحثين أن هذه المواد "طبيعية، جماعية، شعبية" قد تتعارض مع الأدب المكتوب الذي أنتجته النخب المتنورة هذا الأخير يتضمن ويشمل موضوعات قابلة للدراسة مصطنعة، مفكر فيها تنتمي إلى الثقافة العاملة. إذن الأدب الشفوي "مرتبط بالإنسانية الأولى"⁴ وهو مهدد بالزوال والاندثار لهذا يجب أن يخضع للتثبيت الكتابي، كانت البداية مع

¹ - بداك شابحة: "الممارسات السحرية للمجتمع القبائلي"، منشورات دار السعادة، الجزائر. ص 08-10.

² - الجابري عابد محمد: نفس المرجع السابق ص 24.

³ - بداك شابحة: مرجع سابق. ص 58.

⁴ - أوزوالد ديكر، جان ماري سشافير: "القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان"، ترجمة منذر عياش، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، 2007، ص 544-545.

الأخوين غريم، آرون وتمبسون ولاحقا فلادمير بروب، بول زمتور... الخ.¹ الذين بينوا أن الأدب الشفوي يتميز بالتعقيد، التداخل وهو موزع على كل المجتمعات (بالإمكان أن نجد نفس "التييمات"، المواضيع ونفس المواد الشفوية) تتميز بالحضور الدائم "حتى لو إنتضمت تبعا لقيود مختلفة جزئيا عن الأدب المكتوب".²

التقليد أو الأدب الشفوي هو عبارة عن تراث لساني مشترك، ممارسة أو نشاط كلامي مختلف الأجناس (غير متجانس ولا يمكن أن يفصل بين أشكاله وموضوعه التي تحيل إلى الذات الاجتماعية) اهتمت الأنثروبولوجيا بالتقاليد الشفوية في المجتمعات "القبيلية" دون الاهتمام بمقارنتها بالمفهوم الشائع اليوم أي "الأدب، الأدبية" وتجاوزته لدراسة فنون الأداء (بالتحديد اهتمت الدراسات بالتأليف، الإرسال، والأداء)³، بوصفه يمثل وضعاً تواصلياً خاصاً، وأساس لنقل التقاليد الجماعية للمجتمعات غير الكتابية⁴، أو تلك المجتمعات التي تمثل فيها الكتابة وظيفة هامشية، بل أكثر من ذلك تم الاعتراف بها على أنها "أدب تقليدي"،⁵ يرقى من حيث الدقة والجودة "للأدب العالم"، وشكله الحالي ناتج عن طبيعته التاريخية ووظيفته الاجتماعية؛ إذن فالتقليد الشفوي هو "أدب شعبي؛ هو تعبير يقوله ويتداوله... فئة من الناس ليصوروا به حياتهم ويرسمون إيقاعات وتفصيل عيشهم اليومي".⁶

كما أن التقليد الشفوي "يستوحى من الشعب موضوعاته، يعبر عن مختلف طبقاته، يفيض بروحه، يعبر عن ذوقه ومشاعره، يصور عقليته ومستوى حياته ويميز شخصيته وثقافته صادر عن فرد أو جماعة، ناشئ في قرية أو مدينة، لا يشترط أن يكون بلغة عامية، بل هو كل أدب يصور حياة الشعب... هو تعبير لغوي عن الممارسات السلوكية الكائنة والمتوقعة".⁷ نلاحظ أن الباحثين يستخدمون اصطلاح الفولكلور كبديل للمصطلح التقليد الشفوي. إعتبره الكثير من الدارسين الجزء اللامادي من الثقافة؛ "الفولكلور" نعني به دراسة الأنماط الشعبية أي ما اتصل بالجماعة "الشعبية" وإبداعاتها "الفولك" هم العامة؛ الفلاحون، الطبقة الدنيا، غير المتعلمين؛ أما "اللور" فهو

¹ قاموا بدراسة للمواد الأدبية الشفوية وقاموا بالمقارنة بينها، هي دراسة لنطاق جغرافي واسع (تجاوز أوروبا) وبينوا أن هذه المواد تخضع لمبدأ التماثل والتشابه وأفادوا بأنه هناك "أصل" واحد لكل التنوعات أي أنها تتبع قالب كوني، والدليل هو وجود تكرار لصفات ثابتة ولقوالب متشابهة (الاستعارات والكلمات والأساليب التي تتميز بالثبات) لكن هناك من يرى أن الأعمال الأدبية الشفوية اليوم هي تشكل من أعمال مركبة ناتجة عن تجميع لكل الأعمال السابقة وبهذا فهم ينفون الافتراضات التي ترى أن الأدب الشفوي ناتج عن مبدع فردي (اهتموا بالقصائد الملحمية الهومرية، الإلياذة والأوديسة والأساطير الأوروبية المشهورة مثل بيولف Beowulf)..

² - أوزوالد ديكر، جان ماري سشافير، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، مرجع سابق، ص 544-545.

³ - أوزوالد ديكر، جان ماري سشافير، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، مرجع سابق، ص 550-551.

⁴ - أوزوالد ديكر، جان ماري سشافير، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، مرجع سابق، ص 548-549.

⁵ - لاحظ الباحثون أنه موجود في المجتمعات الصناعية وهو يشبه الآداب الموجودة في المجتمعات الموصوفة بأنها "تاريخية، بسيطة، بدائية".

⁶ - ابراهيم الحيسن: "الشفوي والبصري في الموروث الأدبي والجمالي الحساني" سلسلة أبحاث، منشورات وزارة الثقافة المغرب، مطبعة دار المناهل، الرباط المغرب، 2010، ص 27.

⁷ - ابراهيم الحيسن، مرجع سابق، ص 28.

القديم؛¹ الموروث الأدبي الشفوي العامي، التقليد الشفوي أو الفلكلور؛ هو أدب القرية وأدب الشعب لكن هذا لا ينقص من قيمته. هو تراكم لخبرات فكرية ومادية تشكلت عبر الأجيال، ذو حركية وديناميكية. جل الدراسات أجمعت على أنه من الصعب الفصل بين المتن الشفوي وسياق التداول، الأداء والجماعات المختلفة التي تؤمن به وتحاول المحافظة عليه، أي المحيط الاجتماعي الذي أوجدت فيه، فهو يرتبط بمحددات "هنا الآن-الحاضر" والعلاقة مع "الماضي" فالمشاهدة عبارة عن نظام استعمالي وظيفي ليس مستقلا عن الأفراد الذين يرددونه؛ يراد له أن يحقق "شيء"؛ التلفظ به يتم لغاية، كأن يشير إلى زمن ذو طبيعة خاصة يجعل من الأفراد مرتبطين به وهو ما تشير إليه لإحالات التي يزر بها المتن، هو تعبير "رمزي" مكثف عن موقف من طرف المرسل أو المنتج (يريد المرسل الإفصاح الإبانة والتبليغ عن شعور، أي الوظيفة التعبيرية) كما أنه من جهة أخرى غني بعبارات الإشارة للأنا والآخر وعبارات النهي الأمر النداء والاستفهام بغية، التأثير أو الحث على الاستماع أحيانا، أي أنه يخدم وظيفة، (مثل الوظيفة التأثيرية) يضاف إليها وظيفة الإقناع الغاية منها التوجيه والحث على تعديل السلوك؛ كما أنه يتضمن وظائف أخرى تقدر من طرف المرسل إليه، يتوصل إليها مباشرة حسب سياق الحال؛ الملاحظ أن القائمين على الاتصال، مثل المرسل يعملون على الاستعانة بالمعجم اللغوي المشترك للجماعة؛ يُحوّلون المتن إلى خطاب مضمّر يخفي القيم يعوضون الأفعال الإنسانية بالأفعال الأسطورية والحيوانية لخدمة غاية ولأداء معنى. الشفويات خطاب ضمني لا يعبر عن الوقائع والمواقف صراحة بل يفهم منها حسب ظروف التخاطب مثل المتون الوعظية التي تدعوا للتدبر جلها تتميز بإحالات ضمنية -مطلقة- يراد لها أن تتجاوز الواقع أي الإشارة إلى تجربة ناجحة يمكن أن نقيس عليها كل السلوكيات، تجربة تتميز بالعقلانية من جهة وبالديمومة من جهة أخرى لا ترتبط بالزمن "هنا الآن" وهي ترتبط بالقواعد العامة الناظمة للسلوك؛ تجربة تتجاوز اللغة تتضمن التحذير والنصح لترسيخ الأقوال على أنها حقائق لا مفر منها، يسعى المرسل إلى ربط ذاته بتجربة وإحالات إلى تجارب أخرى مشاهمة، هذا الارتباط غير مباشر يخدم وظيفة تأكيدية، لكن الأفراد ينتقلون مباشرة من المتن إلى التجارب الأخرى **مثلا**: الربط بين تجربة الشيخ الناجحة وتجربة المرید الذي يعتبر في بداية الطريق، الإشارة إلى تجربة تصادم مع تجربة الآخر.

نلاحظ أيضا أن الكثير من الدراسات تستعين بمصطلح "الشعبي" للتعبير عن طبيعة التقليد الشفوي، هي صفة ملازمة للمنتجات الشفوية وفي كثير من الأحيان يقصد بها الاعتيادي، التافه، الوضع، الاعتيادي المؤلف أو واسع الانتشار،² لدى فئة أو مجموعة أفراد، هي إشارة إلى الذوق العام، (كل ما ينسب إلى الناس العاديين).

¹ - الرفاعي سيد: "المأثورات الشعبية؛ النظرية والتأويل"، الناشر المدى، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، 2005، ص13-14.

² - أنظر إلى الملاحق "مادة فلكلور" وتعليقات الباحثين كما وردت في جل القواميس المستخدمة في هذه الدراسة.

"الثقافة الشعبية" تعرف بأنها تحظى بالتفضيل على نطاق واسع يرددها كثير من الناس، تستخدم بشكل واسع اليوم للتمييز بينها وبين الثقافة العالمية والثقافات الأخرى وهي تتضمن الثقافة الجوهرية. جزء من التعريفات السابقة ينطوي على "السلبية" الإيجاءات التحقيرية، مثل الأذواق الدونية والسجاياء المختلفة عن الآخر، وهي لا تشير إلى الرفيع¹، بل تشير إلى كل ما يحضى بالموافقة لدى عامة الشعب. كل ما يعتقد عامة الشعب، بصرف النظر عن الأسس التي تقوم عليها معتقداتهم، وهي مجموع الآراء العامة التي تتميز بالتكامل والثبات، أقوال ومتون ذات الشهرة لدى الجمهور المتشعب (متعدد الجوانب). إذن **الثقافة الشعبية** تعتمد على قاعدة المشاهدة وهي "مدونة" الناس، أفكارهم وذاكرتهم، تنقل جيلا عن جيل مما يعرضها للإضافات، التغييرات، التحويلات، التحريف والاحتواء... تضم آداب السير، الملاحم، الخرافة، الحكاية، الأشعار، الأغاني، الأقوال السائرة، الأمثال، الحكم والألغاز والألعاب والمهارات والمعتقدات والمعارف²؛ يعرفها **بورديو** بيار³، بأنها "هي المادة التي خلقها ويتداولها الشعب وهي بالرغم من رواجها الكبير مقصات من أنظمة التعليم والإدارة والدولة".

من الصعب تحديد معنى "شعبي"، هل هم الفئات الهامشية، الحرفيون، العمال، أم المقصود بها الفئات العاطلة عن العمل، هل يقصد بها عامة الناس التي تتأثر بسهولة بالقرار السياسي والاقتصادي (لأنها تتميز بالجهل والأمية) هل هم الأفراد "الموجودين في فضاء عمراني محدد يقابلها "الخاصة، الأعيان" أي الفئات التي تتميز بالوجاهة والمقام الرفيع⁴، أو النخب العاملة. "الشعب" في لسان العرب يستخدم للتفريق أو الجمع⁵، ويستخدم للإشارة إلى مجموعات من الناس لا تجمعها محددات أو أطار واحد، هي تستخدم في الخطاب اليومي -عادة- لتدل على العام، الدوني، السوقي والذوق الهابط حتى ولو كانت إبداعات ذات انتشار واسع، وتعني الثقافة الشعبية الثقافات التي تتعارض في منطقتها ولغتها وصورها ومحاورها ومرجعيتها ومقصديتها مع الثقافة الرسمية العاملة، هي

¹ - طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس: "مفاتيح إصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع"، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، سبتمبر 2010، ص 432.

بالرجوع إلى المرجع السابق نجد أن: إن مادة أو عبارة الشعب أو الشعبي في معجم مصطلحات الثقافة تنوع على (عبارة الشعب/الشعبي من اللاتينية (Popularis) أي ما ينتمي إلى الشعب وهو يشير إلى الممارسات الاجتماعية والثقافية وهي تعريفات ليست حيادية) نجد في نفس المعجم عبارات أخرى مثل Poplicus التي تعني العامة و كلمة Publicus التي تشير إلى نفس المعنى لكنهما ترتبط بالكلمة اللاتينية Pubes التي تعني البالغين أي المؤهلون للعضوية في العام ليقابل الخاص، المصالح، المشترك، وكل ما تنشئه الدولة.

² - خواجه أحمد: الذاكرة والتحويلات الاجتماعية من مرآت الأغنية الشعبية، حالة تونس الحاضرة قبيل الحماية أثناءها وبعدها، منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس 1998. ص17

³ - نقلا عن الباحث خواجه أحمد (P. Bourdieu, Vous avez dit populaire, in Acte de la recherche en science sociale, n46 Mars) 83.2, P98-105.

⁴ - خواجه أحمد، المرجع السابق ص17

⁵ - لسان العرب أنظر مادة شعب، "تستخدم للجمع والتفريق مثلا القول بوجود شعب صغير من شعب كبير يقصد به وجود صلاح أو إصلاح قليل وفساد أو إفساد كبير، ومن هنا فهي تستخدم للتحقير أو التصغير وهي تشير إلى معاني أخرى..."

الثقافات التي تتكلم بلغة العوام وتعكس ذهنياتهم ورؤيتهم للعالم. يبنى هذا التعارض مع الثقافة الرسمية أو العالمة على التعارض في أشكال التبليغ والتواصل والنقل أكثر من المضمون"¹، يرى الباحث أحمد خواجه بأنه لا يوجد فرق بينهما، كما أنه يضيف بأن الاستهجان الممارس على الإبداعات الشعبية والانتقاد الذي تتعرض له هو احتقار لمكانات ومراتب اجتماعية وليس احتقار لنمط المعرفة الذي تتضمنه الثقافة الشعبية الشفوية.

إن صفة "الشعبي" لا تقلل من قيمة التقليد الشفوي لأن "الجماعة الشعبية كانت تعنى الأمة ثم تحولت للدلالة على الناس غير المتعلمين، أو الذين يعيشون على هامش المجتمع المتحضر"². يمكن أن تدلل كلمة "شعبي" على عامة الشعب؛ كل الناس دون افتراض وجود محددات مثل، الأمية، غير المتعلمين، البدو، القرية،... الخ؛ الملاحظ أن الفنون القولية موجودة ومستخدمة من طرف كل الفئات الاجتماعية. اليوم أصبح مفهوم الثقافة الشعبية والفولكلور يدل على نوعية التفكير ونمط السلوك الذي يمارسه الناس في مجالات آنية معاصرة في نطاق المحيط الاجتماعي والثقافي للمجتمع المنتج له. هو حكمة الشعب وأدبه الذي لم يتعلمه من الكتب، هو علم الشعب في شكل مأثور، يستخدم الكلمة أداة له، يعرفه تايلر Taylor بأنه "يتكون من المواد التي تنتقل تقليدياً من جيل لآخر دون إسناد يعيده إلى مبدع حقيقي أو مؤلف معين، أما ويليام باسكون William Bascom يرى أن الفولكلور هو علم الأساطير والحكايات الشعبية بأنواعها والأمثال والألغاز والشعر الشعبي، وغير ذلك من أشكال التعبير القولي التي تعتمد على الكلمة المنطوقة"³.

الشفويات هي إشارة إلى الإنتاج الفكري غير المكتوب، الذي ينتشر عفويا بين الناس بين مبدعيه ومتداوليه يتميز بالتلقائية وبالتداول في إطار مجتمعي خاص؛ ضمن ظروف وبيئة معينة، له علاقة بالماضي الممتد في الحاضر.⁴ غالبا من نجد الشفويات مقرونة باصطلاح "الثقافة الشعبية"؛ الثقافة بهذا المنطق التعريفي يمكن أن نميز فيها بين:

- **الثقافة العالية؛ العالمة:** باعتبارها طريقة واتجاه لدى مجتمع معين حيث يتم تعلمها وتقاسمها بين أفراد المجتمع، وتشير إلى المعطيات الثقافية ذات الخصوصية؛ تتميز بدرجة عالية من الرقي، تعتبر أعلى درجات

¹ - خواجه أحمد، المرجع السابق، ص 19.

² - الرفاعي سيد مرجع سابق، ص 16.

³ - إدريس كرم: "الأدب الشعبي بالمغرب؛ الأدوار والعلاقات في ضل العصرية"، الطبعة الأولى، منشورات اتحاد كتاب المغرب، 2004، ص 22.

⁴ - إدريس كرم، مرجع سابق ص 22.

الإبداع الإنساني، كالأعمال الفنية ذات الحضور المستمر. هذه الثقافة العالمة المنورة لم تقصى الشفويات فالكثير من القصص والروايات -حتى العالمية منها- ذات مرجعية شفوية.

- **الثقافة الشعبية:** ثقافة الناس العاديين خاصة أولئك الذين يعيشون في مجتمعات ما قبل الصناعة فهي تتكون ذاتياً، وهي شبه متجانسة، تعكس مباشرة حياة وتجارب الأفراد، ينظر إليها على أنها أقل قيمة من الثقافة العالمة؛¹ لكن الدراسات الأنثروبولوجية أكدت على ضرورة دراستها لأنها أصلية تتقاطع مع الثقافة العالمة.

مهما تغيرت التصنيفات والمحددات يضل المتن الشفوي متعالياً يتميز بالمحاكات أي "تمثيل الأشياء والحوادث في الكلام والخطاب"،² يقدم نسخة عن الواقع وينتقي منه بعض العناصر، نحن أمام تقليد للنماذج وتمثيل للواقع، تمثيل نموذجي من خلال بناء فني إذ يعتبر كخطاطة؛ "نص" شفوي غير مكتوب يعبر عن الاجتماعي والثقافي.

بدل أن يستخدم الباحثون مصطلح "التقليد الشفوي" بينوا أن مصطلح "نص" مرادف للمتن وهو حسب يلمسيلف Hjelmslev كل قول شفوي أو خطي سواء كان موسع أو موجز قديم أو حديث، جديد؛ كما أن رولان بارث R. Barthes يرى أن النص الشفوي عبارة عن مجموعة من العلامات مبني على الدال (اللفظ) والمدلول (المعنى)، الدال هو مجموع الحروف المركبة في الكلمات المنطوقة والجمل والمقاطع والفصول التي ترتبط بمدلول يؤديه الدال؛ "النص الشفوي" مكون من شبكة من العلاقات الداخلية يرتبط بمعنى، متحول، وبمحددات اجتماعية خارجية...³

الشفويات منتج اجتماعي ثقافي-شعبي:

وصف ريدفيلد المجتمع الشعبي بأنه، مجتمع منعزل عن غيره، لكن الباحث الأمريكي جورج فوستير رد عليه بالقول: "المجتمع الشعبي ليس مجتمعاً كاملاً وليس معزولاً عن غيره من المجتمعات... وهو يشكل جزءاً من وحدة اجتماعية أكبر يرتبط بها بعلاقة اتساق زمني ومكاني... الجماعة الاجتماعية الشعبية جماعة مناقضة للصفوة التي تحتل قمة الهرم الاجتماعي (كونها مستقبلة للإبداعات العلمية للنخبة التي تحتل الطبقات العليا في المجتمع)."⁴

¹ - محسن حاتم حميد، هارلميس، وهولبورن: "سوسيولوجيا الثقافة والهوية"، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2010، ص9.

² - معجم مصطلحات نقد الرواية زيتوني لطيف، عربي انجليزي فرنسي، مرجع سابق ص 143-144.

³ - زيتوني لطيف: "معجم مصطلحات نقد الرواية"، مرجع سابق ص 187.

⁴ - الرفاعي سيد: مرجع سابق، ص 28-29.

يعرف دادندس الجماعة الشعبية بأنها؛ جماعة من الناس، تجمعها على الأقل خاصية مشتركة كحرفة معينة أو بيئة مشتركة أو ديانة مشتركة والمهم أن هذه الجماعة تمتلك تراث -شفويا- خاصا بها يميزها عن غيرها من الجماعات الشعبية.¹ المحددات السابقة تبين أن هناك "مواد شفوية" تتبع جماعات اجتماعية يمكن أن تكون كمواضيع للبحث.

جل التعارضات والمحددات السابقة لا تقلل من قيمة التقليد الشفوي، مثلا: عدم وجود التعليم لا يعني عدم القدرة على الإبداع والإنتاج الأدبي (الشفوي) الذي يوصف بأنه رفيع المستوى، "كيف ننصف مؤلفي القصائد الملحمية التي يتجاوز بعضها آلاف الأبيات من الشعر، مؤلفوها فضلا عن مردديها ومؤديها لا يعرفون القراءة والكتابة،² لقد أكد ويدفلد أن التراث المتناقل شفويا جزء من الثقافة وليس كل الثقافة على اعتبار وجود نوعين من المجتمعات؛ "بدائية" لا تعرف الكتابة، تتناقل ثقافتها شفويا ومجتمعات تعرف الكتابة... هذا اللبس أدى إلى اعتبار الفولكلور ظاهرة موازية للثقافة العاملة المكتوبة؛ من هنا يتبين أن الإبداع الشعبي جزء من الثقافة وليس الثقافة بمحملها.³ تعددت آراء الباحثين حول أهم المحددات التي يمكن من خلالها تعريف ووصف وضبط هذا الاصطلاح، لكن بعد انقراض المجتمعات الموصوفة بأنها بدائية، بعد ظهور حركة الدراسات التي نوهت بإعادة النظر في مفهوم ثنائية البدائي والمتحضر؛ تم التخلص من المفاهيم السلبية، البعيدة عن الموضوعية؛ وليس لها علاقة بالواقع مثل شعبي، عامي، بدائي، غير مكتوب... الخ.

الكتابة والمشافهة:

حسب الباحث بول زموتور يجب التمييز الشفوية المحضة الموجودة في مجتمعات تجهل الكتابة مجتمعات لا يمكن أن تتواصل وتنقل التقاليد الثقافية من خلالها، ومجتمعات أخرى تعرفها وتوجد فيها "بقايا روااسب شفوية"، مما لا شك فيه إن اللغة الإنسانية قبل أن تسجل وترسم أصواتها بأدوات بدائية هشة أو صلبة كانت شفوية؛ لذا فإن اللغة الشفوية أقدم واسبق.⁴ الكتابة عبارة عن ترميز تصويري، تعبر عن مجموعة من الأفكار كانت في بداياتها تربط بين عناصر غير متجانسة مثل الكتابة التصويرية، تستخدم لأغراض فنية وللتواصل، وهي نظام للتعبير عن الأفكار؛ ينوب عن الإشارات والكلمات لكنها لا تلغيها. يؤكد الباحثون-اليوم- أن النموذج الأول أي

¹ - الرفاعي سيد: مرجع سابق، ص30.

² - الرفاعي سيد: مرجع سابق، ص31.

³ - الرفاعي سيد: مرجع سابق، ص36.

⁴ - مراض عبد الجليل: "اللغة والتواصل، اقترابات لسانية للتواصل الشفوي والكتابي"، دار هومة الجزائر، 2000. ص91.

المجتمعات التي لا تعرف الكتابة محصور وهي غير موجودة، حتى أن الكثير من المجتمعات تفضل نقل أفكارها اليوم من خلال المشافهة، يعطينا الباحثون نماذج مختلفة عن هذا الطرح؛ مثل؛ نقل الآداب اليونانية والإغريقية (الإلياذة والأوديسة نقلت شفويا على الرغم من وجود الكتابة) أي أنها ممارسات موجودة في "مجتمعات مثقفة" ومثلها اليوم قصص الأطفال والحكم وقصص التأسيس، كلها تم استيعابها في المجتمعات المدنية والصناعية من خلال المشافهة، كما أن الكثير منها عبر من المرحلة الشفوية إلى المرحلة الكتابية، (لا يمكن إنكار التفاعل المتبادل بينهما) لكن الباحثين يميزون بين الشفوية التي تتغير باستمرار (مع المحافظة على نواتها) وفق مبدأ "التصويب الذاتي"، والكتابة التي تعمل على تصويب-تثبيت كل شيء¹، حتى أن بعض الباحثين لا يعتقدون بوجود فرق بين المشافهة والكتابة لأن المتون "الشفوية" تحولت إلى نماذج جامدة ثابتة، قبل الاستعانة بالكتابة هذه الأخيرة التي تتضمن في معانيها الإملاء والإرسال، التعيين والتثبيت.²

لا وجود لمجتمع خال من الشفوية ولا وجود للكتابة بمعزل عن المشافهة، فالكتابة هي نظام تطبيقي ثانوي، تمثل التجسيد البصري للمنطوق فقط، ترتبط بالفعل التواصل بين الناس، تعرف على أنها سند معرفي ثانوي معين للذاكرة. إن ثقافة التدوين لم تقضي على التقليد الشفوي؛ "التدوين" أحد آليات إعادة إنتاج التراث الشعبي، تشمل عمليات إعادة الإنتاج والتواتر وعمليات إعادة عناصره من الماضي، والتدوين هو تثبيت لبعض العناصر الشعبية أو الترويج لعناصر من زمن مضى.³ التدوين هو حماية "التراث الشفوي" هذا لأن كثير من عناصره تختصر وهذا يصدق على العناصر المادية والروحية على حد سواء (المكتوبة وغير المكتوبة). هناك مؤسسات وطنية ودولية تسعى إلى حفظ هذا التراث بالتسجيل والتصوير كاليونيسكو⁴، وهو ما يمكن من نفاذ هذه المأثورات إلى وسائل الاتصال الجماهيرية وإلى وسائط التفاعل الحديثة ويساعد في تكوين موسوعات عن هذه المواد الشفوية. بل يحول المشافهة إلى مشافهة آلية عبارة عن نص مترابط في عالم افتراضي.

يرى الباحث **مرتاض عبد الجليل** من خلال نموذج الذي اعتمد فيه على الأمثال، أن الشفوية موازية للكتابة من حيث الدور والوظيفة فالشفوية" تمثل ملفوظات على شكل كتابة مرسومة بالتمثل في المركز في الفكر

¹ - أوزوالد ديكر، جان ماري سشافير: "القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان"، مرجع سابق، ص 554-556

² - المعجم الوسيط مرجع سابق، ص 774.

³ - الجوهري محمد: "الحكي الشعبي بين التراث المنطوق والأدب المكتوب"، المؤتمر الدولي السابع لقسم اللغة الفرنسية وآدابها، طبعة أولى سنة 2009، دار العين للنشر، القاهرة، مصر، 2009، 28-30 مارس 2009، ص 27.

⁴ - يمكن الرجوع إلى دياحة الاتفاقية الدولية لصون الفلكلور، ومن بين جهودها كمنظمة التصنيف والتسجيل كتراث عالمي مثل "أهليل، طقوس الاستسقاء كطقس تغنجة"

ومن هنا تتطابق اللغة الشفوية في ما بين كلماتها وبين رسوماتها المجردة المتمثلة على هيئة اقتراية من التدايعات في أذهاننا.¹ اللغة الشفوية عالم خارجي لا يتحكم فيه حاكم ماعدا المجتمع اللغوي الذي يوزع أو يتقاسم ما بينه هذه اللغة وحتى هذا المجتمع عاجز عن استيعاب لغته-المكتوبة استيعابا كلياً، وفي الآن ذاته على شكل مجموعة آثار مرتسمة في كل دماغ-يعبر عنها شفويا، على شكل معجم تقريبا، تكون جميع النسخ متماثلة عموماً، موزعة بين الأفراد، اللغة الشفوية ليست إلا محصولاً مركباً من المفاهيم والدلالات والرسوم والصور. "كان الحكيم -ولا زال- ينتمي إلى فضاءات محددة، يرتبط بالطقوس الدينية والشعائرية، كان-ولا زال- يساير كل المعتقدات بما فيها المعتقد اللاهوتي أو الأسطوري، يتجسد من خلال الحكيات السردية، التمثيلات الرمزية حول قضايا الخلف والذرية والكون والطبيعة والإنسان والكائنات الحية وكل شيء".² تم تحويله من خلال الكتابة إلى تراث ثابت، حافظت عليه من الزوال والإندثار.

"...أكد سوسير على أولية الكلام الشفوي على المكتوب؛ على اعتبار أن فعل الكتابة ثانوي... كل هذا على الرغم من سيادة وطغيان عصر الكتابة أو ما يسميه ريجس دوبري (Régis Debray) عصر المجال الخطي..."³، فالفرد سريع البديهة وقوي الحفظ والتذكر... "هناك إشارات تدل على قوة الكلمة الشفوية وضعف الكلمة المكتوبة، مثل "إلي دار شيخه كتابه كثر غلظه وقل صوابه". فالشفويات لها استمرار تاريخي ولها سلطة على المكتوب حتى أنها تصل إلى التقديس (تقديس الكلمة لأن منتجها متعالي ذو مكانة ودور مميز).⁴

النص الشفوي والتواصل:

يعرف التواصل على أنه مجموعة من السيرورات الفيزيائية والسيكولوجية التي يتم بها تبادل الرسائل والانخراط في عمليات تواصل بين مرسل (Émetteur) ومستقبل (Récepteur)،⁵ يمكن من نقل وتكوين صورة فكرية في ذهن المستقبل، تبادل الشفويات هو تبادل للمعلومات وتقاسم للمعنى بين شخصين أكثر.

¹ -مرتاض عبد الجليل، "اللغة والتواصل"، مرجع سابق، ص 120-121.

² -الشاذلي مصطفى: "الحكاية الشفاهية أوليات تمهيدية ومنهجية في تناول ومعالجة النون الإثنوغرافية" مرجع سابق. ص 45.

³ -ابراهيم الحيسن: "الشفوي والبصري في الموروث الأدبي والجمالي الحساني" مرجع سابق، ص 6-7.

⁴ -بالرجوع إلى ميدان الدراسة يمكن ملاحظة متون شفوية منتجوها هم الأولياء الصالحين عبارة عن استهجان للسلوك (دعوة من الأولياء على بعض الأفراد بحسب الشباب لازالت آثارها إلى اليوم).

⁵ -الزياتي عز الدين: "التواصل اللفظي والتواصل غير اللفظي"، الطبعة الأولى، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص 9.

في المجتمع المدروس نلاحظ تنوع المتون الشفوية ونلاحظ أن هناك نوع من الاستخدام الاجتماعي لهذه القوالب، الهدف منه استغلال هذه التعبيرات في نقل المعرفة أي أنها وسيلة حافظة للذاكرة، تنقل من خلالها التجربة الإنسانية سواء في جلسات السمر أو في المناسبات الاعتيادية أو الطارئة كما أن هذا الشكل من التواصل يخدم أهداف تربوية تنقيفية أخلاقية دينية ويستخدم لتغيير السلوك نقده أو التحذير منه (تقويم السلوك وتصحيحه وتصويبه، تعزيز السلوكيات).

حسب تشارلز هوایت (Charles R. Wright) عملية نقل المعنى أو المغزى بين الأفراد هي عملية أساسية في كل المجتمعات الإنسانية كانت بدائية أم حديثة، وكلها نشأت وترعرعت من خلال قدرة الإنسان على نقل نيته وشعوره ومعرفته، وخبرته من شخص لآخر بصفة مستمرة¹ لا يتم هذا النقل -التواصل- إلا من خلال الكلمة والمشافهة.

إن تداول الشفويات يعبر عن التواصل بكل معانيه؛ إذ أنه بمجرد إنجاز التلفظ واستعداد النص الشفوي فإن كل من المرسل والمرسل إليه يشعرون بالحاجة إلى إتمام التواصل (هناك نوع من التداعي فكل متن يستدعي متن آخر موازي أو مشابه) وهو ما يحدث نوع من الاشتراك، يسهم في نقل الخبرة، نقل للمهارة، أو الحكمة وجعلها شائعة ومألوفة بين كل الأفراد، مع الاستناد إلى نوع من التواصل غير اللفظي بالاعتماد على فنون الأداء الجسدية (الإشارات والإيماءات الرموز)، لا يمكن فصلها عن الشفويات، لأن أوضاع الجسد (الأوضاع الجسمية) والمؤثرات خارج المتن مثل الصوت وحدته، لها وظيفة في هذا النوع من التواصل.

إن تداول الشفويات له غايات ونهايات يسعى إلى تحقيقها من خلال فعل التبادل كالإقناع، التبليغ، الإقناع، والتأثير في الآخر، وهو ما نلتمسه في فعل التواصل والتبادل؛ الأفراد ينخرطون في "لعبة" لغوية يستعينون بكل الألوان الشفوية من أجل إدارة الوضع والتعبير عن الاتجاهات والمواقف تجاه الآخر، للتعبير عن الحالة العاطفية، وإبراز الذات. التواصل الشفوي؛ يتم فيه تبادل المعلومات، يعتبر كأقصر الطرق لتبادل المعلومات والأفكار ويتم تعزيزه عن طريق حركات الجسم وتعابير الوجه ولغة العيون ووضع الجسم وشكله ومظهره.² مثلاً: يمكن أن نلاحظ شيوع استخدام "الكلمة الشفوية" اعتماداً على الأفراد على الشفويات في التواصل اليومي من خلال

¹ - الزياتي عزالدين، مرجع سابق، ص9.

² - الزياتي عزالدين، مرجع سابق، ص12-13.

استدعاء "العبارات المسكوكة" Les Formes Figuratifs وهي غنية بالتصورات النمطية والأمثال والألقاب والكنى التي يختارها أهلها بعناية فائقة لتأصيل قيمة معنوية تحضي بتقدير لديهم أو تأصيل قيمة مذمومة لديهم.¹

إننا عندما ننتق عبارة أو نكتبها فإننا نتج علامة يعني أداة لنقل رسالة ما، ونقل رسالة يعني تحويل خبر من مركز باعث إلى مركز مستقبل، هذا يعتمد على عمليات الترميز المعقدة ثم يعمل المرسل إليه بما تلقاه من المتن الشفوي؛ بعد القيام بفك الرموز في مختلف مستويات التواصل... إن كل من المرسل والمرسل إليه ينظر إليهم على أنهم أشخاص يتبادلون دلالات، "إن الأشخاص الذين يتصلون ببعضهم يبذلون جهداً لتأويل ما يتلقونه من غيرهم (ولإعادة تأويله) مما يعدل في كل لحظة الشروط التي يتم فيها التداول والتبادل،² ويعطي معنى للتقليد الشفوي ويُمكن من وصفه ثم تحليله بالرجوع إلى خطاطات التواصل.

الشفوية واستراتيجية المرسل³:

- الاستراتيجية التضامنية: يحاول المرسل أن يؤسس لعلاقة مع المرسل إليه ويعبر عن احترامه له، علاقة تضامنية تعاونية بينهما، (استفتاح الخطاب بالصلاة على النبي، أو تضمينها كنية أو اسم علم مشهور مثل "البغدادي، اسم ولي صالح، أو الإشارة إلى مكان معروف قد يكون مقدساً"... الخ والانتقال من الوضع الراهن والمواقف الآنية إلى القصص والحكي والوصول إلى فكرة أو قيمة هائية مشتركة).⁴
- الاستراتيجية التوجيهية: محاولة تبليغ المحتوى (والإيحاء بعدم حضور المرسل إليه لحظة إنتاج الخطاب، وعدم حضور المنتج لحظة التلفظ بالخطاب) يستخدم الباث للرسالة الأمر للتوجيه نحو فعل معين له دلالات عدة كالنصح، الإرشاد أو الردع والغاية هي الإقناع، يستخدم المرسل "المحاجة" للنصح، لهذا يغلب على الشفويات أسلوب التحذير/الإغراء.
- الاستراتيجية التلميحية: يعمل على إخفاء القصد من خلال استراتيجية غير مباشرة يحتاج إلى الاستدلال عليها بجهد، (كطرحه سؤال أتم خير من... أم؟ أو التحذير من تشابه سلوكيات المرسل إليهم بسلوكيات النصاري في المتن الإستشراقي) الغرض منه التنبيه أو التحذير من الوقائع، يستخدم كلمات الظن والشك،

¹ - الحضري عبد النور: "اللغة في الفكر الشعبي المغربي، مقارنة سوسيو لسانية". ص 17.

² - غلام الله بوعبد الله: "مبادئ في علم النفس الاجتماعي،" ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 ص 24.

³ - لتوضيح هذه الجزئية تم الرجوع إلى الميدان وإلى أفكار وأعمال الباحث بوحبيب حميد.

⁴ - توجد العبارات التالية تستخدم لتمرير رسائل ثانوية خارج القصص وهي فرصة لتدخل الفاعل من أجل التأثير مثل: "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ... بِسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَيِّدِي مُحَمَّدٌ... هَذَا وَعَدُّ اللَّهِ قَدْرًا... الدُّنْيَا يَا دَرَاقَتْ لَوْجُوهٍ... فَفَكَرْتُ وَاحِدَ النَّهَارِ كُنْتُ مَعَ لِحَابٍ وَشَحَابٍ بُكَيْتُ... نَبِيَّ نَوْيِّ عَهْدِي...".

كما أنه ينسج الرسالة شبيهة بالنص المعروف سابقا كالقرآن الكريم أو السنة (مثلا تشبيه تعمير الأرض من طرف المؤسس الأول للقبيلة بتعمير أماكن مقدسة لدى طائفة المؤمنين).

- الاستراتيجية الإقناعية: إزالة الشك لدى المرسل إليه ومحاولة تغيير رأيه من خلال أسلوب حجاجي وسوق الدلائل، لتوجيهه نحو المقاصد التي يريها السارد أو المنتج للشفويات؛ مع محاولة الإيحاء للمرسل إليه باستراتيجية أخيرة هي (التبادل) ليبين له أن الخاتمة هي النهاية التي يصل إليها كل شخص متداول للشفويات لأنه يضع نفسه مكان المنتج. (وأن المردد للشفويات لا يمكن أن يكون له رأي مخالف للمنتج وأنه يتفق معه في المقدمات والنتائج المتوصل إليها، نجد عبارات كما تدين تدان، إفعل كما فعل بك...).

تعتمد الشفويات بفراط على أساليب قصصية، درامية، أو محاكاة ملحمية، تعتمد على الإيقاع، على الرغم من أن المتون "تاريخية" مرتبطة بزمن "الحكي" (chronique) إلى أن المرسل في هذا النوع من النصوص يعتمد على التاريخ القصصي (Histoire) يقدم نصوص يغلب عليها "الماضي" لكنه يدرج ضمنا (ذاتيته، "الأنا" المرسل و"أنت" المرسل إليه، "الآن"، "هو" للإشارة إلى الماضي) هذا التدخل من طرف المرسل القاص للشفويات، محاولة لدمج لأزمة هدفه التأثير في المرسل إليه، وزرع قيم محددة، إذن فالمرسل لا يراعي الأزمنة بل يدمجها ويتلاعب بها دون أن يميز ما هو ممكن وما هو غير ممكن، أما المرسل إليه غالبا ما يرى أن هذا التحويل للأنظمة الزمنية والتحريك للفضاءات، وللشخص وللأحداث غير مهم بل هو طبيعي يناسبه، إن هذا التحوير هدفه جعل البطل أو الشخص في الشفويات ليس له وجود محدد، بل هو جزء من الجماعة التي تتداول المتون ينتمي إليها، خطابه ورسائله موجه إلى أفرادها، أما الراوي فهو مجرد وسيط بين المرسل الحقيقي، المنتج للشفويات، والمرسل إليهم المتداولون لها. في النهاية نستنتج من خلال هذه الجزئية أن الشفويات من حيث التداول لا تميز بين الضمائر التالية (أنا، أنت، هو، أولئك) لتحقيق فعالية الانتقال الرمزي للقيم والتأثير في المتلقين، وربطهم بتاريخهم كما "يتوهمونه" على أنه حقيقي ومستمر.

لا يمكن تناول الشفويات أنثروبولوجيا دون الرجوع إلى فضاءات التواصل، فالنص من خلال فعل التبادل يضمن نقل للتجارب المعاشة الماضية والحالية في قالب جمالي لتشكل بذلك معالم وأطراف العملية التواصلية داخل نسق يغلب عليه طابع الإنتماء وعليه يسجل الفضاء رمزيا من خلال اللغة؛ إن عبارة فضاء تعني وجود إنتاج وإعادة إنتاج إبداعي للشفويات ضمن سياق أو مكان محدد، تتضمن أيضا تبادلية للقيم، فالمنتج المرسل والمتلقي ينتميان إلى فضاء حقيقي أو رمزي؛ "الفضاء الثقافي فضاء تبادل لغوي، لهجي، رمزي، أسطوري، شعري... هي

فضاءات للجمعة (Sociabilité) لكن مع تمييز بين فضاءات مقدسة وأخرى أقل قداسة...¹، لكل فضاء فاعلون محدودون ولكل منهم رؤيته للعالم وطريقة في التعبير وهو ما يحدد القيم في النهاية، أي أن هناك فضاء مؤطر، شفويات/سوق لغوية تبادلية والمحصلة النهائية قيم سلوكية، تعبر الشفويات عن رأس مال الرمزي للمنتجين، ولها علاقة مباشرة بالبنيات الموضوعية الاجتماعية المتاحة أمام الأفراد بحيث يمكن رد كل نص شفوي إلى منتج محدد ضمن حقل ثقافي عام، مع وجود نوع من الخصوصية. بالرجوع إلى الشفويات نجد أنها تركز على الفضاء وترتبط بنطاق جغرافي قد لا تخرج عنه مثل؛ أساطير التأسيس التي تتحدث عن البركة وتعمير الأرض من طرف "الولي"²، الفاعل، وفيها نلاحظ تحول الفضاء إلى مجال اجتماعي حيوي بعد الاستقرار والتملك (البداية دوماً القدوم من الساقية الحمراء ثم الاستقرار والتعمير)، ثم تعمد إلى التركيز على صيغة التملك وإقصاء الآخر وخلق للمساحات الاجتماعية.

الشفويات والفضاء:

لتوضيح هذه الجزئية نستعير بالخطاطة الهندسية وبفكرة الباحث **بوحبيب حميد**³ بحيث يرى أن الفضاء هو منبر؛ بمعنى مكان إنتاج المعرفة وتداولها؛ تتعدد الفضاءات وتتمايز لتؤسس لاختلاف المتون نذكر منها:

أ- الفضاء المركزي المغلق:

وهو منظم تتحكم فيه عقلانية خاصة، وفيه تتجلى القيم الجماعية الواجب احترامها؛ من ميزاته أنه رجالي أو نسوي أو مختلط يتميز بأنه "رسمي"؛ منتج لخطابات "ذكورية" أو "أنثوية" تسود فيه المعارف التالية (معرفة الحس السليم، المعرفة الإدراكية للعالم الخارجي، معرفة الآخرين والنحن مثل الجماعات الرسمية جماعات العارفين، جماعات الأكبر سناً)، الكلمة فيه هرمية، المعرفة هي معرفة عملية (أغلب المتون المتداولة فيه تعبر عن كل ما يربط الإنسان بالطبيعة، الفصول، التقويم، أنواع النبات، العلاقات الوعظ والكون) بالإضافة إلى الحكمة، وكل أشكال المعرفة العملية النافعة، تعمل البنية الاجتماعية وفق آلية خاصة فالفاعلون يلجئون إلى ضبط التفاعل معهم والتفرد

¹ - حميد حبيب: "مدخل إلى الأدب الشعبي؛ مقارنة أنثروبولوجية"، دار الحكمة، الجزائر، 2009، ص 08.

² - هناك العديد من النصوص التي تركز على شغل الفضاء، وعن بركة الأولياء وتعميرهم للأرض وحميتهم للأفراد. مثل ما هو متداول في منطقة معينة (قال سيدي خالد لسكان قرية: كَأَنِّي مَأْ تَصُدُّعُ وَفُعِّي مَأْ تَلْدَغُ) وهم يعتقدون في بركة هذا الولي الذي سمح لهم بالإقامة ووفر لهم الحماية إلى اليوم، إكراماً له يسمون أحد أبنائهم إن لم يكن البكر باسم خالد، كما يخلدون ذكره شفويا وماديا من خلال نسب مجموعة من المعالم باسمه (الخلوة، آثار فرسه، مكان تعبده وأخير قبره) كما أن وليا آخر قد طار بعد مطاردته وآخر قد دخل في قلب شجرة التين، هناك تقديس للفضاء وللكرامة وللزمن الأول زمن الولي...

³ - بوحبيب حميد: "مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجية"، مرجع سابق، ص 194-198.

بفضاء معزول، يتم فيه الفصل بين "الداخل" و "الخارج" خلق تقابل/تمييز بين جماعاتهم والآخرين، للحفاظ على "مكاناتهم" ضمن الهرمية (الخفية المعترف بها والمسلم بها ضمناً) كل هذا لضبط الخطابات المنتجة، المتعددة وتحيدها، تحديد الخطابات الأنسب (الاصطفاء والانتقاء) ما هو جدير بالسماع وما هو غير جدير، وفي المحصلة يمكن أن ندرك أن لكل منتج خطاب/شفوي فضاء خاص للتداول لا يسمح بتجاوزه، إذا تحدثنا عن منزل، أسرة، مآثم، عرس، حلقة الذكر، كلها فضاءات ذات امتداد واحد يمكن اختصارها تحت تسمية الفضاء المركزي المغلق، لها نفس الوظيفة نقل نفس المعرفة تنشئة الأفراد المنتمين إليها بطريقة غير مباشرة، كما أنه خاضع للرقابة والسلطة الأعلى في البنية الاجتماعية "هو فضاء السلطة الرمزية، قد أنتج حكمة الأسلاف ومعارفهم."¹

ب- الفضاء الهامشي المغلق:

بعيد نسبياً عن السلطة، الرقابة، وهو مكان للتنفيس وللاسترخاء والابتعاد عن ضغط العرف الاجتماعي، وهو ليس محدد المعالم منتج لخطاب شفوي مناوئ للأول كرد فعل (من خلاله يتم خلق توازن في البنية الاجتماعية، يسمح بنوع من التمرد غير المبالغ فيه) مثل النموذج الذي عرضه الباحث بوحبيب حميد (نموذج النسوة عند نبع الماء يقابله في الوسط المحلي جلسة النسوة في الفضاء الخاص أو لقاء "تآجَمَعَت" أي الأعيان).

ت- الفضاء الهامشي المفتوح:

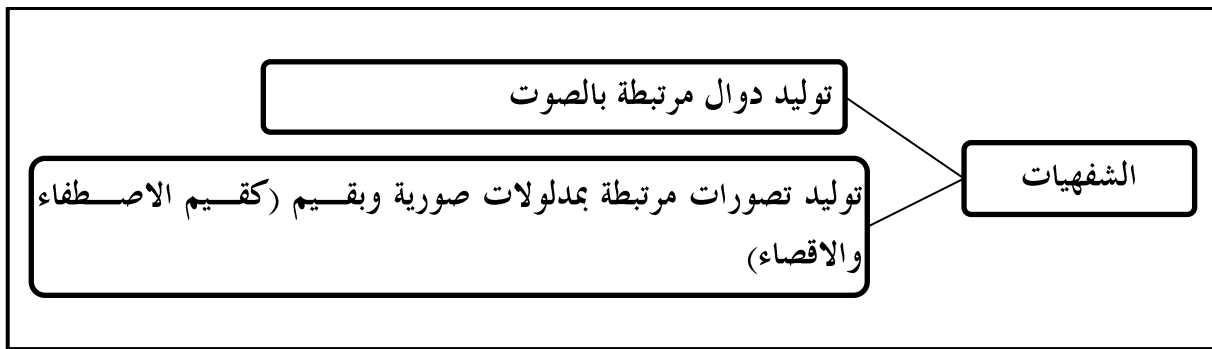
هو رجالي مفتوح؛ عبارة عن هامش غير محدد المعالم، لأن الفاعلين فيه هم هامش الذاكرة الجمعية (الرعاة، شذاذ الأفاق، الجوالين، العامة والشباب على ناصية الشارع... إلخ) منتجون لخطاب ماجن، يمكن التصريح بكل شيء، في هذا الخطاب، وهو يستعير مفرداته من القاموس الفاحش، في المجتمع المحلي يمثل الشباب على ناصية الشارع.

الشفويات والصورة:

إن الشفويات غنية بالصور والتمثيلات، وهي مرتبطة بالعالم الخارجي، فاستخدام الشفويات واستدعائها في سياق خاص هو استدعاء للتصورات والتمثيلات حول هذا العالم ومكوناته، وهي مرتبطة بالذاكرة الجمعية، ترتبط الشفويات بصور محددة بمجرد إنجاز فعل التلفظ.

¹ - بوحبيب حميد، مرجع سابق، ص 207.

والذي نراه أن العلامة اللسانية في لغتنا الموروثة ولاسيما الشفوية منها ترتبط باسم وصورة سمعية وبتصور؛ تتميز اللغة الشفوية حسب الباحثين بذكاء اجتماعي خارق-إن صح التعبير-يتبلور في كونها منظومة تحوي عدة أفعال وحوادث صاغتها بطريقتها الخاصة أو جزئها في جمل ظاهرة قصيرة وباطنها نص طويل بحيث أن كل جملة تثير وتمثل قصة أو رواية وهذا ما لا تستطيع اللغة الخطية الظفر به لكن حضور إحداها ينفي حضور الأخرى.¹



الشكل رقم (10) يوضح العلاقة بين المشافهة والصورة.

"لا تكاد الكلمة تذكر أماننا حتى نتذكر من السياق معناها الأصلي أو معناها الثاني وعند إذن تثير في أنفسنا صورة ذهنية هي نفسها الصورة التي كونها عن الشيء المدرك بالحواس أو بالتصور العقلي، والكلمة التي نستعملها مشحونة بقيم مرتبطة بالمعنى الأصلي تحمل في طياتها رغبات ونوايا وأحكام".²

كل شعب ينطق بلغة معينة إنما يحلل العالم الخارجي تحليلاً فريداً يختلف عن تحليل غيره من الشعوب التي تنطلق بلغات أخرى وعلى ذلك فالشعب الذي يرث ما يخلفه الأقدمون من خبرات وتجارب في الحياة يترك بدوره للخلف من الأجيال اللاحقة طريقة خاصة في النظر إلى الأشياء والوجود وتحليل الواقع ويزوده بشيء أشبه ما يكون بـ "الموشور" ليرى من خلاله عالم الموجودات. هذا ما ذهب إليه أصحاب النظرية والمدرسة البنوية " إن كل لغة هي منظومة تنتقي ما تراه صالحاً للانتقاء في الواقع الموضوعي، فهي تنشئ عن ذلك الواقع صورة كاملة مكتفية بذاتها، وكل لغة تبني الواقع بطريقتها الخاصة وبالتالي فهي تضع عناصر الواقع الخاص بتلك اللغة"³، إن خطاب الأمثال الشعبية والقصة الشعر يختزل الكثير من الصور. موجودة في اللاشعور وهي صورة ذهنية ذاتية

¹ - مرتاض عبد الجليل: مرجع سابق، ص120.

² - بن عيسى حنفي: محاضرات في علم النفس اللغوي، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980 ص97.

³ - بن عيسى حنفي، مرجع سابق، ص37.

متعلقة بكل فرد رمزية أو خيالية ترتبط بالواقع الإنساني أي أن الإنسان يعي العالم المحيط به ويستعين بالتقليد الشفوي للتعبير عن هذا الواقع سواء أمام موقف أو مواقف تصادفه.

الشفوية؛ التاريخ والقيم:

من خلال هذا العنصر سنتطرق إلى الشفويات؛ القيم وطابعها التاريخي الذي يتم نقله من جيل إلى آخر ومن فئة إلى أخرى مما يعطيها ديمومة في الزمن، والمكان، ويعطيها طابع الخصوصية؛ في النص الشفوي لا بد من التمييز بين نوعين أو أكثر من الزمن؛ الطولي، الدوري، مع وجود زمن أسطوري وآخر تاريخي بحت، يتم المرور من أحدها إلى الآخر، إذ لا يمكن الحديث عن تاريخ إلا بالرجوع إلى معنى الجيل وكل حدث يمكن رده إلى جيل أصلي وآخر أسطوري لا وجود له إلا في النصوص المسرودة في الميدان المدروس. مع وجود عدة اعتبارات ك: "محدودية الذاكرة لإنسانية الدقيقة بشكل معقول، والتي لا ترجع القهقري لأكثر من ثلاثة أجيال، أو جيل الأجداد بحثا عن مصادر المعلومات..."¹، هذا التاريخ له كرونولوجيا خاصة تطبعه، تداوله يخلق مجموعة من القيم، ومنه فإن أي سرد لتاريخ خاص بالجماعة هو بالضرورة مؤسس لنوع من القيم الخاصة، على الرغم من أن هذا النوع من التاريخ قائم على السرد والمشاهدة، على الرغم من أنه لا يراعي المعقولة وهو بمثابة صورة مشتتة عن الماضي إلا أن الأفراد يعطونه الأولوية ويعتبرونه صحيح إلى أبعد الحدود. نجد أن المتون الشفوية على تنوعها يمكن أن ترتبط بأحد النماذج التالية؛ نموذج زميني ثلاثي الأجزاء (طويل الأمد، متوسط الأمد، قصير الأمد) كما أن اللغة تعبر عما هو متداول من الأحداث التاريخية، الأفراد يربطون بينها كمتتاليات ومتلازمات تقودنا إلى الآني "هنا الآن"، يرون أن المعاش الاجتماعي ما هو إلا امتداد لهذه المتتاليات، تقبل كقناعات كتصورات ثم تؤسس لسلوكميات لاحقا.

تحتوي النصوص نوعا من الايدولوجيا هدفها الأول هو "الإقناع" تتميز بجانب من الإلزام تعمل على تبرير لأشكال التراتبية وتسعى لضبط للأدوار والمكانات وتبين توزيع شبكات القوة. منذ القدم؛ التراتبية والأدوار والمكانات موزعة توزيعا قهريا-ملزم-يجب أن تقبل داخل الجماعات اللغوية المتداولة للشفوية؛ هذه النصوص منتجة للشرعية ومبررة لكل ما هو اجتماعي (مؤسس للذهنيات والعلاقات الاجتماعية تحكم التصرفات الفردية والجماعية).

¹ - بن عيسى حنفي، علم النفس اللغوي، مرجع سابق، ص 66.

تبين النصوص توزع القوة وأشكال السلطة الموجودة لدى الجماعات اللغوية المتداولة للشفوي، ويتبين من خلالها صراع الأدوار وأشكال التنافس والمسيطرين على وسائل الإنتاج والتغيرات داخل البنية مع محاولة خلق القيم. (السردي من أجل نقل القيم) والتعبير عن التجربة الاجتماعية كما عاشها الأسلاف، يعتقد الأفراد أنها قد تتكرر لا محالة اليوم في المعاش الاجتماعي الذي يعبر عنه وينقل من خلال فعل المشافهة.

دور الشفوية اليوم هو صناعة الآني واسترجاع الماضي من خلال فعل الكلام (مثلا الكلام عن عصر ذهبي)، صناعة تاريخ تجزيئي معبر عما هو موجود بالرجوع إلى الشفويات وبالتالي إنتاج نظام قيمي ملازم للفئات الاجتماعية وللجماعات، لا زال موجود إلى اليوم لدى فئة الشباب، هناك إنتاج معرفة -تاريخية- مشتركة وخطاب قيمي يعاد تشكيله، يحافظ عليه يشاع بين الأفراد على أنه طبيعي وعادي، كل الأوضاع السابقة لها ما يبررها في الواقع (كالشواهد المادية التي تربط الماضي بالحاضر وتعطيه القداسة، المصدقية والمقبولية لدى الكل).

من خلال فعل المشافهة يتم التأريخ ل"لأننا" وجعلها في مكانة مركزية وتأريخ ل"لآخر" الغريب البعيد أو المجاور "للأننا" والمغاير لها هذا النوع من الشفويات هو تأسيس لنظام من المعاني وصناعة للقيم المضادة وفق ثنائية الأنا/الآخر ولكل منهما نوع من القيم، إذن فاستعانة الشفوية بالتاريخ الغاية منه التأسيس للقيم (تشديد، بناء، نظام قيم تترتب عنه إلزامات ونماذج في سلوكية والممارسات اليومية "الآن" يجب أن تتماهى مع النموذج التاريخي). إن الخطاب الشفوي، التاريخي لا يكتسب معنى وديمومة إلا من خلال التعارضات التي يخلقها وردود الأفعال من الآخرين المنتجين لخطاب مغاير، نلاحظ وجود فئتين كلاهما منتجين للشفويات، كلاهما مجادل للآخر، مما يجعل النصوص تتوالى تباعا لرسم ملامح الأنا والآخر وبالتالي خلق نظام قيمي مزدوج مميز للجماعات الاجتماعية ولكل الممارسات التي تلحق بها.

إن صناعة التاريخ هو صناعة ل"معنى" من خلال اللغة الشفوية... المعنى يستخلص دائما من كلمات موجودة من قبل ومن داخل اللغة...ينبغي اقتفاء آثار المعاني لأنها تقودنا إلى نماذج من النفوذ والسلطة، وعادات الاستخدام وآثار الصعود...¹.

الشفوية/التاريخ هي ثنائية تعبر عن الذات كماضي مؤسس كان موجودا و"الآن" ما هو إلا امتداد له؛ الغاية من المتون تطوير فهم خاص وصناعة نوع من شبكات لتمثل ونوع من الممارسات كتجليات لفعل الحكمي

¹ - بن عيسى حنفي علم النفس اللغوي، مرجع سابق، ص154.

أو السرد لكل أنواع الشفوية، ومن خلال دراسته تتبين للباحث "سيرورات" اجتماعية لها معاني متعددة كالمقاومة، الرفض، في مقابل قهر إلزام هذه التعارضات هي تعارضات قيمة لها معنى أو معاني يمكن فهمها تاريخياً من خلال حدث تاريخي مؤسس للقيم.

الحديث عن الشفويات، تاريخ، قيم هو حديث عن رموز ومعاني مؤسسة للسلوكيات لدى الشباب وفق سياقات للاستخدام، فالشفويات من حيث الاستخدام تعتبر مثيرة للمعاني إذ أنه بمجرد استدعاء نص تثار معاني، قبول أو اعتراض من طرف الجماعات اللغوية (قد يثير نص معين الاستبعاد ويؤسس للممارسات وسلوكيات يمكن ملاحظتها إلى اليوم) كما أن بعضها الآخر قد يجرنا إلى لحظة وقوع الأحداث الماضية ويؤدي إلى خلق سلوكيات ومواقف وهو ما يبين أن الزمن قد لا ينتهي فزمن الحدث تاريخي لكنه مائل أمامنا في "الآني"؛ وهذا ما يعطي للقيم قوة ويجعل من السلوكيات متجددة يعاد إنتاجها بالاستناد إلى النصوص الشفوية.¹

المراحل التي تمر بها الشفويات:

أ- مرحلة الوضع: أي اصطلاح الناس على استعمالها ككلمة أو التزام وقاعدة واغلب النصوص التي تحويها المدونة الخاصة بالبحث ترجع إلى زمن انقضى ومنها ما يرجع إلى القرون السابقة وما تلاها مثل نصوص عبد الرحمان المجذوب، السير التي تتعلق بالهلاليين ومنها ما يرجع إلى عهد حديث نسبياً ويؤرخ للثورات الشعبية.

ب- مرحلة التقبل: أي تقبل الكلمة وشيوعها بين الناس رغم ما فيها من تعسف.

ت- مرحلة الشيوع والتداول: حيث تصبح الفكرة شائعة ومتداولة ومعروفة وهي المرحلة التي تواكب دراستنا وهي الحرك الأساسي والدافع الأول لهذه الدراسة.

ث- مرحلة الاضمحلال: وذلك هو مصير الكلمة المهجورة أو العبارة التي يتخلى عنها الناس مؤقتاً أو نهائياً.

مميزات النص الشفوي:

- الاعتماد على وسيط بشري لتبليغ الخطاب إلى المتلقين ووسيط مادي كالجسد، الكتابة والرموز.
- الارتباط بأصول سلالية متنوعة ومتعددة وبفئات إجتماعية.

¹ - فالخ بن شبيب العجمي: "دور المثل الشعبي في صناعة القيم، قيم التحلي عن المسؤولية نموذجاً،" مجلة الخطاب الثقافي، دراسات العدد الثاني، السعودية، ص 44.

- يتميز النص الشفوي بنبرة معينة (درجة الصوت) حسب النوع وبإيقاع خاص والقدرة على الربط بين الكلمات ضمن وحدات تتجلى كمقدمات ونتائج أي وحدة موضوعية، كما أنها تتميز بتعدد الاحالات والقدرة على تجاوز الحدود الواقعية.
- الارتباط بفضاء محدد قد لا يخرج عنه كما أنه يرتبط بالنوع الاجتماعي وهو ما يعطيه طابعا محددًا.

أ) مميزات خاصة بالمحتوى:

1. **محتوى سجالي:** يجعل منها سلاحا قابلا أن يصيب الخصم...يستخدم في المنازعات لما تتضمنه من قدرة على الإبلاغ أثناء إنجازها أي لحظة التلفظ بها؛ خاصة إذا ما تم الأخذ في الحسبان الصوت وإيقاع الكلام وحركات الجسد¹. والمرسل ومكانته بالإضافة إلى الفضاء الذي تم فيه الإرسال.
2. **محتوى إقناعي:** إلباسها صفة الحقيقة المقنعة الباعثة على التأمل والتدبر والاعتبار، غلبة الوظيفة الإقناعية.
3. **المستوى الاحتجاجي:** الردع السآخر من خلال استخدام العبارات والصيغ المسكوكة للسخرية أو للتقويم والإصلاح في مواجهة سلوك محدد لخلق حالات ذهنية وانفعالات لدى المتلقين تجعل المتلقي يتأمل أو يضحك (بيدي رد فعل)...²، كما أنه يتجلى على شكل معين يحاول من خلاله القاص أو الشاعر أو المررد على العموم التندر والاستعانة بعناصر وفواعل "أسطورية" للاحتجاج وتبيان عدم الرضي عن الواقع كل هذا للهروب من السلطة التي تتحكم في الكلمة وهو يؤسس لثقافة شفوية.

خصائص الثقافة الشفوية :

الاعتقادية: فهي نابعة من الاعتقاد في قدرة الأشياء وغالبا ما يتلازم التقليد الشفوي مع الممارسات الطقوسية أو يعبر عن معتقدات قديمة لازالت إلى اليوم (مثل الاعتقاد في قوة الأشياء ووجود "حامي" لكل شيء تترتب عنه قصص عن الخوارق) وهي لا تكف عن الإشارة إلى القوة الموجودة في الأشياء والتي يمكن أن تتحكم في توجه الذات نحو موضوعات في الاجتماعي.

الأسطورية: يتوسع مفهومها ليشمل كل ما هو غير عقلي ولا منطقي ونجد في التقاليد الشفوية أنها تجمع بين ذكر الإنسان و"ذكر الحيوانات ذات الأشكال الغريبة كالجن والعفاريت وكل القادرين على تصريف شؤون الناس

¹ - ليلى مسعودي: "العبارات المسكوكة والتصورات النمطية للنساء في الوسط القروي أو الحضري، (بلاغة الملائسة بين النساء قراءة في المأثور الشفوي، أعمال كلية الآداب القنيطرة، منشورات الفنك. المغرب، ص10.

² - ليلى مسعودي نفس المرجع السابق، ص10-11.

الأحياء الأموات، الخيال الشفوي غني وثرى، يحوي هذا الطابع الأسطوري.¹ الملاحظ أيضا أنها تجمع بين عدة أزمنة مثلا الجمع بين علي بن أبي طالب والاستعمار الفرنسي، أو استدعاء العديد من التسميات _تسمية الأنبياء عليهم السلام- في نفس القصة، النبي محمد، النبي عيسى، النبي موسى والغولة في نفس الوقت.

تعتمد الشفويات على المجاز؛ "المجاز حسب مدرسة النقد الثقافي؛ قيمة ثقافية وليس قيمة بلاغية/جمالية فحسب وبهذا يكون التعبير المجازي إنتاج يعبر عما تضره الثقافة. خاصة إذا عرفنا أن كل ما نقرأه وما نتججه وما نستهلكه يرجع إلى مؤلفين اثنين أولهما المؤلف المعهود والآخر هو الثقافة ذاتها -أي المؤلف المضمّر- يسعى البحث اللغوي إلى كشف عن حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل خفية وأهم هذه الحيل الحيلة الجمالية. الأنساق المضمرة هي أنساق ثقافية تاريخية أزلية راسخة؛ لعل الإقبال على الإنتاجات واندفاع الجمهور المتلقي نحو استهلاكها راجع إلى كونها توافق وتعبر عن هذه الأنساق المضمرة"²، هذا المجاز يخفي نزعة تركز الذات حول مواضيع محددة (مسموحات مباح طابوهات ممنوعات) على الرغم من أن التقليد الشفوي يتميز بالأسطورية والبعد عن الواقع-نسبيا-إلا أن المتداولين له يمكن اعتبارهم شرائح اجتماعية تستغل هذا الجانب المجازي الرمزي للشفويات لتبين صورتها للعالم بطريقة واعية أو غير واعية.

لعل الحديث عن الأدب الشفوي هو حديث عن الثقافة الشعبية عامة وقد أورد كثيرون عدة مميزات لهذه

الثقافة:

- طبيعة المادة الثقافية والتي هي في حركية دائمة وهي غنية بما تحتويه من رموز وكنوز فكرية وثقافية مختلفة
- غني هذه المادة وتنوع مكوناتها اللغوية وفساحة فضائها الرمزي وتنوعه، لذا فالفلكلوريين يقولون " أن الآداب الشعبية عامة ولعراقتها تحفظ لنا ذخيرة وافية نستطيع من خلال دراستها أن نتعرف على الحياة الذهنية والروحية لأسلافنا الأقدمين، كذلك نستطيع بواسطتها أن نضبط التاريخ الاجتماعي لهذه المراحل؛ والمراحل الأولى من المجتمع البشري."³

¹ - ليلي مسعودي، نفس المرجع ص54. 55

² - بعلي حفاوي: "مدخل إلى نظرية النقد الثقافي المقارن، المنطلقات، المرجعيات، المنهجيات" منشورات الاختلاف (الجزائر)، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت لبنان)، الطبعة الأولى، 2007، ص49-51.

³ - محمد سعدي: "الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق"، الديوان الوطني للطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990 ص17.

إن ما وصل إلينا من شفوي يعبر عن حياة الإنسان ومعتقداته السحرية وممارساته الطقوسية؛ يقول السير جيمس فريزر "إن الآداب الشعبية في عراقها تواكب السحر ... كان السحر يؤدي بلغة أسطورية أي أدبية ثم ما لبثت أن تحولت إلى طقوسية وانفصلت أخيراً الأسطورة عن السحر وأصبحنا نتلمس معرفتها من الأساطير الموجودة بين أيدينا (الطقوس والسحر مخزنان في النصوص الأدبية).

- الأدب الشفوي يتميز بالواقعية بالولادة والممارسة إذ انه مرتبط شكلا ومضمونا بقضايا عامة الشعب وهو ترجمة لواقع، تعبير عنه وترجمة له إلى رموز وعناصر سحرية وهو ترجمة للكبت والترجمة الحقيقية للواقع الاجتماعي من اجل خلق انسجام روحي في النفس وفي الإنسان والمجتمع".¹
- هو نتاج الجماعة رغم أن منتجه شخص واحد يترجم الواقع وهو ينوب عن الجماعة ويطرح قضاياها، لا يبقى الإنتاج الأدبي على صورته الأولى بل يتغير ويتطور (قصة واحدة وروايات متعددة).
- يتداخل مع كل المعارف الإنسانية كالدين واللغة والسحر إذن فهو يتقاطع مع معارف أخرى ينهل منها تارة ويحتويها تارة أخرى ليتخذ صفة الشمولية.

خاصية جهل المؤلف:

إن شرط جهل المؤلف غير وارد في تعريف الأدب/التقليد الشعبي الشفوي ذلك أن عددا كبيرا من المؤلفين يذكرون أسماءهم في آخر القصيدة وتاريخ نظمها أحيانا؛² يكفينا اعتبارها ترجع إلى المجتمع تعبر عنه حتى إن لم يتم ذكر المنتج الأصلي.

ركزت الأبحاث على أهمية الرجوع للمنتج الأول وافترضت مفهوم المؤلفات والإبداعات الشعبية الشخصية لكنها سرعان ما تراجعت عن هذه الفكرة وتم تعويضها بمفهوم المنتج اللاشخصي. كشفت الأبحاث المنظمة صحة وقدرة المفهوم الثاني على التحليل-التفسير. لذا يجب الاهتمام بأعمالهم من جهة "حملة التراث الشعبي" من جهة أخرى المتداولين له، كل هذا بغية الوصول للفهم؛ فهم الدور الهام الذي تؤديه التقليد الشفوي وعلاقته بمحددات مثل: جوانب النشاط الفردي/الجمعي المختلفة كالمهارة والتدريب والموهبة والذاكرة والخيال، إن كل مؤدي للأعمال الشفوية إنما هو منتجها ومبدعها في آن واحد، إن مجهولية العمل الأدبي وعدم انتسابه إلى

¹ - محمد سعيد، نفس المرجع ص 20.

² - مثل نظم ولد الوهراني الذي يشير فيه إلى اسمه والمدينة التي يقطنها "ماوسة".

مؤلف يرجع إلى أن أسماء المؤلفين لم يكشف عنها في أغلب الأحيان لأنها لم تدون بل تم حفظها من خلال ذاكرة الشعب فقط. غير أن الحال لم يكن كذلك في كل مكان دائما، إذ أن عددا من الأغاني المؤلفة قديما والحديثة نسبيا تحتفظ بأسماء مؤلفيها وترد هذه الأسماء عادة في آخر الأغنية أو في آخر المتن الشفوي (مثل متن ابن الوهراني) داخل صياغات صوتية (الوزن، القافية، التجانس).¹ قد أصبحت هذه الحيلة التي لجأ إليها الشعراء للاحتفاظ بأسمائهم في النصوص معروفة الآن على نطاق واسع، إن أسماء كثير من مؤلفي الأغاني والمتون الشفوية ستظل مجهولة لأنهم لم يسجلوا أسماءهم حين ألقوا هذه المتون وإنما نشروها عن طريق الرواية، ومع ذلك نؤكد أن المجهولية لا تعني أن الإنتاج الشفوي غير شخصي أو ينقصه المؤلف، إن المجهولية ليست سمة خاصة بالأدب الشعبي عند مقارنته بالأدب المدون، لقد أصبح الإبداع الشخصي مع بداية العصر الرأسمالي ينسب إلى مجموع "الشعب" ضمنا لحياة مؤلفيه وحماية لأسمائهم، غير أنه في العصر الإقطاعي كان مؤلفو الآداب المدونة وأصحاب الأعمال الفنية في ميدان فنون الحفر Arts graphiques (العمارة، النحت، التصوير) لا يميلون في الغالب إلى نسبة أعمالهم إلى شخصهم. إن مفهوم (المؤلف الجماعي) موجود في الفكر الحديث عند مفكرين مثل: "لوسيان غولدمان وميشيل فوكو؛" فالأول؛ حاول بلورة المفهوم من خلال منظور ماركسي قائلا بأن الكاتب أو الأديب لا يعبر عن ذاته بقدر ما يعبر عن الوعي الجماعي أو أنه فيما يعبر عن ذاته ينضج بوحي جماعة ما أو طبقة ما أو فئة ما؛ أما ميشيل فوكو فقد طرح فكرة (موت) المؤلف أو إحياء المؤلف، فالمؤلف ليس فردا ولا صوتا واحدا وإنما حصيلة مجموعة الأصوات والأفكار التي يتلقاها من المحيط الذي تحترقه فيسجلها على الورق، بمعنى آخر فأما له وليست له.

ترجع فكرة حصر الأدب الشعبي-الشفوي في الأثر المجهول المؤلف إلى الاعتقاد بأن هذا النوع يحظى باهتمام الجماعة الشعبية غير أن النصوص شائعة لدى الجماعة سواء كان المؤلف مجهول أو معروف. إن تداول الجماعة للنص الأدبي معناه أنها تجد فيه ما يعبر عن وجدانها بالطريقة التي تفهمها، إن الأثر المعروف-المؤلف ليس عاجزا دائما عن تحقيق هذه الوظيفة، كما أن اشتراط (التجهيل) لا يؤدي إلى إلغاء القيمة النفعية والجمالية والتداولية لهذا الفن.

¹ - وهو ما أشار إليه الباحث محمد الحبيب حشلاف الأخضر بن خلوف من خلال شعره (سلسلة التراث الثقافي رقم 6، دفا تر مركز البحث في الأثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية تراث، الملحون، نصوص ووثائق، تحت إشراف أحمد أمين دلاي، العدد رقم 15-2006 منشورات CRASC من ص25-48)، ص35

الله يَرْحَمُ قَائِلَ الْآيَاتِ *** الْاِكْحَلُ وَأَسْمُ بُوَّةَ عَبْدُ اللهِ
الْمَشْهُورُ أَصْلُهُ مِنَ الْفِيَاتِ *** مَعْرَاوِي جَدَّةَ رَسُولِ اللهِ

المهم بالنسبة للبحث الأنثروبولوجي معرفة المتداول-المردد للتقليد الشفوي وصاحب النص إن كان معروفاً أو من يُنسب إليه إذن صفة المتن المجهول لا تؤثر على البحث. ف"الأدب الشعبي هو أدب العامة سواء كان مطبوعاً أم مكتوباً، مجهول المؤلف أو معروفاً متوارثاً، رسمي أو غير رسمي.

ب) مميزات خاصة بالمؤلفين:

1. القدرة على الارتجال والإبداع الآني حسب مقتضى الأحوال والمكان... القدرة على إبداع نصوص جديدة في كل مرة.¹
 2. الالتزام بقواعد التأليف التقليدية ثقّفها المنتج بالفطرة والمعاشية والمحاكاة مع القدرة على التجديد، الابتكار والتأليف.²
 3. القدرة على الاستحواذ على الجمهور والتأثير فيه من خلال التشويق والإثارة وأسلوب خاص بالإلقاء، إثارة الخيال، التلاعب بالألفاظ واستخدام الإيماءات والإشارات.³
- يجب التمييز بين حامل التراث الشفوي "النشط" وحامل التراث الشفوي "الخامل" من حيث قدرة الأول على نقل التراث وعدم قدرة الثاني.⁴

بمراجعة المعجم الخاص بالشفويات يمكن أن نلاحظ أنها تتميز بلغة عامية خاصة، قريبة من اللغة الرسمية أحياناً (العربية الفصحى) أراد منتجوها أن تتصف بهذه الميزة (مراعاة السهولة في الإنشاء) لكي تكون قريبة إلى المتداولين والمتذوقين، من حيث الموضوعات هي عامة من جهة وفردية من جهة أخرى، تعتمد على الوصف والتقرير، المدح والهجاء، التأريخ للأحداث والأعمال، نقل للأحداث اليومية، نقل الحكمة، لكنها تجمع بين الواقعية والخيال، كما أنها شديدة الارتباط بالبيئة الطبيعية والاجتماعية.

1) البنية: يمكن أن نشير إلى بنية النصوص الشفوية التي تتكون غالباً من وحدات تعبيرية دالة تخفي أكثر مما تبين، كما أنه يمكن التعبير عنها بصيغ خطية وهندسية، يمكن تفكيك أشكال القصص وردها إلى وظائف

¹ - الرفاعي سيد: "المأثورات الشعبية، النظرية والتأويل"، الناشر المدى، بيروت لبنان، 2005 ص 34-35.

² - الرفاعي سيد، مرجع سابق، ص 34-35.

³ - الرفاعي سيد، مرجع سابق، ص 34-35.

⁴ - الرفاعي سيد، مرجع سابق، ص 45.

كما حددها فلاديمير بروب أي إلى وحدات جزئية مكونة للقصص ككل؛ يمكن أن نلخص أهم الخصائص بالرجوع إلى أبحاث مرتاض عبد الملك:

(2) الإيقاع: يعتبر المتن الشفوي بناء يعتمد على الإيجاز والدقة والاعتماد على فواصل أثناء التلفظ بها إيقاع منظم تطرب له الأذن وترتاح له النفس، يسهم في التأثير على المتلقين ويعجل تذوقه وتداوله، إضافة إلى الإيجاز والتكثيف تتميز الشفويات بمستوى بلاغي ومستوى إيقاعي ناتج عن جمع الشفويات لوحداث صوتية دالة؛ "إن البنية الإيقاعية المحركة للنصوص خلقت موسيقى خاصة ومميزة سواء على مستوى التلفظ أي لدى قائل القول أو على مستوى تلقي القول حيث تستسلم حواسهما لتلك اللذة التي قد يحدثها النص".¹ إن هذا الإيقاع يمكن رده إلى أن النصوص لها نمط محدد للتلفظ وجلها عبارة عن وحدات صوتية لها أثر بليغ على المتلقين مثل رباعيات المجدوب التي تتميز بمقطع خاص (قافية خاصة) يمكن أن نعبر عن خاصية ووظيفته الإيقاع بالشكل التالي:



الشكل رقم (11) يوضح دور ووظيفة الإيقاع.

الإيقاع مزية للنصوص الشفوية يساعد على خلق تفاعل بين السامع - المتذوق - والقائل كما أنها تولد انفعالا وحالة وجدانية أثناء التلفظ بالقول.

الشفويات والقيم كمقولات تمييزية:

بالرجوع إلى ما سبق، خاصة إذا ماتم الربط بين التاريخ الاجتماعي والشفويات يمكن الوقوف على دورها البارز، كمقولات كبنى عقلية ومعرفية، مفروضة لتعزيز وظائف محددة، كما أنها تؤسس للرمزي، ناتجة عن سيرورة من عمليات التأسيس، أخذت مظهرا طبيعيا بديهي، فشيوع النصوص الشفوية يعني بالتحديد شيوع نوع من القيم، وهو ما أفاد به بورديو بيار " يمنح التاريخ الاجتماعي بني معرفية تنتج بدورها مقولات إدراك ليست أشكالا للوعي بل إيعازات لا تعمل إلا لدى من هم مهيوون لإدراكها ويملكون الاستعداد...² ككل ممارسة حتى لو

¹ - سعدي محمد: "التشاكل الإيقاعي والدلالي في نص المثل الشعبي الجزائري"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص06.

² - بورديو بيار: "أسباب علمية، إعادة النظر بالفلسفة"، دار الأزمدة الحديثة، الطبعة الأولى، لبنان بيروت، 1998، ص10-11.

كانت لغوية مرتبطة بالأوضاع الاجتماعية؛ وهو ما يتجلى كسلوكيات؛ فالفرد في مواقف معينة كنتيجة لوجود خيارات يستدعي هذه القوالب المغروسة لتحفز استعدادات قيمة معينة؛ تنتج إما سلوك موافق أو رافض أو محايد تجاه الموضوعات الاجتماعية.

إن البحث في الشفويات كما هي موجودة اليوم يبين أن هناك توصيف لكل شيء، فهي تعطينا معنى للعلاقات وتعطينا "مسافات اجتماعية تفاضلية" فهي تعمل مثلا على نسبة قيم إلى شخص معين، أي تجعله يمتلك نوع من رأس مال رمزي وتنتزع هذه الخاصية من شخص آخر؛ والمبرر قد يكون الإلتواء أو "أسلوب العيش المشترك" فهي تعمل على توفير المصادقية من خلال التقييم.

في الشفويات يتم استخدام مبادئ للتفرقة، نابعة من الأوضاع الاجتماعية مما يجعل النصوص تدل على وجود ممارسات مختلفة، خيارات مختلفة ناتجة عن استعدادات مكتسبة من خلال التنشئة الاجتماعية، حتى لو اكتسب الفرد "قيم" إلا أن القائمين على التشكيلة الاجتماعية يرون أنها قد تكون امتياز بالنسبة إلى من ينتمي إلى نفس المكانة الاجتماعية أو ادعاء، أو نوع من الاستعراض بالنسبة للآخر؛ هناك نوع من القيم المصرح بها في المشافهة توجد بحكم الإلتواء، "وراثية"، مثلا: بالنسبة إلى عينة الشباب المدروس، القيم التي يتصف بها "الشريف" لا يمكن أن يتصف بها غيره مهما كان رأس ماله المادي؛ أي نسبة قيم إليه انتزاعها من كل شخص لا ينتمي إلى هذه الفئة الاجتماعية. أي جعل القيم كخصائص جوهرية أبدية بالنسبة إلى فئة دون أخرى، هذا ناتج عن جملة من الظروف التاريخية التي أنتجت هذه الأوضاع الاجتماعية وألحقت بها الشفويات للتدليل عليها، نلاحظ أن هناك "...تمسك بالفروق الظاهرة التي تسمح بالتنبؤ بخصائص الفاعلين المتشابهين فيما بينهم وتجميعهم قدر الإمكان في مجموعات والمختلفين في مجموعات أخرى مجاورة أو بعيدة..."¹، كل هذا من خلال اللغة، إذن هناك أسس لغوية للتصنيف، لخلق التمييز يلحق بها جملة مقولات (لكل جماعة اجتماعية مقولاتها الشفوية ومأثوراتها الخاصة. هي نابعة من الأوضاع الاجتماعية منتجة لما أسماه بورديو بيار "كفاح التصنيف"² هو كفاح رمزي لكي يفرض الفاعلون رؤية للعالم الاجتماعي. نتلمس هذا من خلال الشفويات المتعارضة المنتجة والمعبرة عن تميز فئة اجتماعية من جهة ورد الفعل -اللغوي- من الجماعات الأخرى المتجاورة أو البعيدة مثلا يمكن الرجوع إلى الأقوال التي جمعها سيدي أحمد بن يوسف³، حول القبائل المتوطنة في الظهرة وما جاورها إن هذا النوع من الشفويات معبر

¹ - بورديو بيار: "أسباب عملية"، مرجع سابق ص33..

² - بورديو بيار "أسباب عملية"، مرجع سابق، ص35.

³ - Basset Rene: Les dictons satiriques Attribués à Sidi Ahmed Ben Yousef In: Le Journal asiatique, Paris, 1890.

عن المجال الاجتماعي المشغول وعن توزع رأس المال والتمثيلات تجاه الآخر؛ تعمل المتون والمرددون لها على إنتاج الفروق الدالة-إعادة الإنتاج- كفروق موضوعية يسعى الفاعلون إلى إشاعتها، بل يسعون إلى نقلها في المكان والزمان مكونين بناء نظري تمييزي لبناء عائلات تاريخية؛ تشكيلات اجتماعية "سلالية" تتميز بقيم ثابتة أزلية؛ لهذا ينظر إلى تداول الشفويات على أنه محاولة لترسيم حدود فضاء، نطاق جغرافي محدود مغلق وقيم مشتركة لجماعة ما، لعزلها عن الجماعات الأخرى؛ إذن هذه العملية تكريس للعزل والوصم والتمييز وبناء للاجتماعي وللقيم السائدة فيه.

الشفويات ذات منطق انعكاسي، مرتبطة بمنهجها، متداوليها، ومن يؤمنون بها وهي تقدم نظرة مصغرة عن العالم (Microcosme) تعبر عن التشكيلة والأوضاع الاجتماعية؛ ذات وظيفة يمكن أن نصل إليها من خلال: فهم ما يريد الفاعلون تبليغه؟.

الشفويات تثير الكثير من التعالقات إنسان/إنسان، إنسان/اجتماعي، ينظر إليها على أنها ذات قيمة وكيوننة مليئة بالمعاني والاستراتيجيات لها غاية تبريرية شارحة مثل تحويل القيم إلى نشاط عملي مثلا: يلحق الفرد بالآخر من خلال علاقات الجيرة أو النسب، الرابط الدموي الذي تخلده المتون وتجعله مجلا، من خلالها يطلب من الفرد بأن يخدم غيره ويدخل في علاقات زبونية شرعية؛ أن يخدم المجتمع أن ينذر نفسه وذاته برفض الأنانية، يتوجه إلى الغير كل هذا للتأسيس للاجتماعي والمحلي.

التقليد الشفوي يتميز بالازدواجية بين تأكيد العالم (Affirmation du Monde) ونفي وإنكار للعالم (Négation du Monde) لماذا هذه الازدواجية؟ هل الهدف فرض توجه على الآخر؟

تتحلى النصوص كدراما لتؤرخ للعالم وتحاول أن تقدم نوع من التفسيرات لما هو موجود، كعرفة للكون Univers ككل، تخليد الكثير من الأحداث، الفارقة "المأساوية" مما ولد فكرة الإنكار؛ إنكار كل ما هو في العالم المادي ومحاولة الحصول على عالم آخر يتميز بالكمال، أي توفير شروط الحياة الاجتماعية بما يتناسب مع هذه الثنائية.

الغاية من التمييز هو صناعة الأخلاق Morale المبنية على ثنائية الخير والشر، أي أنها بطريقة غير مباشرة تسهم في أنسنة الواقع وتحوله إلى اجتماعي، فهي تلزم الفرد بأن يهتم بالعالم مع الإلتزام بالنشاط والفعالية Activité والحكم الإنكاري للعالم يتجلى من خلال تقديم تنازلات تلو الأخرى وفق نظام قيمي معين، خطاب

التمييز في التقليد الشفوي يركز على الاهتمام بالأنا (مطلوب إصلاحها، إكسابها جملة من القيم أن تكون العلاقة مع الآخر محدودة، ومن جهة الأخرى تلافي كل ما لا يناسب القيم الأولى كالقيم التخريبية المضرة بالأنا والآخر) مثلا: نصوص المجدوب تشير للدنيا على أنها "دَلَاعَة"، بدون فائدة أو قيمة ومثلها أبيات محمد بلخير التي تبين ضرورة الالتزام بالفرائض الدينية، هي دعوى لإنكار القيم الشاذة مما يقود للاعتراف الاجتماعي، التقليد الشفوي يتميز بالدعوى للكمال الداخلي. تنظيم السلوك مع النفس ومع العالم قد يبدو أنه نزوع نحو المثالية لكنه على علاقة وطيدة بالواقع. أي أنها تعبر عن نظام مستقل من المعتقدات، ترويحها يحيل إلى توزيع للمكاسب المحلية للجماعات المسيطرة مؤطر للخبرات تتجلى في السياق اليومي، تعمل على إنشاء ودعم علاقات السيطرة. من خلالها ينشأ مفهوم للعالم المعاش ثم يطلب من الآخر التصرف بناء على هذه المفاهيم القيمية، تحول كل الحقائق وتوحد لتظهر كحقائق مترابطة موحدة يجب الالتزام بها؛ لتتماهي معها الهوية الفردية والجمعية، يتم تزويد الأفراد بأنماط سلوكية "معدة ومحددة سلفا" تعمل كموجهات للفعل، تتميز بالترار، لا يمكننا حتى أن نفكر فيها (الأفراد يقومون بالأفعال لأنها تستند إلى نظام قيمي سابق لوجودهم يتبنونه ويتصرفون وفقه لا يجيدون عنه يقولون أنه طبيعي) يمكن أن نستكشف هذه الحقائق من خلال الشفويات... "يرى ميشال فوكو أن العويلم الأدبي يستبدل المجال الاجتماعي، ويتضمن الخلافات النظرية والمصالح المرتبطة بهذه التناقضات ويعكسها بجدة."¹

تعمل كل جماعة على إنتاج نص شفوي خاص بها لتخليد الأحداث والشخصيات، تصف التعاقب التاريخي، على أنه منطقي منظم له بداية ونهاية وهدف محدد، من خلالها تروج لتصورها عن العالم الاجتماعي ورؤيتها للآخر، هذه الشفويات مقولات -نص مؤطر- للدخلين للتشكيكة الاجتماعية والمنتمين إليها تصف الشفويات التاريخ الخاص بأنه عبارة عن مسار خطي أو دوري موحد؛ فجل الأشخاص لهم اسم واحد جد واحد نطاق جغرافي واحد مصالح مشتركة وما يهم قيم خاصة تمييزية؛ هذه القيم جزء من الهوية الذاتية الممتدة في الزمن، فالنصوص الشفوية مقولات قيمة توحيدية للأنا مع تاريخ سابق لها.

تمنح النصوص للأفراد تبريرات وتفسيرات لما هو موجود، كما أنها تمنح هوية تتميز بالاستمرارية والثبات، هذا على الرغم من التغيرات التي مست البنية الاجتماعية فتغير الأوضاع المشغولة من طرف الأفراد لم يؤثر في معاني القيم ولا في محتواها التمييزي. إذن يمكن القول أن الشفويات تجسيد للذات الآن، فالشباب المستجوب يعمد إلى استدعاء الشفويات كشهادة (سند) على هويته وقيمه وكيونته وتفردته؛ واختلافه عن الآخر.

¹ - بورديو بيار: "أسباب عملية"، مرجع سابق ص81.

الشفويات التمييزية مقولات معترف بها اجتماعيا ذات صبغة دائمة قابلة للنقل والغرس لدى الأفراد، مولدة لجملة من القيم يمكن أن تقدم الذات - من خلالها- على شكل خطاب شفوي تاريخي تأسيسي متجذر منتج للاختلافات القيمة، تبين من خلال التحليل أن الشفويات تؤكد على الأدوار المشغولة دون تمييز بين الأدوار الماضية والحاضرة، ودون مراعاة التغيرات الجذرية التي مست المجتمع، لازلنا نعيش-نسبيا- أدوار السلف، أدوار لفاعلين اجتماعيين تاريخيين؛ يمكن ارجاعهم للجماعات المتخيلة، كلها مؤثرة اليوم في نظام القيم، فالراوي يسرد الأحداث ويخلق محطات للاشتراك بينه وبين سلفه التاريخي. إن إنشاء علاقة مع الذات والسلف، هذا السلف الذي احتل مكانات وأدوار، يجب أن يحتلها جيل الخلف وأن يسيطر على المجال الاجتماعي كي لا يسيطر عليه الآخر المختلف من خلال صناعة تاريخ فردي وإحاطة بالتاريخ الجمعي وفرض بني قيمة معرفيه وإشاعتها، يجب الامتثال لها.

الشفويات يمكن احتزالها كاستعراضات بلاغية لكنها أبلغ من ذلك فهي عبارة عن معارف تمييزية تبين الصراع داخل وخارج البناء الاجتماعي، "...هناك تنافس بين الجماعات أو المجموعات حول ما يسميه هايدغر "Heidegger" التفسير العامي للواقع" بحيث ترغب الجماعات المتصارعة بصورة واعية تقريبا، في "أن تنتصر تفسيرها لما كانت عليه الأشياء وما هي عليه وما ستكون" وهو نفس الطرح الذي قدمه روبرت ميرتون في كتابه "سوسيولوجيا العلم" أكد أن الحقيقة تبقى موجودة لأنها محل نضال، ناتجة عن حقول يواجه فيها محترفو الإنتاج الرمزي بعضهم؛ لفرض الرؤية الشرعية لتقسيم العالم الطبيعي والاجتماعي؛¹ اللغة هي أحد تجسيدات الصراع داخل/خارج وبين الحقول.

الشفويات ذات فعالية رمزية، الفاعلون يسعون من خلال غرسها لبناء عقول وأجساد مشتركة ليرى الأفراد أن كل شيء طبيعي، بديهي وموضوعي (علاقات على اختلافها طبيعية، توزع القوى طبيعي، المكانات والأدوار طبيعية، فعل الهيمنة طبيعي... إلخ) من خلال إشاعة الشفويات يتم إشاعة قيم وبنى معرفية تقييمية محددة وغرس مقولات للإدراك ومبادئ لرؤية العالم الاجتماعي متفق عليها ضمنا (غالبا)، يجبر الأفراد على الامتثال لها، إن هذا الإمتثال يعبر عن علاقات الخضوع والسيطرة ويعبر عن معتقدات، شرعية واعتراف قيمي.

¹ - بورديو بيار، "أسباب عملية"، مرجع سابق ص106-107.

الغاية من الشفويات حسب فئة الشباب المبحوثين هو ترشيد السلوك وجعله سويا، أي أنها تؤسس لمبادئ عامة وتؤسس لنماذج إرشادية مبنية على متعارضات وثنائيات؛ القيم النابعة والتابعة لـ"الأنا" و"الآخر"، منضمة للممارسات الاجتماعية نابعة عن التجربة الإنسانية التي عاشها الأفراد، يرون أنها مقولات تاريخية متعالية لأنها ميراث الأجداد المجريين، إن تناولها يعمل كآلية إيعاز مولدة للامثال؛ الطاعة الخضوع فبمجرد ملاحظة سلوك معين نطلق عبارات للتقريع، استهجان، شكر، لتعزيز السلوك، كما أن إشاعتها تجعل من الأفراد الداخلين في البنية مهيين لإدراكها والعمل وفق مقتضياتها، إذن هي أكثر من نصوص فهي مرتبطة بالوعي، العقل والممارسة والأوضاع الجسدية متفق عليها ضمنا يمكن التفاوض حولها، هي مولدة للنظام القيمي ككل؛ كلما ردها الأفراد ينتجون ويعيدون إنتاج نفس القيم، إن إشاعة الشفويات يمكن اعتباره كإيعاز مضمرة؛ كإشاعة لنظام إدراكي لغوي/تقييمي.

الشفويات احتفائه حيث أنها تركز على جماعات "سلائية-إثنية" تصفها تضي عليها هالة من التبجيل-التقديس لكنها لا تتوان عن وصف "إثنيات" أخرى بعكس الأولى، كما أنها تلحق إحداها جنيا لوجيا بالأصل الروحي المؤسس وبتفرع محدد منحدر عنه، أي أنها مقولا تعمل على فصل وترتيب للشرائح والفئات الاجتماعية وتبرير هذا الإسناد من خلال القصص والحكي وتكرار السير الأحداث والأعلام، وتحويل الشخصيات إلى كاريزماتية وملهمة صانعة للأحداث، على الأفراد التسليم بهذا الواقع "التاريخي" وتبنيه في المعاش اليومي وفي النهاية يعمل الأفراد بطريقة غير مباشرة-لاواعية على إنتاج للنص وإعادة إنتاج للقيم (إذن نحن أمام قيم مبنية على مقولات راسخة تعمل كآلية تمييزية).

كما أن الشفويات تبين لحظات التضامن وأشكال التحالف الدائمة، الظرفية الممكنة أو الموجودة، يؤمن الأفراد ممن تم استجوابهم ميدانيا أن النصوص متوارثة عن الأجداد المجريين لا يمكن تجاوزها، وكل ما قيل يجب التحلي به. النصوص على علاقة بالسلطة وهي تفرض سلطة معينة كسلطة المؤسس الأول للجماعة؛ الأب الجد، على أنها أبدية.

مناهج وطرائق دراسة الشفويات:

كانت الخطوة الأولى في هذا البحث التزول إلى الميدان وجمع مدونة من مختلف الألوان الشفوية عن فئة الشباب، ثم في مرحلة ثانية تدوينها كما قيلت على لسان المبحوثين، ثم الرجوع إلى الميدان والاستعانة بالمدونة في

مرحلة لاحقة للقيام بمقابلات، ثم مقابلات مركزة، على اعتبار أن المتداولين للشفويات يعتقدون أنها تؤدي دورا معيناً، كل حديث مدون يعتبر كوثيقة تمكننا من اكتشاف القيم.

بعد الرجوع إلى التراث النظري المكتوب والدراسات حول الشفويات نلاحظ تعددت المناهج التي تم تطبيقها لدراسة التقليد الشفوي، لأنها تتصل بمعارف واختصاصات متنوعة، يصعب حصرها وتطبيقها كما هي، لهذا تم اللجوء إلى دمجها والاستعانة بكل منهج حسب الحاجة، يمكن استعراض المناهج والاجتهادات التالية:

يؤكد دادنس على ضرورة التركيز على المحددات التالية لمقاربة المتون الشفوية:

1. تحليل النص الشفوي الشعبي.
2. اكتشاف المحيط الطبيعي-الاجتماعي، للنص من خلال دراسة النص في السياق.
3. تركيبية النص.

كما أنه يجب الاهتمام بالمحيط الطبيعي للنص، أي السياق الاجتماعي الذي يؤدي فيه النص ووظيفته التي يؤديها في المجتمع، من خلال ملاحظة السياق الاجتماعي، للاستدلال على الغايات أو الأغراض التي أوجد النص من أجلها، كحامل لدلالات طقوسية، لنشاط إنساني أو لطرح تجارب يجب على الباحث معرفة سر استخدام قوالب لغوية معينة دون غيرها.

كما أنه يمكن أن نطبق المنهج الذي أتى به **فلاديمير بروب** لاستخلاص الوظائف الكامنة خلف النص، (استخراج الوحدات الوظيفية من النص، وتم الاعتماد جزئياً على بعض المفاهيم فقط).

من خلال هذا البحث تم الاعتماد بنسبة كبيرة على التحليل الموضوعاتي (Approche Thématique) لكن دون فصل النص عن المعاش فالشفويات تحوي "دوائر دلالية" موجهة من منتج النص إلى متلقيه كما أن استخدام القوالب الشفوية مربوط بموقف وبسياق استعماله يومي يجب الرجوع إليه للوصول إلى المعنى الحقيقي؛ هناك علاقة بين هذا الاصطلاح-الموضوعاتية، الموضوع-وغيره ك **Sujet** محتوي، أي أن المتون تفصح عن قضية رئيسة، وهي إشارة إلى بنية لغوية تتضمن بنية دلالية، يمكن الوصول إليها من خلال البحث الميداني. الشفويات تتميز بالثراء؛ وتعدد الموضوعات حتى أنه يمكن القول عنها أنها مؤسسة "الشبكة دلالات قيمية" تتميز بالتردد المبرر؛ يراد منها التأثير، التغيير، التعبير، والإفصاح عن معاني القيم السلوكية ونقدها؛ يمكن أن نعرفها بأنها: "مرتبطة بموضوع له مدلول خفي وجلي، هذه الموضوعات تعبر عن علاقة انفعالية لكائن مع العالم المحسوس، يظهر

ضمن النصوص؛ من خلال تكرار متجانس للتبادلات، يشترك مع موضوعات أخرى من أجل بناء المعنى الدلالي والشكلي لعمل ما"¹، أي أن البحث في الشفويات هو بحث عن موضوع *Thème* غالب يكون محدد. في هذا البحث هو الموضوعات التي ترتبط بالسلوكيات والقيم، نلاحظ أن النصوص تحاول أن تكشف عن "موضوع" وهوية أصلية خفية *Identité cachée* يمكن الوصول إليها من خلال حصر المواضيع ومتابعة الاستخدام اليومي للشفويات أي أن الدراسة الحالية ربط بين فعل التلطف، شفويات الذات والموضوع، المعنى والسلوك أي السعي في الأخير لتحليل المضامين وردها إلى القيم، بالتركيز على:

1. التركيز على الموضوع المهيمن في النص الشفوي، حصر أهم المضامين بالرجوع إلى العينة وتفسيراتها، ثم ترجيح التفسيرات والتأويلات الشائعة ثم التأويلات الشاذة والمتعارضة لأنها تحتوي على المعنى.
2. المواضيع الفرعية؛ لأنها يمكن أن تثرى النص الأصلي بالإضافة إلى النصوص غير المكتملة؛ المجاورة والمتساندة.
3. الوحدات المعجمية الدالة على الموضوع أي العبارات الدالة على القيم/السلوك، مع تجاوز البنية السطحية إلى البنية العميقة، وتجاوز الجانب الجمالي الشكلي أحيانا.

الاجتهادات العلمية لدراسة الشفوية:

بدايات الاهتمامات الجادة كانت مع الأخوين وليام وجاكوب غريم؛ في دراسة تراث الفلاحين من مؤلفاتهما "الحكاية المتزلية" سنة 1815-1816، "الخرافات الألمانية" سنة 1816-1818، علم الأساطير الألمانية سنة 1835 الشائعة بين الفلاحين الألمان،² اعتمد على الحكايات والألعاب والأقوال والأسماء والتعبيرات الشعبية يصفها بأنه بقايا فلسفة وأسلوب حياة مكونة أساسا من أغاني وتراث الفلاحين، الحكايات الأوروبية والأساطير واسعة الانتشار؛ كلها صدى للحياة الروحية لتلك الجماعات البائدة التي تشكل الأصل السلافي لهؤلاء الفلاحين،³ الباحث الإنجليزي وليام جون ثومز يعبر عن الشفويات باصطلاح؛ الآثار العامة أو "الفولكلور" ويعرفها بأنها "التراث والمعتقدات المتناقلة من جيل إلى جيل بالرواية الشفوية"،⁴ كما أنه أكد على دراسة -الشفويات- وتنوعاتها لأنها ترتبط بنشاط محدد توافق الناس على ترديدها لأنها ذات وظيفة (عامل أساسي في تنظيم وحداته

¹ - وغيلسي يوسف: "التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري؛ كلام في المنهج، فعل الكلام" دار الريجانة للكتاب، الجزائر، 2007، ص 20.

² - الرفاعي سيد: مرجع سابق، ص 16.

³ - الرفاعي سيد: مرجع سابق، ص 17.

⁴ - الرفاعي سيد: مرجع سابق، ص 21.

الحركية). يضاف إليه العديد من الدراسات الأكاديمية لباحثين مثل مارسيل غريول، بول زمطور وجاك غودي... الخ.

الاجتهادات الكولونيلية لدراسة الشفويات:

ترجع بدايات الاهتمام بالمواد الأدبية الثقافية في الجزائر إلى المرحلة الاستعمارية ممثلة في المؤسسة العسكرية والمؤسسة الإدارية-الفرنسية-الرسمية ثم المؤسسات الأكاديمية بعد ذلك. بدأ الاهتمام بها منذ اللحظات الأولى الاحتلال الفرنسي؛ كانت الدراسات تهدف إلى الكشف عن الآخر ومعرفة طبيعة الحياة الاجتماعية لخدمة الاستراتيجية العسكرية؛ قاد البحث الضباط الذين كتبوا عن المجتمعات المحلية في مذكراتهم ثم تحولوا إلى دراسات أنثروبولوجيا تكتيكية القصد منها توجيه السكان للتكيف مع الإدارة الفرنسية، قام الضباط برصد واستكشاف الثقافة المحلية وتسجيلها من أفواه قائلها وتحليلها ودراستها عن طريق أكثر المناهج استجابة للغرض النفعي المقصود من طرف الإدارة الفرنسية اتجهت الحكومة الفرنسية في مرحلة أخرى إلى تكريس الدراسات العلمية لخدمة أغراض السيطرة الإدارية على المناطق التي تم إخضاعها نهائيا. تم إنشاء هيئات علمية لخدمة هذا الغرض فظهرت الجمعية الجغرافية SOCIETE GEOGRAPHIQUE والجمعية التاريخية الجزائرية SOCIETE HISTORIQUE ALGERIN التي أصدرت المجلة الأفريقية LA REVUE AFRICAINE؛ قامت هذه الهيئات بنشر عدد لا بأس به من الأبحاث حول الحياة الشعبية؛ كانت تعقد مؤتمرات دورية تتناول فيها موضوعات من التراث الشعبي والتقاليد والعادات الجزائرية نشرت لاحقا من طرف أكاديمية الجزائر؛ لاحقا، ظهرت الجمعية الأنثروبولوجية والاركيولوجية لعصور ما قبل التاريخ في منتصف الخمسينيات وأصدرت مجلة ليبিকা LIBICA "1953" وهو المركز الوحيد الذي ضل ينشط في الجزائر بعد الاستقلال.¹

فازت الطرق الدينية والممارسات الشعائرية للجماعات الدينية بالنصيب الأوفر من الدراسة نتيجة لتأثيرها وانتشارها الواسع والملفت للانتباه، اهتم الضباط العسكريون مثل "أ.دونوفو E.DENEVEUX والكولونيل" مثل ترومليه "C.TRMLET" بدراسة الأولياء الصالحين وأضرحتهم ومعتقداتهم وطرق تنظيم المجتمعات الدينية وممارساتها ومعتقداتهم والمنتسبين إليهم (مثلا إعادة كتابة سير الصالحين وتدوين مآثرهم كما وردت لدى الأهالي في كتاب - Algérie Légendaire كما أن المجلة الأفريقية نشرت بحوث مماثلة لأليكسندر جولي

¹ - بورايو عبد الحميد: "الأدب الشعبي الجزائري، دراسة في أشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر" دار القصة للنشر، الجزائر 2006 ص 09.

ALEXANDRE JOLY وروني باسيت R.BASSET عن سيدي احمد بن يوسف وعن قصص الكرامات للولي المذكور وغيره.

وانتهت البحوث إلى الكشف عن الرواسب التي تبقت لبعض الاقليات في مراحل ما قبل التاريخ وما قبل الإسلام أي في العهد الرماني وما قبله تم التمييز بين الجماعات اللغوية في الجزائر وكانت البحوث ذات طابع تكاملي وتميزت بالشمولية وعدم التخصص حتى أنها تناولت الشفويات كموضوع ثانوي.

وظهرت عدة كتب مثل الجنرال دوماس M.DUMAS و.م.فابار M.FABAR حول المقارنة بين الاقليات والجماعات الاثنية في الجزائر وقد تفرد دوماس DUMAS بنشر عدة تحقيقات حول المواد الشعبية الأدبية لدى هذه الاقليات في المجلة الافريقية وقام باري BARBET بمقارنة بين المرأة القبائلية والعربية وظهرت دراسات حول بربر الشاوية وبيني سنوس والطوارق والقبائل، وأكد جان ديسبارمي DESPARMET أن المادة الفلكلورية هي نفسها في مختلف البلاد وأن العادات والتقاليد المتعلقة بدورة الحياة تتشابه تشابه غريب في كل مكان وليس بالنسبة للجزائر فقط وإنما لشمال أفريقيا.¹

بعد التحول إلى نظام المكاتب العربية وبعد ظهور هيئات أكاديمية مع بداية القرن 20، توجه البحث إلى الثقافة المادية، المساكن الأهلية، الصناعات التقليدية والفنون والحرف والسحر وانتقلت مقاليد البحث للاكاديميين. من الباحثين الذين عالجوا الادب الشفوي ألفريد بل وروني باسيت الذي كتب حول الجازية وبنيت الخص RENE de 1905. n 49. La legend de BENT EL KHSE. la revue African . BASSET حاول روني باسيت أن يرد القصة إلى اصلها العربي القديم، أفاد أنها من مآثر بني هلال انتشرت خلال هجرتهم إلى أفريقيا،² أصبحت تحمل طابعا محليا وتعود أصولها إلى اقدم حقب الأدب.

هناك العديد من الدراسات الكولونيلية مثل هانوتو في كتابه أشعار قبائلية:

HANOTEAU .poésies populaires de la Kabylie du Djurdjura .Paris .imprimerie impériale .1867.

يندرج هذا الكتاب ضمن الكتابات الإثنوغرافيا الكولونيلية وهي تختزن وثائق ذات قيمة تاريخية هامة اهتم بها مسجلو الأحداث وموظفو المحاكم والضباط المكلفين بشؤون الأهالي والمبشرين والباحثين منذ أوائل القرن

¹ - بورايو عبد الحميد : مرجع سابق، ص 12.

² - بورايو عبد الحميد، نفس المرجع ص 17

19 ومن بينهم هانوتو الذي اهتم بدراسة الواقع السوسيوولوجي لتلك المرحلة وعمل على تصويره ودراسته واستطاع نقل العديد من القصائد التي ظل التقليد الشفوي يضمن لها الاستمرار عبر قرون. جمع فيه 621 قصيدة متفاوتة الطول، تحتوي مدونته على قصائد يتراوح عدد أبياتها ما بين 87 إلى 126 بيت وقد جمعها من منطقة جرجرة سنة 1887،¹ (لا زال الباحثون يهتمون بها إلى اليوم؛ ورد ذكرها في اعمال مولود معمري وبوحبيب حميد)

أكد هانوتو² HANOTEAU، أن التقليد الشفوي (الأدب الشفوي) حقل إنتاج وهذه المادة الأدبية تتجه إلى الأفول والتجدد والتغيير خاصة أن من يتداولها لا يحرص على نسخها أو كتابتها وتدوينها. لهذا النظام عدة سلبيات حيث يلحق بالنص الأدبي العديد من التعديلات كلما استطال المد الزمني لهذه الحلقة التواصلية، ثم تتلقى النصوص الأدبية إلى التلف والتلاشي كلما تراخت الذاكرة الجماعية بتعاقب الأجيال والحقب، لا يُفقد من هذا التلف إلا التمر القليل من الانتاجات؛ إضافة إلى أن الشعراء (المنتجين للأدب الشفوي) يفضلون إلقاء ما هو حي جديد على الجمهور المتلقي فيختارون ما يهم السامعين بشكل مباشر كالأحداث المعيشة ذات الصلة بالحياة اليومية الشيء الذي يُعجل الحركية والإبداع وبعث على تجاوز النصوص القديمة ويحتم عليها الدخول في حلقة الأفول والنسيان والتلف؛ كتاب هانوتو يحتوي على ثلاثة وخمسين قصيدة يتراوح طولها من ستين بيت إلى عشر أبيات مختلفة الشكل كتبها بالحروف العربية واللاتينية مع تقديم ترجمة بالفرنسية وضمن كتابه مدونة حول عدة شخصيات عرفت في ذلك العصر مثل سي محمد أو محمد.

تتسم هذه الأشعار بالأصالة نظرا لغورها في الزمن القديم من جهة وامتدادها في الآني من جهة أخرى، إذ تم نقل أغلبها من أفواه المبدعين لها ويصرح هانوتو قائلاً " ... الفرد في مثل هذه المجتمعات ذات التقليد الشفوي يتسم بشكل خاص؛ وقد بلغ درجة عالية من الحفظ والتخزين يعجز عنها الفرد المثقف؛ هذا الذي يملك ذاكرة هشة بالاعتماد على المكتوب الثابت ... " وقد حاول هانوتو التأكد من النصوص فلجا إلى محاولة الرجوع إلى قائلها بعد مدة من الزمن وتأكد أن النصوص نقية، أصلية وقال انه يعرف أشخاصا من القبائل يمكنهم ترديد بعض الأشعار طيلة يوم كامل دون تعب أو نسيان أي جزء منها.

¹ - بورايو عبد الحميد، المرجع السابق، ص 17 ص 11

² - جلاوي احمد: "أشعار شعبية من قبائل جرجرة، قراءة نقدية لكتاب هانوتو"، دار زرياب، الجزائر، 2001.

تقدم نصوص التقليد الشفوي بعد جمعها مرجعا ثريا وأصيلا يمكن استغلاله في عدة ميادين ففي الجانب اللساني تعتبر مساحات نصية رحبة تجسد خصوصية اللغة (العربية، الامازيغية)، تُمكن من إنجاز قاموس لغوي لمفردات غير متداولة أو الكشف عن ميكانزمات اللغة من حيث الصرف والنحو والتركيب، أما من الجانب التاريخي فان اغلب النصوص تقدم صورة حية عن حياة الإنسان في ذلك الوقت؛ تمكن المؤرخين من استنباط عدة حقائق خاصة أن هذا الإنتاج يمثل شهادة حية لمن عاصروا وعاشوا ذلك العصر وتُمكن للباحث معرفة النظام الاجتماعي.

يصرح هانوتو في مقدمة كتابه أن من بين الغايات والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها من خلال عمله هي التعرف على الشعوب من خلال إنتاجها الفكري الذي لا يحتمل الخطأ؛ " أن أدب أي شعب من الشعوب يمثل مرآة عاكسة لمستوي تطوره الذهني والأخلاقي ويكون هذا الوصف أدق كلما كان هذا الشعب اقل إيغالا في التحضر، بحيث لا تكون إبداعاته من طبقة المثقفة. بل تكون مميزة عن باقي التركيبة الاجتماعية، بل أن المبدع يكون من نفس الشريحة الشعبية العريضة، وقبائل جرجرة تمثل النموذج الذي يجسد أبعاد هذا الوصف " وهذا ما يتيح التوغل في أعماقها ويسهل التحكم فيها وفهمها بسرعة ويقول هانوتو " أن هذه الأشعار يمكنها أن تقدم لنا دروسا في غاية الأهمية بالفعل لأنها تكشف لنا الحالة الذهنية والنفسية للأشخاص أثناء الحرب خاصة في السنوات الأوائل التي تلت مرحلة الغزو حين كان الشعب تحت وطأة الخوف من الحرب والرعب، ومن خلال تسجيل الأشعار اللاحقة يمكن ملاحظة التحول الحاصل في نفسية الفرد القبائلي."

اهتم بالنصوص التي تصور الحياة الاجتماعية والإنسان ومظاهر حياته الفكرية والعقائدية أكثر من النصوص التي توفر معلومات حول الشؤون الخاصة بالحب والعواطف لكنه استثنى التراثيل الدينية التي ظهرت في دراسات أخرى مثل: الدراسات التي اهتمت بقصص عن الأنبياء؛ موسى وعيسى ويوسف -عليهم السلام-

كتابات جوزيف ديسبارمي JOSEPH DESPARMET (1863 1942) الذي اهتم بالأدب الشفوي، كتب بين سنتي (1910 1938) في عدة مجلات أبحاث ومقالات التي وصلت سبعة مقالات حول الشعر الشفوي، تحدث عن المقاومة اللغوية والإصلاحيين في مجموعته الأولى، التي تميزت بقصائد ذات متن مختلف لكنها، تتحدث عن الفرنسيين، إعتبر أنها تواسي الشعب وتنشر الوطنية وعدم التسامح مع المحتل لأنه ركز على قصيدة تصف احتلال العاصمة ونزول الفرنسيين. يضاف إليها دراسة الأغاني الشفوية والأمثال التي تعرض لها آخرون

وشرحوها، أعطى معرفة مباشرة عن المجتمع الجزائري فريدة من نوعها بين المستشرقين الذين عاصروه، على الرغم من أنها ناقصة نظريا لكنها مهمة لأنها سياسية أكثر من كونها علمية (معرفة ما يفكر فيه الشعب) تم الإشارة فيها إلى الإصلاحيين. أما القيمة العلمية فتكمن في المقاربة بين الشفوي والمكتوب وعلاقتها بالمجتمع كيف تحفزهم؟ كما تبين العلاقة بين الأجناس الأدبية انساق النظام التي تتربط وتتساند وتتغير إذا تغير أحدها. هذا المجال خصب وثرى يمكننا دراسته تزامنيا أو تاريخيا مع مختلف الأجناس والأنواع المكونة للجماعة الواحدة انطلق منها كثير من الباحثين.

بين الباحثون أن "المكتوب" جزء من الشفوي وهما في علاقة دائمة إلا أن الشفوي متسع ليشمل الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبالعودة إلى مقاربة ديسبارمي DESPARMET نجد انه كتب ما كان متداولاً شفويا بين جماعات ريفية أو حضرية كانت تعبر عن الواقع وهذه العملية في تداولها تسمى تثقاف في المجتمع الجزائري وبين آليات انتقال المعرفة في ثقافة تقليدية معقدة.

JOSEPH DESPARMET les chansons de geste de 1830.a 1914 dans la METIJA .revue Africain .Alger 1939

ركزت الأنثروبولوجيا الكولونيلية على ما هو غير مكتوب مثلما أفاد به جرمان عياش.¹ أن الباحثين كانوا في البداية منفردين وكشافين بالمعنى الدقيق للكلمة ومن أشهرهم دوفوكو الذي تنكر ليظوف بالمغرب ويجمع معلومات عنه، مثله مثل لامارتنيير ولوشاتولي اهتموا بكل ما هو مكتوب أو شفوي؛ للقبائل وتقاليدها والزوايا والعائلات،² وجل الدراسات منشورة في المستندات البربرية Les Archives Berbères وبالأرشيف المغربي Les Archives Marocains إنتظمت الدراسات الأولى في جزئين والثانية ثلاثين مجلدا كلاهما يضم حوالي 300 صفحة نشر أول عدد منها سنة 1904، بالإضافة إلى موسوعة من ثمانية مجلدات حول المغرب مدنه وقبائله (1914-1930) كما أنها ضمت الكثير من النصوص الشفوية بين دفاهما؛ خاصة أن جمع الشفويات لم يكن يتطلب مستوى محدد أو مؤهلات خاصة (قام بالجمع هواة الغرائب والمستكشفون، التجار والإثنوغرافيون).³

¹ - في هذه الجزئية إشارة إلى الأبحاث الكولونيلية حول الشفوية بالمغرب، هذه الأبحاث التي كانت كامتداد للدراسات في الجزائر، وبعضها كان من طرف باحثين استفادوا من دراسات في الجزائر ليتنموا أبحاثهم في المغرب أو دول أخرى. اهتمت بالشفويات ولم تخرج عن القاعدة الشهيرة، "المعرفة من أجل السيطرة"

² - ادريس كرم: "الأدب الشعبي بالمغرب، الأدوار والعلاقات في ضل العصرية"، مرجع سابق، 2004، ص15-16.

³ - ادريس كرم، مرجع سابق، ص16-17.

يمكن القول أن الأدب الشفوي نظام له هدف، يتغير بتغير المجتمع حسب استراتيجية معينة ويمكن القول أن المكتوب تكريس للشفوي خاصة إذا كان المنتجون له يعبرون عن طبقاتهم وانتماءاتهم مثل كتابات كاتب ياسين ومولود فرعون هذا الأخير الذي تحدث عنا لقصة المأخوذة من المدارس الفلكلورية (بقرة اليتامى) إذن هناك تبادل بين الشفوي والمكتوب. كما أن الأدب، التقليد الشفوي مرآة للمجتمع، وهو مهم للغوي والإثنولوجي والمهتم بالتاريخ لأنه يقدم معرفة عن المجتمع، عبر عنها التلي بن الشيخ عندما قال: "إذا أردت أن تعرف عواطف السواد الأعظم وماهية عاداتهم التي يجرون عليها وأفكارهم والمنازع التي يتزعمون إليها فانظر إلى أدبيات عوامها فأما تمثل حياتهم الاجتماعية تمثيلا صحيحا لا غبار عليه."¹

ويمكن ذكر دراسات كثيرة مثل:

دراسة ل.ريين L.RINN جمع مدونة من منطقة جرجرة تحوي من 78 إلى 126 شطر وقد حاول أن يعرف من خلالها رأي السكان في الثورة الشعبية التي قادها الشيخ حداد وحاول معرفة رأي الأهالي في الزعامات الدينية في منطقة القبائل²، كما أن لوسياني LUCIANI حاول أيضا جمع بعض الأغاني القبائلية، كتب في المجلة الافريقية 1899 CHN SON KABYLES وكتب أيضا عن ثورة المقراني.³

دراسة لاكوست CAMILLE LACOSTE-DUJARDIN حول القصة القبائلية بالإضافة إلى كتابات المهتمين بالمادة الأدبية من الفرنسيين ظهرت نخبة من الجزائريين في بداية القرن العشرين ونهاية القرن التاسع عشر ممثلة في خرجي مدارس المعلمين ببوزريعة مثل عمار بوليفة (1865-1931) الذي اهتم باللغة الأمازيغية والامثال الشعبية وكذلك فعل محمد بن شنب (1869-1929) حين ألف مصنفا للأمثال الشعبية⁴، ومولود معمري حول سي محمد والذي عرف ب"ASEFROU" وهو تحت عنوان : LES ISEFRAN DE SI MOHAND. Maspero : Paris.1665.

وكتبت تاسعديت ياسين سنة 1988 عدة مقالات وكتابين حول الآداب الشفوية القبائلية في مجلة أوائل

AWAL

¹ - التلي بن الشيخ: "دور الشعر الشعبي الجزائري في ثورة 1830.1945" الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (1983).

² - بورايو عبد الحميد، المرجع السابق، ص 12.

³ - بورايو عبد الحميد، نفس المرجع ص 16.

⁴ - بورايو عبد الحميد، نفس المرجع ص 26.

TSADIT YACINE .lirli ou l'amour chante en Kabylie fondation de la maison des sciences de l'homme.1988 et bouchene .AWAL .1990.

وقد أولى الدارسون أهمية كبرى للآداب الشعبية وتوجهت عناية الدارسين إليها؛ الفت مصنفات كثيرة لا زالت تمثل إلى اليوم مراجع ثرية تجمع وتحلل وتدرس وتقدم الأمثال وخير دليل على ذلك مجمع الأمثال الذي احتوى على ستة آلاف مثل مشروحة ومبوبة مما يوحي بالأهمية الكبيرة لهذا الحقل، ذلك أن الأمثال تعبير عن تجربة إنسانية سهلة الجمع والتصنيف والتعليق، مثل الأمثال والحكم الشعبية لقادة بوتارن ويحتوي على 1010 مثل ومصنف بن شنب وبن هدوفاة.

إن الحديث عن الأنماط الأدبية الشفوية عموما حديث متشعب المسالك صعب التحديد وما وصلنا من نصوص الأدب الشعبي الشفوي مرتبط بالثقافات موضوعا ومحتوي بحيث يصعب على الدارس الوصول إلى رأى قاطع بشأن انتماء هذا الأدب المتواتر المنطوق وميتي تم تداوله لأول مرة، ذلك لامتزاجه بكثير من الثقافات ماضيا وحاضرا.

ما نقصده في هذا البحث ليس عموم الثقافة الشعبية مثل الرقص والنحت والوشم ومختلف العادات والتقاليد وإنما نقصد التعابير المنطوقة أي ما يؤدي بواسطة الكلمة أو ما اصطلح على تسميته بالإبداعات الشعبية الشفوية وعلى وجه التحديد المثل الشعبي والقصة الشعبية والشعر.

الشفوية الأنواع والتعريفات:

المثل؛ الحكمة:

عبارة عن قالب لغوي يشير إلى التجربة الإنسانية أو نموذج معرفي ناتج عن سلوك سابق يعتقد أنه يتكرر من طرف من يوجه إليه الخطاب، أو الذي يدور حوله الحديث وتتميز بالشمولية والجدية وسهولة الإقحام.¹ يتخذ قوته من مقدار ملائمته -شكلا- للموضوع الذي أريد له أن يكون معبرا عنه وما نحاول وصفه بالمشاهدة والمشاكلة.²

¹ - ادريس كرم، مرجع سابق ص32.

² - ادريس كرم، نفس المرجع ص32.

القصة؛ الحكاية والسيرة الشفوية:

يرى البحث بوحبيب حميد أن الحكاية تتأسس كخطاب شبه قدسي يتراوح بين معرفة ذات طابع كشفي (comme révélation) وكتجربة جماعية موغلة في القدم والخيال من جهة؛ وتميز من جهة أخرى بأنها مهووسة في البحث عن الأصول، "لتأسس على ثنائية الواقع حقيقة من جهة ورمز أسطورة من جهة أخرى".¹

بالرجوع إلى المتون الشفوية يمكن التمييز بين ما هو أسطوري خيالي وأجزاء أخرى تنتمي إلى الحقيقة، فالنص يعبر بصفة صريحة أو ضمنية عن الذات المنتجة له ومتداوليه، وتكراره يعمل على ترسيخ نوع من القيم.

ومن مميزاتهما أنها: -أي الحكاية الشعبية- "تبدأ بجملة افتتاحية نمطية أي الاستهلال، تأتي لتفتح مجال السرد وتضع المتلقي في فضاء الحكاية، اعتاد الرواة استهلال نصوصهم بجملة وعبارات دالة، إلى درجة أن أصبحت جزءاً ثابتاً في المنظومة الهيكلية العامة للنص بل عنواناً مميزاً".²

الرواية الشفوية للأخبار والحوادث هي أهم وسيلة يطلع بها على ما يجري، لذلك تحتل مكانة مرموقة سواء على الصعيد الأسرة أو الحي أو القرية، يمكن التمييز فيها بين ما هو ملحمي، أسطوري، خرافي، أو فكاهي.³

الهدف من هذا البحث هو معرفة كيفية توظيفها وكيفية استخدام محمولاتها مع البحث في مدلولاتها القيمة بعيداً عن التركيز على تاريخها، بنيتها أي كما هي موجودة اليوم.

الحكاية تحويل لسلوك أو قولته في سياق لغوي يهدف إلى غرض نهائي يريده الراوي والحاكمي أو المتلقي أو هما معا... هي كل تعبير لغوي عن سلوك أو تصور لسلوك بشري أو حيواني أو حادث طبيعي وقع للفرد أو الجماعة ترتبت عنه جملة من الممارسات والطقوس والعقائد أكان ذلك بالزيادة أو الحذف يفسر بها سلوك الفرد أو الجماعة.⁴

¹ - بوحبيب حميد مرجع سابق، ص 89.

² - بوحبيب حميد، نس المرجع، ص 95-96.

³ - ادريس كرم، المرجع السابق، ص 31.

⁴ - ادريس كرم، نفس المرجع، ص 31.

الحكاية تخفي بقدر ما تفصح عن معنى وقيم ترتبط بالسوك؛ "يجب فهم آلياتها فهي أحيانا لا تهدف إلى ذكر الحوادث التاريخية - كما حدثت - بقدر ما تهدف إلى التعبير عن رأي وآمال إزاء حوادث ماضية، هي تناول لكل شأن من الشؤون العامة والخاصة من غير تخرج حتى في اختيار الألفاظ، العبارات والكلمات..."¹

الحكاية عبارة عن بنية تحكمها مبادئ كالسرود مكونة من حبكة عقدة وشخصيات قد تصل الشفويات إلى درجة الأسطورة؛ وتنحوا نحو المقدس ذات معنى ومضمون عميق على صلة بالكون، والوجود وحياة الإنسان، غالبا ما تكون مجهولة المؤلف، يمكن نسبتها إليه أو إلى شخص يدعي إبداعه لها؛ "لأنها ليست من إنتاج خيال الفرد بحيث نقول إن فلان (س) هو مؤلف الأسطورة، بل هي ظاهرة جمعية يخلقها الخيال الجمعي المشترك للجماعة وعواطفها وتأملاتها عبر الزمن."²

يمكن الإشارة إلى التحولات التي مست بنيتها كتحول الشخصيات والزمن من الأسطوري إلى الواقعي، "أصبح الشطار والماكرون بشرا، بدل أن كانوا مقدسين أصبح البطل إنسانا بشريا، بعد أن كان إله أصبحت الأسطورة مجرد حكاية أو أهدوثة أكثر بساطة."³

من مميزات الحكايات والقصص أيضا أن الأحداث فيها تتحول من معقولة، مقبولة إلى أحداث غير معقولة، وغير مقبولة لأن المرسل أو الراوي يجند العديد من المبررات بغرض معين أو لهدف معين، تعتمد على التهويل والمبالغة لتحرك الشخص فيها (الأبطال) من مستوى طبيعي إلى مستوى غير طبيعي فيستعينون بالكائنات ما فوق طبيعية، كما أنهم يمتلكون بين الحين والآخر قوى سحرية تمكنهم من إنجاز الأفعال وتجاوز العقبات، لكن يمكن تمييز نوع آخر من الحكايات أقرب إلى الواقع مثل السير الشعبية فهي أقرب للواقع لها أهداف محددة كما أنها قريبة من التاريخ المحلي. المهم أن كل الألوان الشفوية تحاول أن تحقق فكرة "النموذجي" و"المثالي" الذي يجب الاقتداء به ومحاكاته في كل سلوك. مثلها مثل الليجنده (Légende)؛ أي القصص غير المتحقق من صحتها تاريخيا، رغم الاعتقاد الشعبي بصحتها، يطغى عليها الخيال وتمتلئ بالمبالغات، وهي تدور غالبا حول حياة أشخاص متميزين ومحبوبين على النطاق الشعبي."⁴

¹ - ادريس كرم، مرجع سابق ص 32.

² - محفوظ محمد ابو حميدة: "قراءة في الأسطورة"، الطبعة الأولى، اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، ليبيا، 2006، ص 11.

³ - محفوظ محمد ابو حميدة: مرجع سابق، ص 14.

⁴ - محفوظ محمد ابو حميدة: مرجع سابق، ص 22.

يمكن الإشارة إلى أن جل الألوان الحكائية تتميز بأنها تقترب من مفهوم "الهاجس" الذي تسعى لخله أو مقاومته، أو تقديم حلول لما هو متوقع في المستقبل، له علاقة بالمعاش الاجتماعي، وطبيعة العلاقات والتشكيلة الاجتماعية. يبحث الراوي من خلال التقليد الشفوي عن الإجابة عن هذا "الهاجس الاجتماعي" يقدم بنية سردية ذات خط واحد، مكونة من استهلال، حبكة وحل، مع محاولة الحفاظ على منطق تسلسلي واحد، لغاية هي الوعظ التحذير، التقرير أو التهذيب. يوظفها المتداولون للتأكيد على وحدة الأصل والانتماء وتحقيقاً للولاء (تبيان التجذر الاجتماعي)، إضفاء القداسة على السلالة، فهي ارساليات موجهة للبنية الاجتماعية وللفاعلين التاريخيين وبالتالي تعتبر كمنتجة للقيم الملاحظ أنها تترع إلى الأسطورية أحياناً؛ لكن الباحثين يميزون بينها ويذهبون إلى أن؛ "الأسطورة وقصص المناقب، والحكايات النادرة، ترتبط بالقدس، فإن الحكاية والنادرة تعالقان بالمدنس، يكمن الاختلاف بين هذين الجنسيتين الأخيرين في كون الأول يتضمن مغزى أكثر شمولية، وبدون شك أكثر رمزية من الثاني، وفي كون الأول يستمد مواده التخيلية من المخزون الثقافي للجماعة يعبر عن معتقداتها ومواقفها وقيمها، في حين أن الثاني هو مجرد سرد لوقائع حقيقية أو مفترضة ذات مغزى محدود لأنها تتعلق بالفرد."¹ أما السيرة؛ فهي عبارة عن متن شفوي، "عبارة عن بنية بسيطة تتحدث عن وقائع حربية قام بها مجتمع بدوي، من الرحل، وظهرت فيها بطولات خارقة يضيف إليها الراوي بعض المصوغات لشد السامع إليه."² من خلالها نتلمس نوع من الاعتزاز بـ "القرابة" والقبيلة/الفرقة، العرش، تجعل منها الإضافات عبر الزمن تبدو على أنها آنية وتجعل من أحداثها وشخصياتها مألوفة (كالسيرة الهلالية، سيرة بنت الخص، وسيرة حيزية وعامر).

يضاف إلى الأنواع السابقة المتون الداعمة أي المآثورات الشفوية الحربية التي تعبر عن الملاحم التي عاشها الأفراد مثل حكايات الهلالية التي تروي كيفية التخلص من الزناتي والحروب التي خاضوها، مثلها مثل قصائد "محمد بلخير"³ وقصائد أخرى لمحمد بلخروف تروي الحروب، والقصائد التي تتحدث عن سقوط المدن في يد الفرنسيين.

تتميز التقاليد الشفوية على الرغم من إختلاف أنواعها بصفة العجائبي نجدتها متداخلة مع الغريب والمدهش والفتازي، الذي يحتمل معنى العجيب الخارق والساحر؛ المدهش، من صفة عجيب Merveilleux وهو ما لا

¹ - الشاذلي المصطفي: "الحكاية الشفوية بالمغرب وفي بلدان المتوسط"، منشورات زاوية للفن والثقافة، المغرب، 2009، ص72.

² - محفوظ محمد ابوحميدة: مرجع سابق، ص102.

³ - محمد بلخير شاعر ثورة أولاد سيد الشيخ وفي شعره نجد الكثير من الإحالات للمعارك التي وقعت بالجنوب الغربي في القطاع الوهراني.

يمكن تفسيره بطريقة طبيعية عادية لأنه غير مألوف أو فوق طبيعي،¹ (غريب، متخيل، غير واقعي نتساءل كيف يتم إنتاج القيم من العجائبي؟) هو عبارة عن إبداع له منتج ينسب إليه مرتبط بالماضي والغيبى وبما فوق الطبيعي وبالكرامات والمعجزات، يعتمد على المفارقة والسخرية (يعتمد على الخارق التحول والتضخيم). له وظيفة الكشف عن الواقع الاجتماعي ووظيفة النقد من أجل التعديل والتغيير.

التقليد الشفوي المتمثل في المناقب يتقاطع مع بعض الممارسات/الطقوس؛ يتم استدعائه في لحظات معينة مثل وقت الزيارة (التي تقام دوريا لأحد الأولياء) الزيارة التي تعني، الميل والتوجه والقصد مع تبييت النيات؛ "الزيارة من الزور" وزار فلان القوم إذا مال إليهم" وهي تحمل معنى التردد وتأكيد الرغبة، وفيها زيارة معنوية وأخرى مادية.² لهذا فذكر الولي من خلال مناقبه يعتبر كزيارة ذات طابع لغوي؛ نحن أمام تقليد شفوي موازي للخطابات الاجتماعية الرسمية، خطاب تاريخي، موازي للخطابات الرسمية المكتوبة، هو عبارة عن متن شفوي محفوظ مؤسس "لتاريخ موازي تطبعه الرمزية الشفوية "تاريخ كرامي" تحتل ضمنه سير الرموز الروحية بشخصيتها ممثلة في الأولياء حيزا كبيرا ضمن الركام الثقافي والحضاري للمجتمع ينقل شفاهة عبر الأجيال... تتمتع الشخصيات فيه؛ بهالة من التقديس التبجيل والاحترام، بشكل خرافي...³ "لماذا هذا الاحتفاء اللغوي اليوم؟ منذ القدم تحتفي القبيلة بالفرسان والمحاربين، وتكرمهم بوضعهم في المكانة المرموقة بين أفرادها، هذا لمكانتهم ودورهم في الدفاع عن البنية الاجتماعية لكن الأولياء والمرابطين شخصيات رمزية غير معروفة قد ترجع إلى القرن السادس أو الخامس لماذا هذا الاحتفاء؟ (لأنهم أسسوا للعمران إحياءً لسنة الأنبياء كني إبراهيم عليه السلام أي تعمير الأرض).

إنطلاقا مما سبق ندرك أن البحث في أنثروبولوجيا/القيم الشفوية يتجاوز الجانب المورفولوجي والبنائي للمتون إلى جانب أكثر أهمية هو السلوك والمعنى، فهو محصلة التداول والتأويل لهذه القوالب اللغوية، ما يهم هو مدلولها بالنسبة إلى حاملها أنها تؤسس لقوة الشفويات كمنتج تاريخي فكثير من المتون ترتبط بالطابع الطقسي، نحن أمام تبادل سحري؛ بحيث يكون للكلمة قوة استجلاب الخير لمن سمعها...⁴، التردد صفة من صفات النصوص كالنصوص المتعلقة بالأنشطة العملية، أو المتعلقة بالفضاءات الدينية "كاجلاله". يجب تجاوز الجانب البنائي والجانب الشكلي المورفولوجي لإدراك الجانب الدلالي العميق والبداية تكون بوضع أسئلة وافتراضات

¹ - بوعيو بوجمة: "الأدب العجائبي؛ الوظيفة والمفهوم" مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف، العدد السادس، 2008، ص11-15.

² - ريتكاران محمد رضا: "زيارة بيت الله، بيان السعادة للحلاج"، أعمال الطبعة الرابعة الملتقى الدولي، تصوف ثقافة موسيقى، الجزائر، 2008، CNRPH ص35.

³ - خالد محمد: "صيرورة الممارسة الصوفية"، أعمال الطبعة الرابعة الملتقى الدولي، تصوف ثقافة موسيقى، الجزائر، 2008، CNRPH ص284.

⁴ - بوحبيب حميد مرجع سابق ص96.

واختبارها في الواقع، مثلاً يمكن رد الاستهلال في الحكاية إلى نوع من الطقوس هي عبارة عن تعويذة سحرية لاستجلاب الخصب ودفع الشر لكن مع اختفاء الجانب الطقسي الأدائي لازال الشكل الحكائي مستمر، لكن بربطها بزمن معين ومكان معين، يمكن أن نفهم الاجتماعي، الثقافي الاقتصادي وكل شيء، لكل شيء دلالة مثل (بَكْرِي مِين كَانَ الرَّزْقَ يَتَقَسَّم، جَأَوْ كُلُّ النَّاسِ وَكُلُّ وَاحِدٍ وَاشْ دَأ... جَدْنَا دَأ الصُّوف... اعطَاوَه بَرَأَف الصُّوف بَصَحَ هُوَ أَدَاً غَيْرِ شَوِيَّة... عَلَى هَذَا حَتَّى حَاجَةٌ مَا تَزْدَقُ إِلَّا الرَّعِي وَالْغَنَم... وَاحْنَا هَذَا الْحَرْفَةَ غَيْرِ تَزَهِيْنَا وَمَا تَغْنِيْنَاشْ أَي لَا وَجُودَ لِفَائِضِ الْقِيَمَةِ)؛ البداية بتحديد الزمن ثم المكان لكي يصبح الحكوي ممكننا ثم يكتسب المصدقية لدى المتلقي، كما أنه يوجه إلى متلقي يجد ذاته أي الذي يمارس هذا النشاط أي جماعة اجتماعية محددة متميزة؛ الحكوي في صيغته المتعددة يسعى إلى خلق إبهام ثم محاولة حله دون التخلي عن ثنائية الأسطوري والحقيقي؛ بالرجوع إلى المثال السابق الزمن هو "بكري" غير معروف كما أن المانع غير معرف وكذلك الزمن، لكن المعروف هو الجد الأول دون تسميته، اليوم؛ كما أن النشاط الممارس أي الرعي لازال قائماً، في هذا النوع نلاحظ حضور التبرير لما هو موجود وربطه مرة أخرى "بالمكتوب." كل هذا يحتاج إلى تحليل من أجل الوصول إلى فهم معنى السلوك وشكل القيم.

نلاحظ في المثال/المتن السابق أن الراوي أو المردد للقصص والمناقب يحاول إشاعة فكرة "التفويض" أي أن هناك فاعلين لا ينتمون إلينا في الزمن لكنهم مفوضون بإدارة "الراهن الآني" لهم سلطة مطلقة، بالنظر إلى كل الحكايات التي نتحدث عن الكرامة، الأولياء، السيرة نلاحظ أن شخصياتها قد تتدخل اليوم على الرغم من عدم وجودها، أي أن هذه النصوص تتماهي مع النصوص الدينية على اختلافها لتفرض نموذج موحد للكون وتؤسس لرؤية العالم الاجتماعي الحالي.

تعمل الحكايات على خلق وهم تاريخي لأصل الجماعة وتلي الطلب على فكرة الانتماء، لكل جماعة اجتماعية حكايات للأصل، المشترك، الجد المؤسس، مكان المنشأ والهجرة حتى أن بعض الأشعار تحتفي بالانتماء إلى خارج الجماعة المعروفة (مثل قريش). الحكايات تعمل كآليات تفسيرية لما هو موجود (مثل عيش فئة بأكملها تحت خط الفقر كنتيجة لدعوة من ولي صالح... خَلَيْتِكَ كِي الْعَوْدَةَ وَالْفَقْرَ مُهْرُ إِذَا حَبَسْتَ نَاكَعَكَ وَإِذَا مَشِيْتَ تَابَعَكَ).

تفصل بعض الحكايات بين زمن ذهبي وزمن آخر هو الراهن ونجد عبارات (بَكْرِي مِين كُنَّا، حَنَا أَوْل مَنْ، كَانَ جَدْنَا أَوْل مَنْ... حَنَا جَدْنَا شَرِيف قَالَ... أَحْنَا ضَمْنَا فِي الرُّكُوب (ركوب الخيل) سِيدِي فَلَان..) وهي تعتبر كطريقة احتفائية بزمن معين وتثبيت لحقائق ومكانة ودور بل أكثر من ذلك إثبات لرأس مال رمزي ونفيه عن الغير بالارتكاز إلى الحكيم أي خلق تمركز اثني معين متميز ذو خصوصية، مغلق نسبيا لكنه ينتمي إلى الفضاء العام (قد يكون عبارة عن آلية للدفاع عن الجماعة الاجتماعية، وخلق كينونة في العالم الاجتماعي يطلب من الآخر الاعتراف بها) فالنصوص تحدد وتعكس الذات والآخر وتبين العلاقة بينهما بصيغة ولغة سردية تمكينية، رمزية.

الحكاية الشعر حتى الأمثال تعتبر كخطاب إيديولوجي يبين العلاقات الاجتماعية، طرق الاختيار، تتضمن صور حول العلاقات بين الجنسين لتتمحور حول ثنائية ذكورة أنوثة لتبيان ما هو مسموح/ممنوع؛ تتميز بقدرتها على إنجاز أهداف الغاية منها التعبير عن ضرورة كبت الرغبة الممنوعة، يمكن القول عنها أنها خطاب مضاد منتج لصورة أخرى غير مألوفة لا يصرح بها غالبا، كما أن بعض المتون عبارة عن رد فعل لخطابات شفوية سابقة، لها لكل نوع فضاءه الذي ينتمي إليه (هذه اللون من الشفويات موجودة لدى جماعة الأقران على وجه التحديد).

في كثير من الأحيان تعمل الذات المنتجة للشفويات على أنسنة كل شيء وهذا للخروج من الرقابة على فعل الحكيم؛ ونلاحظ الاستهلال التالي "بَكْرِي مِين كَانَ الذَّيْب يَتَسَوَّق"، ويسمي كل شيء باسم ثابت؛ وكل شخوص الحكاية يتكلمون، يشعرون، يتأثرون لهم اسم معروف لا يتغير اسم للأغوال اسم للحيوانات مثلا الذئب يسمى؛ سي حمد، يتم تبادل الأدوار مع حيوانات ناطقة، غالبا ما تنتهي القصة بحكمة تتميز هذه الحكايات بقصر نسبي وقوة إيجابية، الغرض منها تربوي إصلاحية أو نقدي لسلوك معين.

من خلال ما سبق نستنتج أن الشفويات ككل متجذرة كما أنها ذات سلطة رمزية لا يمكن الفصل بينها في التحليل؛ وهي عبارة عن معرفة الحكايات تنتقل من مستويات عادية من مرحلة اللاحدث، إلى الحدث الأولي أو الموقف المحفز للأحداث الأخرى؛ لكن دون الاستغناء عن ما هو موجود حوله؛ ثم إلى: وجوب الفعل (Devoir faire) + إرادة الفعل (Vouloir faire) + القدرة على الفعل (Pouvoir faire) + المعرفة = سلوك مرغوب؛ محبب، بداياتها تكون بعد إندفع البطل ومحاولته إثبات ذاته وقيمه؛ (حسم الصراع لصالح غريزة الحياة ورفض غريزة الموت).

إن دراسة التقليد الشفوي تمكن من الولوج إلى الخطاب التحتي الشعبي الضمني Infra-discours populaires فالزمن هو الزمن الأول قبل التغير إلى ما هو؛ الآن أي أن هناك مرحلة وحالة البداية Etat initial زمن أسطوري زمن الانسجام، فيه كل شيء ناطق حي يتحدث يتكلم يقوم بالفعل للحيوانات ألسنة، كلهم خاضعون للعرف والسنن الاجتماعية القاهرة ثنائية الممنوع/مسموح؛ وأي خرق للقواعد يعاقب الفاعل (العقاب الأسطوري) لتعود الأمور إلى نصابها؛ إن الشفويات تعمل على تحويل كل شيء إلى إنساني (Humanisation) وخلق عالم موازي ومشابه للعالم الاجتماعي؛ ومن هنا يكتسب واقعته لأنه يقدم نوع من المعرفة الأخلاقية/القيمية يستخدم كأداة بيداغوجية موجه للسلوك.

"هكذا نرى أن الخرافة ليست مجرد شكل تعبري يؤدي وظيفة لعبية...أما خطاب اجتماعي يسجل كل التواترات التي تشهدها البنية الاجتماعية والذهنية للمجتمع؛ كما تعكس حركية القيم الأخلاقية في اضطرابها وميلادها وزوالها."¹

كما أن الشفويات في شكلها الحكائي تعبر عن تماثل في الحراك الاجتماعي،² بين ما هو أسطوري وما هو واقعي حقيقي معاش، وفي نصوص أخرى نجد رفضا للتغيير غير المبرر،³ لنمط العيش أو للسلوك الذي قد طبع به الأفراد من طرف المجتمع، رفض تغيير القواعد الاجتماعية.

الشفويات الجسد والفرجة:

الشفويات تتميز بالتعدد والتنوع في التسميات والأداء الجسدي مثل (أهلليل؛ إزلوان⁴، الإيزلي، ثقصيط/الإسفران، آحيدوس، آحواش؛ العيطة، إزلان⁵...قول، ماية، ملحون...التمثيلات الغنائية إلخ) كلها ألوان من الشفويات تسود شمال إفريقيا؛ كلها لا تنفصل عن الجسد لأنه المركز؛ قد تكون مصحوبة بشبه مسرحيات (أدائية جسدية Théâtralité) وضعيات جسدية يتم تمثيلها محاكاة أو عكسها؛ في فضاء خاص بالاستعانة بإيقاع؛ صوت أو أصوات وأهازيج معينة كلها تمتزج مع الحركة لتصنع شفويات/مسرحية/فرجة. (قد يكون الغرض منها

¹ - بوحبيب حميد: مرجع سابق ص142.

² - في حكاية متداولة بطلاها الذئب (الغني) والقنفذ (الذكي) نجد أنها تختم بعبارة "هَذَا حَالُ الدُّنْيَا وَاحِدٌ طَالَعٌ وَوَاحِدٌ نَازِلٌ" وهي تعبير عن نوع من الحراك الاجتماعي الواقعي والحقيقي كأن منتجها أراد لها أن تعبر عنه بصيغة ساخرة وفي قالب مضحك.

³ - مثل القصة المعروفة عن الغراب الذي أراد أن يمشي مشية الحمامة.

⁴ - هي الأبيات المكونة للأهلليل المعروف بمنطقة قورارة Gourara بالجنوب الجزائري.

⁵ - عبارة عن تقاليد شفوية من الأطلس الأعلى والأوسط المغربي تؤدي جماعيا في المناسبات الطقسية الجمعية، قد تكون التجمعات نسوية أو ذكورية أو مختلطة، هذه التقاليد الشفوية البربرية (الاحتفالية) لازالت موجودة إلى اليوم وترافقها عدة طقوس.

الرجوع إلى طلب الخصوبة، أو انتقاد ما هو موجود كاهيمنة الذكورية، أو استرجاع الماضي،¹ بطريقة استعراضية).

ترتبط الشفوية بفضاءات محددة بفضاءات فرجوية عامة أو خاصة مركزية أو هامشية وبجسب درجة الرقابة يتحدد اللون الشفوي المناسب (لكل فضاء متن خاص به؛ ومعجم لغوي إن صح التعبير يتراوح بين الملتزم إلى الفاحش) في بعض الفضاءات ترفع الرقابة، الكلفة ويسمح بالإفصاح ضمناً عن كل شيء كالجنس مثلاً بينما يمنع في مواقف أخرى (إباحية الكلام) لكن يجب أن نبين أن هذه الفضاءات محكومة سلفاً بفئات عمرية محددة وجنس محدد وبضرف خاص.

على الرغم من أن المآثور الشفوي يعطي معنى وتقييم اجتماعي للقوة، الصبر ولا يولي أهمية للجمال الزينة، المباهاة، لا قيمة للفردانية الجسدية المتمثلة في الشكل والمفاخرة بالجسد؛ إلا أن هناك استثناءات بحيث يصبح الجسد مصاحب للقول؛ ويطلب نوع من الأداء الجسدي ترفع المحظورات ويسمح للجسد بالإعلان عن كينونته بالإيماءات، الحركة والقول.

حسب الباحث بوحبيب حميد²، فإن الشفويات تجمع بين مظاهر متعددة لا يمكن فصلها عن بعضها:

مظهر اخباري (informatif) بالتركيز على الرغبة في الابلاغ؛ الافصاح/ مظهر أدائي (performatif) بالتركيز على لغة الجسد/ مظهر إمتاعى (récréatif) بالتركيز على اللعب/اللهو (تكفل أحد الفاعلين بأداء دور محدد والبقية يتدخلون من خلال التعليق، التعبير، إبداء رد فعل) تجتمع هذه التظاهرات لتكون الكل؛ ولا يمكن تحليل الشفويات إلى بردها إلى الفضاء/تظاهرات، لهذا نجد النص مفعم بالتصورات والتمثيلات بمجرد إنجازه والتلفظ به يسهم المنتج/الراوي بدورهم في التنشئة ونقل المعرفة في قالب خاص ظاهره اللعب وباطنه قيمي بحت.

¹ - وهو ما تم ملاحظته في ميدان الدراسة، في طقوس التجميع وبالتحديد الوعدة نلاحظ أن هناك شفويات خاصة بكل عرش ولكل فرقة "علقة" خاصة بما و"ماية" تعرف بما، هذا الطقس الاسترجاعي ليس لتأثير الفضاء بل هو استرجاع لطبقة لأجواد وللفرسان وللتاريخ الجماعة المنتجة للشفويات، هو عبارة عن استعراض للقوة قوة الفرسان وقوة الكلمة/شفوية.

² - يعالج الباحث الديوان النسوي المعروف تحت تسمية "أورارن الخالات" وهو يتم عند نبع الماء "ثلا" في الخلاء/عدم وجود رقابة ذكورية (فضاء نسوي مغلق لا يحضره الذكور) بحيث تقوم إحدى النسوة الحاضرات بتقليد الرجل وأخرى بتقليد المرأة؛ أي المحاكات بالرقص؛ عبارات، أصوات، زغاريد في مجمله طقس تحمي سآخر من السطوة الذكورية؛ وفي نظر الباحث هو عبارة عن آلية للتعريف بالآخر، نقل المعرفة، القيم، المهارات الجنسية، عبر كسرهما وتقريب الصورة ممن هن مقبلات على الزواج؛ (إدراك بعض الجوانب الإيروسية وتعلمها من خلال اللهو والفرجة على الأخرى، تخفيف -وطأة- صدمة أول لقاء بين الزوجين).

الشفويات ترتبط بطقوس¹/فضاء محدد؛ يمكن القول عنها أنها ذات طابع تمثيلي درامي تتميز بخاصيتين أساسيتين؛ شفويات جادة وأخرى هزلية، تهكمية/لعب (الغاية منها التنفيس؛ الاسترخاء)؛ رسمية غير رسمية؛ لكنها كلها تحوي قيم قابلة للنقل كلما تكرر الطقس وهذا ما يجعل من الجسد محورا هاما فيها، لها زمن معلوم وجمهور منظم أما الأخرى غير منظمة ولا يشرف عليها أحد (تقل فيها الرقابة على الجسد) ترتبط بوجود الجماعة تعبر عنها في فضاءات بعينها/منابر للشفويات، على الرغم من أن الفضاءات غير مرسومة غير واضحة إلا أن الشفويات والسلوكيات تتميز من فضاء لآخر وكذلك وضعيات الاجساد (مثل الشفويات المتعلقة بالعمل، الشفويات الغنائية المتعلقة بطقوس الزواج، كل منها له فضاء ووضعيات جسد) الفضاء هو المحدد للأشكال الشفوية.

¹ - في طقوس التجميع كالأعراس والأفراح والوعدات نلاحظ أنواع محددة من الشفويات، في طقوس التفريق كالمآتم نلاحظ أنواع أخرى، في طقوس الاستعطاف نلاحظ صيغ خاصة، إذن هناك ارتباط بين الشفويات والطقوس والفضاء الذي تؤدي فيه (لكل طقس متن خاص وفضاء للتداول).

التعريف بالمنطقة

الدراسة المنوغرافية

تمهيد:

هذا الفصل محاولة لعرض دراسة منوغرافية وفيها تناول الأثرية ناحية تيارت وأهم المواقع التابعة لها وأهم خصائص المنطقة بالرجوع إلى الكتابات الكولونيالية الفرنسية والكتابات الأخرى التي اتخذت منها موضوعا للبحث وبالأخص أعمال جمعية الجغرافيين الجزائريين لمقاطعة وهران سنتعرض لأهم المناطق والمواقع مع محاولة الشرح قدر الامكان بربطها ببعض المتغيرات الاجتماعية دون تناول لقضايا ومواضيع ديمغرافية وأخرى مثل الإنقسامية والتنظيم الاجتماعي.

التعريف بالمنطقة:

تيارت محطة برية Berbère لقبته بتقريتا (Tingartia) كانت مقر لأسقفية ومقر للمدينة قديمة هي مقر الولاية اليوم؛ كانت تتكون من 3875 ساكن أسست سنة 1843 في الهضاب العليا بارتفاع 1083 متر عن البحر بالتحديد في سلسلة جبل كزول تقع بين نهرين واصل ونهر مينا وتتميز بأنها مقصد للقوافل (les caravanes du sud) القادمة من الجنوب للتبادل فيها أي في مركز ما يعرف ب "التل" تتميز المدينة بوجود مركزين لاستقرار متباعدين ولها أبواب ك " باب معسكر مدخل لحي المعمرين تتميز بالشوارع العامة الواسعة وبوجود فندق ومكان لتوقف القوافل وحمام مغربي وأحياء أخرى؛ بها ثكنات عسكرية وكنيسة (chapelle، casernes) ومكان خالي مخصص كساحة عامة ما يميزها أيضا أراضيها الخصبة المنتجة للحبوب والكروم....بجانبتها تقدمت " زمالة الامير عبد القادر."¹

بعد الأمر المؤرخ في 09 ديسمبر 1848 الصادر بتاريخ 16 مارس 1849 الخاص بالتنظيم العام، قسمت الجزائر إلى ثلاثة "مقاطعات" أو "عمالات" رئيسية الجزائر، قسنطينة ووهران؛ تم اعتماد التقسيم التالي لمقاطعة وهران: تتكون من ستة مقاطعات أو مناطق (Arrondissements) وهران - مستغانم في 1849 معسكر - 1858 ثم تأكيد 1874-1867 سيدي بلعباس 1875 تيارت، هذا بعد تكوين ملف محافظة (sous - préfecture) تيارت وايداعه بالمجلس بتاريخ 1918 لكنه لم يوقع إلا في سنة 1938 وقبل هذا التاريخ كانت تحت سيطرة الجيش منذ استولى عليها الضابط الفرنسي لامور سيار (Lamoricière en 1843) أصبحت مركز عسكري سنة 1856 ثم مركز عسكري موسع سنة 1856 ثم مركز لمحافظة مدينة (centre d'un commissariat)

¹ -La France illustrée ; oran chef-lieu ; oran ,p 16

(civil). من خلال المرسوم المؤرخ في 13 نوفمبر 1867 استقلت عن وهران ومقتضى المرسوم الصادر بتاريخ 27 يناير 1868 أصبحت مقر لبلدية مختلطة (le chef-lieu d'une commune mixte) ثم بلدية للأهالي ضمت إليها منطقة أفلوا (commune indigène) لتتوسع وتصبح محصورة بين سلسلة جبال الونشريس من الشمال والجنوب تحدها سلسلة جبال عمور. وفيها تم تأسيس مكان لتربية الخيول البربرية -العربية والعربية - العربية بداية من 1877 موجه - لتوفيرها - للجيش الفرنسي.¹

بعد هذا التوسع أصبحت تمتد على مساحة واسعة جدا مكونة من تعداد سكاني معتبر، في سنة 1940 تم احصاء مساحة عامة مقدرة بحوالي 24267 كيلومتر مربع، ل 177528 ساكن منهم 19029 أوروبيين و158499 من الاهالي أي بمعدل سبعة سكان للكيلومتر المربع الواحد،² و انت مكونة من دواوير وقبائل مسيرة من طرف الاوروبيين ومعاونين قياد (un caid) ومن بلديات غير مختلطة وبلديات مختلطة تيارت سنة 1880 فرندة سنة 1885 وجبل ناظور سنة 1905 وأفلوا سنة 1923،³ تقع الولاية أو المقاطعة بالقرب من سهل سرسو الذي حملت اسمه وقد تم التعرض له في العديد من الدراسات.

السرسو: من خلال الدراسة التي قدمها الباحث بياران (perrin) مؤسسة الجغرافيا بالجزائر (institut de géographie d'alger) بعنوان سرسو دراسة جغرافية وانسانية منشورة في مجلة méditerranée سنة 1960 وموجود في موقع الكتروني (persée) نجد: sersou: في عهد سييتم سيفر septime sévér كانت عبارة عن ممر عسكري وملتقى للطرق يربط بين المنطقة السهبية وشبكة متداخلة من الحصون من شمال المسيلة إلى تلمسان (المعروفة ب pomaria سابقا) مرورا ببغأي ثم تيارت وتيسمسيلت،⁴ الحالية (vialar) بحيث تقوم الحاميات الرومانية بالتمركز بحصون لمراقبة الليميس (le limes) والسلاسل الجبلية أصبحت جزء من الدولة الرستمية؛ بعد ذلك بوقت كبير تم تسخيرها من طرف حكام تلمسان للوقوف في وجه البدو (nomades) تجاه الهضاب العليا وفي نهاية القرن الثالث عشر كانت ميدان للصراع بين سويد الهلاليين والزيانيين والحفصيين لينتهي الامر بتمركز بني سويد مكان بني توجين وتوسعوا إلى غاية الونشريس لصعوبة مسالكه، في منتصف القرن الرابع عشر أتى المربون لتلمسان وتركو المنطقة على حالها موطن للهلاليين من قبائل السويد.

¹ -Barbara Sanchez : Fonds de la sous-préfecture de Tiaret (département d'Oran) 1938 – 1956 sous la direction de Daniel Hick ; 2010. Archives nationale d'outre-mer (France) P5.

² - Barbara Sanchez : Fonds de la sous-préfecture de Tiaret, ibid, P5.

³ - Barbara Sanchez Fonds de la sous-préfecture de Tiaret. ibid .P5.

⁴ -Perrin R : Le Sersou, Etude de géographie humaine (Premir article) In : Méditerranée, 1960, ,N° 2-3, P 83.

في بداية الاحتلال الفرنسي 1840 حتى 1845 اجتمعوا في فدراليات اولاد عايد بالشرق المعروفة بالقبلة و قبيلة العويسات aouisset (أولاد بو غدو) بالقرب من تيارت ومنهم من كان تابع للاتراك بوهران وشكلوا إتحدات على الهضاب العليا¹.

لم يكونوا كلهم رحل منهم من استقر وتميزوا بممارسة الزراعة شمال جبل غزول ghezoul وفي تقرير يرجع لسنة 1890 يمكن أن نلاحظ بأن "الاهالي كانوا يحصلون على محاصيل جيدة "

اهم المحطات الاثرية حسب الكتابات الاركيولوجية:

اشارت الكتابات إلى العصر الحجري الحديث² بالمنطقة وربطته بالمحجرات القديمة وتحدثت المصادر عن وجود حركة بدو قديمة في فترة الجفاف الصحراوي إذ تم الانتقال للشمال لقلّة المياه ونلاحظ وصف فلامان flamand سنة 1921 للنقوش التي ميزت صخور المنطقة خاصة منطقة أفلوا وناحية تيارت التي تعرف وجود ثماني "محطات تميزها نقوش وبقايا ومغارات تمتد على كيلومترات منها ستة محطات "كهوف" وهي تعرف لدى سكان المنطقة ب "الحجرة المكتوبة"

1- الكهوف: كاف بوبكر (station du kefboubeker):

وهو الهم وبه تظهر العديد من الحيوانات كالنعام والغزلان الكباش وغيرها ومحطة كاف السمار (station du kefsmaar) وبه تجلى لحيوان واحد فقط يعود للعصر قفصي (capsiens) كاف الدهموني (station du kefdahmouni) لا يوجد أي مظهر للحيوانات أو الانسان ومحطات أخرى كواد العزوانية (station de l'oued azouania) وهو يعرف بأقدم النقوش ومحطة عين بن كريمة (station de l'ain ben krime) موجود بها نقش لحيوانين ومواقع أخرى كظهر بلهادي (station de dehar bel haadi) ومحطة واد سفالوا (station de l'oued seffahu) هذا الاخير الذي استكشف سنة 1955 وبه نقوش للنعام ومحطة أخرى بواد الصفا (station d'ainsfa région de vialar) بالقرب من تيسمسيلت هذا الاخير الذي تميزه النقوش الليبية البربرية (berbères) وثلاثة كتابات بخط الثيقناع (tiflnagh) وهي كتابات معروفة في ذلك الوقت قد اشار الكاتب إلى امكانية ان تكون للرحل الطوارق القادمين من الجنوب ؟

¹ -Perrin R : Le Serou ,Ibid. P 84.

² -Perrin R : Le Sersou ,Ibid. P 83.

بالاستناد إلى أعمال J.H.Hugot نجد انه صنف حوالي 45 مادة كمقتنيات منها الحصى المشذب المصقول ورؤوس الأسلحة واحجار الرحي اكتشفت سنوات 1958 بكاف السمار وهو ما يدل على وجود هجرات ورحلات قديمة بالمنطقة وهو ما قام بنشره M.Hugot في مجلة لبيكا Libyca سنة 1957¹، تمت الابحاث في جبل غزول (guezoul) ومرتفعات قرطوفة (guertoufa) وبينت وجود العديد من المواقع بهذه المرتفعات الصخرية المتجهة للشمال بعلاوا 1110 إلى 1200 متر تشرف على الاراضي الفلاحية للتل وهي عبارة عن معالم طبيعية ومنحدرات تربطها مسارات عرضية ومن خلال الخريطة (الملاحق) يمكن ان تتوضح المواقع الموجود بها رسومات.²

2- الاجدار:

أسست في عهد جيستان (justin) 556-578 خليفة جستنيان (justinien) قام الملك البربري (garmul) ملك موريتانيا للغرب الجزائري بتأسيسها يعتبر حسب الباحثين كسيد للأجدار بفرندة ومن مآثره أنه قام بتدمير جيش بيزنطي سنة 571.³ يصفها victor bernard فيكتور بيرنارد⁴ بأنها: " موجودة ناحية فرندة بالهضاب العليا قريبة من منبع وادي مينة (sources de mina) مكونة أساسا من ثلاثة مباني قديمة ترجع لعهد جستنيان يسميها العرب بالأجدار Les Dedar طول الواجحة حوالي 50 متر بنيت بحجارة كبيرة مصقولة (Pierres de taille) قام القائد برنار Commandant Bernard بالتزول إلى إحداها؛ وبين أنها مكونة من مدخل وغرفتين حجريتين، متوجة بعتبات متجانسة (d'un linteau monolithe) في اتجاهين والدرجات متوجة برسومات عددها خمسة؛ لكنه لم يتمكن من إزالة العقبات ليذهب أبعد من ذلك".⁵

غير أن الملاحظ هو أن الإشارات التي وردت أول الأمر كانت من طرف الرحالة والضباط الفرنسيين، خصوصا فرقة الهندسة العسكرية وهو ما سنلاحظه من خلال العرض التالي:

¹ -Bayle des Hermens M. De Bayle Hermens R. Influences sahariennes dans le néolithique de la région de Tiart (Algérie), In : Bulletin de Société préhistorique de France. 1963. Tome 60 ,N° 1-2 ; P 79-91.

² -F-E. Roubet et C. Roubet « Kef », Encyclopédie berbère ,Aix-en-Provence, 2005 ,p. 4118-4120.

³ -Jean Jolly : de l'empire romain aux invasion berbère de Harmattan ,1996 P 82.

⁴ -Bérard Victor : Indiction générale de l'Algérie ou description géographique ,historique et statique de toutes les localités comprises dans ses trois provinces, 2^{ème} Edition ,Alger Bastide ,Libraire-Editeur ,1858. P 492.

⁵ -الأرجح لأن هذا الاستكشاف هو الأول أو أنه جرى في الفترة الزمنية التي تلت الاستلاء على تيارت وفرندة وما يميزها قلة الوصف هذا لأن الضابط المذكور لم يعمل على الوصف الدقيق بل لجأ إلى التعريف بما بصفة مقتضية فقط. والعرض من ذكرها ما هنا هو التأكيد على دور الكتابات الفرنسية وكتابات الضباط في التعريف بالمنطقة والأجدار.

أي من ملاحظات (M. Boca) المنشورة يمكن أن نلاحظ عدم انتباه السيد (M. Thomassini) إلى وجود المعالم الجنائزية (un dolmen) بكل من مقاطعة وهران ونفيه ذلك إلى غاية اطلاعه على المجلة الإفريقية La revue Africaine "افتتح بوجود الدولن، جهة تيارت وصفها بأنها تتميز بحوالي 20 متر طول على 08 متر عرض وبثلاثة أمتار ارتفاع، تقع على أساس من الصخور يرتفع حوالي 12 متر عن الأرض، مع وجود فتحة، كما أن النصب موجهة إلى الشرق ... ومن خلال الرسالة يمكن أن نعرف كيفية قيامه بربط علاقات مع طبيب ذو علاقة مع الحامية العسكرية وضباط من الهندسة، (Capitaine du génie M. Marion) الذي أقام لمدة بتيارت وهو يقيم بمعسكر قدم له المعلومات التالية:

يوجد نوعين من الدولين بتيارت بعضها عملاق يصل إلى 45 متر طول لكنه لم يزرها، لكنه زار أربعة أو خمسة نصب جنائزية أخرى (dolmen) لاحظ على جدرانها الداخلية بعض الكتابات "الهيروغليفية"، -هذا الاكتشاف يقع على ضفاف وادي مينا، مكون من مجموعة من 20 دولن ذات حجم صغير، وذات أشكال أفقية بطاولات بطول ثلاثة أمتار، إثنان منها استخدمه الرعات كمأوى من العواصف وحرارة الشمس.¹

غير بعيد اكتشف ماريون (M. Marion) طاولة أي مصطبة حجرية وتحدث عن ووجود عدة قنوات اعتقد أنها للاضحيات/القرابين، وقد اعد هذا الاخير رسم نماذج ورسومات تخطيطية للمواقع (des croquis).²

تعرف هذه المعالم الجنائزية على العموم بمملكة الونشريس أو "الجدار" تحت امارة الملك "ماستيغاس" أو "ماستيغس" وقد ذكره "بروكوب"،³ عرفت منطقة تيارت حسب العديد من الباحثين والمؤرخين بأنها مملكة قوية دامت إلى غاية وفود المسلمين الفاتحين لشمال افريقية،⁴ وفي نص "بروكوب" يشير إلى سيطرتهم على كامل موريطانيا القيصرية والطنجية في النصف الاول من القرن السادس للميلاد⁵، وترى الباحثة فاطمة قادرة أنه ومن خلال المعطيات التاريخية تعاقب على حكمها شخصان بارزان وهما "ماسونا" 508 م و"ماستيغاس" حوالي 535 م وهو زعيم قبائل "المور"

¹ - الملاحظ أن أولى الإشارات للمواقع الأثرية وردت من الرحالة وضباط فرنسيين غير متخصصين بالميدان خلدوها في مذكراتهم.

² - Bulletins de Société d'anthropologie de Paris. II° Série. Tome 10, 1875. P 494-99. (5 aout 1875)

³ - لحسن رابح: أضرحة الملوك النوميدي والمور، دار هومة، الجزائر 2007، ص 52.

⁴ - لحسن رابح، مرجع سابق، ص 53.

⁵ - لحسن رابح، أضرحة الملوك النوميدي والمور، مرجع سابق، ص 53.

تقع المعالم الجنائزية جنوب غرب مدينة تيارت الحالية تبعد عنها ب 30 كلم وتقع شمال شرق فرندة على بعد 15 كلم وتشرف على سهل سرسو وعددها 13 معلم هي متماثلة وتشكل مجموعتين (A. B. C) وهي تعلو جبال لخضر أو جبل لجدار 10 معالم أخرى قرب منطقة "ترناتن" (D. E. F. G. I. J. M. K. L) تشهد هذه المنطقة وجود مقالع صخرية ووفرة في المياه مما ساعد على إقامة هذه المدافن.¹

سميت المنطقة بهذا الاسم للدلالة،² على سمك الجدران التي بنيت منها الا أن هذه العبارة يجهل مصدرها وقد استعملت بالمصادر الفرنسية فيما بعد. توجد تسمية أخرى هي المدغاسن ولا زالت بعض المناطق تحتفظ بهذه التسمية بعد أن تعربت مثل "مدغوسة"، "مداغيس".³

اكتشفت من طرف الرقيب الفرنسي هنري رونار HENRI RENNARD رفقة الجنرال لامورسيار LAMORCIERE سنة 1842 وقام ازيما AZEMA 1843 بالبحث والتنقيب واعقبته أبحاث كل من MAC- CARTHY و LETOURNEUX وكذلك فعل لابلانشار DE LA BLANCHER سنة 1882 وتركوا دراسات علمية لا يستهان بها لكنهم اهتموا بنصب جنائزية دون الاخرى. وفي سنة 1920 قام غزال و روفو DR. ROFFO باتمام الابحاث التي بدأها من سبقهم سواء من الضباط أو الأثريين.

في سنة 1968 – 1970 قامت الباحثة فاطمة قادرة بأبحاث أثرية لجبل لخضر كشفت وجود عدة لواحق وملحقات خارجية (أحواض، منصات، أسوار التسييج) ووضعت مخططات لهذه القبور، عرفت بتقنيات البناء وحاولت التاريخ لبعض المعالم اعتمادا على الاشكال الهندسية والنقوش والرموز المسيحية (كما قامت بالاستعانة بالكربون المشع 14).

أكدت قادرة فاطمة⁴، بأن الاجدار تقوم على: قاعدة مربعة أو مستطيلة يعلوها تاج هرمي ذو أربعة زوايا، بنيت بالحجر المنحوت وكل منها له لواحق خارجية كالساحة، بناء صغير، أحواض وأسوار التسييج.⁵

¹ -Kadaria Kadra Fatma : Les Djedares ,Monuments Funéraires Berbères de région de Franda ,OPU ,1983.

² -Bauchenaki Mounir : Récentes recherches et étude de l'Antiquité en Algérie. In : Antiquités africaines ,15 ,1980 ,P 9-28.

³ -Kadaria Kadra Fatma : Ibid. P148

⁴ -⁴ -Kadaria Kadra Fatma : Etude des Djeddars. Mausolées de tradition berbère dans la Wilaya de Tiaret. Thèse de doctorat d'III^e cycle soutenue à Aix-en-Pro Vence en 1974.

⁵ - بالإمكان الرجوع إلى الملاحق من أجل ملاحظة الشكل الذي كانت عليه هذه المعالم وما هي عليه اليوم.

طول الجدار 34، 60 م وبارتفاع 4 أمتار بالإضافة إلى تاج هرمي الذي كان مغطى بكتل حجرية منحوتة يصل علوه إلى حوالي 13 متر ويبلغ ارتفاع النصب الجنائزي إلى حوالي 17 متر.¹

- يشمل على أروقة وغرف في الداخل بها هندسة زخرفية متنوعة (زخارف حيوانية، زخارف هندسية إنسانية وزخارف أخرى بالإضافة إلى الكتابات الأيغرافية التي طالها التشويه) وأهم النقوش هي التي تحمل اسم SALOMONSTRATEGOS في نقش اغريقي لاتيني وقد افاد دوسلان DOSLANE أن النص المنقوش على الضريح (C) يشير إلى الشخص الذي حكم المنطقة وساهم في نشر المسيحية بها. لعل الاجدار هي المعلم الوحيد الذي نال حضا وافرًا من الدراسات الأثرية والتاريخية ويمكن ذكر مواقع أخرى مثل.

3- منارات مشرع الصفاء أو الصوامع (les minarets) ترجع إلى عصور الاسلامية تقع بجانب ضفة وادي مينة وهي جزء من آثار لمدينة مع وجود آثار لمباني إضافة إلى الطوب المشكل لها ويعتبرها الباحثون على أنها منغلقة على نفسها جغرافيا بهضبة، يضيف لابلونشيار ملاحظات عن وجود أنقاض فقط ولا وجود لآثار الآجر (briques) أو المواد ذات القيمة أو حتى الزينة ووجود منازل متلاصقة في أحياء مفصولة بجدران وهو ترتيب مشترك متساند،² يضاف إليها مواقع أخرى بالمنطقة منها عين السراب.

4- عين السراب: (Ain-sarb) (تحدث عنها كل من Pierre cadenat et gilbert-charles picard) هي محطة على خط السكة الحديدية تيارت غليزان على مقربة من مشرع الصفاء الذي كان يحمل اسم (Prévost-paradol) على بعد حوالي 20 كلم من تيارت جنوب مصب مينا بالقرب من سد بن خدة لم يعرف قبلا إلا من خلال بعض الكتابات التي وجدت على حجر بحقل وهي تحمل اسم الامبراطورة (l'empereur philippe et l'impératrice otacilie) تم التطرق لها سنوات 1952-1953 ثم تواصلت الإكتشافات إلى سنة 1954 (ترجع على الارجح لما قبل التواجد الروماني).

¹ - لحسن رابح، مرجع سابق، ص 150.

² - de la Blanchère René : Les Souama de Mécherasfa Provence d'Oran, Alger In: Mélanges d'archéologie et d'histoire Tom 2, 1882, P 390-96. (Persée).

وبمساعدة من القائم على مدينة تيارت¹، (administrateur de la commune mixte de Tiaret) تم التنقيب باحد المواقع بالقرب من ممر السكة الحديدية وعلى جانب واد بوكايس Oued bou Kayes دامت الاشغال من 17 إلى غاية 26 مارس 1955 وتم العثور على بقايا بناء وهو معمد بخمسة أعمدة يعتقد أنه مكان لإشارة إلى الماء وتم التعرف على بقايا أخرى مكونة لأساس فيلا (villa) جانبها الغربي بطول 15 متر والعرض أكثر من 6 متر واجزاء من مبنى يصل سمكه إلى 0,80م وتبين وجود ثلاثة غرف في صف واحد واكد أنها ليست للمعيشة بل كمكان للتخزين لأنه عثر على كمية كبيرة من حطام الجرار والاواني الفخارية وبقايا حص مطلي ومنحوت لكنه أشار إلى أنها هُجرت لعدم العثور على أي أداة لصنع المواد الأساسية؛ تأثرت لاحقاً بالظروف المناخية كما أن السكان استغلوا موادها وإستخداموها في البناء، تم العثور على بقايا من السيراميك وبقايا من جرار التخزين الصغيرة ذات ألوان وقطع برونزية وكتلة رخامية يمكن أنها استخدمت ككتلة ثقل موازي أو للوزن أو للقياس bloc de marbre وفي الأخير أشار إلى أنه بناء انيق يعود لأحد الملاك يصعب التأريخ له بدقة لكن الاعمال المنحزة كالرواق أو البهو من المؤكد أنه يعود للحرفيين المحليين، يعتبر كبيت بربري على حدود الليمس حول لاحقاً إلى الطابع الروماني،² الاكيد هو وجود العديد من المحطات التي تم اكتشافها المعروفة بكونها بربرية تم تحويلها إلى الطابع الروماني.

5- في وثيقة مؤرخة ب ديسمبر 1959،³ يشير بيار كادنا Perre Cadenat إلى الإكتشافات بمنطقة "عين الحديد " Ain el hadid المعروفة سابقاً ب "مارتنبري " Martimprey في مقاطعة تيارت غرب فرندة على بعد حوالي 15 كلم طريق معسكر وأشار إلى وجود آثار رومانية تكاد تختفي وهو نفس ما أشار اليه الضابط الفرنسي Lieutenant Fort لكن لا توجد سوى كتابات مشوهة تشير إلى اسم كركالا Caracalla تم العثور لاحقاً على ستة شظايا نقلت إلى تيارت وهي مكونة من حجر ناعم أبيض طوله حوالي 01 متر له وجه أمامي وجوانب وهو موثق في الشكل عبارة عن نص من ستة أسطر واضحة جلية لا فصل بين الكلمات المكونة المنقوشة على الحجر وفق العرض التالي:

¹ - من خلال هذه الإشارة يمكن أن نلاحظ تخصيص اعتمادات مالية ودعم مميز للباحثين الأثريين خاصة من يعتنون بالعصر الروماني والبيزنطي، أي قبل التواجد الإسلامي (هذا كافتراض).

² -Cadenat Pierre, Picard Gilbert- Charles, La villa berbère-romaine d'Ain-Sarb (département de Tiaret, Algérie). In : Antiquité africaines, 8, 1974, P 73-88.

³ -Cadenat Pierre. Découverte d'un milliaire à Martimprey (Oranie) In : Antiquités africaines, 4, 1970, P 119-123.

M P CAES
M AVRELIO
SEVERO

//////////

PIO FELICE
AVG A CEN
M LPXIII

مع وجود الخط الرابع، والعديد من الحروف المركبة، وهذه العبارات قد ترجع إلى عهد اليكسندر سيفر (222-235) Alexandre sévère قد تكون على الطريق المؤدية لعين سببية، لكنه يقلل من الأهمية العسكرية للموقع الذي تم به الاكتشاف، لكنه يعتبره كمكان لحامية رومانية أو مكان لتقييد المسافات والاتجاه أو أنها نقلت من مكان عين سببية وهو افتراض ضعيف ليبقى احتمال كونها محطة والحجر يشير إليها فقط .

6- مواقع داخل ولاية تيارت، داخل النسيج العمراني ظهرت في مقال¹ آخر لبيار كادنة PIERRE CADENAT من خلال المعلومات التي تحصل عليها من المعالم الأثرية والعمرانية والنقوش هذه الملاحظات مستمدة من المجال المحلي لتعبر عن عدة عصور لما كان يعرف بالجنوب الوهراني أو المنشريس (Ouarsenis) بالتحديد منطقة تيارت، كنتيجة لسنوات الإقامة بتيارت والاشتغال بهذا الحقل من (1952 - 1962) في العديد من المناصب وكمدير للدائرة الأثرية التي ساعدته على القيام بالزيارات المتعددة للمناطق ومعاينتها شخصيا وإجراء حفريات بها خاصة بفترة ما قبل التاريخ والاهتمام بالآركيولوجيا الكلاسيكية والإسلامية وبقيا الفترة البربرية والرومانية وهي منشور كتقارير لنشاطات سنوية منها ما هو غير منشور؛ منها ما تمت الإشارة إليه في:

Gsell (S)، Atlas archéologique de l'Algérie، Alger، 1911، F ; 33، n° 14).

ومثلها الإشارة التي وردت في bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'oran حول أحجار تتضمن كتابة بحروف كبيرة وجدت خلال عملية بناء منزل، تتميز بعلوها 1,77 تعبر عن "استدعاء للآلهة" أو استغاثة (SALVTI POPVLI ROMANI VICTORINVS AEDILIS PONDERARIVM SVA)

¹ -Cadenat Pierre، Notes d'archéologie tiarétienne، In : Antiquités Africaines، 24 ; 1988، P 43-66.

وهي ذات حجم بارز والحروف محفورة بعمق وسليمة وهما نصان يعبران عن التاريخ المحلي ترجع للقرن الثالث ميلادي، تم أيضا اكتشاف صوامع جنازية بعد الشروع في تهيئة مكان معروف بالقرب من شارع (boulevard) (lyautey).

وفي سنة 1899 بموقع آخر خارج المدينة؛ المكان المعروف ب الدحموني (dahmouni) على بعد 15 كلم شرق تيارت تم العثور على نقش قراءته صعبة وغير مكتملة أعطاها P. Salama القراءة التالية:

DE DONIS DEI HVIC FVNDVS AB (in)
COLIS CONSTRVCTVL SATVRII(...)
DES PERFECIT CVM MAXIM M (axi)
MINI FILI FELICITER

يمكن أن تكون مؤرخة للقرن الرابع.

وفي المركز الاداري المعروف لبلدية "أولاد بوغدوا" تم التوصل إلى إكتشافات مهمة سنة 1960 أجزاء من الهندسة المعمارية وأحجار مزينة بزخارف، حجر مسطح طوله 1,90 ذو زخرفة من الخطوط المنحوتة، بالإضافة إلى أحجار أخرى، وفي يناير 1962 تم إكتشاف معلم جنازي منحوت على الأرض بعمق مترين وقطر 1,80 وبه جزء من عظمة الفخذ يشر إلى أنه مكان جنازي.

وفي كولوناتة (Colvmnata. Columnata) المعروفة اليوم بسيد الحسين تم التعرف على أنقاض وبقايا لمدينة رومانية وأشار إلى الطريق المؤدية إلى كاف شارب الريح (kefchareb – er – rih) شمال سيد الحسيني يوجد بها موقع أثري يلقب بالقصر (El ksar) في شكل ركام يمكن أن يظهر بوضوح من خلال الصور الجوية، تم العثور فيه على موجودات فخارية ومجسم منحوت وتوابيت جنازية منحوتة في الصخور ذات أشكال مستطيلة و اجزاء من الفخار يصعب تحديد أصلها اودعت متحف وهران.

أشارت الأبحاث أيضا إلى موقع سيدي جربالة (Sidi Djerbala) بالقرب من سيد الحسيني وفيه يبرز ركن من أركان الضريح مصنوع من حجارة منحوتة بدقة أستكشف لاحقا سنة 1961 وتبين وجود قبر مقبب بهذا المكان، تحته شبه قبو؛ يقع بالقرب منه بالمكان المعروف بالقدال (Djebel gusdal) نفس الموقع يتميز أيضا بالشكل المقبب.

الموقع المعروف ب "الناظور" (Benia)¹: بالقرب من وادي الفايحة (l'ouerfaidja) بالقرب المكان المنسوب إلى اولاد خرويي بالقرب من البلدية المختلطة سابقا المعروفة بجبل الناظور، تعرض لها لابلانشار بالذكر (R.de la Blanchère) سنة 1882 في البعثة التي قادتة إلى عمالة وهران الغنية بالآثار الرومانية، أشار إليها في تقريره وبعد ذلك أشار إليها كل من P. Pallary و Demaeght (أشار إليها في فهرسة عن ما قبل التاريخ) (وهي بالقرب من أنقاض المعروفة بالناظور بنية (Benia) وتتألف من أنقاض مبنى من 30 إلى 35 متر مربع وبالموقع الكثير من الشواهد المادية).

وأشار إلى هيئة الموقع ووصفه لكن من الأرجح أنه لم يزره وقد أشار إليها ستيفان غزال في الأطلس الأثري (Gsell Stéphane) على أنها في قلب جبل الناظور حوالي 50 كلم عن تيارت.

7- فرندة :

تقع في قمة جبل وتحمل اسمه حسب السكان نقطة الفصل بين التل والصحراء كانت فيها قبائل متوطنة بين فرندة و"تاقدمت" وبعض سكأنها يتحدثون الشلحة (chelhia) البربرية ومن هذه المنطقة يمكن الوصول إلى سعيذة وسهل معسكر.²

هي مدينة جبلية بها قلعة ترجع إلى القرون الوسطى، جزء من نظام دفاعي يتشكل من قلاع أخرى مثل تاوغزوت، وتافرن، وسيبية.³ هذه الأخيرة التي كانت تأوي أكثر من 20000 ساكن،⁴ اسم هذه المدينة يرجع إلى الاصل البربري "فرن" FREN وهي تعني إختبأ و"دا" DHA والتي تعني المكان أي هنا "إختبؤا هنا".

هناك معاني أخرى يمكن اشتقاقها مثل إفري IFRI التي تعني المغارة أو الصخرة وهو القول الأرجح في نظرة الكثيرين.

¹-Cadenat Pierre. «Le foyer préhistorique de Benia du Nador (Département de Tiaret, Algérie), In : Bulletin de la Société préhistorique française. Etudes et travaux. 1964, tome 61, N 2, P 481-491.

² -Exploration scientifique de L'Algérie pendant les années 1840, 1841, publiée par ordre de gouvernement, imprimerie Royale, 1842, P 161.

³ -Révision de PDAU (Plan directeur d'aménagement et durbanisation, commune de Freneda) phase 1 mars 2008, Agencenationale pour l'aménagement du terretoir, Koba, Alger, P 13.

⁴ -Société de Géographie et D'archéologie d'Oran 1908.

قام كثير من الباحثين بدراسة المنطقة مثل L. FORT سنة 1883 وقدم عدة اكتشافات من بينها قطع أثرية مثل الجوهرات، أقراط، أساور، وهي ذات صنع محلي بربري.

في منطقة القواير "AL-Kawayer"¹، أما في نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي؛ تم إكتشاف قبور مربعة الشكل وهي ترجع إلى البربر الذين توطنوا في المنطقة وحسب M. SOLIGNAC هذا النوع يرجع إلى عصور قديمة حوالي ألف سنة قبل الميلاد على الرغم من قلة الدراسات يمكن القول بوجود مدينة قديمة.

المدينة القديمة:

مكونة من الباب الكبير، باب اللتات، وهي مربوطة بحوش كبير يتوسط المدينة، أما المنازل فهي ملتصقة بالجدار الخارجي وفي المدينة "جنان" يرجع إلى الشرفة "أولاد مهيا" وبها مكان للحيونات يرجع إلى كل سكان المدينة وفي المدينة أيضا عدة تقسيمات تسمى بالدرب ويمكن أن نميز ما يلي : درب الشرفة، درب زاووة، درب اليهود، درب لغواطي.

كانت المدينة مربوطة بما حولها مما ساعد في تطوير اقتصادها المحلي المعاشي وساهم في وجود حراك اقتصادي ساهم في نموها خاصة أنها كانت تجمع بين فئات عرقية متعددة كانت الحياة الاقتصادية قائمة على الأعمال الحرفية اليدوية وتربية المواشي واستغلال المنتوجات الزراعية والفلاحية.

في ما بين سنة (1840-1846) استوطن الفرنسيون هذه المنطقة وكونوا جالية شبه متجانسة مكونة من الفرنسيين والاسبان وأقلية من الاوربيين ترسخ تواجدهم بعد إقامة أول حامية عسكرية في المنطقة 1845 وتم تعيين باشأغا²، على هذه المنطقة وما يليها من القطاع الوهراني وفي نهاية الخمسينيات من القرن 19 بدأت المدينة تتوسع وقد ضمت فئات غير متجانسة مثل الاسبان القادمين من مالقا وجزر موريس الذين سيطروا على صناعة الفحم والحطب وفي سنة 1885 أصبحت فرندة وما جاورها تابعة لمدينة تيارت،³ أهم ما يميز هذه المنطقة هو الأماكن الاثرية ترجع إلى حقبة تاريخية مختلفة مثل:

¹ -Plan Directeur d'aménagement « ANAT » et d'urbanisme .Commune de Frenda ,mission 1 2008 ,P 07.

² - يعرف هذا الباش أغا في كامل القطاع الوهراني وهو ينحدر من الأرسقراطية الوهرانية ذو سلطة على الأهالي.

³ -Société des géographes d'archéologies d'Oran TOMM XXe 1900 ,Monographie de commune indigène Tiaret Aflou.

توغزوت:

أسست في عهد SEPTIME SEVERE تم تحويلها إلى حصن روماني يحمي الجيش؛ لتحمي مدينة سببية المجاورة لها، كانت تأوي 20000 ساكن وكانت تضم كل من عين الدرهم التي كانت تشكل إحدى منابع واد اللتات بالإضافة إلى بوقلموز والمنطقة المعروفة بسيدي بوزيد وعين الدرهم.

وهي منطقة محصنة ترجع إلى "النوميد" وهو ما أكده SALLUSTE و BLANCHERE وهي مكونة من سكنات بسيطة ذات فناء محدود وتقع هذه المدينة على حافة جرف صخري، تشرف ككل المناطق المحصنة على سهل "التات" وقد حافظت على نمطها الذي يرجع إلى العصر الوسيط بحيث يمكن للزائر أن يلاحظ بقايا الجدار الذي كان يحميها من الأعداء.¹

- كانت ماوى القبائل المتوطنة ونقطة تواصل مع البدو والرحل.
- كانت منذ الفتح الاسلامي تجمع لإحدى قبائل زناته التي كانت في معزل عن الصراع المذهبي القبلي بين زناته وصنهاجة وكانت ملجأ لهم، إذا أمعنا النظر فان هذه المدينة تبقى بعيدة عن كتابات الجغرافيين الذين كتبوا عن المغرب الأوسط؛ عُرفت بعد نزوح الهلاليين وإستقرارهم بها وبمناطق السهوب الوهرانية، كانوا اداة في يد"الزيانيين" لتصرفهم ضد الحفصيين وغيرهم.
- اصبحت "تاوغزوت" موطناً لقبيلة "توجين" المرتبطة بالولاء مع عشائر "السويد" الهلالية إتخذها بعضهم رباطاً يقيمون به قبل أن يتمكن رجال "بنو يدلتن" من "توجين" بامتلاكها جعلوها مقراً لهم فاختلفوا بها قلعة لتكون سكناً لهم وبها تعرف اليوم،² أقام بها ابن خلدون وفيها أتم المقدمة التي عرف بها.
- عين سببية وهي جزء من خط الليميس أسسها³ SEPTIME SEVERE كانت مربوطة بكل المناطق والمدن المجاورة مثل كوليموناطة CLIMONNATA (سيد الحسيني اليوم) هي مدينة جبلية بها قلعة ترجع إلى القرون الوسطى هي جزء من نظام دفاعي يرجعها المؤرخون إلى ما قبل هذه المرحلة ويرى بأنها مدينة وقاعدة بربرية أسستها قبائل "القرامنت" و"الجيتول" LES GRAMENT، LES GETULE في القرن

¹ - ناصر الذين سعيدي، ابن كتب ابن خلدون "مقدمات". مجلة مواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ العدد رقم 03 ديسمبر 2008، ص 7-8.

² - ناصر الذين سعيدي، مرجع سابق، ص 7-8.

³ -Révision de PDAU phase 01mars 2008 ibid ،P 11-13.

الثاني الميلادي احتلت من طرف الرومان وأصبحت مأوى للحامية العسكرية، جزء من نظام دفاعي بينت الدراسات القليلة أنها كانت نقطة عبور؛ وجد بها حمامات ومنازل وبقايا مدينة ذات كثافة سكانية معتبرة إستفادوا من مياهها وغطائها النباتي (القعدة EL - GAADA)¹، كانت جزء من خط الليميس يمتد من فرنده إلى "تاوغزوت" ثم "عين درهم" ويتجه إلى "سعيدة" حتى مغنية لمواجهة الشعوب المتوطنة والقبائل في سهل اللتات وحول المدينة كما أن المنطقة عرفت المسيحية، وجدت بها عدة كتابات ابيغرافية تحمل إسم المدينة CENT من طرف الباحث M. PIERRE SALAMA وقد عثر على قطعة سيراميك تحمل إسم المدينة.

حسب L.FORT، كانت هذه المنطقة جزء من موريتانيا وكانت خاضعة ل GORDIEN أكتشف بها محطة حمامات وهو ما وضحته التنقيبات سنة 1908، عثر الباحث فيها على عدة كتابات أثرية تخلد عدة شخصيات مثل: SEPTIME SEVERE وأولاده CRACALLA و JULIA DOMNA GORDIN وأسماء أخرى مثل: PHILIPPE LARABE. رغم كل هذا ليست هذه المدينة مصنفة ولم تجري بها تنقيبات أثرية على غرار البحوث التي عرفتها مناطق أخرى كالأجدار.

تاكدمت: Tekedempt أو Tak'dimt تعني المدينة القديمة (L'ancienne) أو من القبائلية بنفس المعنى. وهي تقع على مفترق الطرق كطريق هام، أشار الباحثون أنها تربط بين الشمال وبين الأغواط أي الربط بين حوالي 42 محطة²، وهي ملتقى الطرق لكل من المدينة ومعسكر. اعتقد الباحثون بأنها امتداد لمناطق أخرى أكثر قدما تعود إلى عصر الصناعات الحجرية مثل:

المنطقة المعروفة ب La zone de la Cité Fronzy تقع بجانب البنايات العسكرية والمدينة التي أسستها فرق الهندسة العسكرية الفرنسية وبمحاذات مستشفى المدينة الحالي؛ تعتبر مكان أثري يعود لما قبل التاريخ، شأنها شأن المحطات التي عرفت سابقا؛ تم التنقيب بها والحصول على العديد من البقايا، تعود على الأرجح للعصر الحجري الحديث، منها 116 جسم من الصوان و48 من الكوارتز، ما يعطي فكرة عن استخدامات الصوان وأغراضه،

¹ -Révision de PDAU phase 01mars 2008. ibid, P 04-05.

² -Exploration scientifique de L'Algérie ، ibid P 149-152.

ذات أشكال هرمية أو شبه دائرية وحتى بيضوية وأخرى شبه مثلثة في الغالب، بالإضافة إلى شفرات، قدم لها وصف وجرّد خاص وهي تعود للعصر الحجري الحديث.¹

8- موقع تخمات: ²(TAGREMARET) أو (COHORS BREUCORUM) ولقبت في عهد الاستعمار

ب (Dominique-Luciane) تم التنقيب واكتشاف مواقع أثرية أبرزها كان من طرف HERON DE

VILLEFOSSE بها كتابات لثلاثة معالم تقع جنوب القطاع الوهراني بالمنطقة الواقعة بين سعيدة وفرندة،

الكتابة الأولى على الشكل التالي:

IMP'CAESM·AV
RjELIO CLAVDIO
QVINTILO INYIC(iic)
TO PIO FELICI AVG
PONT-MAXIMOTR
IB-POTEST-P-P'ACOH
BREVC-

بجحر شبه أسطواني مسطح من جهة طولية 1,35 متر عمق الحروف حوالي 0,20 ملم، قد يكون عبارة

عن نصب هام، تم اكتشاف نقش ثاني ذكر فيه الإمبراطور وابنه Garus et à ses fils Garin et Numérien يعود

لسنة 283م وفق الشكل التالي:

IMPPP CAR.O feli
CAVGI ET CARION
ET NVMERINo
CAESS FELIC
ACOH · BREV
C.M.P.I

الارتفاع حوالي 0,90 متر وتم العثور عليه بالقرب من النصب الأول بالقرب من الطريق العام، هذا

يضاف إلى الموجودات التي عثر عليها لابلانشار M. De La Blanchère في المكان المعروف بالسويقة ب

¹ -De Bayle des Hermens R. Les industries préhistoriques de la cité Fronzy. Tiaret in: Bulletin de la Société préhistorique française, Etudes et travaux, 1964, tome 61, N° 1, P 65-83.

² -Heron de Vilefosse Antoine. Inscriptions milliaires des environs de Tagremaret (Algérie). In : Compte-rendu des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 3 le année, N° 2, 17 juin, 1887, P 258-262.

"تخمارت" تكون هذه الأخيرة يضاف إليها الموجودات الأثرية الأولى مجموعة واحدة، هي عبارة عن معالم توضع على طريق أو مكان لمحة معروفة في العهد الروماني، تم العثور لاحقاً على الكتابات التالية:

**IMP-VAES-C-IVLO
VERO MAXIMI
NO PIO FELICI
AVG-PONTIFICI
MAXIMO TRJBV
NICIAE POTESTA
TIS-P-P'PROCOS
A KAPVTVRBE**

كتبت على الحجارة الرملية، كانت في حالة جيدة، تم إيجادها على طريق معسكر تيارت. هذا عن بعض المواقع والكتابات الوصفية للمناطق الثرية بولاية تيارت.

من خلال العرض السابق يتبين وجود العديد من المواقع الأثرية بالمنطقة ترجع لحقب زمنية متعددة يمكن من خلالها التأريخ للمنطقة وإعادة كتابة تاريخها من خلال الدمج بين البحوث الأثرية والكتابات التاريخية والمنوغرافيات الكولونيالية كما أنه يمكن اعتمادها للتدليل على نوع من المصادر الأولية.

الباب الثاني

التحليل الأنتروبولوجي للتقليد الشفوي

الفصل الأول

القيم الاجتماعية

تمهيد:

البحث محاولة لمعرفة وفهم السلوك والعادات والمعتقدات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع وعلاقتها بالقيم، مع الاهتمام بوصف وتحليل النظم الاجتماعية، كل هذا من خلال اللغة التي تمثل الجانب المعرفي للأفراد الذين يستخدمونها، مما يمكن من تفسير الحقائق الممارسات السلوكيات والاجتماعي ككل.

تتنقل القيم من جيل لآخر وهي تراكمية مكتسبة يضيف إليها الأفراد قيم جديدة من خلال الخبرات والتجارب المعاشة-ومن خلال فعل الثقافة- وبفعل التربية يتم تشرّبها؛ تبين للأفراد أساليب التعامل مع الآخرين واحترام العادات والأعراف وترتبط بالسلوك/الفعل، مع الوقت يخضع لها الأفراد وتكون لهم ميول وإتجاهات قيمية تستبطن وتستخرج بطريقة شعورية أو لا شعوريا؛ يفصح عنها من خلال اللغة (القولب اللغوية الشفوية).

القيم جزء من الثقافة الموجهة للسلوك، تحدد أنساق مشتركة من المعاني تعمل كموجهات للسلوك وكمخطط لكل الأنشطة الحياتية؛ على الرغم من أن الأفراد قد يميزون بينها؛ مثلا نلاحظ لدى الشباب نفور من بعض القيم (يتجلى من خلال رفض الأفراد لها لغويا) لكن مع استمرار الضغط يبدأ التعلم والاستبطان بالتدرج. القيم تتجلى في النصوص الشفوية كتخييل إسقاطي، تعبر عن المجتمع ككل متداولة داخل الجماعة سواء أكانت تحضي بالقبول أو لا. تعبر القيم على جانبيين من السلوك:

سلوك مثالي (السلوك الذي يصفه المجتمع)؛ **السلوك الواقعي** (الذي يربط بالممارسات بالفعل) والبحث هو إنتقال من السلوك الأول إلى الثاني. من خلال المقارنة بين القيم السلوكية المثالية والواقعية، نفترض أن الأفراد يمكن أن يتخلصون من بعض الالتزامات القيمية المثالية، الأخلاقية دون أن يفقدوا الهيبة أو المكانة ويمكن أن تكون الممارسات اللغوية بعيدة عن الواقع والممارسة، لذا يجب التأكيد على أن هذه القيم السلوكية المثالية ليست ضربا من العشوائية إذ أن لها وظائف اجتماعية، كما أن الملاحظ من الناحية الواقعية وجود نموذج أو نماذج سائدة مدافع عنها تتميز بالثبات تقاوم أي تغير؛ فأى مخالفة للسلوك النموذجي يعتبر شذوذ يعاقب عليه.

هناك تفسير عقلائي وراء السلوكيات القيمية، يحكم طرق التفكير والأفعال، الممارسات والطقوس داخل الجماعات الاجتماعية يتجلى من خلال اللغة وهو يبين الجانب الرمزي من السلوك. مثلا: تعمل القيم على خلق

معاني متعددة مما يضمن وجود مساحات اجتماعية¹، يجب أن تحترم من طرف الأفراد داخل السياق الاجتماعي المعاش ولها بعدها الثقافي والتاريخي وهو ما يعطيها معناها ودلالاتها ويصبغها بقوة الإلزام.

رهانات البحث الأنثروبولوجي في القيم:

الغاية من هذا العنصر الإعلان عن منطلقات الدراسة وأهم التساؤلات والافتراضات فبالبحث يستهدف موضوع القيم من الزاوية الأنثروبولوجيا ويسعى إلى الوصول إلى منبعها الذي يتميز بالتعدد والتنوع من حيث الروافد لهذا يجب الإشارة إلى ارتباطها بالمحيط الخاص الذي تبقي وفيه له، والمحيط العام الذي تتأثر به، كما أنها نتاج لفعل التنشئة الاجتماعية قابلة للتطور المستمر خاضعة للتعلم في وسط اجتماعي وثقافي، تعبر عن التنظيم الاجتماعي. (القيم معبرة عن الاجتماعي تبين العلاقات وهو ما أشرنا إليه بالرابط الاجتماعي).

القيم تعبر عن جانبيين الأول فردي والثاني جماعي؛ لا يمكن تجاوز هذه الثنائية في التفسير والتحليل، يجب أن نفكر فيها بصيغة الفردية والجمعية، "...هناك عدد من السلوكيات لا تدخل في تمثلنا الواعي، بل تخضع لقواعد ولطريقة مناسبة في التصرف داخل المجتمع، إن المعنى يتجسد ولا يتمثل..."² ترتبط القيم بمعاني لتسهل ضبط السلوكيات وعلى جعلها متناسقة داخل البناء الاجتماعي وكل تفاعل سواء كان واعيا أو غير واعى يجب أن يبرر قيميا. كما أن البحث يقودنا إلى تناول تحول القيم -علاقتها بالتغير الاجتماعي- لأنها مكتسبة ومتوارثة لها صفة التاريخية وهي قابلة للتغير حاولنا في هذا الفصل الإشارة إلى أنها -كقيم- قد تتحول إلى عبئ إذا كان تحولها أقل سرعة من ما يفرضه السياق، كما أنها -كقيم- محكومة بثنائية الهوية والغيرية تعمل على تحديد الذات وتفصلها عن الآخرين وهو ما تعبر عنه كثير من النصوص الشفوية المتداولة بل تتجاوز ذلك لتفرض بصرامة المكانات والأدوار تفرض على المتداولين داخل السوق الكلامية كيفية إدراك الواقع وتعطي تفسيرات وتأويلات له، من هنا يمكن القول بأن البحث في القيم/السلوك هو بحث عن شروط إنتاج المعرفة من خلال النصوص الشفوية المتداولة، التي تتضمن جانبا قيميا قابل للنقل والإشاعة بين الفاعلين الاجتماعيين على الرغم من أن هذا الفعل قد يبدو عفويا إلا أنه يعبر عن بناء معرفة وهوية واستراتيجيات لا بد من معالجتها وفهمها.

¹ - مثل قول المستحوب: "أَحْسَنُ الْكَبِيرِ كَبِيرٌ تُعْطَوُةٌ قَدْرُهُ وَمَا تُجْمَعُوشُ مَعَاةٌ حَتَّى يَبْغِي هُوَ، وَجَمَاعَةُ الْكِبَارِ فَأَيَّدَةُ وَكَثْرٌ مَا نَحْمُسُ نَعْمَدُ مَعَاهُمْ هَاكَذَا عَلْمُونًا..."

² - مارك أوجيه، بول كولانين: "الأنثروبولوجيا"، ترجمة جورج كتورة سلسلة نصوص، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، 2008، ص 16-17

تعبّر عن التجربة الاجتماعية التي قد تكون مشتركة بين جماعات اجتماعية متباعدة جغرافياً لغويًا إثنيًا بنويًا هذا الاشتراك قد يعزز من انتقال القيم وتمثلها وتبنيها بفعل الثقافة مما يخلق تقارب بين هذه الجماعات التي تشترك في طابع الرفض أو القبول للنظام القيمي (لذا نفترض مسبقاً أن الاشتراك في الاكراهات يخلق تقارب) تبدأ سيرورة الرفض والتبني للقيم الجديدة من خلال المؤشرات التالية: التراجع عن الإيمان بالقصص المؤسسة،¹ رفض السلطة التاريخية تراجع دور ووظيفة الزعامات الكبرى والشفويات وتبني أساليب جديدة وقنوات جديدة للتواصل... الخ كل هذا يفرض وجود انتقال قيمي من جهة ومقاومين له من جهة أخرى).

هذه الفكرة تقودنا للبحث عن القيم/شفويات في سياقها المحلي والمحلي المعلم، دون تجاوز مفهوم تعددية السلوكيات وتبعيتها لجملة من المعايير والقيم المشتركة (تبني وجهة نظر دون إقصاء عناصر جوهرية كالاختلافات).

فكرة محلية القيم محل جدل هذا لاتساع مفهوم السياق الاجتماعي (موت الجغرافيا والمحلي) فهو ليس ثابت دوماً، مع فعل الثقافة-العولمة يتسع هذا السياق إلى حد يصعب ضبطه، "الناس أياً كان موطنهم لم يعودوا محليين إلا نسبة لتصور تاريخي خاص..."²، كل القيم هي نتاج ثقافة تتجه إلى أن تنفلت من سياقاتها لا يمكن تصورها بأية حال بمعزل عن السياق. (البحث دراسة لعلاقات معقدة خاضعة لازدواجية السياقات؛ سياق محلي سياق خارج المحلي-عالمي). لا وجود لمجال مستقل كلياً يمكن تحديده هويته بوصفه متفرداً وخاصة في ظل المعولم. على الرغم من الاختلاف والتفاوت فإن هذه القيم لا يمكن أن تُحدّد بالجغرافيا كما أنها موحدة نسبياً، على الرغم من الاختلافات ما يسمح بوجود بعض التعميمات والاستنتاجات بناء على الميدان؛ منطلقات البحث تفرض علينا الربط بين القيم، المعتقدات، الممارسات بأسسها المادية والاجتماعية والوظائف التي تؤديها للمتبنين لها ومعنتيها لا يتأتى هذا إلى بربطه بمعطيات اثنوغرافية ميدانية.

يجب في البداية تحديد إجرائي دقيق لمفهوم المعنى والشكل وفي هذا البحث نربط بين معني القيمة وشكل السلوك، المعنى؛ هو الوسائل التي تخلق توافق بين الفاعلين وتفسيراتهم لما هو موجود داخل سياق اجتماعي معطى،

¹ - تجسدها عبارات مثل: "أنا ما نأمنش بالعوّلة وُقَصصْ عليّ بابا، الواقع هو لي يفرض روجه..." (كإشارة إلى كل القصص المحلي) أو عبارات أخرى مثل، قَالُوا لِيْلِي أْحْنَا حَدْنَا حَاءَ مِنْ الصَّخْرَاءِ وَمَنَاشْ أَوْلَادُ الْبِلَادِ... بَصَحْ أَنَا وَلَدُ الْيَوْمِ مَشِي الْبَارِحِ...".

² - مارك أوجيه بول كولانين ترجمة جورج كتورة، مرجع سابق ص24.

هناك من يرى أن القيم هي نتاج لإتفاق جمعي سابق لوجود الأفراد وهي منتجة للضبط الاجتماعي تحددت كنظام معرفي في معزل عن إرادتهم لكنها ملزمة وجب الخضوع لها (المعنى يرتبط هنا بالاتفاق الجمعي وبالسياقات).

بما أن البحث يعنى ب الوصف يجب أن تعطى أولوية للميداني على النظري ويجب التعمق في الوصف (الوصف المكتنف) فالبحث في القيم/سلوكيات/شفويات هو بحث يتناول ممارسات متجددة الصياغة والتشكل ومسايرة للتغيرات والقطائع التي ميزت التنظيم الاجتماعي، وهو ما يجعل من الموضوع المطروق قابلا لأن يكون موضوعا لأكثر من اختصاص معرفي.

البحث في القيم هو عبارة عن رهانات لا يمكن الفصل بينها بسهولة ولا يمكن القول بوجود قيم اجتماعية وقيم دينية واقتصادية لأن كل هذه التصنيفات لا تصمد أمام الواقع المعاش واليومي، كل القيم هي اجتماعية تم اللجوء إلى هذا التقسيم من أجل التحليل فقط، لأنه يستجيب للميدان.

القيم الاجتماعية/الغيرية والأنا:

من خلال تحليل المتن يتبين إن هناك نزعة نحو "الأنا" تعززها القيم؛ يظهر كذلك نوع من الاهتمام بالآخر المتعامل معه في اليومي، وهو ما يؤكد وجود رابط الاجتماعي فريد؛ يبين أن الشباب يؤسسون لمفاهيم مركزية مثل "الأنا" تتميز بقيم تجعل من غيرهم امتداد لهم أو معزولين ومغتربين أي أن الاعتراف بالآخر والاجتماعي مشروط بقيم ترتبط ب "الأنا" وهو ما يبين "وجود منظومة إلتزام "قيمي" داخل الذات وخارجها تجاه الآخر وتجاه ما هو عام؛ مكانا كان أو ذوقا أو انتماء أو سلوكا عاما.."¹.

نلاحظ لدى الشباب المدروس إزدواجية قيم "الإلتماء" يتجسد هذا من خلال تنامي الشعور بعدم الإلتماء للفضاء المشغول يقابله نوع من التشديد على الإلتماء للأصل والمنشأ؛ يظهر هذا جليا من خلال النصوص الشفوية المؤسسة المتعلقة بالأولياء المؤسسين والصلحاء (Les Saintes) أي أن الشباب يعملون على الاحتفاظ بجوهر الثقافة الأصلية أو يرفضونه أحيانا (التناقض بين الثقافة الأصل والثقافة الحالية). لتتجلى الثقافة كثقافات متجاوزة مجاليا يمكن الكشف عنها من خلال ما هو متداول كلغة بين الفاعلين الاجتماعيين تكونت هذه النظرة كنتيجة لظروف تاريخية تسود البناء الاجتماعي تعززها متون شفوية. الملاحظ هو التأكيد على الروابط القرابية وروابط

¹ - الجوهري محمد ، شكري علياء: "مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا"، بدون دار للنشر، القاهرة، مصر، 2007.

الجيرة مع إمكانية قيام علاقات موصوفة بأنها ثانوية وسطحية ظرفية مؤقتة، تعمل اللغة -أي المتن- للإشارة إليها وتعزيزها.

تؤسس الشفويات كما هي متداولة لعلاقات اجتماعية بفهم جديد مثلاً: كنتيجة لقلّة التفاعل مع الروابط القرابية وعدم تعهدتها تميل إلى الضعف أو الأبول تحل محلها روابط جديدة، يتم التحول إلى التمرکز حول الذات وإقامة علاقات -تشبهها- تعوضها؛ تتميز بالتماسك، هي علاقات وجهها لوجه مع الآخر الذي يعوض القريب الذي ينتمي إلى الرابط الدموي ويحل محله،¹ (تصف الأمثال قلة الزيارات القرابية وفي المقابل كثرة التفاعل مع الآخر؛ تراجع الاعتماد المتبادل والمرجعية) كما أن اتساع الرقعة (الفضاء) الذي يتحرك فيه الفاعل الاجتماعي وتنوعه له أثر بارز؛ فالشباب قد يعمل على عدم التماهي مع القيم الخارجية بل يرجح بين البدائل السلوكية؛ ويكون سلوكه ناتج عن القدرة على التصرف، من ذواتهم؛ مثل: (مقاومة السلطة ومقاومة قيم المجتمع) نشوء إدراك مقاوم لمنطق السلطة، مع محاولة إبطال التأثيرات التي يمارسها العالم الخارجي على "الأنا" ومحاولة إثبات الذات والتوجه نحو الفردانية (لكن بالنسبة إلى بعض الشباب ممن يعتنقون قيم أخرى يلتزمون بالمتون الشفوية وبقیم تمجد الاجتماعي خوفاً من الفردانية والاستقلالية فقط).

وهو ما يفسر وجود متون شفوية ترى أو تشير إلى ضعف/تراجع رمز السلطة الاجتماعية (السلطة الأبوية، السلطة المؤسساتية...) تراجع دور الأسرة والمؤسسات الاجتماعية عن دورها المتعلق بالضبط والتغير على مستوى الروابط الاجتماعية، في حين يسعى جزء من الشباب للإعلاء من قيمة هذه السلطة التي يرى الآخرون أنها تقليدية وكل منها يؤسس لهوية محددة.

القيم الثقافية والهوية:

تعددت العناصر القيمية في التقليد الشفوي المتداول بين فئة الشباب ناتج عن تعدد الروافد التي ينهل منها يمكن قراءتها وإعطائها تأويلات كما وردت خلال الدراسة الميدانية. نلاحظ وجود ازدواجية في مرجعية القيم والمتون؛ العناصر القيمية النابعة من الثقافة/الآنية، العناصر القيمية النابعة من التاريخ/ثقافة أصلية، أي أننا أمام أكثر

¹ - نجد العبارات التالية "... أباك ما يعرف حالك... همك هو دمك، المشاكل كلها من الفاميل على هذا تقطعت العلاقات والله يرحم من زار وحفف..." أو "بكري كان السلام والمغفرة بالتلمس واليوم راهأ ب SMS... بعض النكت مثل: وأحد الجنان (شاب) قال لوأخذ الشيباني حنا وقتنا زين وقية كل شي؛ قاله حنا بكري فرانساً فعدت معنا فزون وما قلعتناش الغمامة وأتو ما يخطط البارأبول قلعتكم كل الحوالا... وأحد الجنان (شاب) قال لوأخذ الشيبان وقتنا زين خير من وقتكم قاله الشيبان راكم غايشين في عقابنا وقتكم مازال ما جاء."

من نمط. نمط يركز على استحضار فكرة الجماعات المتخيلة كنموذج سلوكي للاقتداء كفكرة السلف -بمعناها الواسع- يمكن أن نكتشف عناصر ونماذج قيمة حضارية وإنسانية (كقبول الآخر وقبول/تفهم التعددية) يضاف لها عناصر/نماذج قيمة ناتجة عن المحلي، الوطني وفي الأخير نستشف من المتون الشفوية التي بين أيدينا توجهات قيمة عملية تعالج الواقع والسلوك بطرافة وتتناول مواقف معينة (سيتم الفصل بينها على أساس أنها نماذج وظيفية متقابلة وليست متعارضة بالضرورة).

الملاحظ من خلال الدراسة الميدانية أن تداول القيم يعمل كإيديولوجيا مقاومة وكآلية لكبح التغيرات وهي من جانبها المثالي تسعى لغرس معاني "الإيثار" "الإيمان" "الرحمة" "الشرف" إلا أنها بالتحليل تعمل كاستراتيجيات لدى الفاعلين المتداولين لها من كل الفئات حتى فئة الشباب. هذا لتغليب نموذج سلوكي على آخر ولفرض معنى محدد وإلزام الأفراد بإتباع ثقافة وهوية اجتماعية. أي أن القيم ذات مرجعية متعددة؛ على علاقة بالثقافة باعتبارها موقفا قيما، تعمل على ضم بناء مفاهيمي لضبط السلوكيات ككل.

مثلا إشارة المتون إلى فكرة أسلعة الثقافة تعني السعي لفرض وإشاعة قيم وأنماط سلوكية، هذا لا ينفي وجود هوية -بالجمع أو المفرد- خاضعة للحمولة الثقافية المكتسبة والمستبطنة من خلال فعل التربية أو من خلال فعل التنشئة الاجتماعية بل تعبر عن عناصر مميزة للخصوصية الثقافية والقيمية على حد سواء. من هنا يتبين جانبين في القيم جانب ذاتي والجانب الغيري تؤسس لهوية ذاتية وهوية اجتماعية.

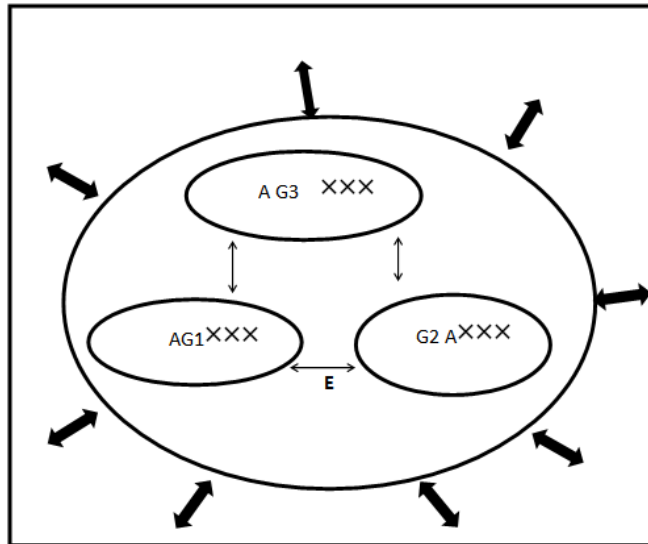
تعمل القيم كموجهات للسلوك لكنها تخضع للصياغة وإعادة الصياغة، داخل التنظيم الاجتماعي، يعاد تأويلها وفق معتقدات حاملها لتعبر عن الأجيال المتعاقبة ووفق السياقات المستجدة لتعبر عن الهوية "بالتعدد" لا بالمفرد؛ حتى أن معتنقيها لا يدركون هذه السيرورة قد تمت أو أنهم قد أسهموا فيها، والدليل هو النصوص الشفوية الحاملة للقيم إذ على الرغم من أنها قديمة ترجع إلى عصور معروفة أو غير معروفة كما هو الحال مع نصوص عبد الرحمن المجذوب أو غيرها ممن يجهل مؤلفوها إلا أنها لا زالت متداولة في سياقات جديدة غير معهودة.

القيم/اللغة كنظام معرفي:

ترتبط القيم/الشفويات بالتشريع/العرف وتخضع للتصورات الفردية والجماعية، خاضعة للتطور (وفق منطق تصور ممارسة) ترتبط بالوعي قابلة للتفسير ذات دلالات إيجابية تعبر عن الأنا، من خلال اللغة تدخل مجال الرمزية والتعبيرية تصبح قابلة للنقل. فالفاعلون يتشاطرون في سياق اجتماعي نفس القيم (ترتبط باللغة) تعبر عن

أحاسيس وانفعالات تكون مدركة، تعمل على ضبط السلوك تبين ما هو مرغوب من خلال خطاب تعبير يحدد ما هو يومي ويضبط أنماط الفعل.

البحث عن القيم/الشفوية هو بحث عن المعنى من خلال التأويل والتفسير لأنها تعبر عن حقل دلالي وفق منطق معين قابل للإدراك يعبر عن السلوك الفردي والجمعي من خلال اللغة/الشفوية وفعل الإبلاغ يتم تداول معرفة/قيم؛ يتبين وجود أشكال معرفية يمكن ملاحظتها في الخطابات اليومية؛ مثلاً: يستعين الأفراد بالتقليد الشفوي في التخاطب اليومي؛ يسهم هذا في الإعلان/تداول جملة من القيم المرتبطة بالأذواق؛ هذه الأخيرة هي معرفة ترتبط بالجنس والسن والنوع أي بمحددات اجتماعية.



شكل رقم (12) يبين القيم على أنها رهان داخل حقل القيم نظام معرفي.

يعبر الشكل التالي عن حقل القيم؛ (G) يعبر عن الجماعات المكونة للحقل، (E) يعبر عن الرهان القيمي داخل الحقل، (A) الفاعلين الاجتماعيين أو قادة الرأي أو القائمين بالتغيير داخل الحقل؛ أشرنا لهم في هذا البحث بحراس الذاكرة؛ بينما (XXX) تشير إلى الأفراد المنتمين للجماعة؛ الأسهم داخل الحقل تعبر عن جملة العلاقات داخل الحقل القيمي قد تتميز بالصراع، التحالف، التعاقد، الرفض، التماهي أي الديناميكا الداخلية، أما الأسهم خارج الحقل تبين العلاقات مع حقول أخرى وتشير إلى وجود ديناميكية خارج الحقل.

المشاهدة/القيم وامتدادية التاريخ:

ترتبط القيم/شفويات بالتاريخ المحلي وترتبط بجملة من الاحتفاليات الكرنفالية للعمل على تحديد نظام القيم وربطه بالماضي تتخذ الطابع التكراري، التذكري للاحتفاء بأهم اللحظات الغابرة في شكل تقديسي وفيه يتم التذكير بالرجال والأعمال الهامة (التراعات، الحروب، أشكال الصراع مع الآخر حول المجال الحيوي) تتم هذه الاحتفاليات في فضاءات متعددة يتم استدعاء الشفوي لتدعيم هذه الأحداث كالفضاءات المقدسة (الأضرحة، أماكن مقدسة محليا، التجمعات الوعدة والولائم الدورية والطارئة) فيها يتم غرس ونقل القيم من جيل إلى آخر من خلال السير الشفوية للمحاربين وقصص الكرامات الخاصة بالصلحاء والأولياء، وحكايات من الواقع اليومي كلها لا تخلو من أسلوب القصص والشعر وتعتمد كثيرا على الأمثال الشعبية، أهم ما يمكن أن نلمسه هو أسطورة التاريخ المحلي (خلق أسطورة/شفوية/قيمة محلية) وإحاط أجزاء منه بعناصر أسطورية أخرى موجودة في الماضي؛ على الرغم من ذلك؛ تلقي المتون مقبولة لدى الأفراد بمختلف الأجيال.

من خلال الربط بين النص الشفوي والفضاء يتم خلق أماكن رمزية مقدسة تعمل كشواهد على تدعيم النص الشفوي، تغرس قيم لدى طائفة المؤمنين بها ممن يترددون على هذه الفضاءات، على الرغم من أن فئة الشباب تتردد عليها إلا أنهم أقل إيمان بما تحويه النصوص الشفوية (لكنهم لا يكذبونها)، جل ما يتردد من نصوص شفوية هي جزء من التاريخ المحلي. المتون تبين العلاقات بين البناءات الاجتماعية كالقبيلة أو العرش والفرقة وبين الجانب المقدس الشعبي والعلاقة أيضا بين الفاعلين الاجتماعيين والصلحاء والأولياء المحليين. ومنه تبييت نوع من المشروعية على الماضي تحاول إسقاطه على أشكال التفاعل الاجتماعية اليومية في الحاضر أي تنميط القيم ومحاولة فرضها كقيم تاريخية/آنية لا بد من تمثلها وعكسها على أرض الواقع اليوم. يمكن أن نلتمس هذه السيورة من خلال ما تم جمعه كمتن شفوي خاص بقصص الكرامات. فهي لا تستهدف بالدرجة الأولى التعريف بتاريخ حدث في الماضي بل أكثر من ذلك إلى تاريخ يستخدم لأهداف كالبحت عن المشروعية،¹ أي أنه يستعمل لدى الحاجة لتقديم تعريفات أو تبريرات للوجود أو التراتبية الموجودة أو لفرض تصور معين عن المجال الحيوي تحت تأثير الطلب الاجتماعي -الفاعلين- أفراد المجتمع-. من خلال الملاحظات يمكن أن ندرك وجود نصوص شفوية ذات صبغة تاريخية-مدعومة-يضاف إليها الفضاءات المقدسة (كالقباب الشرفية للصلحاء، أماكن العبادة "الخلوة"

¹ - يقول أحد المستحقين: "...في وَحْدِ المرَّةِ كَانَ وَأَحَدٌ بَأْغْيٍ يَخْطُبُ مِنْ عِنْدِ وُلْدِ عَمِي... مَا عَطَاوَاهُشْ قَالُوْةُ أَحَنَّا شُرْفَةَ... أَنَا مَا نَأْمَنْشُ بِلِي أَحَنَّا شُرْفَةَ... بَصَحْ مَا عَنَابِي مَا نُقُولُ وَوَلَوْ فَصَدْنِي مَا نَحْمَشْ نَعِيْبُهُ خِي عَلَى خَاطِرِ الْكِبَارِ مَا يَبْغُوشْ.. أَمَا قِصَّةُ تَاغِ الْعَهْدِ بَيْنِ الْأَوْلِيَاءِ مَا نَأْمَنْشُ بِيَّة..."

شواهد مادية كالأشجار، مكان مرور الصلحاء... الخ¹ "كأيقونات" لدعم الشفويات ليطم خلق موضوع له قيمة مقدسة يعتمد على المجاز والأسطورة ليشير جملة من المواضيع لدى الفاعلين الاجتماعيين ويمدنا بمنظومة قيمية مرتبطة أشد الارتباط بأفعال رمزية قيمية محفوظة في متون يتم ترديدها دوماً.

يتبين أن الشباب/الفاعلين يرتبطون بالجماعات المتخيلة ماضية وشخصيات تاريخية أسطورية بغرض فرض نضام قيمى يحكم جل أنواع التحالفات والروابط داخل المجتمع المحلي، خلق تماهي مع الزمن الماضي/الحاضر، يرى الأفراد أن الماضي حالة حاضرة يعزز الهويات والجماعات على اختلافها يخلق نظام قيمى يمكن أن ندرك أبعاده.

بالملاحظة والمعاينة؛ يتبين أن البناء الاجتماعى اليوم، مكون من جماعات تاريخية لكل منها نصوصها الشفوية المؤسسة لها، بحيث يبنى الواقع المعاش من خلالها كما أنها تعطيه الشرعية، تعمل كنصوص تقدم معرفة لمن يتداولها هي لا تكتسب معنى إلا داخل هذا البناء. (على الرغم من أن هذه النصوص غير معروفة من حيث المصدر ويصعب التحقق منها). يسلم بها على أنها حقيقية. ما يهمنا في هذا المقام هو أنها نصوص تاريخية ماضية تعمل على تدعيم النظام القيمى وهو ما لاحظناه في مجتمع البحث.

القيم نتاج للتأويلات مختلفة بذلك تتعدد الماهيات والهويات؛ كما أن هذه التأويلات ليست لها حدود تراكمت عبر التاريخ وهي نتاج للعبة صراع، غير أننا نجد نماذج أخرى مؤسسة على متون جديدة ترفض كل ما هو مجاوز للواقع وبالتالي يرفض جزء من الشباب المدروس القيم كمثاليات يتم استبدالها بقيم أخرى يرون أنها أكثر عقلانية.

يمكن القول بأن هدف الشفويات/القيم التاريخية أنسنة العالم الاجتماعى لهذا فهي تشترك مع غيرها من القيم على الرغم من رفضها أو استبدالها. نحن أمام تفاوض اجتماعى وتحول مجتمعى وتغير للفاعل التاريخى المنتج للقيم؛ لكن لازالت المواقع الاجتماعية مشغولة على الرغم من عدم وجود المنتج الأول للمتن، ينوب عنه مرسل آخر،² يستعير كل التشبيهات؛ التوريات، المجازات والكنائيات للتعبير عن الواقع المعاش والمواقف، على الرغم من

¹ - يمكن الرجوع إلى الملحق لمعاينة النصوص الشفوية الخاصة بالصلحاء وأساطير التأسيس بالإضافة إلى الصور المرفقة التي تبين هذه الأيقونات التي تدعم النص الشفوي مثل أثر حافر الحصان الذي يتكرر في أكثر من مكان وبشكل لافت في المجتمع الخلى.

² - ينوب عنه "المقدم" مقدم الزاوية أو الطريقة والقائم على شأن الضريح، يرى بعض الشباب أنه يحمل رسالة المؤسس الأول مثلاً: "أحنا أولاد سيدي.. (فلان) لأزّم نحافظو على السيرة ناعة وتعلموا منها ونخبرو الناس لأزّم يفتى الذكر ناعة ونحكوا عليه للكبير والصغير نأذ يعرفوا بلي كآين رجال البلاد وكآين أولادهم والحكايات باقية وتبقي..."

أن بعض الكلمات الموجودة في المتن خرجت من الاستعمال إلا أنها لا زالت موجودة،¹ ولا زال المتن يرتبط بالفعل الأسطوري، الملاحظ هو تعدد التوصيفات للتعبير عن الاجتماعي فهي معاجم للذاكرة تحفظ الأحداث لتستعاد، تعبر عن الآني محاولة لإحياء المتن والقيم لصناعة تاريخ وجعله ممتدا غير منقطع، غير متجاوز، الاستعمال بغرض إحياء القيم (المتن عبارة عن تركيب لطبقات له صفة أركيولوجي).

تحمل الشفويات معاني مزدوجة أحدها على علاقة بالقيم والآخر على علاقة بالسلوكيات داخل المجتمع وحضور إحداها يعوض الآخر أو يمحوه على اعتبار وجود نوع من الاستخدام الواعي لها، المتون الشفوية مطبوعة بالتوجهات القيمة؛ هذه النصوص الأدبية أصلا تكتيف للعلامات غنية بالرموز تعبر عن العلاقة بين الإنجاز الكلامي والتعبير عن اليومي-السلوك (تعبير عن حالة اجتماعية)، لها قدرة على التشخيص والتعبير عن الراهن، إذن هي عبارة عن ممارسة عملية لها دورها ووظيفتها.²

إن هذا التزوع التراجعي الذي يراعي التزمين والاسترداد، هو عبارة عن معنى منطقي يمكن تحليله، حتى أنه توجه ناقد يحاول أن يعدل السلوكيات أو أن يحوها لينتجها لغويا؛ بناء أشكال لغوية (أجناس شفوية) لنقد الواقع، نقد الاجتماعي، باستدعاء المحكي الخيالي والمحمي والأسطوري والواقعي وهو ما يدل على وجود نوع من الوحدة الوظيفية لكل الأجناس-الأنواع الشفوية لإنتاج القيم السلوكية؛ نحن أمام نفس الوظيفة؛ كما أنها كلها معبرة عن التجربة الاجتماعية-من الداخل- ومعبرة عن المعاش، كما أنه يمكن القول بوجود علاقة بين القيم والسلوك مهما اختلف الزمن والحكي وشكل الحكي ومتداولوه، نلاحظ وجود ثبات بينها (افتراض وجود علاقة بين الزمن وشكل الحكي لوجود نوع من الرقابة والسلطة المستمرة والثابتة التي تتناول السلوك من خلال قوالب متعددة) لا يمكن التفريق بين المواضيع التي تعالج لغويا فهي تشمل النشاطات والأفعال؛ كل السلوكيات متضمنة في اللغة، في أنواع متباينة لكل منها شكل وصيغة ومنتج، وبالتالي إنتاج مشترك تاريخي معبر عن التجربة مثل أقوال المجذوب تقبل على الأقل كتجربة يتم استعادتها والاستشهاد بها في أكثر الأحيان (الربط بين الزمن المعاش والزمن المنقضي بطريقة واعية).

¹ - توجد العديد من الكلمات باتت خارج الاستخدام الاجتماعي للغة لكنها متداولة في أكثر الحالات في المتن الشفوي فقط مثل: القرامبي، لقراص، المرو... الخ، بالإضافة إلى أسماء الأماكن والأعلام وأسماء الأدوات والأشياء.

² - ومن الملاحظ هو وجود نوع من السرد-الحكي العكسي رحلة إلى الماضي لغاية يريد المرسل الباث للشفويات والمنتج لها وهو ما ينقلنا من الاستعمال المحتمل والحقيقي للغة إلى الوظيفة، وظيفة إنتاج ودعم القيم السلوكية ذات معنى محدد لا يمكن فهمه إلا بالرجوع إلى الاجتماعي.

الشفويات عبارة عن انتظام لخطابات في الظاهر قصيرة مقتضبة مكونة من وحدات متباينة إلا أنه لا يمكن فصلها عن الأنواع الأخرى المكملة لها وعن ما يسبقها وما يليها من كلام، لا يمكن فصلها عن زمن الإنتاج، مما يخلق وحدة دلالية كبرى ذات معنى، فالشفويات تتكون أساساً من تجميع للأحداث الماضية التاريخية، تسعى لتوفير معنى وشكل للسلوك يتبع ظروف، أهداف وما يليها من عواقب، التغير في سير الأحداث ذو دلالة، فالراوي المنتج لها يربطها بالفعل البشري ويعبر عنه بصيغة مناسبة أي أنها على علاقة بالسلوك وبالتجربة الإنسانية التاريخية الحقيقية باستخدام أسلوب خاص (وصل الأفعال في الشفويات مثل الأفعال في الواقع للأداء غاية قيمة).

في الشفويات يتم الإلحاح على قيم معينة، تاريخية، أي إنتاج بنية متماسكة ذات غاية، تعبر عن الوقائع والتحويلات الكبرى والتغيرات الحاصلة، المرئية ولحظات القطيعة، تعتبر وفقاً لهذا الفهم كآلية، تقف على مسافة من التجربة الحية لأنها تتحدث عن الواقع باستخدام أسلوب خاص وبنية خاصة؛ وهو ما يعطي المتن صبغة تاريخية-عجائبية-طريفة. إن مسألة ارتباط المتن بالتاريخ وبالحدث المؤسس وبالزمن الماضي والقريب يمكننا من فهم التحويلات الاجتماعية القيمة (ومن هنا ينشأ الافتراض التالي: كل وضعية في المتن تشير إلى زمن معين تحول إلى قيم وسلوك محدد يعمل ترديدها على ترسيخها).

المتن الشفوي ككل هو أساس للفهم بالنسبة للأنثروبولوجيا إذ أنه يعبر عن وضعيات قبلية ووضعيات تليها (تحويلات ومراحل ناتجة عن حدث وعن حركة الفاعل الاجتماعي) المتن معبر عن الفعل وعن الوضعيات التي يشغلها الأفراد، أي أن التعاقب داخل المتن (تعاقب الأحداث والأفعال) له دلالة اجتماعية تاريخية، ومنه يمكن القول بأن تداول الشفويات عبارة عن ممارسات يمكن إخضاعها للتحليل والنقد لأنها ترتبط بالقيم السلوكية فهي تستثيرها. (تعبر الشفويات عن التجربة الإنسانية الجمعية الماضية الممتدة إلى "الآن"؛ بل هي توصيف لها؛ إذن فهي ترتبط بالزمن الماضي تعبر عنه مما فرض تنوع المتن وتنوع المنتجين ووحدة الوظيفة) يمكن اعتبارها رجوعاً للتاريخي-الماضي بغض النظر إن كانت الأحداث وقعت بالفعل أم لم تقع على الإطلاق، فالأفراد يؤمنون بها ويعتبرونها كمرجعية يستدلون بها، يتم استدعاؤها للتبرير (تبرير السلوكيات ونقدها من خلال إنتاج رموز لتشخيص الواقع) "...ذلك أن عالم النص يدخل بالضرورة في تصادم قوي بالعالم الحقيقي، لكي يعيد "صنعه" إما

بأن يؤكد وإما بأن ينكره...¹ المتون على علاقة بالواقع يمكن فهمها بالرجوع إلى الجماعات المنتجة لها، وإلى المعاني القيمية السلوكية والأحداث التي تتعلق بها (كل متن له مرجع محدد يمكن الرجوع إليه في التفسير).

إن إنتاج المتن للتعبير عن الماضي هو تأكيد من نوع ما على قيم محددة تنسب للجماعات وتفرق بينها في الآن ذاته، المتن تعبير عما هو موجود (على الرغم من عدم وجود الحدث والمنتج هنا-الآن) وتعبير عن قيم موروثه موجودة على الرغم من التغيرات الجذرية الكبيرة (وهو ما تم ملاحظته في الواقع، وجود معنى تاريخي يصف ما كان موجود، وجود متن ومحمولات تعبيرية قصدية). تتحول المتون من خلال الاستعمال إلى مألوفة هي عبارة عن إسناد شيء لشيء بحكم التماثل، إسناد الفعل/السلوك الآني إلى الأفعال/السلوكيات الماضية.

الملاحظ في مجتمع البحث وجود عناية بالمتون ووجود قدرة على توصيف الوقائع-الأحداث الماضية، لكنها تطبع بالاستعارة للتذكير بالذات-الأخر، المشافهة خاضعة لنوع من الاستعمال، يتجاوز المتعة فقط لمجرد الحكيم-السردي وليست خطاب للاستئناس والاستذكار فقط، له وظيفة تعبر عن عكس ما هو موجود داخل البنية الاجتماعية فالمتن يتجاوز التماسك الملاحظ لبيّن لحظات تاريخية ذهبية (عصر ذهبي) للجماعة المنتجة له.

إن الاستعمال المكثف والمعتاد للمتن الشفوي التاريخي له وظيفة تعبير عن دلالات أخرى غير معلنة ومن خلال التداول تتجدد الدلالات وتنوع من متن لآخر لتكون صورة عامة وقيم عامة يمكن الوصول إليها بعد تجميع المتون والأنواع الأدبية المنطوقة على اعتبار أن كل نوع هو عبارة عن مقطع يكمله لون آخر. إن المتن تاريخي بامتياز لأنه يطابق بين أزمنة متباعدة متميزة ويجعل من الماضي مستمر آنيا.

هي عبارة عن إبداع ومنتج يخضع لقوانين وقواعد، قد يبدوا أول الأمر منقطع عن الكل، متفرد من حيث البنية والشكل، لكن الملاحظ أثناء الدراسة أن الأفراد يتذوقون المتن ويعملون على نقل ما هو مميز فقط، متن يحتزن قيم سلوكية. أما من حيث الاستعمال فإن فعل إنجاز التلفظ يتم بعد موقف محدد. بصفة مختصرة يمكن القول بوجود علاقة بين كل الأنواع كما أن المبدع قد ينتج متن جديد متفرد على علاقة بما سبقه من أحداث أو متون أخرى أكثر تداولاً (أكثر طلباً-تلبية الطلب الاجتماعي على المتن)² وبهذا فالمنتج مبدع للغة ذات جمالية ولمنطق

¹ - ريكور بول: "من النص إلى الفعل أبحاث في التأويل"، ترجمة براءة محمد و بورقية حسان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 2001 ص 16-17.

² - مثلاً: كنتيجة لوجود متون ذات طابع استشرافي تنتقد السلوكيات أو تتوقع أنها ستغير موثوقة مثل متن ولد الوهاني فإن المنتجين الجدد يقومون بنسخ متون جديدة موازية وشبيهة بما "رأه حاي وأخذ الوقت يكثر العجاج ويكثر ماكلت الدجاج يكثر الحجاج"

ينقل القيم-تاريخ ويعبر عنها حتى في اللحظات التي يعتمد فيها على الخيال والأسطورة، في المتن يمكن أن نلاحظ وجود لا تجانس على مستوى الزمن-التاريخي والفاعلين قد يدمج بينها للوصول إلى دلالات منطقية فقط؛ كما أن المتن ديناميكي غني بالتفاعلات وهي ذات دلالة أيضا، فطبيعة العلاقات داخل المتن تشبه ما هو خارج النص (علاقات التعاون والعداء علاقات التنافر والسلوك المنع والتحریم) كلها تدل على قيم يراد نقدها؛ نشرها أو على الأقل التعبير عنها، المنتج/المتداول يعبر عن اللامتجانس¹ للوصول إلى هندسة/تنضيد توافقية للاجتماعي ويصنع لغة/شفرة تقدم فهم ذو طابع خاص. ثم يلجأ إلى تغييرها وتنقيحها أو تبرير وجود عناصر أسطورية، مثلا في الحكي توافق ببساطة العلامات مع ما هو معاش موجود في الاجتماعي.

هناك رأي مفاده أن دور المتن ترشيد السلوك، والتعبير عن القيم التاريخية للجماعة، أي أن المنتج "يتطلع إلى بلوغ واقع خارج لساني، ... بتطلعه إلى قول الحقيقة...."²، يقدم فهم للاجتماعي ومعرفة عنه تختزن القيم، المتداول يسعى إلى إعادة صنع الوقائع والتعبير عما هو عملي من خلال اللغة، الربط بين عالم المتن كتاريخ وعالم الواقع غايته التأسيس للقيم. وتأسيس لرباط بين المرجعيات (تخفي المتون القيم والأهداف والوظائف باستخدام الصوت والمعنى للتدليل على قيم تفهم في مستوى آخر) تعمل على استثارة المخاطب وتحاول أن تؤثر فيه وتحوله إلى ذواق للكلام، نجد عبارات تشير إلى ذلك مثل "...وَالْفَاهِمُ يَفْهَمُ" "أَحْنَا نَهْدُرُوا لَعَةَ الطَّيْرِ" "كُولُ لِحْدِيثِ" "كَأَيِّن لِي جَوَابِهِ فِي فُومِهِ، الْكَلِمَةُ كِي الرِّصَاصَةِ، اللِّسَانُ الْحُلُو..."³

يمكن القول بوجود استخدام لغوي يومي وصفني لا يحيل إلى القيم الآن بل القيم تاريخيا؛ المتن ينتقل إلى مستوى آخر -غير واقعي- تاريخي- يعتمد على الدلالات غير المنتهية ولعبة التورية للتعبير عن قيم وسلوكيات مثل قصص الخرافة (الأفراد الذين تم التعامل معهم، معتادون على هذه التورية والاستعارة؛ أفادوا أنهم يعرفون متون منذ الصغر مثل: قصة سَمَاعِ النَّدَى وَعَشْبَةُ الْخَضَارِ وقصص الغيلان وبعض الألعاب اللغوية أي الألغاز والمحاجيات... ثم في مرحلة لاحقة تعلموا نوع آخر من القصص مثل: المَهْمَلَاتِ ثم القصص التاريخية عن الفرقة والعرش والكثير من الأمثال... الخ)، لهذا يتم قبولها وقبول الراوي على أنه، "المنتج على أنه ذات فاعلة"⁴، غير مفارقة، لها مكانتها

¹ - يقصد به عدم احترام الخطات التاريخية فالمنتج والمرد للتمن يجمع بين الشخصيات الميثولوجية والشخصيات الفاعلة في التاريخ التي يرى أنها مهمة مثل الأبطال والصحابه والصالحاء في متن واحد في زمن واحد.

² - ريكور بول من النص إلى الفعل أبحاث في التأويل، مرجع سابق، ص17.

- يمكن الرجوع إلى الملاحق بالأخص الأمثال الواردة ضمن موضوع الكلام والمشافهة.³

⁴ - ذات فاعلة عارفة فاعلة منفصلة يمكن أن تفهم ما هو معقد حتى أنها يمكن أن تفهم المستقبل وبالتالي تنتج نصوص استشرافية صادقة يؤمن بها الأفراد وفق هذا المبدأ. هذه الذات لها تجارب أنتجت متن وهي قادرة على عقلنة الواقع إذا تم الالتزام بما هو موجود في المتن. وجود علاقة مزدوجة بين الفاعل الذي ينتمي إلى زمن انقضى وتداول أي لغاية نشر القيم وترشيد السلوك وهو ما يتم الاعلان عنه في بدايات بعض المتون.

وقيمها ومركزها الاجتماعي قامت بعملية تأملية نتجت عنها تجربة شخصية يمكن أن تعمم على الكل وبالتالي تلقى المقبولية، إن الاستخدام المتن هو عبارة عن ممارسة فعلية لها تطلعات قد يعلن عنها وبالتالي تؤسس للمعنى القيمي ويُقصد الوصول إليه (في المتن وفي الواقع المعاش بالدرجة الأولى). كما أن التشعب المعرفي للمتن، على علاقة بالفاعل/التاريخي العارف المحرب وعلى علاقة بالمقدس واليومي/الآني (يحدث تطابق في الفهم بين المنتج والمتلقي للمتن لوجود تناسب في نفس الموقف) وهو ما تم ملاحظته من توظيف للتعبيرات والصيغ والقوالب اللغوية في مناسبات ومواضع خاصة، تعمل الشفوييات على تبيان الاجتماعي كمعطى قبلي سابق حتمي أو على الأقل تبيين وجود بدائل-خيارات أي "السلوك الممكن؛ البدائل الممكنة التي تم اختيارها في الماضي ولا زالت قائمة" ومن هنا تتولد خاصية التقييم وتضمين المتن مجموعة من القيم التاريخية؛ وهي من جانب آخر صنع للكينونة، تعطي معنى للوجود الجمعي، (صنع المعاني من خلال إنتاج للعلامات وللغة والرموز) على الرغم من أنها ذات طابع استعلائي إلا أنها يمكن أن تختزل إلى تجربة معبر عنها لغويا تجربة ارتدادية تاريخية حاضرة لغويا تسعى إلى مطابقة الواقع قدر الإمكان. كما أنها تجربة متجذرة في الوعي الجمعي حتى لو نسبت إلى "أنا" ذاتية مفردة غير موجودة اليوم (قد يكون المنتج ينتمي إلى عصر آخر مثل المجذوب) فهي بحكم الاستعمال ملك للمجتمع الذي أوجدها في الاستخدام لأنها مصدر للقيم السلوكية.

هذه "الأنا" المؤسسة للمتن وللقيم الجماعية غير منقطعة عن الاجتماعي (تنتمي له بالضرورة)، على الرغم من أنها أنتجت في زمن معين -زمن تاريخي- وفي موقف ذاتي؛ متن بل أكثر من ذلك أنتجت معاني وقيم نسعى لتحليلها، لأن المتن ينتمي إلى ذات عليا في نظر المتداولين له، نحن أمام تأسيس للغة ولموضوع قيمي من طرف ذات أعلى متسامية وهو بالنسبة للمتداولين تقدم لفهم اختزالي من ذات مرجعية-مجرية من خلال نظام لغوي قبلي، المتن عبارة عن مكسب اجتماعي. يستغل المنتج القدرة والقوة الدلالية للكلمة والقدرة على التبليغ وتضمين القيم وإشاعتها للوصول إلى ضبط السلوكيات والحياة الاجتماعية.

نقصد بتاريخانية الشفوييات أن "سياق الحكيم" يصبح ممتدا يشمل كل المواقف بداية من المواقف التأسيسية التي أنتج من خلالها المتن وعلاقته بالجماعة الاجتماعية والسياق الاستعمالي الذي يعاد فيه التداول مما يعطي مصداقية للقوالب اللغوية ويضمن ديمومتها واستمراريتها، وهي -أي الشفوييات- تدمج في بنيتها بين تفسير موقف وإعطاء معنى بسيط/عام (الشفوييات جواب عن حالة وعن تساؤل وعن جدل حول المعنى) وفي لحظات الحوارية

يستخدم المتداولون المتن لإحداث نوع من الاشتراك بين القيم السياقية (تاريخية-آنية) لهذا لا يمكن فهم المتن إلا من خلال فهم الحوار وجها لوجه وربطه بالمتغيرات السابقة على الأقل التاريخية منها.

إن هذا الفهم يعتبر فيه فعل الإنجاز والتلفظ بالمتن جزء فقط لا يمكن أن يكتمل إلا من خلال فهم العلاقات التاريخية (المتن والحكي كتقليد تاريخي متحذر)¹ واللحظات التأسيسية المعبر عنها؛ ثم الانتقال إلى العلاقة بالأفراد والمؤسسات والوضعيات الاجتماعية.

لكن دون أن ننكر أنه في لحظات محددة يستقل المتن عن قصدية المنتج وينقل من خلال الاستخدام إلى استعمالات أخرى، حامل لقيم مغايرة للقيم التي أريد له التبليغ عنها، يتم قطع الصلة بالمرسل وإعادة إنتاج لحظات تأسيسية جديدة لخطاب تاريخي، ما يفتح المجال لوجود قيم جديدة وتعددية الفهم وتعددية المعاني لنص ثابت؛ وهو ما يحرك عملية التحليل الأنثروبولوجي لأن إنتاج المتن عبارة عن رهان يتطلب إنتاج نص في مستوى النص التاريخي.²

المتن الشفوي من جهة يعمل على استباق واحتمال المواقف لهذا يكون بصيغة عامة مألوفة، يؤسس لعلاقة مع متون أخرى، دينية، اجتماعية أو تاريخية، كما أنه يمكن للمتن أن يكون متجاوزا من جهة الاستعمال لوجود تغير اجتماعي، أي تجاوز أهداف التأسيس وفقدان للمعنى الأول التاريخي فتجاوز المراحل الأولى يسهم في الوصول إلى نهاية الاستعمال.³ المتن معبر عن التصورات ماضية؛ إذن فهو وسيط بينها وبين المجتمع، معبر عن التجربة الاجتماعية والممارسات وهو تجلّي لغوي معبر عن الوعي بالذات والآخر وبالتالي فتحليله أنثروبولوجيا يوصلنا إلى القيم والسلوكيات.

المتن ينظر إليه على أنه ذو مرجعية ونتاج لموقف سابق-ماضي، له مرسل (ذات مفكرة) منتج متعالي مثلا: "قُطب ديني" يمكنه تقييم الأفعال، تقديم معرفة وتفسير للوجود الاجتماعي يعلن عن قيم ومعاني لغوية متعلقة بالسلوك (لا يمكن تصور المتن على أنه خالي من معنى-قيمة وعلى علاقة بسلوك).

¹ - الشفويات كتقليد تاريخي -أشرنا لها سلفا- يرتبط بالاجتماعي والجماعي فالجتمع يقيم تنوعات في المتون للتعبير عن المعنى كما أنه يقيم ويقدر التواصل الشفوي وجها لوجه.
² - لتجاوز هذا الرهان ولتجاوز تعدد المعاني وتعدد القيم نلجأ في الدراسة الميدانية إلى جمع التأويلات كما هي موجودة في المجتمع بعيدا عن تقديرات الباحث وآراءه، هذه الآلية تعمل على حصر المعاني والوصول إلى التأويلات الاجتماعية وقيم موجودة على مستوى المتن الشفوي وعلى مستوى الممارسة واستثناء التأويلات الباحث.
³ - تمت الإشارة لهذه الفكرة في المراحل التي تمر بها الشفويات لكن الملاحظ هو وجود شفويات خاصة بأعمار ومراحل عمرية ومتون أخرى خاصة بفئات محددة.

الجماعات التاريخية تعتبر كمرجع للمتن، يُقدم هذا الأخير -أثناء التواصل، الحوار، التداول- نفسه على أنه تعريف لها وللذات المنتجة، يعتبر المرسل إليهم الشفويات على أنها تعبير صادق على الذات الجماعية والشباب الفئة المدروسة؛ يؤمنون أنها مبنية على حقائق تاريخية ملموسة لا زالت ماثلة إلى اليوم (الاستعمال هو إنتاج لرموز وإقامة تقاطع بين التاريخي والمعاش اليومي).

البحث في الشفويات هو بحث البنيات الضمنية المستترة وهو بحث في غير المصرح به، بالرجوع إلى المنتج والمستخدم على حد سواء، وإلى الوساطة التي يقدمها المتن (المواضع الاجتماعية الاتفاقية حول المتن كوسيط لتقديم الواقع) الاهتمام بالمقصدية يمكن من الوصول إلى المعنى/القيم والسلوك، ولا يمكن إنكار العلاقة بين المتن والواقع اليومي. (يصعب تجاوز الشفويات كتعبير واعي ذو قصدية للوصول إلى المعنى).

إن المتن تقريرى، يعمل الأفراد على تبادل المتون الشفوية التاريخية وبالتالي تبادل للعلامات-الرموز وتبادل للمعاني (إرسال واستقبال-فعل ورد فعل) كل جماعة هي جماعة لغوية منتجة للغة مشتركة،¹ تستحضر من خلالها الماضي التاريخي الذي تنخرط فيه، تجعله ممتدا لغويا وممتدا من جانب القيم (إصباغ دلالة على المعاش من خلال ربطه بالماضي وبالتجربة التاريخية)، استدعاء وسيط لساني والدخول في لعبة لغوية لإنتاج معنى ومتن يحفظ لنا القيم ويعبر عنها، نلاحظ وجود استعراض للقيم لغويا كلما كان هناك أفراد ينتمون إلى جماعات مختلفة (البعد اللغوي للتجربة الإنسانية التاريخية على أنها متفردة، مثالية).

هذا الفهم يتعدى تجاوزه لأن الجماعات هي لغوية تسعى لإنتاج متن يتلاءم مع الماضي يستجيب ل: "هنا"- "الآن"، إنتاج لمعنى مستتر متضمن في اللغة، وهو عبور إلى الماضي ل"لأنا" الجمعية وهو رجوع إلى لحظات التأسيس والانتماء للأصل، ولتجربة كاملة -حسب الأفراد- متعالية؛ -نستعير قول بول ريكور للتفسير-: "... يمكن للتجربة أن تقال، فهي تقتضي القول، وإدخالها في الكلام، لا يعنى استبدالها بشيء آخر، بل يعنى أنها تغدو نفسها عندما يتلفظ بها المرء أو يطورها..."²، هناك علاقة تضمينية بين المتن والقيم والتاريخ الجمعي (هناك تعبير ومعنى لا يمكن فهمه إلا بالرجوع إلى تاريخ الجماعات لفهم طبيعة القيم ومعانيها وعلاقتها بالسلوك) وكل ذكر

¹ - تشترك الجماعات ككل في نفس المتون لكنها تختلف في الأسلوب والعبارات وصيغ في الحكى مثلا: "في واحد الزمان كانوا زوج مسافرين واحد منهم قتل الآخر، وبعد مدة من الزمن رجع لنفس المكان، كان مسافر، وجد دالية، شجرة تاع عنب، فيها الحبة كى الدلاعة، قال نديها للسُلطان، وبين وصل للسُلطان جاء يجبد في حبة عنب جبد رأس صاحبة لي قتله، على هذا فاقوا بيه وحكموا عليه" في حكاية أخرى نجد بدل العنب شيء آخر مثل حيوان يعيش في الصحراء (لأن الجماعة التي تروي القصة من أصول صحراوية)، وفي أخرى نجد حيوان وغابة لأن الراوي ينتمي إلى الهضاب العليا، أي أن الجماعات تغير من المتن وتعمل على تحريفه.

² - ريكور بول من النص إلى الفعل أمثال في التأويل، مرجع سابق، ص44.

أو استذكار وترديد للمتن حسب عينة البحث هو استخدام واعى يتضمن قصدية، يمكن أن يتجاوز المثالية والاحتمالية¹، التي تغرق فيها النصوص للفهم؛ فمجتمع البحث منتج ومتداول للشفويات ولمعاني يقابلها وعي وإنتاج للقيم، وعي بالذات وبالآخر في لحظات تاريخية، يعتقد الأفراد في ديمومتها الآن (وجود قصدية لربط المتن بالبعد التاريخي لتكوين المعنى وإنتاج قيم يعاد إنتاجها دوماً). الملاحظ هو وجود وظيفة أساسية ناتجة عن دمج الآني والتاريخي والاجتماعي؛ فالانتماء مثلاً عبارة عن تجربة معاشة يحتفي بها الأفراد ويرددون متون للتعبير عن لحظات التأسيس ونشاط لتكريم الآباء المؤسسين باسترجاع حميمي لأساطير التأسيس، وكلها أجزاء من الماضي موجودة هنا لأن يتم التركيز عليها. إن هذه الممارسة تكتسي طابعاً قصدياً واعياً، إذ لا تكاد الجماعات المدروسة - حسب ما تم ملاحظته - تكف عن إنتاج/ترديد الشفويات والتأكيد على إعادتها في مناسبات مختلفة، هي تعبير عن "زمن معاش" يتم الرجوع إليه بحميمية يستعاد بالحكي والقصص واستدعاء متون شفوية من الماضي، تنخرط كل الجماعات في عملية الاستعادة بالطريقة التي تناسبها وتستغل كل جماعة مناسبة وفضاء خاص.

عملية الاستدعاء هي عملية رمزية، مثبتة بالشواهد المادية؛ أي إثبات المتن بالعلامات والأشياء من الواقع لإعطاء مصداقية للمتن ولقيم "الأنا"، في حين أن الجماعات الأخرى لها ما يميزها من متون، تدخل هذه الجماعات في لعبة إنتاج المعاني وتبادلها في سياق اجتماعي (الإرسال والاستقبال للمتن تعبير عن معرفة وهو تفسير للواقع وللإجماعي) يعوض المتن الفعل، يعبر عن شبكة العلاقات الاجتماعية والأشكال القرابية وجل التحالفات الممكنة والموجودة، هو تعبير عن الانتماء الاجتماعي لغويا.

حتى أن التعبير عنه - أي الانتماء التاريخي المتجذر - لغويا هو تأكيد للقيم المتضمنة في المتن وإقرار بها ونفي قيم أخرى - قيم الآخر - أي إعطاءها دلالة قيمية. هو تعبير عن توجه الذات النقدي وعدم الاعتراف بقيم الآخر واختلافه (القيم/الغيرية) لمحاولة إثبات هذه التزعة يتم الرجوع إلى الحدث التاريخي - الماضي.

المتن الشفوي إحالة إلى التجربة الاجتماعية، مما يعطيها بعداً لغوياً - منطقياً، أي أنها قصدية من حيث الإنتاج وإعادة الإنتاج التي تخضع لها فالإستخدام المتعاقب لها ذو دلالة، يعمل بمنطق إسناد الأفعال للأفراد ومواكبة السلوكيات (التضمين الرمزي للتجربة الاجتماعية التاريخية ونقلها لغوياً، التجربة اللغوية الآنية والتجربة الاجتماعية التاريخية وجهان لعملة واحدة) وبالتالي إعطاء معنى خاص للقيم وللسلوك. على الرغم أن المتن معياري ومثالي إلا

¹ - الاحتمالية إشارة إلى أن المتن يعمل على الاستشراف فقط والتوقع والتنبؤ والملاحظ أن الناس يؤمنون بها ويصدقون كل ما هو موجود في المتن ويعملون على ترديده مثل نصوص الشيخ الوهрани.

أنه يعتبر كإحالة على المنطقي، هو تسلسل للأفعال ولردود الفعل المترامنة دلالياً؛ أي التعبير عن الاجتماعي بنقده وخلق لغة غير مطابقة للواقع مثالية متعالية أسطورية تاريخية.

إن الاستخدام الاجتماعي السياقي المفرط للمتن الشفوي يدل على وجود دلالات قارة متفق عليها داخل الجماعات وبين الأفراد، وعلى الرغم من أن هذا الاستخدام مرتقن بمناسبات ومواقف نلاحظ أن الأفراد يفهمون المتن على أنه محدد الدلالة (لا وجود لدلالات متعددة) فمسألة تعدد المعاني غير مطروحة بالنسبة للمرسل والمرسل إليهم داخل الجماعة (القيم في المتن اتفافية مشتركة) أي أنها معاني رمزية مختزنة في المتن وقوة هذا الأخير تتمثل في القدرة على استدعاء صور أساطير وأحداث وتحويرها وتوجيهها بقصد معين، لا يمكن القول بأنها أجزاء مصاحبة فقط لأنها ذات دلالة تمكنا من فهم المعنى القيمة وشكل السلوك إذن فالتواصل الشفوي والاستخدام الاجتماعي للمتن يعبر عن عملية منطقية وعن نشاط لغوي-تاريخي دال.

هذا الاستخدام للمتن يكون خاصا وذاتيا يعبر عن حقيقة الاجتماعي وتأويلات الأفراد للمعاش اليومي (حدث تاريخي، نتج عن مخاض يعبر عنه) استدعاء المتن/التاريخي الغاية منه تقديم تفسير للواقع يستعين بالتخييل يتعلق بأفعال، يعطي الأفراد معنى للعالم وللأشياء والعلاقات "... إن إرجاع كل معنى في الحياة قصدياً للأنا الملموسة، يعنى، من ناحية أن الآخر يتشكل "فيا" و"انطلاقاً مني" وهي من ناحية أخرى... تقدم أصالة تجربة الغير، على أنها تجربة الآخر سواي...¹، رؤية الآخر كشيء كآخر منفصل له تجربته يمكن أن تعبر عنها الشفويات وعن تجاربه التي تقع خارج دائرة الانتماء وهو ما يؤسس لتعدد المتون التاريخية وتعدد للقيم، وهو ما تمت ملاحظته مثلاً عند الحديث عن "الأنا" يستدعي الأفراد قوالب لغوية تمجيدية وعند الحديث عن الآخر يتم استدعاء قصص عن لعنة الأولياء والأمثال التي نشرها سيدي أحمد بن يوسف لكنه يختارون المتون السلبية فقط.

الآخر... "غير قابل للتمثيل" وليس أبداً "مُمَثِّلاً" على نحو ملائم...²، لهذا فالمتن بالإضافة إلى ما يصاحبه من أداء (عبارات وعلامات وأوصاف) ومواقف يمكن أن يقدم فهم أوسع للاجتماعي وللجماعات الاجتماعية؛³ المتن يعمل على الاستدلال والمقارنة والمفارقة بين سلوك وقيم "الأنا" و"الآخر"، فالتجربة بهذا المعنى

¹ - ريكور بول من النص إلى الفعل أبحاث في التأويل، مرجع سابق، ص54.

² - ريكور بول من النص إلى الفعل أبحاث في التأويل، مرجع سابق، ص55.

³ - يعتقد الأفراد أن الحد المؤسس-الولي الصالح الذي ينتمون إليه درس على يد ولي صالح مشهود له في كل المناطق، وتزامن هذا مع وجود مرید من جماعة اجتماعية أخرى يعتبر كجد مؤسس لجماعة مجاورة، و في نهاية المسار تحصلوا على الاجازة وأمر كل واحد منهما أن يبني محل اقامته في مكان مرتفع يظل على ضريح المعلم، منح أحدهما وأحق الآخر وفي كل مرة يحاول فيها بناء مسكن أو مسجد يهدم تلقائياً إلى أن اهتدى إلى بنائه في مكان منخفض... بالرجوع إلى تفسيرات الشباب يعتقدون أن الجماعات المجاورة أقل شرفاً منهم و ليهيهم لم يكن في نفس المستوى مع الآخر لذا لا يجوز أن يتساهروا. في القصة السابقة لكل شيء دلالة مثل الاخفاقات، أعلى أدن، سرعة الإنجاز، العجز... إلخ

تاريخية انعكاسية وهو ما يبين ازدواجية القيم. المتن تاريخي لكنه إمتداد لمعاش يُعكس آنيا ويقدم تفسير للوجود وللتجارب الراهنة، تعدد الجماعات، القيم، المتون والتجارب؛ كلها تمثل تفسيرات للاجتماعي كما أنها تضع في الحسبان موقع الغير من هذه التجربة (المتن يتضمن إشارة إلى المتفرد من جهة والمشارك من جهة أخرى). أي أننا أمام فصل للتجارب التاريخية، تجارب للأننا وتجارب الآخر.

إن التجربة التاريخية الاجتماعية التي تنتمي للأننا تتجسد لغويا وتعمل على رسم للانتماء/القيم/السلوك وإقصاء الآخر وقيمه وسلوكه¹، أي أن الشفويات هي عبارة عن نشاط قابل للتحليل الأثنروبولوجي خاصة إذا حددناها على أنها عملية تأويلية وصفية تفسيرية للواقع المعاش تناول ما هو موجودة في اليومي. فالمتن يشير إلى نمط تقويم وقواعد ملزمة من الصعب تجاوزها وتجاوز علاقتها الخبرة الاجتماعية المنظمة، إن قصدية المنتج ورغبته في الحكى والسرد هي إنتاج لمعنى/تاريخي وقيم الغاية منها نقد السلوك لغويا والمحافظة على نقاء الجماعات الاجتماعية (نقاء القيم).

البحث محاولة لفهم معنى التعابير المثبتة بالمشافهة وعلاقتها بالاجتماعي، محاولة لنقل تأويلات الشباب للمتون الشفوية كم تم التعبير عنها في الميدان، كما هي مفهومة لدى منتجيها ومتداوليها، إذا كانت منطلقات البحث كذلك فالبحث يهتم أيضا التساؤل عن الغايات من إعادة إنتاج المتن وكيفية توظيفه في سياقات خاصة لهذا يجب شرحه تبعا للسياق المستخدم للوصول إلى الفهم. المتن تعبير عن الحياة الخاصة وعلاقتها بالآخر لهذا ينتج الأفراد ويقدمون فهم خاص، هي عبارة عن جهاز يمكن الباحث من الوصول إلى الفهم، (ما يقوله الأفراد من خلال الاستعانة بالمتن) هو تعبير عن معاش، لا يهم المنتج الأول بالدرجة الأولى بل المعنى المتجدد بعد كل استخدام؛ المتن عبارة عن موضوع تاريخي، على علاقة بذات متجددة هي الذات المنتجة "الآن".

المتن الشفوي أسلوب تخطيطي موازي للكتابة وللأشكال والبناءات الموجودة والمعترف بها اجتماعيا، هو تأويل تاريخي نسبي، هو إثبات لكيثونة معينة ترتبط بإستدعاء الزمن "الذهبي" للجماعات، ضمن سياق تواصلية، الهدف هو صناعة ذات وهوية لغوية متجددة في المكان والزمن لخلق قيم وربطها بالسلوك بالتجارب التاريخية وجعلها موحية قدر الإمكان لتوجيه الأفراد نحو الموضوعات. إن البحث يتجه إلى المعاني الكامنة في النص لا كموضوعات جامدة متنوعة متعددة بل كما هي مفهومة بالنسبة للأفراد أي كما تحدها المتون في لحظات

¹ - نجد مثلا الحكاية التالية: "هَدُوْكَ وَاذْ سِيْدِي -فَلَانُ- دَارُهُمْ فِي قَصْبَةٍ، بَاذْ يَنْسَقُمُوا، قَعْدُوا فِيهَا مِئَةَ عَامٍ وَمَنْ بَعْدَ كِي جَبْدُهُمْ لِقَاهُمْ مَعْرَجِينَ... وَاللَّهِ مَا يَنْسَقُمُوا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ"

الاستدعاء والاستخدام لصناعة كينونتهم وذاتيتهم وتفردهم وتاريخية أفعالهم وقيمهم؛ نلاحظ أن الأفراد يتميزون بالانتقائية؛ هناك دوماً إختيار حر واعي للمتن ولنوعه أثناء التلفظ في مواقف وفضاءات محددة، الملاحظ - ببساطة- وجود متون متنوعة الغرض منها قد يكون التوضيح والإظهار والتبيين؛ تعبر عن خبرات سابقة للجماعة -أو هي مقبولة كمعطى قبلي- توجه الذوات نحو الموضوعات الاجتماعية والأشياء في العالم.

إن المتن يعتمد على قوة الإظهار التي تختزنها العبارات وبمجرد التلفظ به يعمل على إعادة بناء وتشكيل للاجتماعي وإعلان عن الإلتواء أو معارضته (التلفظ بالمتن التاريخي هو رجوع إلى لحظات التأسيس الزمن المؤسس أو الزمن الذهبي... ومحاولة لتقمص القيم) هي عبارة عن إنتاجات موجهة للذات وللذات الجمعية الأخرى ذات وظيفة اجتماعية.

المتن عبارة عن تركيب جدلي للمعاني، يتجلى كوجهة نظر بسيطة لكنها ملزمة لصدورها عن ذات متعالية، عارفة عاقلة، أثناء التواصل يتم الرجوع إليه للاستدلال به وربط الذات المتلفظة بموقع وحدود اجتماعية. الغاية هي الرجوع إلى الأصلي والحالة الأولية، أي محاولة إسقاطية انعكاسية واصفة للاجتماعي (خاصة أن المتن يحمل مجموعة من المؤشرات الدالة على المنتج والجماعة المتداول له، الجغرافيا، الأسماء والتراتبية الاجتماعية... الخ).

الاشتغال الأنثروبولوجي على المتن -التقليد الشفوي- مبرر لأن هذا الأخير عبارة عن نشاط عملي وتقنية تطبيقية اجتماعية، الملاحظ هو التروغ إلى المتن على الرغم من وجود بدائل لغوية هذا لكثافته المحمولية، الدلالية، يمكن تحليله من جهة على أنه "كلام" على علاقة برموز أو على أنه خطاب على علاقة بإرسالية وفضاء وفاعل اجتماعي، من خلال الاستعمال يمكن الوصول إلى التصورات-التمثلات، نلاحظ من جهة أن هناك تلاحق للإحالات داخل المتن، كل متن إحالة إلى غيره لا يمكن فهمه إلا في كليته ومن جهة أخرى نلاحظ مسألة المرجعية وقابلية المتن على الإرسال، المتن له أثر لأنه مقصود، موجه لمرسل ومنتج لغاية محددة، هو عبارة عن متتالية لها نتيجة (مقدمات ونتائج) هذا راجع إلى التركيب الخاص بالمتن¹ من جهة، المنتج وسياق الاستخدام من جهة أخرى، كما أنه نتاج لظروف اجتماعية-تاريخية أعطته معنى خاص، ودلالة، المتن هو خلاصة ما استقر عليه الفهم مصاغ بشكل خاص مميز عن الكلام العادي الأول منتج عقلائي "محكوم بنظام الإنتاج-دائم متكرر له معنى حامل للقيم"²، والثاني منتج عام بسيط، غاياته محدودة غير مستقر غير دائم، البحث يتعامل مع المستوى الأول، لأنه

¹ المتن موجه والأفراد مهيوون لإستقبالة و هو يشبه الخطاطة التالية: وحدة1 + وحدة2 + وحدة3 + وحدة4 + وحدة5... إلخ = نهاية حتمية وهو منتج لمعنى يرتبط بالسلوك

² هذه الإشارة القصد منها التفريق بين القوالب اللغوية الدائمة والموروثة من الأجيال السابقة والكلام العادي اليومي البسيط

نشاط ملازم للمستوى الثاني، لأنه يعكس القيم ويرتبط بالسلوكيات، يعيد تنظيمها لغويا. المتن يقدم نفسه على أنه جواب لحالة ولوقف، منتج من ذات مؤهلة متعالية متميزة عن كل الأفراد داخل البنية (هناك ترابط بين المنتج والمنتج لفهم المعنى والقيمة معا) كما أن لبنية المتن دور في التثبيت والحفظ، وبمرور الزمن قد يبدو على أنه مستقل عن المنتج الأول لهذا يهتم البحث - في حالة غياب هذا المنتج - بالاستخدام الاجتماعي والقصدي¹.

كل هذا لأن المتون/اللغة التي تعطينا المعنى وتوصلنا إلى القيم مفتوحة على تأويلات محدودة يمكن الوصول إليها تظهر من خلال الاستخدام لنفس المتن في مواقف مختلفة وبمعاني وقيم متعددة؛ المتن منتج اجتماعي معبر عن طبيعة العلاقات الاجتماعية؛ مثلا: في الميدان يمكن تحويل كل شيء إلى لغة، نلاحظ وجود تركيز "الآن" على قيمة الانتماء؛ الانتماء هو انخراط في التاريخي واستحضاره لغويا والإيمان به وتحويله إلى تمثل يتحكم بالأفعال.

على الرغم من الاستعمال - المفرط - للغة إلا أنها لم تستنفذ قدرة المتن على الوصول إلى معنى محدد لهذا تتجدد المتون وتتعلق للتعبير عن الاجتماعي، القيم، السلوك والمواقف المتكررة، يعبر عنها بقيم متجددة في الاجتماعي؛ للتعبير عن التغيير في الأوضاع والمكانات والسلوكيات. (القيم من حيث الموضوعات ثابتة لكنها متغيرة حسب المضمون كما أن فهمها واستيعابها يتبدل لهذا يجب مواكبة كل هذه الاعتبارات بمتون جديدة). وبالتالي عدم الوقوف عند المنتج كمرجع مباشر ووحيد واستبداله بالمجتمع أو الجماعات اللغوية.

لزيادة الأثر تتم الاستعانة بالخيال على اعتبار أنه يساعد على إعادة وصف للوقائع التي يعاد خلقها لغويا وبشكل آخر، يستعين الأفراد بها على الرغم من ميزتها الخيالية ويوجهونها للآخرين - من خلال التواصل - في حل المواقف يسعى الأفراد إلى استدعاء ما يوافقها من متون (مبدأ البحث عن المطابقة) إسقاط المتن - السابق، الثابت على الموقف - الراهن - المتحول أي أنها محاولة للاحتواء، وهو ما يطرح مسألة امتدادية المعنى والقيمة السلوكية، نحن أمام استراتيجية تثبيت القيم الاجتماعية بالمشافهة هذا ما يجعل من المتن قابل للديمومة وللإستخدام، ففي لحظاته الأولى لم يكن يعبر سوى عن منتج فردي لكن بحكم بنيته وصيغته وتشابه الكلمات وطبيعة محتواه تحول إلى ثابت، والمنتج الأول (بالمفرد). بمثابة مرسل والمردد للمتن هو المرسل إليه (بالجمع)، بمجرد الاستخدام يتحول المردد له إلى مرسل ثاني وتبدأ حركة المتن في المواقف، الفضاءات والمناسبات ويقترن بطقوس وممارسات اجتماعية قد لا يخرج

¹ - الملاحظ أن كثيرا من الألوان الشفوية يغيب فيها المنتج كاسم لكن المجتمع يعوض هذا الغياب، كما أن غياب ظروف الإنتاج قد تعمل على تغييب المتن ثمانيا من الاستخدام اللغوي الاجتماعي، فبعض المتون موجودة في فضاءات محددة وفي بيئات محددة دون غيرها. كما أن الملاحظ هو أن المتن يتجاوز لحظات والسياق الأول للدلالة على المتجدد إذن يعبر عن قيم أخرى غير معهودة.

عنها (يتعلق المتن بما هو ظريفي إذا غاب... غاب المتن). المتن يميل إلى واقع قد يكون متجاوز؛ على اعتبار أنه تحقق تاريخيا لكنه ذو حضور دائم، انعكاس للواقع الاجتماعي لغويا، لتكرار أو تشابه بين الطرفين الأولي واللاحق (كما أن المتن يعتمد على إشارات وقرائن تجعل منه دائم التحقق في الراهن والمستقبل). إن التلفظ بالمتن هو استحضار للزمن السابق لتدعيم الزمن الحالي، ((المتن عبارة عن كل منظم موجز ذو شكل داخلي وآخر خارجي يتعاضدان لإنتاج المعنى)) غايته تقليد التجارب الاجتماعية ونقلها لغويا. لذا فالرجوع إلى اللحظات الأولى يمكن أن يساعد في الفهم، المتن مبني على تتابع تقابلات ووحدات متكاملة متتالية؛ تعبر إحداها عن موقف والأخرى عن النتيجة (الاحتمية) وهي عبارة عن عناصر دالة للوصول إلى صورة (وحدات سلوك قابلة للتحقق والوقوع)

المتن يعتمد على لعبة المبادلة والمعارضة (توجيه المحكي بأفعال وأفعال معارضة واستبدال العناصر، والتعاقب الوظيفي) يضاف لها حضور المنتج الأول كذات مخاطبة مرسله لقيم ناقدة للسلوك كما أنه يرتبط بما سبقه من نصوص منفتح على النصوص اللاحقة-يتميز بخاصية الملائمة.

إن مسألة اندماج النصوص وعلاقتها ينظر لها على أنها ذات دلالة تساعد على التحليل، الفهم، والملاحظ في الميدان أن الأفراد يستدعون نصوص تقابلها نصوص أخرى تكون مكملية أو مدعمة أو معارضة حتى لو لم تكن من نفس النوع، لذا يجب دراستها ككل دون الاستغناء عن جزئياتها، كطريقة الأداء وزمن الاستدعاء ونوع الجماعة وطريقة الاستخدام، ومن هنا يمكن النظر للمتن ولنوعه على أنه جزء أو وحدة فقط دال يكمله متن آخر يتقابل معه. - كمثال- النصوص هي وسيط دال يحمل معنى معين متداول ذو وظيفة فهي تجيب دوما عن فكرة الأصل؛ الملاحظ وجود نزوع قصدي لإنتاج والاستخدام الذي يعتبر كاعتراف بهذه القصدية، يدعم الوساطة بنمط ثابت للاستخدام والاستدعاءها - ينظر إليها على أنها من الجد الأول كمثال- لتكون وعي لدى متداولين يشتركون في الانتماء للأصل التاريخي والامتداد الجغرافي. إن إنتماء المتن إلى زمن معين مفترض أو معروف وانتماءه إلى منتج معين أو مجهول وترديده ونقله هو اعتراف بالنص وبقيمه وبمعانيه، كما أن الاستخدام قد يحدد مقاصد أخرى غير معهودة يحتم على البحث أن يتجه للتعقق؛ مع التمييز بين الشرح لبنية المتن التي تتميز بانتظام معين وعلاقاته الداخلية والخارجية ثم تجاوزها في مرحلة معينة لتأويل ما تم فتحه من خلال فعل الاستخدام

للمتن... "الشرح هو إبراز البنية، أي العلاقات الداخلية التابعة التي تشكل ثابت النص؛ والتأويل هو سلوك طريق الفكر التي فتحتها النص،..."¹

يجب الاهتمام بالمتن موضوعيا أي ما يقوم به المتن وما ينوب عنه وما يصنعه بفعل الاستخدام والاستدعاء الواعي الدائم والمتكرر له للقيام بوظيفية (أن يضع الأفراد أنفسهم رهن ما هو محمول من قيم/معاني موجودة في المتن هذا الأخير يعبر عن معيش اجتماعي-تاريخي أي ما هو خارج عن النص) هذا هو مجال الاهتمام في هذا البحث.

إن غايات المتن الإشارة إلى "الغيرية" التي تصنع من خلال اللغة بطريقة واعية، على الرغم من أنها عملية ذاتية إلا أنها يمكن أن تحلل من الزاوية الأنثروبولوجيا، فاللغة هي الوسيط بين الذوات الاجتماعية وفعل الاستخدام هو نوع من الترسخ لمركزية "الأنا"، وتكرار التداول في مناسبات ومواقف يعمل على تهيئة المرسل إليهم لقبول معاني وقيم وسلوكيات.

في هذا البحث ينظر إلى المتن على أنه جزء دال على علاقة بشيء (على علاقة بالاجتماعي، العلاقات، المقدس، الديني، أو تعبير عن أنماط الاستهلاك وما هو اقتصادي) تعمل العلامات على تحديد دلالة المعنى... "الموضوع هو النص عينه؛ المعنى، هو الدلالة العميقة التي يستخرجها التحليل؛ والتفسير المعنى هو سلسلة التأويلات التي أفرزتها الجماعة المؤولة. على الرغم من أن النص في ذاته يتوجه، يدعم ويوفر تأويلا محددة قد يصعب تجاوزه إلا أن الجماعات المستخدمة للمتن تفرز دلالات أخرى (تجاوز المعنى المشار إليه في النص إلى خارج النص الاشتغال خارج المتن). ما يهين ولادة معاني جديدة وارتباط بين المتن وتعبيراته وإحالاته للأنظمة الاجتماعية (كنظام المحارم ونظام القرابة... حنا جَدْنَا وَصَانَا... هَادُوك مَا نَنْزُجُو مَن عِنْدَهُمْ وَمَا يَنْزُجُوا مَن عِنْدَنَا عَلَى خَاطَرَش جَدْنَا خَلَّى الْعَاهَد...)

إن مسألة إنتاج متن يحوي نوع من التقاطب والثنائيات يحيل إلى تعدد المنتجات لا إلى تعدد القيم؛ على الرغم من أن الذات تعبر لغويا عن قيمها فهي من جهة تحاول أن تنتج ما يلي تعددية القيم دون إقصائها وإنتاج لبدائل ولسلوك الممكن (ممكن التماثل معه، تحييده تغييره) فالحدث على مستوى المتن متجاوز أحيانا لهذا يمكن القول بوجود سيرورة إنتاج تعمل على إخضاع الاجتماعي لغويا والإحاطة به كما أن الجماعات على اختلافها

¹ - ريكور بول من النص إلى الفعل أبحاث في التأويل، مرجع سابق، ص120.

تبادل القيم والتجارب وتعبير عنها لغويا (التعبير عن السلوك النموذجي المثالي)، إن الشفويات تعبير عن تجارب ومعارف متوازية متقاربة على علاقة بالنظام الاجتماعي، مقترنة من حيث الوجود بالحقائق التي ينظر إليها على أنها ثابتة في الزمن والمكان، المتون حسب فئة الشباب تتميز بالقدرة على الإبانة والتعبير (مثل التعبيرات التي تشير إلى التجذر في المكان لصنع الكينونة "الأنا" والغيرية وطبعها بقيم ومعاني خاصة). قد لا يتعلق الأمر بالدرجة الأولى بمعارضة قيم الآخر بل بإثبات للأنا فقط. أو في بعض الحالات هي كرد فعل على العلامات التي يبثها الغير لكنها موجودة دالة وفعالة.

المتن له قدرة على التجدد وعلى إلحاق الاجتماعي باللغوي والعكس، فهي مساندة للدناميكية الاجتماعية، إذن لها وظيفة المحافظة على الذات في ظل التغيير، والتعبير عن أهم خصائص الاجتماعي أي "التنظيم"، الإيعاز بالشفويات (تفهم على أنها تواصل-إرسالية مميزة للطابع-بين المنتج والمتلقي، لها قصدية مكثفة حاملة لمعنى وقيم تتعلق بالسلوك).

إن ميزة التكتيف التي تتضمنها الشفويات تجعل منها تتطلب التفسير بالنسبة للمرسل إليه في حالات معينة وهو ما يتيح للباحث أن يسجل الكثير من الملاحظات، لهذا يتبين أن المتن لم يقطع الصلة بالمنتج الأول ولا بالجماعات التي تتداوله وهي وفية للمؤسس الأول للجماعة ولمعاييرها وقيمها، وفية للأصل. غير أن البعض منها يفهم بالنسبة للمستخدمين/المرددين لها فقط؛ لها فهم مغاير، (هذا إذا لم نتغافل على أن المتن بعيد عن الراهن، استدعاء لواقع لغوي فقط ولقيم لا وجود لها بالنسبة لبعض الفئات) المتن هو عبارة عن مادة موازية تستدعي لتطبيق محتواه ومن هنا يتجلى أنه أصبح صعب التجاوز والالغاء.

يراعي البحث الكيفية التي يقدم بواسطتها المتن وكيف يتم استقباله من طرف المرسل إليه، لأنها الطريقة التي يمكن أن يفسر بها وتمكن من الوصول للمعنى والقيم، فالأفراد يستدعون المتن للتواصل وبه يؤولون ذاتيتهم، هو محاكاة وتعبير عن العالم الاجتماعي، يتجلى المتن كتعبير عن امتلاك معنى ولقيم يفتقدها الآخر (أي أن الشفويات تخضع لإعادة بناء للمعنى ولشبكات مفاهيمية جديدة)، يسعى المرسل أو المنتج من الدرجة الثانية إلى محاولة المحاججة وربط الذات بهذه المعاني والقيم، كما أنه يقدم كمرجع للأفراد يبين لهم البدائل الممكنة وفهم للذات/الأصل ممتد/متجذر في التاريخ.

المتن عبارة عن تتابع لمقدمات ونتائج لأفعال/مسببة ولنتائج حتمية لكنه ككل احتمالي، ينتقل من حالات ابتدائية إلى حالات أخرى تليها وفي النهاية يتم الوصول إلى نتيجة نهائية تختصر قيمة يراد تبليغها والتماهي معها.

المتن يشير لغويا إلى فعل معين وإلى القدرة على التغيير وإحداث أثر موضوعي في عالم النص، لكن بالرجوع إلى طبيعة الاستخدام (الزمن، والموقف) نلاحظ أنه يستهدف ما هو خارج عن المتن أي السلوك الاجتماعي، قد يكون الاستدعاء لوظيفة معينة كتنمية مهارة أو نقد أو للتوجيه فقط، أو أكثر من ذلك فهو يبين القدرة على الفعل والقابلية للإنجاز (تحريك الأفعال داخل المتن ذو هدف قيمى) أو إدخال متغيرات ومتتاليات للمتن تعبر عن تجربة فاعل على علاقة بأحداث وأشياء. يراد غالبا التماهي معها ومع القيم التي يحتويها المتن.

"تنتزع النصوص دلالتها من ظروف إنتاجها الأولية، ومن خلال تداولها وتكرارها تعمل على تسجيل معناها في سياقات مختلفة،¹ كما أنه يعتبر من جهة أخرى ملك للجماعات المتكلمة-المستخدمة للغة والتمن، ما يفتح أمامه سلسلة من التأويلات والقيم البعيدة عن معناه الأول، هذا التعارض الجدلي هو إنتاج لمعاني جديدة وقيم جديدة وتفاهم وتفاوض جدلي حول المعنى يفضي إلى صناعة شفويات جديدة.

التمن -بالنسبة للشباب- يعتبر كأرشيف ووثيقة، يحتزل الأفعال والأحداث الماضية لكن يجب التمييز بين عدة أنواع ومستويات كالتاريخ القصصي الأسطوري-التخيلى والتاريخ القريب الوثوقى وتاريخ آخر ضنى، كلها تتعاضد لتكون متن شفوي، فالتمن يقدم كوسيط بين الذات والعالم الاجتماعي، يحل محل الفهم المباشر للاجتماعي.

من خلال ما هو متداول يمكن أن نسجل أن المتن معبر عن الاجتماعي بحيث تختصر العلاقات على شكل وحدات دالة متقابلة تفسر على أنها تعبير دقيق وافي عن لاجتماعي، وإذا ما راعينا أنظمة معينة كنظام المحارم في المتن وفي الواقع الاجتماعي نلاحظ نوع من التطابق، وحركة الفاعلين في المتن تعبير عن تعارضات اجتماعية في الأساس، من هنا يمكن القول إن المنتج يعبر عن منطوق للعلاقات الإنسانية يصوغها في قالب لغوي خاص.

إن المتن تعبير عن تغيرات-تاريخية مؤثرة- موضوعية بالنسبة للأفراد؛ حدثت في الماضي وصلت إلينا من خلال اللغة جيلا عن جيل؛ تعتبر اليوم كتعاقدات ملزمة للأفراد، للذات وللغير، على الرغم من أنها جاءت كشفويات إخبارية/تعبيرية فقط إلا أنها تحوى أمر وقدرة على الإلزام، تحويل الأفعال إلى أفعال اجتماعية تحتوى

¹ - ريكور بول من النص إلى الفعل أبحاث في التأويل، ص134.

قصد محدد-واعية- يجب أن تدرك وآثار موضوعية، التحول من النمطية والمعتاد إلى الفعل المجتمعي، تستهدف إنتاج أثر معين له أهمية، إن المتن يبدأ بذكر أحداث مؤسسة ظروف جديدة ومواقف -تفهم على أنها منطقية- ثم يتوجه إلى نتائج سببية تترتب عن الحدث الأول (مثل الاتفاق بين شخصين -ولي صالح وآخر- في الماضي يحرم اليوم التحالفات القرابية). هذه السيرورة الآلية لها غاية محددة هي الوصول إلى شرعية في المرحلة الأولى وإثباتها لاحقاً بإضافة سلوك آني مثل: متن يصف الآخر بأنه يملك قيم محددة بناء على "دعوى" من فاعل ديني؛ كنتيجة للقيام بفعل/ممنوع في مرحلة تاريخية معينة لهذا كانت سلالاته تاريخياً إلى اليوم تحمل نفس الأوصاف والسلوكيات والقيم في عدة مناسبات وجدنا في الميدان العبارات التالية "هاذوك جدّهم خاين (سارق) ومنها كل ولاّده كيفه إلى يوم الدين...هاذوك كانوا يقطعوا الطريق... دعاهم سيدي فلان"، فالأفراد لا يدحضون هذه الأفكار كما أنهم لا يحصونها لكنهم يرددونها لا على سبيل التندر بل لهدف ووظيفة. إن هذا الزعم أو الافتراض هو كنتيجة لتداول المتن لإثبات شرعية وتعميم معرفة وفهم.

المرسل إليه يحفظ ويردد المتن في مواقف محددة ويرى أن هذه العملية التزام يجب أن يبقى موجوداً لأنه يوضح ويضع نماذج تفسيرية للاجتماعي موروث لا يشكك في مصداقيتها، ولا يشك أيضاً في استمرارية الممارسات على الرغم من وجود مسافة كبيرة بين ظروف إنتاج المتن وتبعيته للحدث التاريخي والاستخدام الآني في مواقف تختلف عن لحظات الإنتاج الابتدائية، إن هذه الخاصية تجعل من المتن الشفوي ممثلاً وتجعل من الجماعات الاجتماعية متميزة مختلفة في جانب الممارسات والقيم والسلوكيات، كما أنه يفتح الباب أمام الجماعات المتكلمة لإنتاج خطابات دالة مضادة -رد فعل لغوي- وشفويات جديدة.

المتن يؤسس لقيمة توقعية ممكنة الحدوث أو العكس، وعبرة عن تعميمات، تتالي النصوص كمقدمات تترتب عنها نتائج حتمية؛ مما يجعل منها قوة تستخدم للمحاججة، تفرض نفسها كقوانين، تقبل ولا تحتاج إلى برهنة، كما أن المتن لصياغته (مبدأ الخصوصية وشكل البناء) وفق قواعد خاصة واحترامه لمبادئ تسلسلية منطقية يكون مرغوباً ومقبولاً لأنه نشاط مبنى على ثنائية استمرارية الحدث وتوقع نتائج محددة غالباً تتطابق مع المواقف الاجتماعية التي تم استدعائه من أجلها.

المتن يعالج مسألة المقاصد مثل مقاصد الغير ومقاصد الفعل، استدعائه يكون للتبرير وللتفسير، في كل متن تعالج المحفزات وتجمع الأسباب للوصول إلى نهاية قيمية سلوكية، كما أنه من جهة أخرى يتميز بالبساطة التي

تساعد على الفهم التلقائي لمحتواه والتأسيس للقيم، تراعي التعميم من جهة والضبط السلوكي من جهة أخرى، المتن يستهدف صناعة القيم بالحكي الذي يتضمن مقاصد المنتج أو المتداول ومحفزات الفعل موجودة في المتن، كل هذا لتوفير معرفة، يسعى القارئون على الحكي لإشاعتها، يمكن القول أنه يخدم وظيفية... المتن يسعى إلى إنتاج كينونة مرتبطة بما سبقها يؤسس للمعارضة مع الغير والذوات والموضوعات والقيم الأخرى، أو على الأقل الإنتماء لعالم المثل، التي يعرف بها الأفراد.

نستنتج مما سبق أن المتون التاريخية تخدم توجه نحو الاجتماعي وتبرره، لأنها:

أولاً: لأنها عبارة عن صياغة متحققة في الزمن الماضي-الآن؛ لها حضور دائم، وهي عبارة عن تقديرات خاصة بالسلوك "الآني" قد تنقطع عن الزمن الأصلي والمعنى الأول لتؤسس لـ"الآني" تعبر عن اليومي والاجتماعي الذي تحول وتغير، كما أن منتج المتن قد يكون غير معروف لكن المتداول له يعيد إنتاجه في شكل جديد ليؤسس لديومنة الحدث-الفعل هذا الأخير الذي تم تثبيته بإنتاج قار لغويا.

ثانياً: المتون تحيل من جهة إلى المنتج الأول ومن جهة يمكن أن تحيل إلى الجماعات المستعملة لها وتعبر عن قيمهم وسلوكياتهم؛ قد تكون لها مرجعية خاصة مثل: متون ذكورية موجهة للتعبير عن الأنثوي أو العكس. أي أن المتن يعمل على تعيين الفئات التي يتوجه إليها ويبرر هذا التعيين، لأنه مقصود على علاقة بالايديولوجيا، السلطة، الملكية والتملك، فالملاحظ أن هناك تداخل بين "بنيات الهيمنة وبنيات التواصل" ومنه تتولد صورة المعنى الإجمالية (المتن مفتوح على تعدد المرجعيات والمنتجين هذا يساعد على فهم القيم والمدلولات) تعمل المتون وفق آلية تشخيص الاجتماعي وهي عبارة عن تأويلات وصلت إلينا من الفاعلين الاجتماعيين كان لهم دور في الماضي ولازال إلى اليوم.

ثالثاً: تكون المتون التاريخية على علاقة مع موضوعات وممارسات محددة تحيل إليها، ذات صبغة معينة؛ اجتماعية، علائقية، دينية، اقتصادية سياسية (متن على علاقة بالصيد وآخر على علاقة بالزراعة وآخر على علاقة بالتجارة ونمط الاستهلاك) كما أنها ترتبط بنصوص أخرى تنهل منها وتتماهي معها كالنصوص الدينية. يمكن القول بوجود تطابق بين قصد المتن وقصد النصوص الأخرى الموجودة والشائعة خاصة ذات الشرعية، تلك التي لا يشكك الأفراد في محتواها ومدى مصداقيتها. غالباً ما يعلن المنتج أنه على علاقة بالولي أو بالمؤسسة الدينية وهو ما يمكنه من التحول من شخص أمي إلى شخص حكيم.

رابعا: ليست المتون مستقلة بذاتها بل هي مدمجة في الكلام اليومي العادي لكنها تختلف عنه وهي قابلة لأن تكون إرساليات موجهة تخدم وظيفة. المتن يستدعى الماضي على اعتبار أنه وسيط يمكننا من فهم الذات المنتجة والمتداولة له. (هل يسهم تشكل المعنى وإرساله من تشكيل الذات؟) يمكن من نمذجة السلوكيات وإخضاعها للقيم. لهذا فالمتن يحيل إلى ما هو مشترك بين الجماعات المتكلمة (الاشترك في اللغة، الدلالة، العالم الاجتماعي وهو ما يقودنا إلى افتراض أو إمكانية الاتفاق حول القيم المضمرة بين المتخاطبين المستعملين للمتنت)، إن المتن خاضع لمبدأ التواصل غير منقطع عن المنتج/المرسل موجه إلى مخاطب قد لا يكون حاضرا في لحظات الإنتاج الأولى بل بحكم الانتماء إلى بيئة أو جماعة اجتماعية أو بحكم التعرض لموقف يكون طرفا في العملية التواصلية (مثال: المرسل هو الولي المنتج للمتنت والمرسل إليهم هم جماعة "المؤمنين" بمحتوى المتنت) المتن موجه للجميع (مكون من حمولة ودلالة موجهة لمرسل إليه بالجمع لا بالمفرد قد لا يتواجدون في لحظات الإنتاج الأولى).

خامسا: المتون مرتبطة بحدث ولحظة معينة، بمنتج محدد وهي ذات صيغة وأسلوب لا تخرج عنه. بالرجوع إلى الاستخدام الاجتماعي للمتنت يمكن أن نستنتج أن المتنت يؤسس للحدث الذي يتخذ معنى غير معناه الأول المباشر وإن كان مرتبطا به، أي أنه نشاط وممارسة قائمة على التعميم، محاولة الوصول إلى بناء شخصية نموذجية، (الغاية منه جعل الحياة الاجتماعية ممكنة/مستمرة فقط والهدف منه إعطاء معنى، للاستئناس ومواجهة الخطابات الأخرى خاصة الخطابات المهيمنة).

المتن عبارة عن إعادة ترتيب لمتتاليات دالة، يركز على حدث بداية، نواة، تاريخ، لكنه يعطي أولوية ل"أفعال الخلاص"؛ المحكي هو طريقة للرجوع إلى الحدث المؤسس للجماعة، الجماعة الأصلية أو الجماعات الأخرى. لهذا يستعين بالتعيين أي تحديد المرسل والمرسل إليهم وزمن الحدث الأول، يستعين بالإشارات ويعمل على تحديد الزمن والمكان، نستنتج أنه ذو مرجعية معلنة؛ الهدف منه محاولة خلق أفعال/سلوكيات لدى الجماعة اللغوية تشبه الأفعال التي قام بها الولي المؤسس من أجل "الخلاص".

المتن عبارة عن نشاط الغاية منه تثبيت القيم لغويا في مرحلة أولى ثم الحث على التحلي والتمسك بها في مراحل لاحقة، هذه القيم التي تغيب عن الاجتماعي، كما أن المتنت من حيث الاستخدام لا يحيل بطريقة مباشرة على الزمن الأول بل إلى امتداده وديمومته، الأفراد يدركون هذا الزمن بطريقة آلية، هذا النشاط الواعي يحفظ الحدث ويوصل ما يجب أن يقال ويلزم الأفراد بتحسيد محتوى المتنت بطريقة غير مباشرة (دلالة المتنت هي الأهم

وليس المتن بحد ذاته، لهذا توجه البحث إلى محتوى القيم) المتن يتم حفظه لوجود دلالات تتطلب التجسيد، المتن يشير إلى فاعل وإلى منتج يتميز بسلوكيات نموذجية،¹ صيغت لغويا للتعبير عن قواعد تساعد الضبط الاجتماعي.

قد يكون المتن متحرر عن سياق الحال (متحرر أي عدم الإعلان عن المرجعية) بالتالي ينتمي إلى المنتج من الدرجة الثانية (المتداول للمتن). يتم الاستعانة بالمتن في مواقف محددة لأنه يتميز بقوة إيجابية، هو خلاصة ما ترسب زمنيا خضع للتثبيت الاجتماعي، أي أنه ينمي دلالات جديد غير مسبوق لدى فئة ما؛ فالمتن يتعلق بزمن غابر قديم والشباب يختلفون حول مصداقيته ومصداقية القيم المحمولة أي وجود "جدل الحدث" الذي يقود إلى جدل الدلالة، فالأفعال هي موضوعات مؤولة من طرف أشخاص عاديين لا وجود لهم اليوم، كما أن زمن الحدث هو محض افتراض فقط لهذا يتم إنتاج متون جديدة ناقد ساخرة منقطعة عن الأصل الأول؛ يبرر الشباب هذا بالقول أن الشفويات تعبر عن نماذج سلوكية لا يمكن أن توجد اليوم والأوضاع التاريخية والظروف الاجتماعية قد تغيرت. دلالة المتن نتاج لتأويلات جديد ليست تأويلات السلف بل الخلف، كل بناء اجتماعي يتضمن تناقضات في الأوضاع والمصالح هذا ما يؤدي إلى عمليات صراع تنقل لغويا، كل متن يهدف إلى إنشاء عقلانية تميزه عن غيره من المتون الشفوية، إذن هو وسيلي لغرض إنتاج مقولات ايديولوجية لها استخدام معين تخدم الاجتماعي حتى لو تغير.

فعل تلقين القيم الشفوية وعلاقات القوة:

من خلال الدراسة الميدانية يتبين وجود علاقات قوة ووجود سلطة مؤسسة لنوع من التواصل تعمل على فرض ثقافة (الفم/الأذن) ملقنة داخل التشكيلية الاجتماعية تعمل وظيفيا على إنتاج ممارسات متشابهة ومتماثلة مع مبادئ معلن عنها لغويا. هذا لإعادة إنتاج شروط موضوعية والتعبير عن بني اجتماعية من خلال فعل الإكراه، (توليد ممارسات موحدة من خلال النقل والتواصل الشفوي) أي أننا أمام نمط قيمي يعطي الشرعية، يبين نمط من التفكير والتقدير، بالتكرار يتم إنتاج وإعادة إنتاج قيم الجماعات للعمل على توحيدها.

فعل التلقين المستمر يعمل على خلق انسجام في السلم القيمي (وجود ديمومة تلقينية) يميل إلى طابع المحافظة (حسب تعبير بورديو بيار في كتابه حول إعادة الإنتاج. إنتاج وظيفية معينة وإعادة إنتاجها بأدنى تغيير

¹ - المنتج يتميز بسلوك نموذجي مثالي وهو منتج على علاقة بالحوار استطلاع مثلا إدراك ما هو موجود في الزمن الحالي على الرغم من أنه عاش في القرن 19 أو القرن 18 - حسب أحد الشباب-: الأقوال الاستشرافية يجب الإيمان بها وعدم تكذيبها مثل "ماهم في الحيوط وهدرهم في الحيوط... عَلَى هَذَا لَأَزْمُ نَأْمُوهُمْ؛ هُوَمَا يَعْرِفُو عَنْدَهُمَالَسَّرَ وَعَلَّمَ الْخَضْرُ (نبي من الأنبياء)" بينما نجد فئة أخرى لا تعتقد بقوة هذه المقولات لكنها لا تستطيع أن تنفيها.

ممكن) ورفض التغيير والعمل على إنتاج لغة وتلقينها لكل الأفراد، مما يؤدي لخلق توجهات للفعل؛ إذن فعل التلقين ليس عرضياً أو تلقائياً بل هو على علاقة بالسلطة.

من خلال الدراسة الميدانية يتبين أن الباحثين يفرض عليهم نمط من القيم من خلال فعل التنشئة الاجتماعية سواء داخل الأسرة أو خارجها. من خلال تحليل ما هو متداول من شفوي يمكن إدراك علاقات القائمة كعلاقات القوة وأشكال التراتبية المفروضة والمسلم بها لدى أفراد الجماعة. إلى درجة أن المتون تنقل إلى الأشخاص في وقت محدد على إختلافهم؛ مثل تشابه قصص الأطفال في السنوات الأولى في كل الأسر والعائلات (هناك تشابه بين المرويات بين فئة الشباب على الرغم من عدم الانتماء لنفس المكان) نجد نفس القصص داخل نطاق جغرافي، ليتحول الحكيم والتلقين إلى عادة ملزمة.

"...يُنحَ مارسيل موس إلى القول بسيطرة العادة على وقائع التربية، مفهوم العادة يتجسد في الأجساد والأرواح متخذاً شكل الاستعدادات الدائمة. تظهر هذه الاستعدادات نفسها كحركات ووضعيات الجسم والإيماءات، والتعبير عن المشاعر... وتقنية الجسد..."¹، كما أنها تتجسد في اللغة المعبر عنها خاصة القوالب الشفوية الثابتة التي أصبحت ترديدها عادة للتعبير عن السلوكيات.

القائمون على القيم: (حراس الذاكرة):

من خلال الميدان يتبين أن فكرة "اهتزاز القيم المقدسة" أمر لا يمكن إنكاره كواقع-هاجس، ولا يمكن إنكار التشكيك المتزايد بالمتون والقيم بل نفي الكثير منها، هذا كنتيجة لتغير المستويات التعليمية (من خلال تراجع الوعي بالقيم تم إلغاء الكثير من السلوكيات المرتبطة بها كالتقوس) بهذا تم التحول من دلالات ومعاني إلى أخرى مغايرة وفقدت بعض القيم مكانتها في السلم القيمي وبانتفاء التقديس انتفى معناها "السامي-المتعالي".

الملاحظ وجود ضريين من القيم، التي يجري التركيز عليها تتعايش وتتصارع (القيم ذات بعد معنوي وأخرى ذات بعد مادي). من خلال الميدان يمكن أن نكتشف وجود قائمين على القيم كما يمكن تمييز فضاءات تسعى لنشر القيم والمحافظة عليها سواء كانت عبارة عن مؤسسات أو أفراد. يتم المحافظة على القيم من خلال فعل التقديس، التكرار، تضمينها في أوقات معينة... الخ. وهذا لترسيخ قيم معينة وفق مرجعية محددة كالسير التي تحكي

¹ - مارك أوجيه بول كولانين، مرجع سابق ص56.

عن بعض الأعلام، وتتوافق مع نظام التسمية والنسبة المعمول به في المجتمع المحلي كل هذا من أجل إنتاج سلطة وتبرير فعل الهيمنة.

القيم، السلطة والهيمنة:

الملاحظ في الميدان أن هناك علاقة بين النظام القيمي والضبط الاجتماعي على الخصوص بعد أن أصبح هذا الأخير موزعا على عدد غير محدود من الفاعلين، الملاحظ أيضا انحصار أدوار الأسرة ودخول مؤسسات أخرى تبهر التنشئة الاجتماعية (تخلت الأسرة كمؤسسة عن بعض وظائفها لمؤسسات أخرى كالمدرسة، المسجد دون أن ننسى الدور المحوري الذي تلعبه وسائط وتكنولوجيات الاتصال). منطلقات الدراسة قائمة على التفسير والتأويل مع الفهم للمنظومة القيمية، علاقتها بالسلوك والتوجهات القيمية لهذا نسعى إلى تفسير التغيرات القيمية (من خلال التحقق من الافتراضات التالية) بالرجوع إلى التغيرات الهيكلية والبنوية التي مست المجتمع المحلي، على سبيل المثال تحول الأسرة من ممتدة إلى نووية أدى إلى تغير في القيم وتغير في القائمين على الضبط، كما أن تحسن مكانة المرأة ودورها وتحسن وضعية أفراد الأسرة عزز من اتخاذ القرارات وفرض نوع من الالتزام القيمي -الجديد نسيبا- وفتح للمنخرطين في الأسرة هامش من الحرية -حرية السلوك/القيمي- مما ولد نوع جديد من القيم لهذا سنسعى إلى فتح باب المقارنة بين جيلين من القيم (قيم تابعة لجيل الآباء وقيم للأبناء اعتمادا على مفاهيم كالتراتبية، السلطة، الهيمنة) وهو ما تم ملاحظته في الميدان المدروس وما تم تسجيله في المقابلات المفتوحة.

نجد مثلا العبارات التالية: "كي يغيب الكبير يغيب التدبير" لم يعد "الكبير" هو نفسه خاصة بعد التغيرات البنوية التي أصابت الأسرة والتغيير في الجانب الاقتصادي فالأسرة اليوم لا تحوز على مجال حيوي موحد ولم تعد مرتبطة بالأرض والاقتصاد المعاشي كما أنها لا تسيطر على ملكية واحدة، الأرض ليست تحت سلطة الأب أو الجد أو المؤسس للعائلة، (كما أن الأرض ليست المصدر الوحيد للاقتصاد وسلطة الأسر والعائلات على الرغم من حضورها القوي في المتن) هذا الحضور اللغوي للتعبير عن المجال الحيوي وعن كافة النشاطات الاجتماعية وأنماط السلطة التي تتبعها، المتون تحاول أن تصيف التغيرات الموجودة أو التي يمكن أن تحدث وتلحق بالتنظيم الاجتماعي وهو ما أدى إلى تغيير مفهوم ومكانة ودور "الكبير" وتناقصت سلطته على العائلة، الفضاء الاجتماعي، لصالح جيل آخر هو جيل الأبناء المشاركين/أو/صانعي القرار أو لصالح الزوجة ومنه فقيمة الأبوة تغيرت بتغير التراتبية وتوزعت السلطة حسب المبحوثين وهو ما أدى إلى تغير في القائمين على سلطة والضبط المتون أيضا تعمل على

تعزيز نوع موحد من القيم¹. لكن هذا لا ينفي وجود نوع من السلطة لدى كبار السن والقائمين على الأسرة وتجسده الأمثال التالية "تَعْيَا الْعَيْنُ تَكْبِرُ وَالْحَاجِبُ فُوقَهَا" و"الكبير كبير" على الرغم من التغيرات الهامة والملاحظة إلا أنه لا يمكن نفي سلطة القائمين على القيم ومنه نعود إلى تفسيرات أخرى هي تعدد القائمين على الضبط لتعدد المكانات وتغير الأدوار (كالمعلمين داخل الأسرة يصبحون صانعي للقرار وقائمين على الضبط وعلى الجانب الاقتصادي لكن سلطة الكبار موجودة لأنهم المانحون "للبركة" من خلال "الكلمة" وعدم الحصول عليها من طرف الأبناء يعني الشقاء).

نلاحظ وجود الازدواجية القيمية، وجود نوعين من القيم بدون هيمنة احداها على الأخرى ضمن سلم القيم، يمكن القول بوجود نصوص شفوية تعبر عن الاستثناء لما هو معروف أو متداول وتفتح الباب أمام الفاعلين للاختيار بين سلوكيات متعددة. أو تعبر عن عكس المحددات السابقة² مثل "طِيعُوا أَوْلَادَكُمْ لَا يَدْخُلُوا لِحَهْنَامَةَ" الشفوية، القيم والرباط الاجتماعي:

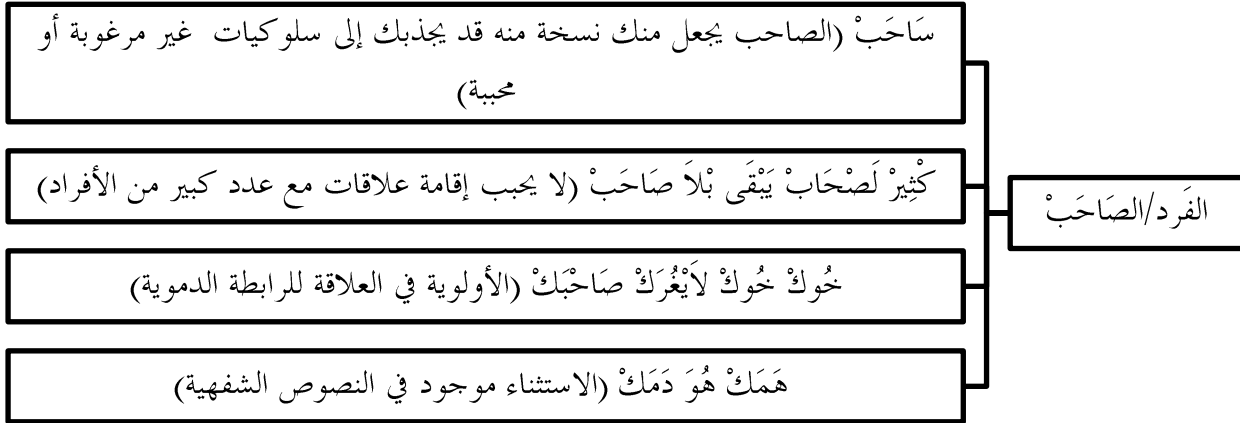
يعبر الشفوي عن شبكة العلاقات الاجتماعية ويربطها بما هو مرغوب/غير مرغوب كعلاقة القرابة، الحوار، العلاقة مع الآخر البعيد؛ تبين الأمثال التالية نوع العلاقات ذات الأولوية والعلاقات التي يجب تجنبها شبكة العلاقات مرتبطة بالانتماء، المكانة وبالبنى الاجتماعية ككل ومنها ينشأ نظام قيمي خاص نابع من التجربة المعاشة يعمل المتن الشفوي على دعمها، كسند يعزز من شبكة العلاقات الاجتماعية، يقوي الرباط الاجتماعي القرابي ويجعل من كل أشكال الرباط الأخرى هامشية وثانوية إذا ما قورنت به، وهو ما تلمسناه من خلال المقابلات

¹ - وهو ما تجسده المتن الاستشرافي التالية التي تعبر عن التغيرات الجذرية للقيم:

يَضْحَوُا مُخَلِّطِينَ لَا سِنَّةَ لَأَ دِينٍ لَحَبَابُ الرِّينِ دَرُفُوا فِي الْحَنْطَلُ
النَّاسُ النَّقِيْبِينَ يَضْحَوُا مَكْرُوْهِيْنَ وَالنَّاسُ الْفَاجِرِيْنَ هَدَرْتُهُمْ عَسَلُ
يُوحُوْا بِالْحَرَامِ فِي كُلِّ مَكَانٍ
الشَّرِيْعَةَ نَعِيْبٌ وَيُوحُوْا بِالْعَيْبِ يَضْحَى مِنْ لَا نَهِيْبٌ وَلَا مَنْ يَحْلَلُ
يُنْفَوِيْ حَرَامٌ فِي الْحَوَانِيْبِ وَالْحَيَامِ يَنْعِيْرُ الْكَلَامُ وَيَعْمُ الْحَهْلُ
الرَّاحِلُ يَشُوْفُ وَالرَّوْجَةَ مَكْشُوْفٌ السَّوْطُ مَعَ الطُّوْفِ يَدُوْهُ مُسَلْسَلُ
النَّبَاتُ الْعَزَائِزُ مَا صَابُوا لَرَازٍ بَعْدَ النَّفْحَةِ تَنْحَازُ وَتُرَاكُ الرَّاحِلُ
تَنْسَوِيْ لِلْسُوْفِ وَالْحَلْقَةَ مَطْبُوْفٌ مَكِيْفٌ يَرْشُوْفُ وَالرَّايَ مَبْدَلُ
السَّادَاتِ بَعَاوُ وَبِهِمْ رَضَاوُ السَّابِقِ فِي الشَّائِوِ عُمَرَةَ مَا يَرْحَلُ

2- بين أحد الشباب الازدواجية والخروج عن المؤلف من خلال القصة التالية: " وَأَحَدُ الْبِرَاحِ (فُلَانٌ) قَالَ لِلنَّاسِ فِي السُّوْقِ إِلَيَّ يَبْعِي وَالْيَدِيَّةُ يَعْطِيْنِي عَشْرَ أَلْفٍ (100 دينار)... قَالَ وَأَحَدُ السَّيِّدِ أَنَا ضَرَبْتُ أَبِي الْيَوْمَ وَجِئْتُ مَبْكِرٌ لِلْسُوْقِ وَهَآكُ مِنْ عُنْدِي مِيَاتُ أَلْفٍ (ألف دينار).. قَالَ الْبِرَاحُ هَاتِ الدَّرَاهِمَ وَرَوَّاحُ نَفْهَمَكَ هُوَمَا ثَانِي حَطْرَاتْنِ يَحْضَرُوْا غَيْرُ سَاعِفٍ..."

والملاحظات المتكررة وهو يبين قوة الانتماء والولاء للبنى الاجتماعية كالأسرة ويعيدنا إلى بناء وتصوير أشكال تحالفات الممكنة داخل المجتمع. كلها تعبر عن توجهات قيمية مستتبطة أو كامنة لدى الأفراد عبر عنها المستجوبون وأحاطوها بكثير من الأهمية.



الشكل رقم (13) يوضح النظرة للعلاقات مع الآخرين.

يمكن أن نعبر عن شبكة العلاقات وفق الشكل التالي:



الشكل رقم (14) يوضح شبكة العلاقات حسب المبحوثين.

هناك اهتمام كبير بمسألة العلاقات الاجتماعية لأنها على كثرتها محدودة ودائمة ومسألة توسيع هذه العلاقات يعتبر كرهان للفاعلين الاجتماعيين أو المقبلين على إقامة علاقات جديدة وفي هذه العملية الأساسية تستخدم المهارات وجل القدرات للإبجاح هذه الارتباطات ذات الطابع الاجتماعي وقد ذكرنا الأمثال السابقة التي

تعيق التوسع في أشكال الرباط الاجتماعي "الصَّاحِبُ سَاحِبٌ" وتعطي الأولوية للأقرباء من نفس الأسرة أو من لهم علاقة دموية "خُوكُ خُوكٌ لَا يُعْرَكَ صَاحِبِكَ" إلا أن هناك الاستثناءات دوماً "خُوكُ مَنْ وَأَتَاكَ مَشِيٍّ مَنْ يَمَّاكَ وَبَابَاكَ" "هَمَّكَ هُوَ دَمَّكَ".

والغرض من هذه الارتباطات التي يسعى الأفراد لتأسيسها هو إما الحفاظ على المكانة الاجتماعية كما هي من خلال قيمة "الشرف" أو توسيعها "مَعْرِفَةُ الرَّجَالِ كُنُوزُ، الرَّجَالِ بِالرَّجَالِ وَالرَّجَالُ بِالْمَالِ" وهنا تشيع الأمثال والشفويات مسألة "العواقب" كما أنها تسعى للمحافظة على الرباط الاجتماعي هناك نصوص تدعم هذا التوجه مثل "الضْفُرُ إِذَا خَنَزَ يَلْمَهُ اللَّحْمُ، مَا يَدْخُلُ مَا بَيْنَ الضَّفْرِ وَاللَّحْمِ إِلَّا الْوَسْخُ" لكن لا يمكن أن ننفي وجود نصوص أخرى الهدف منها توضيح طبيعة العلاقات وأهدافها؛ هدف الارتباطات مثلاً تحقيق مكانات واكتساب أدوار جديدة أو مهمة (مكاسب اجتماعية أو اقتصادية) أو تأسيس علاقات "زبونية" بغرض الوصول إلى النجاح كقيمة نهائية وكغاية قصوى تعقب شبكة العلاقات التي يسعى الأفراد إلى خلقها.

القيم العائلية:

هناك نصوص تركز على العائلة كقيمة سواء كانت ممتدة أو نووية. إلا أن هناك تراجع عن كثير من القيم المرتبطة بالأسرة، لوجود تغير كبير مس هذا البناء الاجتماعي من جهة الحجم، العدد وطبيعة الملكية، التي كانت كمسميات مدحية مرغوب فيها، لها فوائد كالحماية والقوة والجاه "العُرْوَةُ"، السند المادي. من خلال النصوص التالية يمكن أن ندرك أهم التغيرات التي حدثت في الأدوار والمكانات، التغيرات التي نتجت عن العصرنة/الحداثة وأحدثت صراع بين الأجيال:

نجد مثلاً: "تَقَادُوا لِكَنَافٍ وَالكِبِيرِ وَكِيَّ يَخَافُ"، "هَمَّكَ هُوَ دَمَّكَ"، يضاف لها الكثير من النصوص كالحكايات التي تصور الوقائع والقطائع التي حدثت أو تخلق زمن قبل/زمن بعد مما يوحي بوجود نوعين من التنظيمات ونوعين من القيم. يمكن إيجاز العلاقات وأنواع القدرات والتغيرات التي حدثت في الجداول التالية التي استقينها من الباحث المغربي إدريس كرم:¹

¹ إدريس كرم: "الأدب الشعبي بالمغرب؛ الأدوار والعلاقات في ضل العصرنة"، مرجع سابق، ص 79-81.

الجدول رقم (03) يبين العلاقات بين الكبار والصغار (نموذج الباحث المغربي إدرس كرم).

العلاقة بينهما	الصغار	الكبار
تبعية وتقديح	قدرة	عجز
تبعية ومناهضة	عجز	قدرة
تبادل مصالح	قدرة	قدرة

يبين الجدول السابق العلاقة بين الكبار والصغار داخل الأسرة أو حتى خارجها ففي حالة عجز الكبار عن أداء الدور المنوط بهم وكنتيجة لتنامي قدرة الصغار من الشباب تنشأ علاقة تبعية وتقديح أي تبعية الكبار للصغار يعبر عن هذه الحالة من خلال القصص المتداولة التي تعبر عن هذا التغير وكذلك الأمثال "تَقَادُوا لَكِنَّا وَالْكَبِيرُ وَكَيْ يَخَافُ". أما في الحالة الطبيعية والتي يجب أن تفرض "قَدْرَةَ الْكَبَارِ وَعَجْزَ الصَّغَارِ" هنا العلاقة تتميز بالمناهضة والمساندة، ويعبر عنها بالأمثال التالية "الضُّفْرُ عُمْرَهُ مَا يَخْرُجُ مِنَ اللَّحْمِ، تَعْيَا الْعَيْنُ تَكْبَرُ وَالْحَاجِبُ فَوْقَهَا... مَا يُحْكَلُكَ غَيْرَ ضُفْرِكَ" وفي الحالة الأخيرة (القدرة لكلا الطرفين) تنشأ علاقة مبنية على تبادل المصالح.

الجدول رقم (4) يوضح العلاقة بين الكبار والصغار ونوع القدرة حسب الباحث المغربي إدريس كرم.

أنواع القدرة	مادية	معنوية
الكبار	عجز	قدرة
الصغار	قدرة	عجز

أما في الجدول التالي يتبين أن مهما كان عجز الكبار في الجانب المادي إلا أنهم يكتسبون مع الوقت القدرة المعنوية على إعطاء البركة وإعطاء "دَعْوَةَ الْخَيْرِ" أو "دَعْوَةَ الشَّرِّ" لهذا فهم دوما في موقع قوة في النظام الاجتماعي، كما أن القدرة التي يتمتع بها الصغار هي مادية زائلة يمكن الوصول إليها كما يمكن الاستغناء عنها في نظام اجتماعي مرتبط بما هو معنوي أكثر مما هو مادي في مجتمع يؤمن بقيمة "الزهد".

الجدول رقم (5) يبين العلاقات بين الرجل والمرأة وشكل القدرة حسب الباحث المغربي إدريس كرم.

العلاقة	المرأة	الرجل
سلام	قبول	قدرة
صراع	رفض	عجز

وفي الجدول التالي يتبين شكل العلاقات داخل الأسرة بين الذكور والإناث وتأثرها بنظام القيم، فإذا كان الرجل قادر تقبل به المرأة ويطبع العلاقة السلام، أما إذا كان العكس فإن العلاقة قد ينتابها صراع، هذا ما هو موجود على مستوى المتداول الشفوي لكن مع وجود الاستثناءات في المتن الذي تم جمعه. يتوسع الباحث إدريس كرم في التحليل ويرى أن مفهوم "القدرة، السلطة، المكانة" تتأثر بطبيعة النشاطات قبل عصرنة وبعدها.

الجدول رقم (6) يبين التغيير الاجتماعي وطبيعة النشاطات قبل وفي ضل العصرنة (نموذج الباحث إدريس كرم).

الزمن	قبل العصرنة	في ضل العصرنة
المجهود	جماعي	فردى
المدافع	جماعي	فردى
الرادع	الأسرة	الدولة
المستفيد	جماعة	فردى

الجدول بين أهم التغييرات التي حدثت قبل (العصرنة) وفي ظلها؛ فالمجهود كان جماعى والمدافع جماعى (الحومة تغلب السبع) لكنه تغير إلى فردى كنتيجة لتغير في أساليب الإنتاج ووسائله وتغيير في ملكية الأرض وطبيعة العمل المأجور، أو التغيير في الملكية بشكل عام. كما يبين الجدول أن الرقيب هو الأسرة (والذكر الأكبر سنا) فهي القائمة على فعل الضبط الاجتماعى أم اليوم فالرادع هو الدولة من خلال القوانين والتشريعات والمؤسسات التابعة لها.

الملاحظ أيضا التركيز على الرباط الدموي وإعطائه الأولوية في النصوص الشفوية لكن هناك تراجع عن هذا الشكل من الرباط الاجتماعى.

القيم السياسية:

لا تخلوا المتون من الإحالات إلى المؤشرات التالية مثل الولاء للجماعات الاجتماعية في أشكالها الماضية كالقبيلة أو العرش، فالأفراد ينتمون إليها بصفة أو أخرى، يتم تداول نصوص شفوية تبين هذا الولاء والانتماء "الوهمي". تعبر بعض القيم/الشفوية السياسية عن التشكيلات الاجتماعية وتبين النصوص الشفوية أشكال الصراع وتطور البنى الاجتماعية كالقبيلة وتعطينا تاريخ الزعامات وشكل السلطة وجل التحالفات والولاءات كما يفهمها الأفراد. كما أنها تشير إلى كيفية ولادة سلطة معينة يدركها الأفراد يؤمنون بها ويرون أنهم امتداد لها وجزء منها إذ أن لكل جماعة اجتماعية تاريخها الخاص المؤسس لها وهو ما يتجلى من خلال النصوص الشفوية المتداولة في ميدان الدراسة.

من خلال المتن الشفوي الذي تم جمعه يمكن الإشارة إلى الدور البارز للصالحاء كوسطاء وكأصحاب سلطة ذات سيادة على التشكيلة الاجتماعية مع تسجيل غياب مفهوم السلطة المركزية في جل النصوص الشفوية المتداولة، كما أنها تشير إلى التراتيبات الموجودة والمعبر عنها صراحة (شريف يقابله زرتيف، الأعيان يقابلهم البسطاء، الأولياء، الشرفة، يقابلهم بقية الأفراد الذين يدخلون في البنية/التشكيلة الاجتماعية). إن تداول هذه النصوص يخلق نوع من التسليم ويعطي الشرعية. من هنا تبرز جملة من السلوكيات التي تدعمها نصوص شفوية شبه مقدسة، تتناولها في هذا الجانب على أنها نصوص مؤسسة لقيم سياسية/اجتماعية مؤسسة للسيادة ومنتجة لفعل الشرعية ثم السلطة (مبررة للزبائية). حتى المتون التي تتحدث عن التبادلات الزوجية تختزلها إلى تبادلات الهدف منها سياسي كخلق تحالفات ممكنة مع الآخر مما يقلل الصراع، (خلق شبكة من التحالفات والارتباطات ذات اتجاهات الأفقية والعمودية قد تكون مغلقة).

النصوص الشفوية تشير إلى امتدادية وحضور الجماعات المعروفة على أنها "مجتمعات مقطوعة الرأس" أو "المجتمعات المتجزئة" إلى الوحدات أو أجزاء من البناء الاجتماعي الكلي (الشباب يحفظون سلسلة النسب والقصص المرتبط بها ومآثر الجد المؤسس كما أنهم يرددونها على الآخر للتعريف بالذات¹) مع الإشارة إلى لحظات

¹ يقول أحد الشباب: أحنأ مئین نجمعوا - مئین تکبر الجماعه وأحد ما يهدررش - ترؤجوا العاشي، بالواحد تهدررؤه ونسفسوه... كل واحد ولمن يرجع اليه الجد والبلاد، وغلا هذا لأزم كل واحد بين قصته وأصله وحكايته... نجدوا على لعرائش والكارتات (الألقاب).

التأسيس ولحظات "التحالف، الانفصال"¹ تخليد المراحل التي تعبر عن الاندماج² والتعارض³، وتبين الانحدار النسب من الأسلاف أو الجد المؤسس (شرعية المؤسس الأول وأسطورة التأسيس مثل قول أحد الشباب "أحنّا من واد الذهب" وقول الآخر "أحنّا شرفاء وجدنا جاء من مراكش... ولخيرين ولد... زراتيف وكأخدام") كما أن هذه النصوص تشير إلى القطائع التاريخية والتعارضات وأسبابها بين الوحدات المكونة لكل القبيلة (يرى الشباب أنها حالات تعارض موضوعية وطبيعية لازالت إلى اليوم) الغرض من هذا التقديم هو تبيان دور النصوص الشفوية في نشر قيم سياسية تحدد الانتماء على الرغم من أنها وهمية إلا أن لها دور في السلوكيات وتحديد التبادلات الممكنة كالتبادلات الزوجية؛ مثل النص الذي يتحدث عن سيدي خالد وسيد الناصر؛ يشير -حسب المستجوبين- إلى نوع من التحالف (العهد) بين الأولياء على "الأخوة" يترتب عنه عدم وجود تبادلات زوجية أو اقتصادية ليومنا هذا وكل خرق لهذا الميثاق الذي تم بين الأولياء يترتب عنه عقاب بداية بالضغط -من الفاعلين الاجتماعيين- وانتهاء بالنفي.

إن القيم السياسية المشاعة من خلال النصوص الشفوية تعبر عن التمثلات المهيكلة للجماعات الاجتماعية تعمل كإيديولوجية تربط بين السياسي والسلطة تزود الأفراد بمعنى خاص يُعين العالم من خلاله، حتى أن البناء الاجتماعي ينظر إليه على أنه مقدس (كل فرد ينتمي إلى بنية خاصة أي القبيلة التي لها أصلها الذي تنحدر منه مبرر شفويًا) بهذا تبدو السلطة أكثر مشروعية وأكثر ثباتًا، المهم أن ندرك أن تداول الشفوية يبين وجود مؤسسات سياسية (كامنة) لها شكل معين ولها نمط معين لممارسة السلطة وآليات للسيطرة تعمل كلها على إنتاج نظام قيمى يشرعن التراتبية والمكانات ويبرر السلوكيات ويعطي حق ممارسة العنف الشرعي ففي المثال الذي تحدثنا فيه عن التحالف بين الأولياء (سيد الناصر وسيدي خالد) لا يجوز الزواج بين القبيلتين لوجود اتفاق سابق للأفراد ملزم لهم وأي علاقة تجابه بالرفض، يحاول الفاعلون تقديم الكثير من الحجج لإبطال هذه العلاقة على الرغم من أنها شأن داخلي خاص بالعائتين اللتان تهدفان إلى التبادل (أي أن الزواج يصبح أمر عام، بهذه الطريقة يتم

¹ نجد العبارات التالية في القصائد التي تم جمعها: "بكري كان العلم منسوب عليك أتانا وكأنت قاع النجوع تندرقت تحت ضلّالوا... تقلب نجع النجار عمارة النجوع الخاليا تنصّر قلوبور ولذ حمزة يزها بحانوا... وتصننت يا العاقل نعطيك حكايًا بن محي الدين طال وعدو وبطأ مبحالوا... تم فيها الإشارة إلى أماكن، قبائل وأحداث واسماء للاعلام وكلها تؤدي غاية"

² تتكرر القصص التي تشير إلى إدماج الآخر الغريب في التنظيم الاجتماعي لأن الجد المؤسس أوصى أحفاده بذلك، لأن "الآخر الغريب" قام بفعل أو إنجاز للجماعة الاجتماعية وبالتالي تم الاعتراف به (خاصية الإنتماء التي تميز التنظيم الاجتماعي الإنقسامي).

³ هناك نوع آخر من القصص الذي تم تحريفه وتعديله حتى أن الشباب يقبلون به دون أن يتساءلوا عن السبب الحقيقي لمعارضة الآخر المخاور الذي يتشارك معه ضمن نفس النطاق الجغرافي ويكتفون بأجزاء وتنف من قصص متوارثة ويرددون "خلّوها للوالا..." يتحدثون عن الغارات والنترات ولحظات الانفصال والتأثر كلها لتحديد بداية ونهاية الفضاء المشغول وملكية وامتداد العرش والفرقة.

تعزيز قيمة "الولاء"¹ من خلال نظام المحارم) وهو ما يبين مرة أخرى أن هناك جملة من القيم التي تعطي الحق والشرعية لإبطال أو إقامة تحالفات بين البناءات والتنظيمات الاجتماعية (بين القبائل والعروش).

تبين النصوص الشفوية وجود قيم تم الحفاظ عليها دوماً، تشير إلى سلطة الزعماء والوسطاء المحليين تعطيمهم الشرعية، للرقابة والفصل في كثير من الأمور، على الرغم من ضعف هذه السلطة إلا أنها لازالت فاعلة تدعمها الكثير من النصوص الشفوية.

النصوص الشفوية هي استدعاء للماضي في شكل مكثف في شكل أسطوري له هدف ايديولوجي الغاية منها البحث عن تفسيرات لما هو آني برده إلى الماضي. كل حدث يرد إلى تفسيرات ذات طابع تاريخاني بعيد عن التفسيرات الآنية (استغلال الأحداث الماضية كدافع للحدث الآني، في شكل ميثولوجي) ما يحدث اليوم هو كنتيجة لرفض التحالف بين القبيلتين قديماً وهو ما يخلق جمعة (تجميع للأفراد الذين يقرون بهذا الفعل ويؤمنون بأنه يتأثر بالماضي في جهة والآخر في جهة أخرى) النصوص الشفوية تبن فعاليتها كأسس مبررة للتعارضات من جهة ومؤسسة لنوع من الاندماج من جهة أخرى، تعبر عن الصراعات والتناقضات يجعلها الأفراد مسلمتات بينون عليها سلم من القيم يؤسس في النهاية للغيرية ويبني الذات في مواجهة الآخر.

تبين النصوص الشفوية شرعية السلوكيات وتبرر التراتبية الموجودة وتجعل منها طبيعية وعادية وعلى أنها أفعال متوارثة، مما يجعل من النظام يحافظ على ديمومته وعلى شبكة علاقاته المبنية على الزبائية والولاء² على الرغم من أنها تركز على مفهوم الانتماء "الوهمي" (حسب تعبير لشباب المعارضين) إلا أنها فعالة وكل هذا يخلق سلم قيم خاص منتج للذوات يطبعها ويربطها بسلوكيات منشودة. لا يمكن فهم ما سبق إلا بالرجوع إلى القيم السياسية، البنية الاجتماعية والفاعلين المتداولين للشفوي بالتحليل. تعمل النصوص الشفوية على فرض شكل محدد للعلاقات من خلال إضعاف تحالفات معينة وتحبيب تحالفات أخرى بين البني الاجتماعية.

¹ - في مواضع أخرى، بعيداً عن التحالفات الزواجية نجد أن الشباب يعبر عن هذه القيمة "الولاء" من خلال استدعاء أبيات من الشعر الشفوي مثلاً "يا سيّد الشّيخ حرّمك حرّمتك ليك أتياً من يقصد شيوخ لآزم تبنان عليه فضالوا... ما نسا شبي حبيب قلبي يا لو كان غير إذا كنت فرمان الأبيدي... أثنياً محسوب ليا... وهي تولد قيمة الحبة: المحبة تبغي الميثاق وأهلها يزكوا بالتصداق، من وحش المحبوب ما ترفدش الليل تتعدى بسناة ديمًا."

² - وهو ما تجسده الأبيات التالية التي تمثل اعتراف بالولاء للشيخ الذي يصفه بالصاحب بل ويجعل منه شريك في أمواله ورزقه:

إلى ينسى صاحبوا مأهوش رجيل لأ نعة لأ نيف زعمة
حتى أنا دأيرك في المأل وكيد وزراقك في البيت قسمة

القيم السلوك والجيل:

الجيل يشير إلى عدد من الناس في نفس العمر "تقريباً" ويستخدم كاصطلاح وصفي تميزي لفئة عن أخرى؛ يفيد في التحليلات ذات الطابع الاجتماعي. على الرغم من أنه لا يجيل بدقة عن إذا ما كان الجيل يعبر عن الانتماء لنفس الجماعة الاجتماعية أو على أن الجيل يعبر عن الانتماء لنفس الثقافة أم أنه ينحصر للتدليل الإحصائي فقط.

"يشير الجيل إلى الاختلاف بين الأبناء والآباء، ويعني الفاصل الزمني بين مولد كل منهم، يقدر عادة بثلاثين سنة، تحول ليدل على الكيفية التي يتم فيها نقل الثقافة والمثلة والملكية من الأعضاء الأقدم إلى الأعضاء الأحدث في المجتمع".¹

ترتبط فكرة الجيل بنوع الالتزامات التي يفرضها المجتمع من خلال تولي جملة من المسؤوليات وتملك المهارات خلال دورة الحياة ككل، تحدد الشفويات الفوارق في المسؤوليات كفوارق عمرية معبرة عن الجيل وبها تتحدد الهوية العمرية التي تكون أكثر ارتباطاً بالتجارب المعاشة من الأفراد تاريخياً "التجربة التاريخية المشتركة" التي تخلدها الشفويات بناء على الأحداث الفارقة لما قبل وما بعد الحدث (الجيل الذي عاصر الحدث، ومن لم يعاصره يعتبر جيل آخر) "يؤثر الوضع التاريخي للناس الداخلين في عمر على مواقفهم وقيمهم".²

الجيل حسب كارل منهايم يعبر عن شغل مهن وأدوار وتطوير حس بأنفسهم كجماعة عمرية بتكوين الجيل. فالشفويات تعبر عن التجارب العائلية وبهذا تتحدث عن جملة من القيم تسندها لفئات عمرية وتنفيها عن الأخرى مؤسسة للتاريخ الخاص التاريخ العائلي. غالباً الشباب يعتبرون كـ "هيئة ثقافية كجماعة مستهلكة" حسب النصوص إذ أن الشفويات تحول التاريخ المادي إلى تاريخ ثقافي (هل يفهم الناس الظروف الجديدة وفق معايير وقيم راسخة؟). الملاحظ أن المتون ذات الطابع الاستشراقي تجعل من السلف جيل ومن الشباب جيل آخر مغاير، بينما يحاول شباب اليوم التشبث بالأصالة ومآثر الخلف والإرتباط بمجموعة من القيم (لا يمكن التعميم خارج العينة المدروسة وهي عينة غير تمثيلية الهدف هو وصف الممارسات فقط).

¹ - طوي بينيت وآخرون: "مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع"، مرجع سابق، ص 266-267

² - طوي بينيت وآخرون: مرجع سابق، ص 267-268.

القيم الأسرية:

إن تقديس العائلة راجع إلى ملابسات وظروف سابقة لأن المحلي المدروس ينتمي إلى مجتمعات ضلت لوقت طويل انقسامية لا وجود لسلطة مركزية قوية؛ لا وجود لمؤسسات بقوة العائلة مجتمع متشظي على شكل أجزاء أقوى وحدة فيه هي العائلة. لازلنا نشهد احتفاء بهذه البنية بل والحنين إلى عهدها السابق في شكلها الممتد.

مطلوب من المنتمين إلى الجماعة التماهي مع متطلباتها وإرادة القائمين عليها، يحاولون غرس نموذج يستوعب كل جديد؛ مطلوب من الأفراد سرعة التكيف، سرعة الفهم التحفظ على رد الفعل، الحذر والذكاء. تعمل التربية على محاولة فرض سلوك معين؛ مع محاولة دفع كل أشكال التمرد الموجودة-المتوقعة لاحتواء "الأنا"، تحقيق الامتثال والإذعان لنموذج الجماعة، بهذا يكسب الاعتراف الاجتماعي بالأنا، كنتيجة لتوسع الداخلين للتنشئة الاجتماعية تم التحول إلى نماذج أكثر عقلانية مقابل نماذج خيالية؛ أي أنها بعيدة نسبيًا عما هو معهود لهذا برزت قيم جديدة جسدها الشفويات جديدة تعبر عن الرفض للمعاش وللأشكال الانتماء. لكنها لم تقلل من التمسك بالجماعة وأعرافها. حتى أن المكنات والأدوار لا تكتسب بالسن والعمر بل "بالجدارة" أي بالقدرات والإمكانات المتاحة أمام الأفراد؛ لهذا فهم ملزمون بالامتثال لها لتحقيق الاعتراف الاجتماعي. الملاحظ هو وجود قوة الشعور بالانتماء للجماعة/العائلية الواسعة أو الضيقة؛ لأنها هي مصدر الدعم المادي والعاطفي، لا وجود لعلاقات إلا من خلال التضامن والأخوة الاجتماعية، يتدخل المحيط لتبرير لفرض هذا السلوك ونبذ النماذج الفردانية بمجرد الوصول إلى اكتمال بيولوجي يدمج الأفراد في نشاطات تناسب مع المحيط الفيزيقي/الاجتماعي مما يكسبهم سلوكيات وأفعال محددة وكلما تكررت المواقف نجد نفس السلوكيات. تعمل البنية الاجتماعية على إلحاق الفرد بالجماعة الأسرية¹ وربطهم بها؛ بالمحيط الاجتماعي أي نسبه وإضافته إلى الأسرة لخلق القيم والسهر على تطبيقها مما يعطيها صفة الثبات والديمومة والإلزام.

نتحدث عن القيم السلوكية لدى الشباب ضمن الجماعة الاجتماعية (Group social) بدل المجتمع كمفهوم فضفاض. لا يمكن في هذه الحالة التعميم أو الاختزال. إن قوة هذا الانتماء لا تمنع وجود ازدواجية قيم فردية وقيم كونية مكتسبة إحداها كامن وخفي والآخر جلي يظهر في مواقف محددة. (أي أن الموقف هو المحفز

¹ - مثلا نظام التسمية ونظام النسبة والاسناد في المجتمع المحلي لازال يتميز بالفاعلية فالأفراد يعرفون بدواهم من خلال اسم الجد أو من خلال الانتماء للنطاق الجغرافي وبدون هذا النظام لا يمكن أن يعرف الأفراد (مثلا حنا أولاد فلان زُرُقُ السَنَّة... أَحْنَا وَكُنَّا سِيَّ فُلَانُ الطَّوِيلُ مع الاعتراف أن التسمية ترجع إلى شخصين عاشوا في القرن 19 وبداية القرن 20 والأسر والأفراد لازالوا يذكرون الكثير من القصص الأسطورية عن هذه الشخصيات).

فتارة نجد رفض للقيم الأسرية على أنها قديمة عتيقة لا بد من استبدالها وتارة أخرى نجد نوع من التبجيل والاحترام لها حسب الموقف والفضاء الذي يكون فيه الفرد) كما أن قيم التقديس للعائلة ولقيمها قد لا يتعارض مع ما هو عالمي نجد نوع من التسامح مع المخالفين لها.

يسعى الأفراد إلى التحلي بكل ما يفرضه المجتمع من قيم، يطلب من الأفراد الامتثال لقيم بعينها واجتناب أخرى لتحقيق نوع من السعادة؛ مثل تقييم الطموح، طموح ذاتي لكن ليس فردي فهو مدمج مسابقا في منظومة القيم (كل ما هو ذاتي مسموح به من طرف الجماعة أي أنه لا يتعارض مع قيمها العليا) فالقيم الذاتية مسخرة أيضا لخدمة القيم الجماعية مثل الجدارة، الكفاءة، المسؤولية، كل القدرات الفردية شخصية، ذاتية لكنها يجب أن تخدم الجماعة لتحقيق الاعتراف والتقدير. كما أن فعل التنشئة الاجتماعية يستهدف نقل وتشرب قيم غائية وسيلية لاكتساب مكانات معترف بها في المجتمع مثل النموذج الأمثل الموحد (مثل مكانة الولي، الشيخ ومكانة الأب) "الذات تمثل من خلال هذه الرؤية كلية منظمة ومنسقة تنمو وتتطور من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشيخوخة لتنتقل من حالة أقل نضجا إلى حالة أكثر نضجا تحوز فيها على مكانة مرموقة هي مكانة الشيخ".¹

يشعر الفرد بالانتماء إلى العائلة الكبيرة يجب أن يتحلى بقيمها، العائلة هي العرش، الفرقة، القبيلة، على الرغم من التحولات البنيوية العميقة (كالتعلم، والاختلاف في المهن... عدم وجود مبرر لهذا الارتباط بهذه البنية البائدة) إلا أن الأفراد -فئة الشباب- لا زالوا ينتمون وهما إلى هذه البنية الاجتماعية لا زالوا يرددون مآثرها ويخلدون ذكراها عبر الشفويات (قصص السير، قصص المشايخ والأعلام، قصص للأحداث والمناقب) لا زالت منبع للمثالية وللقيم، لا زالت تمثل قوة مرجعية. إن هذه الشفويات مبررة للمكانة التي تحتلها الجماعة لهذا تردد دائما وهي المكونة للسمعة وللشرف الذي يجب الحفاظ عليه. كما أن هذه البنية تفرض نوع من الإلزام والقيم التنظيمية التي تغرس في المنتمين² إليها، بما يعرفون اجتماعيا وبها تتحقق كينونتهم، فالانتماء إلى الأسرة هو انتماء إلى سلالة، أصل، إلى أب أو جد مشترك وهو ما يفرض التمسك بقيم يجب أن تورث، لطالما سادت لدى السلف، يجب أن تسود لدى الخلف. إذن نلاحظ تمسك بالمرجعية المنتجة للقيم، التي يجب أن تسود في اليومي وتتجسد في المعاملات وجل السلوكيات لدى الأفراد، لا يمكن فهم هذه المرجعية إلا بتحليلها وإخضاعها للدرس الأنثروبولوجي.

¹ - عبد الله بن محمد: "سيكوباتولوجيا الشخصية المغاربية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص52.

² - يمكن الرجوع إلى الشفويات؛ مثل قصة ابن دياب وابن الراعي لكل منهما سلوك بحكم الانتماء، فابن دياب ذكي، حاذق، قوي وابن الراعي بحكم الانتماء فاشل وضعيف، هذا الطرح الازدواجي موجود لدى فئة الشباب اليوم وهم يتخذون منه مبررا للكثير من السلوكيات، كما أنهم يؤمنون بأن القيم لها علاقة بالانتماء الأسري والمرجعية.

بما أن الأسرة هي النواة والفضاء الأولى التي يترعرع فيها الفرد فأما تزوده بقيمها؛ وتستغل الدين والتقاليد والأساطير في التربية فتعزز لديه قيم الانتماء والولاء لها وللبنية الأكبر، الجماعة الاجتماعية، تزرع قيم مثالية وأخرى عملية تتجسد في السلوك، نحن أمام تماهي مع النموذج الأمثل على الأقل كما هو موجود في النصوص الشفوية (الاجتهاد في إلحاق النموذج الواقعي بالنموذج المثالي وعدم محاسبة الأفراد في حالات عدم الإلتزام الجزئي). كما أن هناك نوع من القيم يرى القائمون على التربية أنها تحقيق لمشروع مجتمعي.

يشير الباحث نور الدين طوالي إلى أن التربية... لا زالت تتم بالطريقة نفسها ومن خلال نفس النماذج الثقافية التي تهدف إلى إنتاج أنماط من الشخصية حريصة على احترام معايير الأسرة والاجتماعية وتمايز الأدوار الجنسية وتقدير المشايخ ومراعاة قانون "الشرف" وعدم الإخلال بالتعاليم التقليدية بسبب الحياء والخوف من المقدس الذي يظل يمثل الأساس المرجعي لكل المعايير الاجتماعية التي تنظم الحياة الجماعية.¹

المتون الشفوية تعبر عن الهرمية الاجتماعية الخارجية، هذه الأخير معكوسة داخل الأسرة فالأب هو رب الأسرة المسئول عنها وممثلها، ينوب عنها معنويا ويعيلها ماديا، يليه الأبناء الذكور كالأبن البكر الذكر، من خلال التنشئة الاجتماعية تسهر الأم على أن يكون كل فرد مؤمن بهذه الهرمية-التراتبية، تعزز الأم هذه الشكل، يتعود الأفراد على الطاعة والإذعان والولاء للأب وللذكورة ويتعزز لديهم الإمتثال لتتحول الأسرة البنية إلى ترهقن لقيم وسلطة مطلقة.

نلاحظ نزوع نحو بناء نموذج يتوهم الأفراد أنه صافي نقي منفرد يتفردون به عن غيرهم التماهي معه والسير بمقتضاه يعطي نقاء للذات الفردية ويجعلها بعيدة عن الأنماط السلوكية الأخرى التي يرى الأفراد أنها شاذة، مقاومة كل طموح لا ينسجم مع التوجه العام المعترف به وبذلك يقاوم القيم الحديثة والحديثة ولا يتم تبنيتها غالبا إلا بعد التفاوض حولها حول جدواها ومدى عمليتها، لا يدركون أن الآخر غير المعترف به يسير بنفس الطريقة إلى الكمال ففي كثير من المتون نلاحظ تغير في الأسماء والأماكن فقط ليبقى العنصر الأسطوري، الهدف والوظيفة واحدة.

يخضع الفرد إلى جملة من الضغوطات يتم تأهيله لأدوار متوقعة يجب أن يشغلها ويتكيف مع ما هو مطلوب منه وما هو موجود في البيئة الاجتماعية والثقافية التي ينتمي إليها، تتكفل الأسرة بهذا التأهيل وللشفوية

¹ - عبد الله بن محمد، مرجع سابق ص 61.

نصيب من ذلك بحيث توفر لها النماذج المثالية؛ البداية مع الجد المؤسس كنموذج تحفل به الذاكرة، ونموذج الأب بكل ما يمثله من سلطة وقوة الحضور في الأسرة، ونماذج أخرى من المحيط الاجتماعي متخيلة أو حقيقية لا تقل من حيث الجاذبية عن النموذجين السابقين بل وتتماشي مع تطلعات وانتظارات القائمين على البنية الاجتماعية هذه النماذج مقدسة لا يمكن الطعن فيها يضاف إليها نماذج أخرى الفاعل فيها تحصل على الوصاية والوكالة تلقى التفويض من المجتمع للتعبير عن الأسرة والممارسة التربوية لضمان استمرارية هذا الفعل، كلها نماذج تتوزع بين الرسمي وغير الرسمي منتجة للقيم، في كثير من الأحيان تعيد إنتاج نفس القيم (قيم السلف بكل ما تمتلكه من قوة رمزية) يقابلها نموذج آخر ينهل من نماذج موجود خارج التنظيم الاجتماعي مثل أيقونات المديا، المشاهير وشيوخ الفضائيات ليتأسس نماذج أخرى تتقاطع مع النموذج الأول في جوانب وتختلف معه في جوانب أخرى. إن تبني القيم الجديدة يتم غالباً باعتبارها امتداداً للسابقة القديمة لكن في الظاهر نجد قيم جديدة مغايرة مفارقة، فالحشمة، الفحولة، الشرف، كلها تكتسي طابعاً جديداً من جيل إلى آخر (إذا ما قارنا جيل الآباء والأبناء نجد نفس التسميات بينما محتوى القيمة ومعناها يختلف؛ حسب الزمن والمكان).

إننا نشهد اليوم إعادة توزيع للأدوار والمكانات وما يرافقها من تغيرات جذرية خاصة في الأوساط الحضرية، مما فتح المجال أمام الشباب لتولي أدوار غير معهودة وممكنهم من فرض نماذج قيمية جديدة، خاصة إذا ما راعينا نهاية السرديات الكبرى، تراجع الأدوار الأبوية، ظهور نمط تشاركي داخل الأسرة، تغير في حجم الأسرة وفي اقتصادها والنشاطات التي يقوم بها أفرادها كلها وليدة نموذج قيمى جديد نسبياً مكن له الحراك الاجتماعي، التغير الاجتماعي وعمليات التنمية والتحديث -مكنته- من الظهور، اليوم لا وجود للخيمة الكبيرة¹، كما تشيع له الأمثال الشعبية والقصص الشفوية.

نلاحظ اختفاء معالم الهرمية والتراتبية وبروز نوع من الاستقلالية والفردانية، بروز نوع من التشاركية في اتخاذ القرارات وفي الخيارات، نظام أسري شبه استقلالي، مثلاً لم تعد مسألة الاختيار شأن العائلة الكبيرة (يمكن أن نستغني عن رأي ومشورة الأخوال والأعمام والأقارب في العديد من المسائل مثل: البيع الشراء الزواج... الخ) كما أن مسألة الاختيار غير مطروحة للنقاش أصلاً حتى داخل الأسرة نفسها هذا في بعض الأحيان (تنامي وجود هامش للاختيار دون الرجوع حتى للأب، أم، الإخوة) كاختيار الشريك (chois de conjoint) تراجع الرقابة من

¹ - الخيمة الحمراء مشمراً بعمودين، هذا هو نموذج الأسرة، العائلة، البنية التي تعمل على إحارة الغير، الإيواء لكل الغريب والمعروف، هي الكبيرة باغداقها بقيمة الكرم، اليوم هي الأسرة النووية المنطوية على ذاتها المعيلة لأفرادها من الأبناء المباشرين فقط (الخيمة الكبيرة يخرجوا منها الخيام).

العائلة الكبيرة وتراجع صورة الأب، وسلطته وسطوته لصالح أفراد الأسرة الآخرين هو ما مكن من ظهور نظام قيمي جديد؛ حسب الشباب المدروس؛¹ مثلاً امتلاك دخل عزز من الاستقلالية الأفراد، كما أن طبيعة الأسرة التي لا وجود فيها لاقتصاد معاشي وملكية جماعية لوسائل الإنتاج وتغير نمط الإنتاج، الاستقلالية في السكن والبعد عن الأقارب (الأعمام والأخوال) كلها عززت من أدوار الأبناء وخلقت لهم مكانة جديدة داخل هذا التنظيم (تفتت هذه البنية بخروجها-النسي من تبعية الأهل بحكم القرابة الدموية، إلى بنية مستقلة نسبياً عن الآخر مهما كان). تراجع دور الأقارب (الأعمام والأخوال) "زيتنا في بيتنا" "همك من دمك" تحيدهم في الكثير من القرارات التي كانت لوقت إلى قريب مهمة شأن العائلة الكبيرة، لا يمكن أن تتم دون علمهم ورضاهم.

تفهرقت المرجعية القيمية القديمة وحلت محلها مرجعية جديدة وشبكة علاقات جديد (جماعات جديدة كجماعة الرفاق، الجماعات الرسمية) نلاحظ إعطاء أهمية للفضاءات التي كانت هامشية، وتحول الفضاءات المركزية كالعائلة الكبيرة إلى مكان للالتقاء في المناسبات فقط. يعتبر الطرح السابق كالخروج من مركزية قديمة ودخول في مركزية جديدة (من التمرکز حول الأسرة إلى التمرکز حول فضاءات أخرى أقل من حيث الحجم، مغايرة للتقليدي) كلها محل نقد أو تمجيد في المتون الشفوية.

هذا التغيير القيمي لم يستغني عن المسميات والاصطلاحات القديمة بل هي نفسها لكن محتوى القيمة يختلف، لهذا فالسلوكيات تختلف أيضاً، هي منظومة قائمة على قيم تركز على أن الفاعل يجب أن يتميز ب: "الشطارة، القفازة، يديها من فم السبع"، "لازم ما تكونش نية" "والوقت ما يرحمش"، "نفسى نفسى" "تحل فمك تطير ضرسك".

¹ - نلاحظ تواجد نفس القصة ونفس التعليق نسبياً: "وأحد السيد عاق وألبديّة راح لوأحد الإمام وقاله أنا عاق وألبديّة مارضاونيش وما بغاونيش نترزوج من حبيبي لبي نبينها، قاله الإمام وأشر رأك حاسب أنت من أهل النار وقرآله من القرآن... جبد السيد الدرهم - مليون (عشرة آلاف دينار جزائري) غطاهم للإمام، قاله نسيت هذا المكتوب ليك... جأونة إيمان وقاله خيليني نكملك هاهنا الوالدين خطرأتش نأني يزيدوا فيها شوية روح نزوج على روحك.."

خلاصة

إن استخدام اللغة والقوالب يدل على التسجيل والتأريخ -المنتج الشفوي كسجل- والتقييم والتزامين كاستراتيجية للتحديد كل هذا لخدمة وظائف اجتماعية، الشفويات تأطر الممارسات وتترافق مع الطقوس، تعطي للأمكنة دلالات يصاحبها أداء جسدي؛ أفعال يتم إنجازها بشكل منتظم يجب أن تخضع للتحليل في كليتها.

الشفويات لها صيغة خاصة، تتبع وتعبّر عن الاجتماعي تبين لنا إمكانية وجود تقسيمات الاجتماعية رمزية من جهة وإمكانية وجود خيارات متاحة وبدائل ممكنة كل هذا لحصر الاستجابات الممكنة وجعلها تابعة للظروف التي يتحدث عنها المنتج في المتن، أي أن الغاية هي نقد الممارسات ومحاولة تغييرها؛ بناء توقع وتقدير أفضل حتى في ضل غياب استراتيجية مقصودة من طرف المنتج؛ تعمل البنية على تنظيم الاكتساب من خلال اللغة، وتراكمها يؤدي إلى تكون الممارسات والقيم التي يجب أن تتلاءم مع البناء الاجتماعي، تعمل القيم على مواكبة الوضعيات (الافتراض في البحث أن الواقع الاجتماعي معبر عنه لغويا ورمزيا) فالقيم هي الفاصل الذي يمكننا من الوصول إلى المعنى الذي يتخفى كاستراتيجية أو كمنظم للتجارب ولل استعدادات، إن النشاط اللغوي يعبر عن ما تم استبطانه يظهر من خلالها على شكل ممارسة قابلة للملاحظة مع مراعاة محاولات إعادة الإنتاج للنسق الاجتماعي لغويا وإنتاجه من خلال الممارسات والسلوكيات.

البحث في المعنى يقود إلى البحث في تكون ونشأة أنماط، تتولد عنها سلوكيات، البحث يتجه من اللغة إلى الاستراتيجيات والخلفيات ثم إلى البنية الاجتماعية، مع مراعاة ظروف الإنتاج والاستخدام. كل هذا من خلال تأويل المواقف الملاحظة بالرجوع إلى تأويلات العينة للواقع الاجتماعي، ثم الرجوع في نفس اللحظة للأطر النظرية على اختلافها. الاهتمام بالاجتماعي والمعنى يقود البحث إلى التظاهرات الواقعية؛ مظهر خارجي (خارج اللغة) الانتقال من مضمون القيمة إلى شكل السلوك-الفعل، ومناقشة الاعتقاد.

الاهتمام بالتعبيرات الشفوية ودلالاتها لأنها تجعل من السلوك منظما تابع للقيم، الشفويات هي ممارسة في المكان تعتمد على التحديد الفضائي المحلي، تدمج بين الفعل والجغرافيا والأصل (الانتقال من اللغة إلى البنيات الفضائية ثم إلى طبيعة الأفعال والسلوك) مع محاولة فهم الأداءات والأفعال والممارسات التي ترتبط بالفضاء.

يضمن الفضاء تواجد معاني مثل "الخصوصية والعمومية" هو مكان تقاطع العلاقات لأنها تكتسب طابعا خاص كلما انتقلنا من فضاء لآخر، تتابع تحولاته لتنتج دلالة، دلالة لا يتميز بالأحادية "أحادية المعنى" مثلا الفضاء

يشير إلى هندسة اجتماعية تنتظم وفق إرادة محددة. مشغول من طرف فاعلين يوجد فيه ممارسات ترتبط به دون غيره.

الفضاء الاجتماعي بهذا المعنى اللغوي محمل بالدلالات، يختصر تجارب اجتماعية، موجود فعليا أو ذهنيا، إن تعدد الانتماء للفضاءات هو تعدد للتجارب الاجتماعية الحاملة للقيم، كما أن العلاقة بين الأمكنة والذوات التاريخية يعطي معاني للجامد (الضريح، المرافق الخاصة به التابعة له كالخلوة، النباتات، الصخور والحيوانات وقصص الكرامة والتأسيس) الغاية هي رسم معالم الاجتماعي ونظامه القيمي الذي يتميز بالتعدد، الملاحظ ببساطة في الفصل السابق أن القيم لاتنفصل عن الفضاء الاجتماعي مهما كان محتواها فهي تضمن وجود توقعات وسلوكيات مشتركة؛ مثالا: قيم التسامح "إلي بعأك ما بنالك قصر وإلي كرهك ما بنالك قبر، "قيم الحب إلي بعأها قاع خلأها قاع،" عدم حب الماديات أقول المجدوب حول الدنيا "إلي بعأها قعد معأها قاع" كلها تخدم وظيفة واحدة على اختلافها الغاية منها ربط العلاقات والتقليل من أشكال الصراع والتحكم فيها والتقليل من آثارها على الجماعات الاجتماعية، تليها نصوص للتعبير عن مبادئ تؤطر الحب وتضمن تكوين جماعات "أخوية" تقدر من شأن قيمة الأخوة التي تتعدى النسب الرابطة الدموية إلى الآخرين الذين يمتلكون نفس نمط التدين أو الأجساد المتماثلة وتتعداها إلى علاقات الجيرة.

المتن يشير إلى فكرة الرعاية ويربطها بالأب أو الذكر كمرکز أعلى، سلطة، لكن الملاحظ هو الانتقال من السلطة الأبوية إلى غيرها من أشكال السلطة، فقدان السلطة الهرمية لصالح السلطات الأفقية مثل العبارة التالية: "راك عارف وزارة الداخليّة (أي المرأة) هنا إشارة واضحة لسلطة الزوجة.

الفصل الثاني

القيم الدينية

تمهيد:

إن تحليل وتفسير محتوى القيم الدينية يمكننا من الوصول للاعتقادات وطبيعة الوقائع الدينية كما يفهمها المتداولون للمتن، فهي جزء من الهوية تعمل تارة كمنتج يوضح مكانة الفاعلين بل هي منتج وعظي يدعو أصحابه ومعتنقيه لقيم "الزهد"، "التسامح"، "في متون يغلب عليها الطابع الوعظي-التعبدية الإرشادي، إن هذا الفصل محاولة للوصول إلى فهم القيم الدينية من حيث المحتوى، بتناول الشفويات كما هي موجودة في الحياة اليومية، مفهوم المقدس، القداسة والرجوع إلى سؤال هل القيم/شفويات تعمل على تحديد الورع وتبيان طرق الإرشاد والتربية، تستخدم للتحفيز؟ هذا يقودنا إلى البحث في الوظيفية الرمزية والمعرفية للشفويات وعلاقتها بما هو موجود كطقوس وممارسات على علاقة بالتدين؛ تحولت بعض المتون إلى متون مكتوبة لكنها ككل في الغالب منقطعة عن الأصل تصرف الناس فيها بالحذف والزيادة هي ذات دلالة رمزية نسعى للوصول إليها، بالإضافة إلى تحليل وتفسير التحلي اللغوي للتدين، وربط القيم الدينية بالطقوس والممارسات.

العلاقة بين الشفويات الدين والتدين:

هناك توجهات قيمة مرتبطة بالتدين/المقدس-القداسة وهو ما يجعل منها سهلة الاستيطان والانتشار وأكثر مقاومة للتغيير، هذا من جهة ومن جهة أخرى يمكن الحديث عن حقل رمزي/ديني يجمع بين النصوص الشفوية المتداولة (كفن ولغة، يتضمن عناصر أسطورية-دينية) تساعد على بناء عالم من التمثلات والقيم؛ لها جملة من الدلالات ذات قوة إيحائية تعبيرية حولت كل شيء إلى مقدس. مثل تحول "الوكلي" إلى قيمة مؤسسة للبنية الاجتماعية، هذه المتون والنصوص يتداولها السلف لأنها منتج لجملة من المعاني والقيم. النصوص الموجودة؛ تبين مدى التبجيل للأولياء والصلحاء؛ أفاد إدوارد مونتي بأن هناك "...ظاهرة تبجيل الأولياء التي تستند بالأساس حسب رأيه على الأدوار التحررية التي لعبها هؤلاء لفائدة جماعاتهم إذ قاموا بحمايتها من كل المخاطر الداخلية والخارجية التي تهددها... كان من الطبيعي أن يصبح هؤلاء الأبطال والقادة محل تبجيل وتوقير من الناس أثناء حياتهم وحتى بعد مماتهم..."¹ هذا هو سر إستمرارية المتون كما أن أولئك القادة كانوا ينسجون لغة قريبة من المقدس تتماهي مع النصوص الموثوقة كالقرآن والسنة وهو ما جعلها محل تبجيل. هذا التقديس يمتد ليشمل كل

¹ - منديب عبد الغني: "الدين والمجتمع، دراسة سوسولوجية للتدين بالمغرب"، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب 2006 ص34.

شيء على علاقة ب الوكى الصالح وأتباعه والفضاء الذي كان يرتاده وهو ما تعبر عنه متون المناقب التي وصلت إلينا عن طريق المشافهة.

الملاحظ في الميدان؛ وجود افراط في تقديس الأشياء وربط المتون بكل شيء في العالم الاجتماعي مثل الطقوس، فالقيام بالطقوس الاستعطافية والتمنن لا يتم إلا من خلال وعبر "الكلمة"، الهدف هو ترويض الطبيعة، كالطقوس الاستمطارية، يسعى الأفراد من خلالها لضمان الخصوبة من خلال تقديم أضحية ل "روح الأرض" البحث عن الخصوبة من خلال الفعل الطقوسي لا يقطع الصلة بالتوصل، مشافهة، تعدد الطقوس، تنوع بين الاستشفائية وطقوس زراعية تواكبها آداءات لغوية؛ (الملاحظ هو شبه غياب-تلاشي للمعنى الحقيقي بالنسبة للأفراد الذين يمارسونها) يفيد جاك بيرك بأن الطقوس: "تعبّر عن نظام تقني يعبر عن نفسه من خلال مجموعة من المشاعر...¹ هناك علاقة بين المواسم الدينية والموسم الزراعي بداية بالتضحية، تختتم بالاحتفال الذي تجسده الوعدات التي تعتبر كفضاء للتنشئة والتثاقف. المهم أن كل هذه الممارسات والسلوكيات يتم التعبير عنها من خلال اللغة/الشفوية، كما أنها مناسبات دورية تمكن الباحث من تسجيلها وتحليلها.

من خلال تحليلها وتحليل المتون الشفوية الخاصة بما يتبين أن العلاقات الاجتماعية والاقتصادية حتى السياسية تعبر عن سيرورات تاريخية تطورت وتحولت تم الانتقال من وجود اجتماعي تقليدي بسيط إلى المعقد. (كيف يمكن تفسير بقاء النصوص الشفوية على ما هي عليه؟)

الملاحظ أن المتن يحاول أن يشيع لوجود شبكة من المعتقدات فيها شيخ أتباع ومريدون بحيث يتميز الطرف الأول بقوة منح "البركة" أو انتزاعها والطرف الثاني هو التابع، يتبين اتجاه القيم من منتجها إلى الأحفاد (معتنقها) لدى الجماعات المدروسة على اختلافها. هناك علاقة بين المتون والتقديس والمقدس والطقوس.

تعكس بعض النصوص الشفوية البقية السحرية الدينية المهيكلة للمعتقدات المحلية وتؤسس لنوع من التبجيل تؤسس للقداسة والتقديس. إذا تجاوزنا الشفوي، تتجلى الممارسات الطقسية المتكررة كفعل قوي يجب أن يقوم به الأفراد على الرغم من أن ممارسيها لا يفقهون معناها ويكتفون بعبارات ك "حَلَاوَهَا الجُدود، مَا تَطَعْنَش، تَخَافَ عَلَى رُوحِكَ، مَا هُوشَ مَلِيح، هَاذِي هِي عَادَة الجُدود...مَسْلَمِينَ ومَكْتَفِينَ" لا يمكن القول بأن هذه

¹ - منديب عبد الغني، مرجع سابق، ص 49.

النصوص معزولة عن باقي المظاهر المجتمعية الأخرى مهما كانت فالنظام القيمي اعتقادي بالدرجة الأولى، يعكس جل الممارسات مهما كانت طقسية أو شعائرية.

المتون تحكي عن الصلحاء -على إختلافهم- تنقل تجربتهم إلى هنا "الآن" لتجعل منها تجربة صالحة لكل زمان ومكان، يقدم إيميل درمينغيم في كتابه "الأولياء في الإسلام المغربي" نموذج خاص يُعنى باستمرارية المقدس بحيث يميز بين نوعين من الصلحاء "الجديون" والآخرين الصلحاء "الفلكلوريون" الشعيون ذوو الصبغة الفلكلورية؛ أفاد بأن للدين تجسيدات وتجليات، المقدس أحدها، يتميز بالاستمرارية، له تظاهرات لغوية طقوسية، ربط بين المقدس والمكان، بين أن التصورات الاجتماعية تسعى إلى خلق أيقونات في العالم الأرضي ترمز وتعبّر عن المقدس "فالأشياء لا تستمد قداستها إلا من كونها ذات علاقة معينة مع السماء...ومن هنا وجدت بعض الأماكن التي تحمل نفحات قدسية كالأضرحة وبعض الأحجار والأشجار..."¹، وهو الدور الذي تقدمه المشافهة لمعتنيها إذ ترتبط المتون شفوية بين كل ما هو موجود لتجعل منه نظام قيم قديم متجدد مستمر مقدس.²

المتون الشفوية تعمل على تحريك كل شيء، لكل شيء دلالة، كل شيء مسكون بروح، كل شيء يتحدث،³ مثل الكهوف والينابيع ومختلف الجمادات تعبر عن المقدس الديني واستمراريته، إن الاستخدام الاجتماعي للغة يضمن للأفراد وجود قوالب لغوية يواجهون بها كل سلوك جديد غير مرغوب/مرغوب يعملون على تداولها لتعزيز نظام القيم على الرغم من أن الباحث منديب عبد الغني وصفها بأنها "استمرارية لارتوكسيات محرفة لتقليد أساسي متعاقب" إلا أنها موجودة متداولة على نطاق واسع، يمكن اخضاعها للتحليل والتأويل. تتعدد المواضيع والمتون الشفوية وتتنوع لتعبر عن تنوع أنماط الدين.

ميز جاك بيرك⁴، بين فئتين من المقدس "الأولى" المقدس المجسد "sacré figuratif" كل المعتقدات والطقوس التي ترتبط بالأولياء وأضرحتهم والثانية "المقدس غير المجسد" "sacré non figuratif" تضم الشعائر الدينية التي تمارس داخل المساجد والتي لا وجود فيها للوساطة. النصوص الشفوية تعكس كل أنواع المقدس وتقدمه لنا "كنص" لا يمكن نفيه مضافا إليه شواهد طبيعية موضوعية تدعمه.

¹ - منديب عبد الغني، مرجع سابق، ص 45-46.

² - في المقابلات نلاحظ أن الشباب يحاولون الدمج بين السير وأخبار الصلحاء وأحوالهم ومناقبتهم ثم يلجؤون إلى النص القرآني لإثبات شرعية اتباعهم وقوتهم وعلاقتهم بمن سبقهم.

³ - الملاحظ في الميدان المدروس أن الأفراد مولعون بالمتون الشفوية يؤمنون بها ويذكرون في كثير من الأحيان عبارات وقصص عن حديث الحيوانات وقصصها حتى أننا نجد عبارات مثل قالت عشبة "أنا لآلة" (اسم لعشبة تستخدم في التطيب) ليُعرّفني ما يُقُولُ لَأَ"

⁴ - منديب عبد الغني، مرجع سابق، ص 47.

هناك نصوص، متون، قيم تعبر عن الإيديولوجية الدينية الإصلاحية الشرقية التي اجتاحت المجتمع كـ"الوهابية" التي فرضت تصوراتها ونظرتها للعالم على الرغم من أنها مختلفة ومتصارعة مع ما هو موجود كقيم دينية تقليدية في المجتمع المحلي، فهي في -نظر الشباب- أكثر تشدداً من ما قبلها توفر نصاً شفوياً ذو نمط احتجاجي مقابل، موازي، معاكس للفهم السابق، ما يعطى منبع جديد للقيم. إذن نحن أمام نموذجين،¹ للقيم كل منها يركز على القداسة بالانتماء إلى السلف.

القيم الدينية:

يعرف غيرتس الدين على أنه: "نسق من الرموز يعمل على تأسيس طبائع ودوافع ذات سلطة، وانتشار واستمرار دائم عند الناس، عبر تشكيل تصورات حول النظام العام للوجود، مع إضفاء طابع الواقعية على التصورات بحيث تبدو هذا الطبائع والدوافع واقعية بشكل متفرد".²

أما القيم الدينية فهي إشارة إلى وجود معرفة قابلة للتداول موجودة كتصورات وتمثيلات معبر عنها باصطلاح "النظرة للكون" أي؛ "التصور العام للوجود الذي يحرك كافة الفاعلين الاجتماعيين".³ يبين المواقف تجاه الطبيعة والكون رمزياً، مدرك في اليومي من خلال اللغة/الشفوية، به تتأسس النظرة للكون وتتوحد هذه النظرة لتعبر عن العالم الاجتماعي، يعمد الفاعلون الاجتماعيون إلى إشاعته من خلال النصوص الشفوية ليتأسس كمرجعية مؤسسة للقيم الدينية مفروض على الآخرين، به تنظم الحياة اليومية. أي أننا أمام قيم مؤسسة للنظام ككل تقوم على مقولات ومعاني مثل: البركة، الشرف، المكتوب... مهيكلة من القيم الفرعية تابعة لها كالصبر، الرضي، الزهد، المحبة، الخير والشر... كلها موجودة في متون تتداول على نطاق واسع، الملاحظ أنه على الرغم من الاختلاف في الأسماء والفضاء يوجد نوع من التشابه في أشكال القصص مثل قصص الأولياء تؤسس لنظرة خاصة عن الوجود نسعى إلى تحليلها وتفسيرها بالرجوع إلى النموذج الذي قدمه الباحث منديب عبد الغني.

في بداية التحليل نستلهم تعبير-نموذج الباحث المغربي منديب الذي يرى أن "الله قوة مشاركة لا مفارقة" للتعبير عن نظرة الأفراد للكون وهو ما تدل عليه النصوص الشفوية ك: "إِذَا عَطَاكَ الْعَاطِي الْجَبَالَ تَطَاطِي" وعبارة

¹ - يقول أحد الشباب، "أحسنا كنا في ميمونة نعرف ربي وربي نعرف ميمونة حتى نخلط الحبة والله ما فهمنا وألوا، شوف وين وصلنا باغيين نخرموا علينا الطعام التعمة والله لتنجير... (ثم يستدرك) المهم واش قالوا اللولاء؟ إذا نخلطت للدين رجع للدين الأول... رجع للأصل لي كانوا عليه حدك وحدك.

² - منديب عبد الغني، مرجع سابق، ص 55.

³ - منديب عبد الغني، مرجع سابق، ص 89.

تردد دائما على السنة الشباب "الله يَسْتَرِك"، "الله يَرْزَق"، "الله يَلْطَف"، كل شيء هبة من الله أو ناتج عن "سخط" يقابل هذا التصور جملة من القيم التي تتولد عنه تتجسد في السلوك كقيمة الصبر لوجود "المكتوب" "كُلِّهَا وَمَكْتُوبُهُ" وهو ما يعطي معنى، يتبين وجود نظام للوقائع الاجتماعية ولغة متداولة عنه تؤدي وظيفة، فهي "توفر الطمأنينة لحامله" هذه الفكرة مجسدة في النصوص الشفوية يعتقد الأفراد أنها أساس للاجتماعي ككل.

"المكتوب" كمعنى يلف ويشمل كل الأفعال النشاطات التي غايتها الكسب، التحالف، إقامة علاقة، حتى لو كانت قائمة على النفع أو سعي الأفراد المتواصل لبلوغ جملة من الأهداف؛ (بما فيها اكتساب مكانات أو الحفاظ عليها) وفق وسائل محددة و"المكتوب" يتيح انبثاق أنواع متعددة من القيم تنعكس على سلوكيات الشباب عبروا عنها في المتن الذي تم جمعه مع التمييز بين "المكتوب الفردي والجماعي" وهو ما يبرر التفاوت الاجتماعي وأشكال التراتبية غير المعلنة التي تقبل على أنها أمر مسلم به "على الرغم من وجود الاستثناءات كالعبارات التالية "الحَذْرُ يَغْلِبُ الْقَضَاءُ"، "كُلُّ السَّمِينَةِ تَهْزَلُ وَالطَّائِرَةُ تَنْزَلُ وَالسُّلْطَانُ يَنْعَزَلُ" أي وجود "المكتوب" كقانون عام ووجود استثناء دوماً فالمكانات والأدوار قابلة للتغير "قانون التحول/الثبات" كل هذا يعبر عن دينامية اجتماعية مبررة دينياً؛ مرتبطة بالنظرة للكون يمكن اعتبارها كمؤسس للقيم تتميز بالمرونة وطابع التأقلم مع المواقف المستحجة لوجود تحولات مجتمعية طارئة عابرة أو مرحلية، فالتنظيم الاجتماعي يستوعبها ويتأقلم معها ليولد جملة من القيم التي لا تتأثر بالزمن والمكان (المتون تسعى للتوائم بين النظرة للكون والتحويلات-الحركية والدينامية الاجتماعية- والواقع الاجتماعي ككل).

كما أن الحراك الاجتماعي "هو سنة الله في خلقه"، الحراك والتغير برمته نابع وتابع ل"التصور للكون" فالتحول في المكانة والدور مرتبط بالمشيئة الإلهية؛ لكن منها ما يصعب تفسيره وإدراكه، "المكتوب" يعني الحصول على نتائج لتفاعلنا وفق مصير مقدر سلفاً، مما يربط الأفراد بتصورات تخلق عدد من الضوابط الأخلاقية الجماعية الملزمة للأفراد والمؤطرة للتصورات الفردية والجمعية، يبنى عليها السلوك ويقاس وفقها.

على الرغم من الإيمان ب"المكتوب" يسعى الأفراد إلى تعديل ما هو معطى مسبق من خلال التفاعل خاصة أن بعض النصوص تشيخ أن الثبات أمر غير وارد فالمكانات والأدوار متقلبة وزائلة.¹ من جهة تعمل اللغة على تعزيز ما هو موجود من فروق وتراتبية ومن جهة أخرى تبررها بتبريرات ذات طابع ديني (الجمع بين التفاوت

¹ - تجسدها الجملة التالية من المدونة التي تم جمعها: "... رَأَيْتُ نُورِيكَ يَا الْعَاقِلَ وَفَهُمْ مَعْنَايَا يَا الدُّنْيَا مَا دُونِمْشِ عَنْدَ لِي تَرْهَأَلُو."

والمساواة في آن واحد). تبرير التفاوت وإقرار مشروعية الحركة وإمكانية تغيير وتدعيم الواقع وفق المصالح - المشروعة- التي تقرها الجماعة. هذه القيم الدينية تعمل على التمييز بين الأفراد (الوصم) وهي متعالية لا يمكن نفيها.

مثال: قيمة النجاح المرتبطة بالتغير في المكانات مرتبطة بتحسين الوضع الاقتصادي،¹ والتفوق على الأقران والمعاصرين، تحقيق طفرة من خلال استغلال كل ما هو موجود ماديا ومعنويا لكن هذه التنافسية ليست "محمومة" بل مرتبطة بمبادئ قيمة قاهرة فالنجاح مولد للتنافس لكنه لا يتعارض مع قيم التضامن التي يقرها المجتمع، يلزم بها الأفراد يتجلى هذا في السلوكيات التي لا زالت موجودة على قلتها ك "التوزيع، التوزيع" وكل أشكال الأخرى التي تتساند معها مثل: الاعتراف بالتفاوت في المكانة الناتج عن تفسيرات دينية كمكانة "الشرف" وعدم الاعتراف بالتفاوت الناتج عن مراكمة الثروة لأنه أمر ممكن لكل الناس وهذه الأخيرة قابلة للتغير الزوال والفناء على عكس الأولى وعبارة "الشريف شريف، والزرتيف زرتيف" تدل على ذلك؛ هذه الأفكار تؤسس لنظام القيم الذي يفرض نوع من العلاقات مع الآخرين مما يضمن وجود نوع من التعهدات معهم لا يسهل تجاوزها في التعاملات اليومية والآخر هو الذي يعطي مفهومها ويشيعها وفق معنى محدد لدى الجماعة ككل يلعب الدين ونمط التدين دور الحامي-الغطاء الكلي للقيم.

وظيفة القيم الدينية العمل على دمج "ايتوس" على الطباع والدوافع وتكوين نظرة عن العالم الاجتماعي، البحث في القيم الدينية يستهدف بلوغ أهداف منها معرفة وإدراك استعمالها كأشكال رمزية. من هنا يتجه البحث إلى الاهتمام "بالنصوص الشفوية المؤسسة التي تبين تحول الشخصيات إلى أسطورية يخلدها المخيال شفويا، تؤسس لفكرة النموذج. كما طرح السابق لا يمكن تحليله ولا يمكن الوصول إلى المعنى إلا من خلال تناول ما هو موجود مثل "البركة، الشرف".

يملك الناس "الشرف" ولهم القدرة على منح "البركة" بنفس الطريقة التي يحصل بها الناس على القوة والشجاعة أو الجمال أو غيره من الصفات الموروثة، تصدر "البركة" عن الانحدار النسبي من الرسول...² لذلك على الأشخاص المنحدرين عن هذا الأصل إمتلاك قيم محددة قد لا يشتركون مع غيرهم بها وهو ما توضحه المتون

¹ - الغاية من هذه الفكرة الربط بين القيم الدينية والقيم الاقتصادية وتبيان أثرها ودورها في الاجتماعي وضمان نقل تفسيرات المبحوثين كما هي أي الاهتمام بالتأويلات كما قدمت في الميدان.

² - منديب عبد الغني، مرجع سابق، ص 59.

الشفوية. لكن الملاحظ أيضا أن القيم الدينية موجهة للسلوك، على الرغم من كثافتها إلا أننا نصطدم مع واقعية الفكرة التي تعبر عن وجود انفصال بين أشكال الحياة الدينية وجوهر الحياة اليومية. عدم تطبيق القيم الدينية كما هي في الشأن اليومي كما وردت عن المؤسس الأول (لأنها مثالية). إذن نحن أمام نموذج قيمي ونماذج أخرى قد تتعارض مع بعضها، الملاحظ أن لكل سلوك/ممارسة دينية نصوص تدعمها.

القيم الدينية، الدين، الشفوية:

دراسة اللغة الشفوية تبين وجود قيم مركزية تعمل كنماذج منطقية مقبولة تخلق معرفة مسلم بما يعبر عنها كمقولات لا تقبل الرفض والنقاش إلا نادرا، لأنها مبادئ قَبَلِيَّة متوارثة على الرغم من طابعها الجدلي والإزدواجي المرتبط أساسا بالتصورات والمواقف الاجتماعية. الشفوية تجمع بين جوانب عدة، تقدم نفسها للباحث الأنثروبولوجي على أنها كل مكون من الإبداعي/الفني، المنطقي، الخيالي والأسطوري، كتعبير رمزي مولد لنظام قيمي (نظام لغوي/تصورات قيمية يضمن سلم قيم متعارف عليه).

يمكن التمييز في الشفوية بين الجانب الاستعارات الكنائي والوصفي. فالنصوص تعمل وفق وظيفة وكوسيلة أو أداة لتبليغ القيم، تبعا للحاجة، لضمان وجود اعتقاد موحد، ذو غاية في البنية الاجتماعية لا يتوان الفاعلون عن إشاعته والحرص على تداوله حتى يكتسب تاريخانية مؤسسة لجملة من السلوكيات. فكل شيء مقدس بداية بالكلمة ووصولاً إلى الاسم، المكان وكل شيء "جوهري أي شيء يمكن معرفته من اسمه، الاسم والجوهر يحلان علاقة ضرورية وداخلية في ما بينهما، إن الاسم لا يدل على الشيء فحسب بل هو جوهر الشيء فعلا، وعلى أن قدرة الشيء الفعلي تكمن في اسمه... هي افتراض أساسي لشعور صنع الأسطورة...¹ لا تكف المتون عن ذكر الأسماء المؤسسين من الأولياء والصلحاء بل تخلدها لنجد أنها موجودة فعلا على مستوى الحكيم وعلى مستوى نظام النسبة والتصنيف (تسمية الأعلام مثلا وتسمية الأحفاد بنفس التسمية، لا يعرفون إلا بها... أولاد سيدي فلان... منطقة سيدي فلان).

أنثروبولوجيا يمكن القول بوجود علاقة ضمنية أو صريحة بين القيم، السلوك من جهة والدين والشفوية من جهة أخرى لوجود نوع من "التبجيل" الأسطوري للشخصيات والأحداث التي يتم سردها دوماً وتكرار سردها

¹ - كاسير ارنتس: "اللغة والأسطورة"، ترجمة سعيد الغانمي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات، 2009، ص 22.

(آنيا وزمانيا) لكن ما هو ملاحظ وجود تاريخ،¹ محلى أسطوري تم تحويله أضاف له المرددون للمتن جانب خيالي، خرافي له علاقة بالتدين الشعبي يصعب إغفاله لأنه منبع للكثير من القيم السلوكية على الرغم من أن القائم على الإرسال الشفوي لا يراعي معقولية الأحداث التي يرويها لكنها على الرغم من هذا تبقى مقبولة مفهومة للجماعة اللغوية التي تتداولها.

"...يسعى المنتج أو المردد للمتن إلى "التعبير" عن حدث ذاتي وموضوعي، أي عن العالم "الداخلي" والعالم "الخارجي"... فيغير من الأحداث إلى درجة تحويلها إلى أسطورة...".² الأسطورة واللغة والفن، يتم اختزالها جميعا إلى نوع من الخيال، خيال يزكي نفسه من طريق جدواه الاستعمالية.² الشفويات مقولات ثابتة تعبر عن الوجود الفعلي وعن عوالم خاصة عوالم روحية مولدة لقوانين سلوكية، تميل إلى إثبات حقائق وخبرات نابغة من التجربة الإنسانية، تجربة الفاعل الديني (مثل الولي).

يجب مراعاة التصور الأسطوري والمقابلات التي يخلقها، لأنها بالحصلة قيمة على علاقة بالسلوك الديني. هي ذات وظيفة تمييزية من خلال الشفوية يرسم حد فاصل بين "الأشياء، الأفعال"، تبني التصورات الدينية نظام القيم وتدعمه وتنتج النصوص، البحث في القيم السلوكية في التقليد الشفوي محاولة لمعرفة كيفية تكون مثل هذه الأفكار بل بالدرجة الأولى إشارة إلى معانيها ووظائفها؟

البحث محاولة للوصول إلى أسس ملموسة لتأويلات والتفسيرات سنستعرضها تباعا ضمن هذا الفصل. الملاحظ في الميدان أن التدين يعمل على خلق مجال مقدس فلكل نشاط وتفاعل إنساني نشاط تديني مرتبط بتصورات معينة (مثل فكرة أن لكل شيء راعيه)،³ وعليه يجب القيام بجملة من الأفعال الطقوسية لإرضاء الراعي لهذا النشاط لكي يتحقق ما هو مرغوب، وما هو مرجوا كالرزق والبركة وطرد السوء والشر، يجب تلقين الآخرين قصص وحكايات عن هذا "الرامي، الراعي" والتمسك بنمط من السلوك، تحكي المتون عن أفراد استهانوا بهذا "الرامي" تعرضوا للعقاب بل تتناول شخصيات استعانت به وصل إلى تحقيق غاياتها (مثل القصيدة التي تخلد مساعدة ولي صالح لرجل من المغرب -المراكشي- وقصة انقراض طفل من بئر عند ذكر اسم الولي والاستعانة به).

¹ - ينطبق الأمر على قصص الكرامات وقصص المتعلقة بالسلف كما تروى محليا، ارجع إلى الملاحق.

² - ارنيس كاسير: مرجع سابق، ص29.

³ - لكل شيء راعيه الذي تقدم له الطقوس وجملة من الأفعال ويتم تجنب بعض السلوكيات في أوقات محددة، مثلا شَيْخُ الكَأْتُونِ، صَاحِبُ العَيْبَةِ، المُوْمِنِينَ سَكَّانَ الدَّارِ... إلخ والقيام ببعض السلوكيات قد يعضبهم ويجر النعمة على البيت وأهله، تخلد النصوص الشفوية المتوارثة أحداث ووقائع تمت لهذه الفكرة بعلاقة وهي مجال خصص للتحليل.

من خلال تحليل المتن الشفوي يمكن القول بأن الأفراد المردددين للمتن يؤمنون بفكرة تجلّي ما هو متعالّي وغير مدرك مع إمكانية تدخل عناصر وفاعلين لإنقاذ من مواقف معينة. على الرغم من أن الأحداث كانت في زمن أسطوري إلا أن تفسيراتها "هنا الآن" لا ينفصل عنها، كل هذا على الرغم من عدم وجود علاقة اعتبارية بين الأحداث والتفسيرات التي يعطيها الفاعلون؛ تعمل النصوص الشفوية كمبررات للتصورات، كمنع للقيم (مثلاً: لا وجود لعلاقة منطقية بين التداوي بالطقوس والمرض إلا أن الشفوية تعمل كوسيط للتفسير والتبرير) نلتصق الدور التأليفي للشفوي بحيث يألّف بين الواقعة الجزئية وعالم التصورات والتمثيلات ليعطيها دلالة ويربطها بتفسيرات ومواضيع أخرى دينية اجتماعية وبسياق تاريخي، (لا يمكن أن تكتسب معنى إلا إذا أُرجمت للماضي). يرتبط السياق "الآن" بجملة من الحوادث تعطيها دلالة أي أن الواقع غير منفصل عن الماضي. (إعطاء دلالة تاريخية للوقائع لأن كل شيء تم البوح به من طرف الفاعل التاريخي) أي ربطه بجملة من الأفكار والمعاني تعجل باستسلام الذوات الاجتماعية لها. فكل أمر وحدث خارج عن التجربة الاعتيادية المشتركة يربط القيم، السلوك بالأسطورة-الدين ويقدم من خلال الشفوية على أنه تعبير منطقي. حتى وسائل وتكنولوجيات الاتصال والتغيرات قد تحدث عنها المنتج للمتن الشفوي في القرون السابقة "ماهم في الخيوط وهدرتهم في الخيوط"

يجب الانتقال من الوظيفة التعيينية للغة الشفوية إلى الوظيفة التعبيرية والعكس، لوجود علاقة بين الجانب الظاهري التعبيري الانفعالي والجانب الخفي المنطقي، أي أن "...الانعقاد الذي يتحول به الصوت من نطق انفعالي إلى نطق تعييني"¹ يجعل من المرسل إليه يقبل هذا التعيين كحقيقة وحوادث أي كمنطق معمم على الجماعة ككل يفرض من خلال التنشئة على الأفراد مما يولد قيم متجذرة توجه السلوكيات.

كل شيء نتاج لحظة معينة، القيم تدين بوجودها إلى مواقف ملموسة، تعمل على خلق أشكال لغوية تعبر عن ما هو قانون متسامي متعالّي تجعل اللغة منه قابل للتكرار دوماً عبر استدعائه شفويًا وفي مناسبات معهودة (تنوب النصوص الشفوية عن الحدث الرئيس الماضي الذي لن يتكرر كفعل إلا من خلالها كحدث مؤسس لا كحدث عابر) تفرض حوله هالة من التبجيل والمعقولة، تضفي عليه سلطة وموضوعية (دون مراعاة الاستحالة والإمكان الذي طالما يتم استدعائهما لتفنيده الكثير من الأفعال التي تنقلها لنا الشفوية) الأفعال اللغوية/الشفوية في نظر الشباب مخلدة للأفعال الحقيقية الماضية، "... أن تحافظ على ذكرى ما،² وما كانت تعنيه في الأصل، أي

¹ - ارنست كاسير: اللغة والأسطورة، مرجع سابق، ص72.

² - ذكرى الحدث، ذكرى تدمير الأرض واستصلاحها من طرف الفاعل الديني، حماية هذا الفاعل لأتباعه وأولاده وللنطاق الجغرافي من كل الأخطار وفي كل المواقف تتلاشى هذه الأحداث وتعوضها القصص الحكايات والشواهد المادية اليوم.

الخلاص من الخوف، تحقيق رغبة أو أمل، تستمر وتبقى طويلا بعد أن تضمحل تلك الذكرى حتى تتلاشى نهائيا.¹ لكن المتن يعوضها اليوم، تعاش على أنها حقيقية، ما يجعل من اللغة تعبر عن ما هو موجود وما هو غير موجود هنا الآن سواء كان مدرك أو متوقع، يمكن أن يوجد كالحارق والعجيب تعطيه دلالة وتلحقه بالواقع كحدث ممكن الوقوع كحدث موضوعي ومعقول يجمع الواقعي والأسطوري والحارق والعجيب والممكن وغير الممكن. بناء عالم شفوي أسطوري مرتبط بما هو موجود في المجال المحلي، متعلق بجل النشاطات التي يدخل فيها الأفراد، وفي الأخير يمكن القول أن هذه السيرورة تتولد لتلبية وظيفية محضة،² أو لغاية مهمة، تعبر الشفوية عنها، تعوض التجارب الأصلية وتنقلها من الواقعية إلى الأسطورية، وتثبت في الوعي الفردي والجمعي وتعطيه دلالة دينية لاحقا.

بالرجوع إلى الميدان يتبين الفصل الواضح بين قيم تنتمي إلى نمط من التدين-الشعبي وأخرى تنتمي إلى نمط التدين-العالم مع إمكانية إرجاعها إلى صبغة تاريخية داخل الحقل الديني لكل منها مقولاته ودوره ووظيفته، كلاهما خاضعان للطلب الاجتماعي يفرضان نوع من القيم سنستعرض معناها تباعا مع توضيح علاقتها بالجسد، الفضاء والمؤسسات التي تنشر التدين ضمن العلاقة التالية تدين/قيم سلوكية/شفوي. الملاحظ كذلك انحصار الإيمان بالجانب التدين العالم دون التدين الشعبي -نسبيا- وانحصار الجانب الطقسي لصالح التدين العالم؛ لا يمكن أن يقصي أحدهما الآخر مثلا نلاحظ أن الأفراد ينتقون معاني قريبة من السلوكيات ترتبط بالدين والتدين وهي موجودة في السير قصص الأولياء وتجاربهم الغنية بالقيم التالية:

قيمة الإخلاص (تنفي الكذب، الوفاء بالعهد، الخداع؛ "وَصَلَ الكَذَابَ لِبَابِ الدَّارِ... الكَذْبَ عَلْتَهُ القَبَالَ" حسن الخلق "إلى نَاطَلِكْ مَنْ بلاصَة تُوضَلَه مَنْ زُوج" ثم ينتقل الأفراد مباشرة إلى سلوكيات أخرى مثل العبادة "حَلِيمَة تَعْرِف رَبِّي وَرَبِّي يَعْرِف حَلِيمَة، يَشْهَد نَهَار الرَعْد، صَلَاة القِيَاد زَرَدَات وَعِيَاد" الرحمة "الشفقة على المؤمن رحمة" كل هذا لتنامي "الفردانية" ليتحول التدين إلى مسألة شخصية، تتساند النصوص لتعبر عن صورة سيفسائية ازدواجية لواقع القيم؛ لا تنفصل عن قيم مركزية مثل قيمة الطاعة "الكبير كبير، تعيا العين تكبر ويحي الحجاب فوقها" يقابلها طاعة مؤقتة مناسبة للكبير الأب فقط وليس الجدد المؤسس.

¹ - كاسير ارنتس اللغة والأسطورة: مرجع سابق، ص73... هذه الفكرة مقتبسة للتعبير عن علاقة الشفوية الاسطورة والدين إلا أن كاسير يستخدمها في سياق مغاير لما هي عليه في متن البحث.

² - يمكن القول أن النصوص الشفوية تجعل من النشاطات مرتبطة بطقوس محددة لكل منها كيفية وطريقة كالفلاحة ونشاطات الفلاح والزرع مرتبطة بطقوس معينة وكذلك الزمن ودوره مرتبطة بالشفوي ومثله المناسبات كالناير مرتبطة بالنص الشفوي يضاف إليها النصوص التي تحكي عن الزعماء والصالحاء والأولياء (قصص الكرامات) تعبر عن الجانب الأسطوري-الديني.

لكن في المقابل نحن أمام قيمة "الإيمان" كظاهرة تاريخية ناتجة عن حدث مؤسس على علاقة بقيم أخرى مثل؛ قيمة الطهارة، قيمة حب العطاء، قيمة الصبر "لي ما غضبش حمار وكي ما رضاش شيطان" قيمة العدل، قيمة الأمانة، قيمة الاحتشام والحياء، قيمة التواضع "سيد الناس خديمهم"، قيمة المحبة، كلها متضمنة في النص القرآني وهي موجودة في المتن على علاقة بالاجتماعي مثلاً:

آداب السلوك (الاستئذان، الطعام والشراب، في الطريق -"الله ينعَل قاطع الطريق يأو لو كان بالطعام" السلوك، الضيافة "الضيف تربه وغربه إذا هدر كذبه..." آداب السلوك في المجلس، اللباس والزينة. كلها تعبر عن ارتباط المتن الشفوي بالمتون الوثوقية.

من خلال الربط بين القيم/سلوك/ تدين شفوي يتبين مبدأ يؤسس للواقع الاجتماعي كنظام خاص ومن خلال البحث عن القيم الدينية في الشفوي يتبين علاقتها بنمط التدين ككل (كل نفي لقيم دينية في الشفوي يعبر عن تأكيدات لقيم أخرى داخل نفس الحقل، لتبنى مسلمات قيمية جديدة وتصورات جديدة، تفرض نوع من الالتزام القيمي/الديني الجديد داخل نفس الحقل.

قوة الكلمة المولدة النظام القيم:

لا تفيدينا الشخصيات الدينية من حيث التجلي أو التخيل إلا بالقدر الذي تستخدم في اللغة لبث جملة من القيم لدى المتلقين لأنها ذات دلالة اجتماعية فقط، إن الحكيم للسير والمناقب ولأحداث يعتبر كنوع من التجديد للخطاب القيمي، يلقي رفضاً من الاتجاه "الإصلاحية" لا يمكن نفي وجود شفويات موازية مؤسسة لنظام من القيم موازي، هذا يعبر استعدادات كامنة أو معلنة، فالباحث نور الدين طوالي يؤكد أنه: "يوجد استعداد للتقوى من جهة وأسبقية عائلية في القدسية... الشرفاء رصد إليهم الإسلام التقليدي قيمة كبيرة، إن المقدس في الإسلام الانتقالي وراثي، له أيضاً ارستقراطية فالشرفاء أصفياء الله أبعد عنهم القذارة وطهرهم كلياً، فهم كائنات خاصة، البعض منهم يأتي أعمالاً تعتبر معجزات؛ قد تأتي صفة الولي مقرونة بـ "الشريف" والحديث عن أحدهم يعنى الآخر (المجرد من هذه الصفة) يعتبر كلاهما من سلالة مشهورة.¹ لهم القدرة على التلطف بالكلمة التي تضمن البركة والشفاء ولهم قصص تعبر عن انتمائهم ودورهم لحماية المقدس الديني، إن منظومة القيم قمعية إذ أنها تبرز كنموذج وحيد للشرعية تزود الأفراد بالتمثلات، فالأفراد غير الخاضعين لها يعتبرون فاقدين للهوية فاقدين للقيم التي تغيب

¹ - طوالي نور الدين: "الدين والطقوس والتغيرات"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، منشورات عويدات بيروت، 1988. ص 140-141.

في حالة غياب الأصل. لهذا ينصح دوما بعدم انتقادهم بعبارات "مَا تَطْعَنَش، مَا تَقُولَش، رُدْ بَالِكْ مَنْ سُوْق الرِّيح... وَاحِدَ السَّيِّدِ فِي الْوَعْدَةِ لِي فَآتَتْ خَوْن، كَذَب، مَا احْتَرَمَش سَيِّدَهُ قَرِيبَ مَات..."

من خلال المعطيات الميدانية يتبين أن اللغة تحوي عدة مستويات لكل منها قوة خاصة مميزة لها، لها القدرة على العلاج، القدرة على خلق الألفة، القدرة على رَأْب الصدع الذي يشوب العلاقات الاجتماعية، أما الأخرى فهي الكلام العادي -المستوى اللغوي العادي- أي أن الممارسات اللغوية خاضعة لمقاييس وللذوق العام بحيث تغدوا الشفوية أو فعل الكلام مشروط بشروط خاصة. تلمسنا من خلال المتن والمقابلات وجود حرس على الممارسات اللغوية يتجلى ذلك من خلال القوالب التالية:

"الكلام/الحديث قياس فيه الفضة وفيه النحاس"، "الكلام الحلو يغدى مع الدية"، "لا تسرح قبل ما تلجم وعقد عقدة صحيحة خمم قبل ما تتكلم لا تصرالك فضيحة"، "...كول الحديث... لي يعرف لغة الطير يجيبه وينبيه ويجده نهار الصيادة ولي ما يعرف لغة الطير يدبر عظامو كدادة¹..." " لكن الأمر يتجاوز هذا في بعض الأحيان فالكلمة المنجزة بإمكانها أن تحدد مكانات وأدوار الفاعلين في لحظة التلفظ بها، كما أن هناك قدرة الفائقة للكلمة فهي تعطي الشفاء أو الشقاء الأبدى.

يعتبر أرنست كاسير أن هناك علاقة: "ورباط أصلي بين الوعي اللغوي والوعي الأسطوري-الديني فجميع البنى اللفظية تبدو أيضا ككيانات أسطورية، أصبغت عليها قوى أسطورية معينة؛ الواقع أن الكلمة تصبح نوعا من القوة الأولية، التي يتولد فيها الوجود بأسره والفعل برمته...²، ينطبق الأمر على القدرة القوية للكلمة على العلاج وهي متوارثة كسر-قوة الشفوي الأسطورية- لها القدرة على الوصم وتثبيت خصائص لا يمكن انتزاعها وقيم ترافق الأفراد والسلالات التي تليهم مثل القصة التالية التي وردت عن شاب "أحد الأشخاص كان يشكك في مصداقية ما قيل وما فعله الولي الصالح، نصحه "المقدم" لكنه لم يتوقف عن إشاعة أفكاره، لذلك توجه "المقدم" إلى الضريح الذي يبعد عن مكان الإقامة حوالي 180 كلم، ووقف عند مدخل الضريح وقال: ياسيدي إذا خَلَيْتَهُ الضُّلُوعَ مَا تَخْلِيْلَهُشِ الْبَنَان-الذَّرِيَّةَ، وهو إلى اليوم بدون ذرية -يضيف الشاب- كُلُّ شَيْءٍ سَابِقُ كُلِّ شَيْءٍ

¹ كل الأمثال تركز على طبيعة الكلام وغاياته ووظائفه وآخر مثل يعبر عن صنفين من الناس أحدهما يعرف طريقة الكلام ويستخدمه في لحظات محددة وصنف آخر لا يعرف جوامع الكلم ويتحدث بدون مقدمات وفي كل المناسبات وهذا الصنف لا يعرف القانون المتداول الذي يراعي فيه الأفراد قانون "القمة" (آداب الحديث والجماعة).

² - كاسير ارنست: اللغة والأسطورة، مرجع سابق، ص88.

مكتوب لآزم ما نطعنوش" نلاحظ أن هناك قدر للكلمة على إلحاق الضرر والفتك على الرغم من أن الولي غير موجود اليوم إلا أنه يمكن الاستعانة به لمواجهة المد الذي ينكر وجوده وتاريخه.

الحادثة السابقة "...تضفي على الكلمة وظيفة وميزة دينية استثنائية ترفعها منذ البدء إلى العالم الديني عالم المقدس؛"¹ ارتباط الكلمة بالشخص المتلفظ بها (شريف، إمام، ولي الله أو أي شخص ذو مكانة عالية) يجعلها غير عادية وفي الميدان يمكن أن نميز بين نوعين من الألفاظ:

1. الكلمات التي نطق بها الصالحون مثل دعوة الولي الصالح سيدي خالد على سكان المنطقة "كافي ما يصدع وكفعتي ما تلدغ" وهو متلفظ أبدى لا يزول مفعوله أبدا وله من القوة ما يمكنه من الثبات مهما تغير الوقت وتبته الأحداث المعاشة. يفيد أحد الشباب "أحنا نسكنوا هنا من جد الجد وكل ما طاح واحد من الكاف يسلم وما يموتش، وعمرنا ما تلدغ واحد عندنا..." هذه المقولات عن الكلمة والفضاء المشغول تدعم مقولات أخرى عن الكلمة والتنظيم الاجتماعي أي أن الولي الصالح يمكنه ترويض المكان وساكنيه من خلالها.

2. الكلمة التي نطق بها الولي الصالح سيد الناصر على فرع من قبيلة فليته: "الله يعطيهم الحبة الحرة، والنعجة البرشة، والتلف قبل العرف" حسب المستجوبين فإن دعوته (أو ما تلفظ به الولي الصالح) لا زالت إل اليوم، ولن تفارق هذا الفرع من قبيلة فليته، يدعم أحد الشباب العبارة السابقة ب"واه هاذي حقيقة ليوم-يصحبوك بلا نية ويهجرؤك بلا سية... (أي سيئة) تلفة ياكل معاك ويهرس الزلفة... كيما قال سيدنا (اسم ولي صالح)" المهم هو أن الفاعلين الاجتماعيين يتعاملون مع هذه النصوص الشفوية على أنها محددة للمكانات الاجتماعية ومبررة للتراتبية لأنها صدرت عن أولياء الله، وهذا يبين قوة الكلمة وقدرتها لاحقا على خلق نظام قيمى تابع لها لا يزول، يطبع جل العلاقات الاجتماعية. أو كما يقول إرنست كاسيير: "...الكلمة لا تفنى وهي أول وليد للقانون الأبدى..."²

تعمل الشفويات على تعيين القيم، تتميز بالقوة -بقوة الكلمة- التي تساعد على البعث والتجديد والتحول تمنح القيم وتوزعها، فمن خلال اكتساب قيم معينة يدخل الأفراد في جماعات معينة كأعضاء ذوي مكانة ودور وتوكل لهم وظائف معينة وبه ينتهي وجودهم الشخصي ويتحول كل واحد منهم إلى فرد فاعل وعضو تحلى

¹ - كاسيير ارنست: اللغة والأسطورة، مرجع سابق، ص 89.

² - كاسيير ارنست: اللغة والأسطورة مرجع سابق، ص 93.

بجملة من القيم وتم إعادة ميلاده كعضو حامل للقيم التي يجب أن تتجسد في سلوكه العام والخاص وبهذا يشغل فضاء معين ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية ويكتسب صفة الحضور والفاعلية داخل الجماعة الدينية.

الملاحظ في الميدان أن الشباب يعتمدون على خلق/استدعاء لغة خاصة أو الاعتماد على نمط منمذج من الخطاب له دور النيابة والحيلولة مكان الأشياء، مستخدم كأسلوب للمخاطبة. الاشتغال على المتون والسلوك هو الانتقال من جمع المادة الإثنولوجية إلى توضيح ما تثيره حسب السياق لدى المتداولين لها ضمن علاقة قيمة/سلوك/شفوي وعلاقتها بأشكال التصور الديني والأسطوري.

لمقاربة القيم الدينية ومعانيها وعلاقتها بالسلوك ننطلق من الملاحظات الميدانية؛ إذ أن فئة الشباب تعترف بوجود "قوة إيجابية للكلمة"¹ تعمل كقوة دائمة-أسطورية على جلب نفع أو دفع شر؛ أي أننا أمام بحث ينتقل من التجربة الشخصية/التاريخية، التي تم نقلها وتعميمها إلى تجربة أخرى اجتماعية، بحيث يتم شحن القيم بانفعالات وعواطف لتتحول الفئات الاجتماعية ككل إلى محاولة دعم المتن بوقائع يتم ترجمتها إلى صيغ لغوية قابلة للتداول. لا تُؤخذ باعتبار ما تعنيه مباشرة لأنها متعالية على العقل ومستعصية على الفهم يتم الأخذ بها فقط والتسليم بها مما يولد نوع من السلم القيمي الذي لا يقبل النقاش والجدال يفرض نفسه كتفسير وكواقع كحقيقة على أفراد الجماعة المتداولة للنصوص الشفوية (الشفوية تعميم القيم). لا يكثر الفاعلون بواقعية الأحداث في الشفوي بل يعتبرونها كواقع مسلم به حدث فعلا، صادق إلى أبعد الحدود.

البحث هو مسح للمادة المتوفرة إذ يتبين وجود قوى استثنائية فاعلة يمكن أن تهب للأفراد الخلاص أو العكس؛ تمكنهم من بلوغ مراتب معينة لتغيير الأحداث والوقائع وهي تبين وجود قوى أسطورية موروثية (يجسدها انتقال "السر" أو "الحكمة" من الصلحاء إلى لمريدين الذين يصبحون "صلحاء" ذوي مراتب لا يستهان بها يمكن الرجوع إلى قصص الكرامات)²، التي تعبر عن أمور خارجة عن الدنيوي المألوف والاعتيادي مما يجعل من الواقع الملاحظ واقع سحري يزاوج بين تصور لغوي وتصور أسطوري يخلق وعي معين يربط الذوات الاجتماعية

¹ - في الميدان المدروس نجد قصة تجسد القوة الإيجابية للكلمة، (كان علي بن أبي طالب يرغب في الصيد لكنه عجز عن اللحاق بغزال حتى أخبر بأنه يجب أن يلفظ بالعبرة التالية "قَادِرٌ، قَادِرٌ يَا مَوْلَا عَبْدَ الْقَادِرِ" فأمسكها وعندئذ تحدث معه الغزال وقال له لم ولن تتمكن من اصطيادي لولا هذه الكلمة ولما سألت علي بن أبي طالب عن هذا الاسم أخبر بأنه عبد القادر الجيلاني وأخبر عن علمه.. مثلها مثل قصة -مُهَيَّبًا (اسم لإمرأة)- التي استغاثت بعد سقوط ابنها في بئر بذكر اسم عبد القادر فاجتمع في لحظة كل من عبد القادر الجيلاني والشيخ بوعمامة، وقصة المراكشي الذي لم يستطع الحج لكن بمساعدة الشيخ بوعمامة استطاع أداء الفريضة والرجوع في لحظات.(القصيدة موجودة في الملاحق).

² - في بعض القصص المتواترة يروى المستجوبون أن الصلحاء طلب منهم في مرحلة من المراحل الاستقلال والقيام بتأسيس طريقة خاصة في مكان خاص من طرف الشيخ صاحب الطريقة (قبل للمريد ذات يوم اذهب إلى مكان معين قبل أن يتفطن له أولاد الشيخ وقيل له أن يسرع الخطى وإن بلغ الوادي وتجاوزه يكون قد نقل معه كل العلم الذي لدى شيخه وطلب منه أن يبني زاوية جديد في مكان معلوم تكون مقابلة لزاوية الشيخ وبما أن المرادين الآخرين أقل منه علما وحرصا فأنهم لن يتحصلوا على أية مرتبة مما يجعل منهم أشخاص عاديين، على عكس المرید المتفوق الذي سيحصل على كرامات لا حدود لها...).

بالذوات الأسطورية ويعيد إنتاج نوع من القيم الدينية يؤمن بها الشباب أو يرفضونها وينتجون متون شفوية مضافة.

الشفوية هي تحويل للتجربة الماضية إلى تجربة معرفية، انفعالية إلى صوت متداول تقدم نظرة للواقع حتى وإن كانت سحرية؛ أي تحويل -التجربة- إلى شيء غريب، بل منفصل؛ مثلها مثل كل الأشكال الأسطورية بفضل هذا التحول تنقل الإنطباعات من من عالم اعتيادي، يومي، مدنس، ويرتقى بها إلى مستوى "المقدس" أي إلى عالم الدلالة الأسطورية-الدينية.

مسألة تداولية الشفوي يجعلها تتعرض أي النصوص إلى إضافات تأليفية متتالية بحيث أن كل جماعة تسبغها بمفاهيمها الخاصة وتصوراتها تحتفظ بالجوهر وتضيف وتخور حتى تحصل على المعنى المراد تبليغه أو الإخبار عنه وبالتالي الاحتفاظ به والإيمان به ليولد حقل من القيم ونظام خاص يرتبط بالسلوك.

من خلال الملاحظة ومن خلال الاستقصاءات الميدانية المكثفة يتبين أن القيم الدينية هي النصوص الشفوية المرتبطة بمفهوم الإيمان، الاهتداء، الاعتقاد؛ حول هذا العالم. تنتظم النصوص الشفوية لتبين حقائق مخرّبة خاصة تلك التي تتجاوز الإدراك العادي، إن القيم الدينية الشفوية ترتبط بالتصورات التي تجزء العالم إلى جزء المنظور والآخر غير المنظور هذا من جهة ومن جهة أخرى إلى جزء "مقدس" و"مدنس" (الإحالة إلى العالم كما هو ثم في مراحل معينة الإحالة إلى عالم غير مرئي مليء بالوسطاء كفاعلين اجتماعيين تصلنا نصوص شفوية عنهم)، تعمل النصوص أيضا كضمانة لتوفير تفسيرات منطقية عقلانية (بالنسبة لأصحابها) لتتماهي معها كل الممارسات الفردية والجمعية وتبلور سلوكيات سياقية وقواعد منشأها قيمي.

تعمل النصوص الشفوية كحامل لنمط خاص من التدين بحيث تشمل الطقوسي، الوصف للاحتفاليات ذات الطابع الديني، تخليد الزعامات الدينية كل هذا خدمة للتماسك الاجتماعي، لتحقيق نوع من الانسجام و"جمعة" الأفعال وعقلنة السلوك وتحويله إلى وظيفة ذات غاية كالتكافل وتقوية المجموعات الاجتماعية التي تبناها وتُشيعها في شكلها اللغوي الشفوي القابل للإيصال، والملاحظ أن لكل جماعة متونها -الدينية- الخاصة.

تُبين النصوص الشفوية رؤية العالم وترير الاجتماعي إذن تبرز الوظيفة الاجتماعية للنصوص كسند حامل للقيم نسعى إلى حصرها ووصفها والبحث عن المعنى منها ثم علاقتها بالسلوكيات. سنسعى إلى اختبار كل هذه الافتراضات من خلال الرجوع إلى الميداني أولا وأخيرا مع محاولة الإجابة على أسئلة ملحة، مثل وظيفة القيم الدينية

وعلاقتها بالشفوية، ألا يمكن رد الديني إلى أنه امتداد للاجتماعي للسياسي وهو تعبير عن الصراع داخل البناء الاجتماعي أو على أنه -أي القيم الدينية- تعبير عن سيرورة الغرض منها السيطرة وامتلاك سلطة وفق سياقات معينة توضحها التحليلات للنصوص الشفوية؟ (قد تتجاوز هذه الأسئلة الأهداف المسطرة للبحث إلا أنها مشروعة الهدف من هذه الأسئلة تأسيس لرؤية دينامية بعيدا عن الوظيفة أي تجاوزها كطرح) دون الخروج عن رصد الشعائر وعلاقتها بالمتون؛ "الشعائر بمثابة توجيهات للمعلومة، أو بمثابة التعبير عن رؤية للعالم."¹

النصوص الشفوية غنية بالجانب الطقوسي، تعمل الشفويات كمقولات كلمات لحفظها وإشاعتها في سياقات معينة، من خلال تحليلها تتبين طريقة فهم العالم كما أن تداولها يعبر عن سيرورة معرفية الهدف منها غرس قيم معينة لفئة معينة بهدف خلق استمرارية للاجتماعي من خلال الديني والحفاظ على التنظيم كما أريد له أن يكون.

تعبّر عن دورة الحياة وعن طقوس العبور فقصص الأولياء والصلحاء المنتشرة بكثرة تبين التحولات التي مروا بها من فئة إلى أخرى والتدرج في السن واكتساب الحكمة والولاية عن الولي كلها تعمل على تبرير التحولات في السيرة ومعها يتحول المحلي وتتحول البيئة والبنية الاجتماعية (التحولات في السيرة ليست فردية بل هي تحولات جمعية).

النصوص الشفوية غنية بالقيم وهي التي تعطي المعنى للعالم سواء كان اجتماعيا أو طبيعيا لأنها تتميز باللازمية فهي صالحة لكل زمان ومكان ومن هنا يتجلى طابعها الإلزامي. يمكن القول إن الاهتمام بثنائية الشفويات/القيم يساعد الباحث للوصول إلى:

- البناء الرمزي ومقولات لفهم
- الوصول إلى التعبير عن الحقيقة الاجتماعية من الداخل؛ كما يراها الأفراد الذين يتداولون المتن.
- الوصول إلى المبادئ التي تشرح تكوين العقائد والتصورات والتمثلات في المحلي

البحث في الشفوية هو انتقال من الوقائع والبنى والأعراف إلى السيرورات الاجتماعية التي يتولد عنها القيمي؛ تبين من خلال الشفوي أن القيم الدينية كانت نتاج تاريخية ذات صيرورة دائمة ومتواصلة، يمكن الكشف عنها إلا أن جزءا منها لا يمكن أن يتكشف من خلال اللغة بل عبر وسائط أخرى كالجسد والأشياء والجمادات،

¹ - مارك أوجيه: مرجع سابق، ص 52.

الطقوس "... ثمّة قسم واسع من الحياة الاجتماعية والسيرورات المعرفية لا يمر إذن عبر اللغة بل يصعب التعبير عنه بطريقة شفوية، والواقعة البسيطة هذه تستدعي اللجوء إلى طرق إثنوغرافية...¹ أي اللجوء إلى الوقائع الاجتماعية والممارسات التي تتقاطع مع المشافهة.

للبحث عن القيم السلوكية الدينية يجب الجمع بين النصوص المتداولة وربطها بتمظهراتها العامة كما هي ملاحظة في الميدان لأنها تبين المعنى وكيفية تأصله وتبنيه ووظيفته. أن تحليل الشفويات هو تحليل لجملة من المقولات؛ يعطينا في النهاية صورة عن العالم الاجتماعي وفهم أعمق للطقوسي ولنظام القيم.

مثلاً... "اللّعنة" ليس مجرد كلمة فهي تعتبر سببا قسديا للضرر... أو تتخذ كآلية الهجوم أو الدفاع عن الذات تتخذ في الأغلب شكلا شفويا عدوانيا مباشرا... تعتبر لعنة الآباء أخطر أشكال اللعن وأقواها، إذ لا يعادها مفعول لا يبطله سوى رضاهم... إن تداول الكلمة "قد ساهم في تدعيم سلطة الآباء على الأبناء"². حل النصوص تركز على هذه الجزئية والغاية هي خلق التزام بالقيم، الرجوع إلى القيم السلوكية الأصلية.

تخليد النصوص الشفوية الطقوس المائية والنارية، إذ نجد أسماء للأولياء على مستوى المتون مثل "الطيّار، سيدي فلان مشى على الماء" فالمشافهة مخلدة للطقوس الوقائية جالبة للبركة، تطهيرية، لها مفعول كبير؛ تُروى للآخرين على سبيل التعريف والتذكير بهدف الحفظ وتحديد الايمان، يتم تلقينها وتداولها بانتظام تتلاوم مع روايات وقصص متعلقة بالبركة كقوة مميزة للأفراد دون غيرهم. تؤسس للمعنى؛ المعنى جزء من الهيكل الداخلي للمعتقدات الدينية أي أن دور المتون على اختلافها هو تبيان أسس السلوك القيمية. يُطلب من الأفراد الالتزام بها.

من القيم الدينية إلى الوصف والمشهدية:

في هذه الجزئية نلاحظ أن تعزيز القيم يراعي استراتيجية خلق ووصف الأحداث وتصويرها كمشاهد تستخدم كوسيط للتعبير عن الاجتماعي، مثل "الطقوس الجمعية الكبرى ذات الطابع الكرنفالي... أنها ليست انعكاسا، ولا تصويرا لثقافة، بل على العكس تشكل الممارسات تتيح للثقافة أن تتولد وتتحوّل..."³، والمشهدية تعزز من المتون وتعطيها قوة اضافية وقدرة على المحاججة لدمج الأفراد في نظام القيم.

¹ - مارك أوجيه: مرجع سابق ص 56.

² - منديب عبد الغني: "الدين والمجتمع"، مرجع سابق، ص 22.

³ - مارك أوجيه: مرجع سابق، ص 58-59.

تبدى النصوص الشفوية الأحداث بشكل درامي وتحولها إلى مشاهد شبه واقعية، تعطيها معقولة صارمة لا يمكن إنكارها بالنسبة للمريدين المرددین لها بحيث تبين الكشوفات بين الشيخ الميت (في حالة الشيخ بوعمامة) والشاعر محمد بلخير على الرغم من عدم معاصرته له وعدم لقاؤه به إلا أنه يخلده في شعره لتأسيس وتحديد العلاقة بين الشيخ والمريد على الرغم من انقضاء الزمن. يفيد هذا الشاعر بأن خروجه من السجن الفرنسي كانت بمساعدة الشيخ بوعمامة يقول أحد الشباب: "...وَاهِ عَاوَنَهُ وَخَرَجَ مِنَ الْحَبْسِ وَكَانُوا الْعَسَاسَةَ مَبْلَعِينَ عَلَيْهِ سَبْعَ أَبْوَابٍ وَيَلْقَاوَهُ بَرًا حَتَّى خَرَجَهُ" يضاف إليها متون أخرى مثل النص الذي يحمل اسم "مهايا" بني بطريقة درامية تعتمد على المشهدية الماضية، إنقاذ طفل بمجرد أن استغاثت الأم قائلة: "يا سيد الشيخ" في الحين جاء الشيخ؛ سيد الشيخ المعروف ببوعمامة وأنقذه لكنه صادف أن التقى "بمولا عبد القادر الجيلاني قادمًا من بغداد" الذي يحمل نفس الاسم، فقال له سَمِي نَفْسَكَ "مَيِّزَ اسْمَكَ مِنْ اسْمِي" فسمي نفسه ببوعمامة".

يسعى الفاعلون إلى غرس القيم من خلال الشفويات، هي عملية تهدف إلى "استبطان منظم للتجربة الدينية ولنتائج هذه التجربة"، الغاية هي السمو بالنفس وتجريدها من شوائب، أي التزوات والشهوات التي تعتبر هدامة غير مقبولة أي الانتقال من الطبيعي إلى الروحي من خلال الممارسات اليومية؛ تعكس الكثير من النصوص الشفوية هذه الحقيقة، فالنصوص المنقولة إلينا والتي تبين تجارب الآخرين والتحويلات التي مروا بها من الطبيعي إلى الروحي تعكس ذلك، ما يهمنا أن هذه التجربة منقولة إلينا شفويا منتجة للقيم تلقي مقبولة لدى الشباب لأنها مؤسسة "للمنموذج القيمي" متعلق بثنائية الباطن/الظاهر، يرتبط كلاهما بجملة من التكليف، هذه السيرورة منتجة للقيم، تتجسد في النص الشفوي كأوامر ونواهي يجب أن تظهر في السلوك وخير مثال على ذلك ما نقل إلينا من شعر محمد بلخير.

كما أن الغاية والقصد من بعض المتون إصلاح النية¹/الباطن لأنها أصل السلوك/الظاهر، فهي مرتبطة بالعمل وهي إشارة إلى ارتباط الظاهر بالباطن (العمل مدرك يمثل الظاهر-النية مستبطنة تمثل الباطن) تشير إليها الكثير من النصوص على أنها غاية وهدف، حتى وإن لم يتم الاعلان عنها من طرف المنتج/المتداول. النصوص

¹ - تتحول النية في المتون إلى شخص يحمل نفس الاسم كان رفيقا للحيلة، التي تخلت عنه ومنذ تلك اللحظة اختلفت غاياتهم: النية والحيلة كانوا مسافرين، الحيلة طمعت في ربة دورو كانت عند النية، وصلوا عند حاسي (بر)، قالت الحيلة للنية، هودي جيب الماء و أنا نشدك الدرهم، خذعتا صاحب وخالته في البير حتى قريب مات... سلكوه وعاش وكسب رزق كبير، وفي وأخذ اليوم جاء الحيلة، فالولة كائن عرصة-معروف كبير دايرها وأحد... راح الحيلة لي كانت طايحة بيه للعرصة تاغ النية، النية عرف وتفكر نهارلي خلاة في البير و هجر البلاد... أما الحيلة عرفه وقاله كيفاه دزت كل هذا الرزق، قاله نهار لي خليلتي في البير سمعت اجتماع تاغ عفاريت هدرت على عشبة في بلاد بعيدة تشفي بنت السلطان المريضة رحت فلعتها وديتها للسلطان هدرتوا على كثر رحت حيت... وهكذا زوجني السلطان بنته وصبحت غني... بعد أيام راح الحيلة دخل للبير تخرن وقعد يسمع، جاو العفاريت وقالوا يا جماعة السرر راه يخرج... الكثر لي كان مخزون راح لازم نفشوا البير، نمة لقاوا الحيلة تهموه وعاقبوه بالقتل وربح فيها النية برك... ومن يومها يقولوا الناس مول النية يربح... دير النية ورفد في النية".

الشفوية تدعوا إلى صفاء النفس وترى أنها تميل إلى الشرور والغريزة الهدامة والتزوة، الغاية هي الوصول إلى الصفاء والتربية على قيم مثل الصدق؛ مجاهدة النفس؛ الثبات على سيرة معينة.¹ كما أنها تدعوا -أي النصوص- إلى الأخذ بأسباب القوة والعمل والأخلاق.

المنظومة القيمية ناتجة عن مؤسسات الدينية، فالكثير من النصوص الشفوية تحفل بذكر الكرامات على أنها "منبثقة عن الأولياء... فالدور المحوري الذي لعبه الأفراد المؤيدون بالكرامات؛ سواء في حياتهم أو مماتهم ساهمت في تتين العلاقة بين المؤسسة والمريدين-الاتباع..."² وبالتالي لا يمكن أن ننكر أن القيم منتج تاريخي مؤسسي. النصوص تؤرخ للدور البارز الذي لعبه الفاعلون الاجتماعيون خاصة بعد التحولات الكبرى؛ تصف جل أشكال التحالف (التحالفات الدموية، القبلية القائمة على العصبية) التي باركها أصحاب القوة الرمزية على اختلافهم (كأفراد أو كمؤسسات)، تبين الدور الهام الذي لعبه الفاعلون داخل البنى الاجتماعية (داخليا ترميم البناء) وخارجها (خلق تحالفات مع الآخر)، كما أنها جاءت من منتجين لا يمكن استبدالهم، ينتمون إلى "النسب الشريف المنبثق من آل البيت، بديلا عن العصبية المجردة"³؛ لهذا تم الاستعانة بالشفويات لترسيخ تاريخ للمجال الحيوي المشغول وللقوة الجديدة التي حلت به وبنظامها القيمي، القائم على الازدواجية الولاء للقبيلة والولاء للمؤسسة الدينية، انبثقت النصوص حول الشيخ، المرابط، الولي وحول الكرامات والخوارق لترسم نظام قيمي معياري حول كل السلوكيات والممارسات.

إذن نحن أمام تاريخ شفوي غير مدون في الغالب، موازي، "تاريخ كرامي؛ تحتل ضمنه سير الرموز الروحية بشخصياتها ممثلة في الأولياء حيزا كبيرا ضمن الركام الثقافي والحضاري للمجتمع ينتقل مشافهة عبر الأجيال"⁴ المتعاقبة بالمنطقة. ينظر إليهم كمؤسسين للنظام الاجتماعي الحاميين له في كل عصر، قد لعبوا دورا كبيرا من خلال ترميم البنية الاجتماعية والمحافظة عليها بخلق نظام قيمي قائم على الشرف، جل النصوص التي جمعت هي نصوص تسعى إلى تخليد ذكراهم، هي نصوص للتقدير والاحتفاء بالفاعلين الاجتماعيين وعلاقتهم بالتركيبة الاجتماعية.

¹ - مثل الأبيات التالية للشاعر محمد بلخير:

يَا بُنَادِمُ رَبِّي وَصَى عَلَيَّ الزَّكَاةَ وَالصَّلَاةَ الْحَمْسَةَ عَسَ نَفْسُكَ بِالْعَسَاسَةِ بُحَالٍ خَوْفُ التَّجْعِ الْمُنْقُورِ
يَا بُنَادِمُ تَأَمَّنِي مَوْلَاكَ يَا بَلْغَلَةَ الرَّأْدِ ذَاكَ وَالْقَبْرَ وَحَسَابَهُ يَرْحَاكَ يَا النَّائِمَ وَأَنْتَ الْمَعْرُورُ

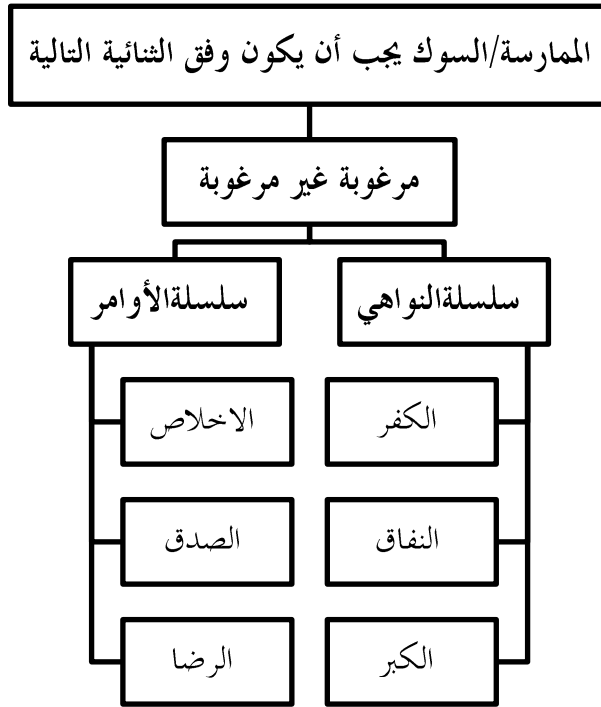
² - خالد محمد: "صيرورة الممارسة الصوفية في المخيال الاجتماعي"، أعمال الطبعة الرابعة للمتنقح الدولي، "تصوف ثقافة موسيقى"، الجزائر، عن المركز الوطني للبحث في علوم ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ (CNRPAH) 2008، ص279.

³ - خالد محمد: مرجع سابق، ص283.

⁴ - خالد محمد: مرجع سابق، ص284.

...إن حيازتهم لقيمة "الشرف" من خلال الاتصال بالرسول عليه السلام عبر سلسلة النسب، سرعان ما يربطهم بجد مؤسس للمجموعة يضاف إليهم كل من اجتمع حوله وارتبط بهم بالمصاهرة...¹، مع مرور الزمن نلاحظ ممارسات متعلقة بالاحتفاء بالجد المؤسس للتذكير بسلسلة الانتساب وتقوية التحالفات وفصلها-تميزها عن غيرها من العلاقات، كل هذا يتم وفق نظام قيمى صارم لا يمكن أن نتجاهله.

المخطط التالي بين التقابل بين القيم والممارسات كما هي موجودة في الشفويات.



الشكل رقم (15) يوضح التقابل بين القيم

تسلسل النصوص كما وردت يعبر عن وجود هذه الازدواجية الملزمة للأفراد على الرغم من أن النصوص تراثية تاريخية إلا أنها تتميز بقوة الإلزام للمنخرطين في التداول الشفوي.

تتحول النصوص الشفوية للتدليل على قيم يراد لها أن تكون موجودة مثل قيمة "الحبة" التي تشاع في القصص والسير والأحاديث عن الرباط²، المرابط، ومعناه في اللغة الملازمة ومعناه بصيغة الأمر يحتمل المحافظة والضبط، ويقصد عند أهله "تعلق القلب بشيء لشيء على وجه الحبة" لتتأسس علاقات يمكن فهمها على النحو

¹ - خالد محمد: مرجع سابق، ص286.

² - لسان العرب لأبن منظور، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، أنظر مادة ربط، رباط.

التالي: حب مذموم؛ وحب مباح؛ وحب محمود يتجلى في النصوص الشفوية؛ والمرابط والولي هو النموذج الذي تتجسد فيه المحبة المحمودة، أما محبة الغير (حب من يمكن إعالته أو من دخلنا معه في علاقة مشروعة) مباح، أما حب الشيء للجوهر الفاسد فهو مذموم، إذن النصوص تبين المحبة كقيمة/موضوع لكنها تابعة لضوابط، تأتي السير لاحقاً لتثبيتها مع جعل الفاعلين أي المرابط والولي حتى العارف والعالم في درجات متعالية؛ كمنادج يجب أن يقتدى بها، شرط أن تتعلق بقيم أخرى من قبيل "الإخلاص" و"الصدق"، هذه القيم تتبعها سلوكيات مثل "الزيارة وحضور الوعدة والجمع"، ليتحقق الوصل بين النموذج (الغائب المتمثل في الشيخ، أو من ينوب عنه) والفاعل الحاضر معنا اليوم في المعاش (ربط المرید، أو المتبني للقيم بالنموذج التاريخي¹) من هنا يمكن أن نتحدث عن جملة من الممارسات والسلوكيات يمكن معاينتها وملاحظتها وحصرها لدى بعض الشباب² في مجتمع البحث، فالسلوك الآني حسب العينة هو نتيجة تتبع سيرة السلف واستحضار لصورته وتبني لما أقره على الرغم من عدم وجوده آنياً، النصوص الشفوية تؤسس لنوع من الرابطة المقدسة خاصة أن العينة المدروسة ركزت على مبدأ "التخليّة والتخليّة" تخلية القلب وتخليته بالإيمان؛ ما يهمننا أن هذا التصور في حد ذاته مولد لجملة من القيم من خلال استحضار صورة معينة تعمل كآلية كرقيب على الآني مما يضمن ديمومة هذه القيم وديمومة سلوكيات معينة لا يمكن فهمها (معناها وشكلها) إلا من خلال ردها إلى المقدس وإلى الجماعات المنتجة لها.

فالفرد الذي يستدعي المتون المناقب والسير عن شيخه أو عن الولي المؤسس يعتقد بمبدأ "الحضور" حضور لا كخيال بل كواقع غير قابل للتكذيب، هذا الحضور هو ربط مع المؤسس المنتج للقيم التي يجب أن تسود وتظهر في السلوك اليومي؛ هذه العملية بالمعنى السوسولوجي إعادة إنتاج لنظام قيم محدد من خلال استحضار لغوي رمزي "للشيخ المؤسس" وتماهي مع سلوكه لأنه نموذج متعال. لا نسعى في هذا الفصل للحديث عن هذه العملية بل السعى لتفسيرها بردها إلى أصلها أي كما هي مفهومة من طرف المستجوبين في إطار علاقتها بالقيم/المعنى/الشكل.

¹ - الزيارة والتوجه إلى الضريح تجسدها الأبيات الشعرية التالية: لَوْ دَرَكْتَنِي شَيْءٌ زَادَ نَجِيكَ نَوْصَلُ بَقْدَامِي إِلَيْكَ نَقَابِلُ صَبَاحِكَ وَنَمَسِيكَ مَا يَكُونُ شَوْرَاكَ مَحْفُورَ

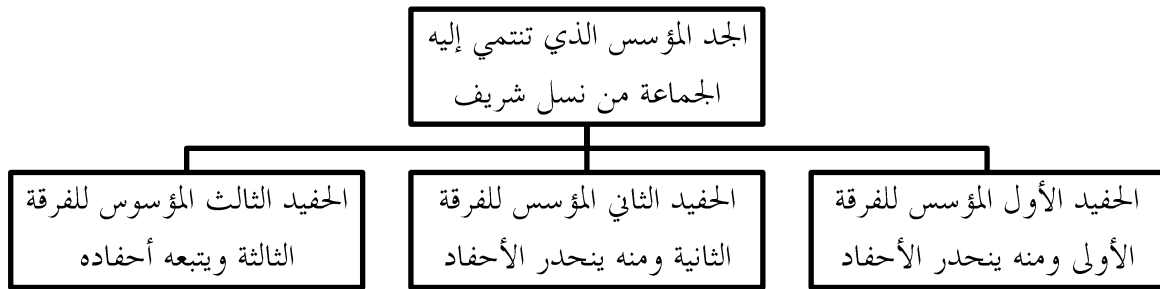
يَجُوهَ الزَّائِرِينَ مِنْ بَرِّ السُّودَانَ وَتَجِيهِ الرُّكَابِ جَاءَ مِنَ الْبُعْدَادِيِّ الْجَرِيرِيِّ وَالْمَنْبِيعِيِّ وَالْعَطْوَانِ وَأَهْلِ النَّبَةِ ذَا جَاءَ وَذَا غَادِي.

يا سَيِّدَ الشَّيْخِ حُرْمَتِكَ هَرَبْتُ إِلَيْكَ أَنِيَاً مَنْ يَفْضِدُ شَيْخٌ لَأَزْمَ تَبَانٌ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتَ رَحْلَ الْبَيْضَاءِ نَعْدَالُوا رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدٌ وَأَنَا بَاغِي زَوْرَانُوا.

² - نلاحظ أن بعض الشباب الذين يحفظون السير والمتون يترددون على الفضاءات الخاصة مثل الاجتماع الذي يسبق إقامة الوعدة (وَعَدَةُ الْخِرْفَانِ التي تسبق تاريخ الاجتماع العام)، الحضرة وغيرها من الاجتماعات، هي حكر على أحفاد الجد المؤسس فقط، وفيها يتم سرد القصص والمآثر، حضورها يعتبر كامتياز لهم (من توجه إليه الدعوة مميّزون عن غيرهم)، يعتبرونها كإعتراف ضمني بهم وبقوة الرابطة المؤسس.

الولي ينظر إليه على أنه "أب" مخلص شخص معنوي موجود، "رجل تجرد عن شهواته وعن علاقته بنفسه... وتجرد عن العالم من حوله..."¹، أي أنه أ نموذج يجب الأخذ بتجربته، إننا أمام قيم ذات صبغة دينية تنهل من المتن الشفوي، إذ أنه يضمن لها الاستمرارية (في الزمن والمكان). نحن أمام منتج لغوي وفكرة دينية تسهم في بلورة القيم السلوكية "التنظيمية" التي تحكم الممارسات وفق نموذج خاص، إن ربط المنتجين/المتداولين للشفويات بقيم المرابط، الشيخ الغاية منها تطهير المعاش الآني من "الدنس" وربط الشباب اليوم بالفضاء (القبة الضريح المكان المقدس) والأنموذج، من خلال الخطاب الشفوي يتحتم على الباحث الرجوع إلى الخصوصية الثقافية والاجتماعية التي حفظت من خلالها النصوص وبالتالي تم الحفاظ على نسق القيم والعلاقات الاجتماعية. من خلال النصوص يمكن الحديث عن "المشترك" الفردي والجمعي الذي يتجسد من خلال اعتناق القيم وإظهارها في الممارسات والمعاملات الاجتماعية كما وردت لدى المنتجين الذين يمثلون "المرجعية" وبهذا فإن جل المعاملات والتشكيلة الاجتماعية يجب أن تستجيب لنماذج "أزلية" ذات ديمومة لا يمكن فصلها عن التنظيم الاجتماعي، وهي معبرة عن التجربة.

إن فكرة الانتماء للمشترك، أو فكرة الانتماء للأصل الواحد "المؤسس الأول" لا زالت سائدة لدى الشباب المبحوث، وهي مولدة لشعور بالانتساب الديني والاجتماعي "للولي"، كما أن التشكيلة الاجتماعية ممثلة في مجموعة من الأسر يمكن ردها إلى الجد الأصلي (يمكن أن نعطيها الشكل التالي)².



الشكل رقم (16) يمثل رؤية الأفراد للانتماء المبرر من خلال المتون الشفوية.

¹ - الجندي محمد علي: "رؤية تحليلية للولاية الصوفية"، الملتقى الدولي، تصوف؛ ثقافة؛ موسيقى، 2010، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ. 2010، الطبعة الخامسة، ص220.

² - كل أفراد التشكيلة الاجتماعية ينتمون إلى الجد المشترك (هم أبناء مؤسسون للفرق). كما هو موضح في النموذج الذي تم الحصول عليه من أحد الشباب حول الإنتماء للولي الذي ينتمي إلى ادريس الأكبر ثم الإنتماء إلى آل البيت.

وهذه التشكيلة الاجتماعية مغلقة تمييزية، بحيث يمكن أن تؤسس "للأنا الجمعي" و"للآخر الغريب"، انطلاقاً من هذا التصور يرى الشباب أن القيم تتميز بالغيرية ولا يمكن "للغريب" عن هذه التشكيلة اكتساب قيم مماثلة للقيم التي انتقلت "وراثياً" إليهم بحكم الانتماء للجد المؤسس للعائلة أو العرش، بالرجوع إلى الشفويات نجد تصنيفات خاصة "بالأنا الجمعي"، وتصنيفات خاصة "بالآخر الغريب"، نجد نوع من الازدواجية القيمة.

كل ما صدر عن المنتج للقيم يعتبر كقانون ملزم للأفراد الذي ينتمون إلى التشكيلة الاجتماعية أي أنه يمكننا الحديث عن بنية اجتماعية وعن فعل تنظيمي، وعن وجود مبادئ وضوابط قيمة لا يجب أن يجحد عنها الأفراد، على اعتبار أنها مقدسة وملزمة، في جلها يمكن ردها إلى المنتجين للقيم أي الولي،¹ أو المرابط، وفي كل موقف اجتماعي يستدعي الأفراد النصوص الشفوية كمبررات أو كشواهد يجب العمل بها دوماً.

البنية أو التشكيلة الاجتماعية تدين في وجودها للأشخاص المنتجين للقيم المنتجين الروحيين، في الميدان نلاحظ صيغة التقديس للشخصيات الدينية وللزعامات من خلال حفظ مآثرهم شفويا وترديد سيرهم والعمل وفق ما أقروه، لهذا تتخذ العلاقات والتحالفات الاجتماعية طابع خاص لأنها خاضعة لمرجعية قيمة تاريخية (يقابلها نموذج آخر مبني على تقديس مشايخ الميديا-الاعلام).

لا يمكن فهم هذه السيرورة إلا بالرجوع إلى الدور الحاسم الذي لعبه "المرابط، الولي، الشرفاء، حتى الطالَب،"² داخل التنظيم الاجتماعي والمكانات التي أسندت إليهم، كفاعلين منتجين للمعايير والقيم وكقائمين على سلطة الضبط (على اعتبار أنهم يجمعون بين السلطة الروحية، الاجتماعية والسياسية)، كما أن التشكيلة الاجتماعية "وفية للنظام السلطوي العائلي الشريف" فالمنتجون للقيم وأحفادهم، هم المؤهلون للأدوار القيادية، على الرغم من أن الانتماء وهمي في تنظيم الاجتماعي مفتوح. الملاحظ وجود شدة التمسك بقيم الأسلاف والأجداد، ووجود قناعات راسخة على دلالتها الاجتماعية، مما يعطي معنى لجل الممارسات الطقسية، والشعائرية، ممارسات المتعلقة بالتكافل الاجتماعي، التعاون العفوي والرباط الدموي وعلاقات الجيرة... الخ، مما يضمن ديمومة للأفعال الاجتماعية والنظام القيمي.

¹ - الكثير من السير والنصوص الشفوية تعطي أهمية كبيرة للمنتجين لقيم ويرى كثير من المتداولين لها أن قدوم "الولي أو المرابط" كان بداية تعمير الأرض، وأن له الفضل في جمع الناس وهو من سن لهم القوانين التنظيمية، لذا لا مجال للتراجع عنها لأنها تمثل الحقيقة، لا بد من العمل بمضمونها لأنها صدرت عن شخص مقدس مته عن الخطأ (بداية التعمير والبناء والاستقرار كانت مع قدوم الولي).

² - إشارة إلى الطالب "المُشَارَطي"، الذي يستدعي من طرف الدوار للإشراف على النظام التعليمي وفق شروط محددة سلفاً، كضمان الإقامة الدائمة، ونسبة من المحاصيل الزراعية، ونسبة من كل ما له قيمة.

حافظت الكثير من التشكيلات الاجتماعية على النصوص الشفوية المتعلقة بها والتي تبين لحظات التأسيس وشرعية الانتماء للمؤسس، كما أنها ذات استخدام اجتماعي يمكن استغلالها للحفاظ على السلطة الدينية والأخلاقية وسلطتها على الذاكرة والقيم، كما أنها القائمة الوحيدة على الممارسات الدينية الشعبية الجمعية (استقبال الزائرين للولي، الوقوف على أشكال التكافل المعروفة، استغلال الوجهة لحل الصراعات الموجودة أو الممكنة، وهي التي تنظم الوعدة دورياً... تم الاعتراف بها من السلطة الرسمية... الخ) على الرغم من أن هذه النشاطات تكاد تفقد زخمها التاريخي، على الرغم من التغيرات الكبرى على المستوى الاجتماعي إلا أن هذه الممارسات لا زالت قائمة لأنها تستند لسلم من القيم لم يفقد دلالاته ولا معناه خاصة أن هذه التشكيلات الاجتماعية غير رسمية مستقلة نسبياً عن التنظيم الاجتماعي الكلي لهذا فهي تتميز بالديمومة.

التشكيلة الاجتماعية تتميز بوحدة الانتماء للجد المؤسس، ولأفرادها شعور بالانتماء للواحد هذا ما يوحد التصورات ويقوي النظام القيمي على اعتبار أنه منظم للشأن العام لا يمكن تجاوزه، تعمل الممارسات اللغوية التي تتميز بالديمومة والتكرار على ربط الأفراد بالمشارك، تعزز روح الانتماء، مثلاً من خلال الزيارات المتكررة للولي يتجدد عهد الانتماء والولاء، كما أن ترديد السير والمتون المتعلقة بهم وبما أثرهم في مناسبات متعددة هو نوع من الولاء والانتماء للقيم التي أنتجوها مما يقدم لنا فهم للديني والقيم والسلوك ككل.

إن تحليل الممارسات/القيم الدينية يمكن أن يمدنا "بمعرفة" عن المحلي ويقدم فهم لوضع خاص، يمكن أن يمدنا بمعرفة للمجتمع وللسلطة ولطبيعة التشكيلات الاجتماعية وكيفية إنتاج القيم وكيفية عملها كموجهات للسلوكيات الفردية والجمعية (لا يمكن فهم القيم إلا من خلال ربطها باللغة والممارسات التي يعتقد الأفراد أنها دينية).

النصوص الشفوية تعكس "تمجيد" المقدس والفاعلين الدينيين، وتربط الممارسة بالطقس وتوفر جملة من القيم الاستعمالية، تتطور وتكرر لوجود طلب اجتماعي حول "البركة" التي يمكن الحصول عليها بالتردد على الفضاء المقدس، فالبركة بهذا المعنى هي مصدر قوة الولي وأتباعه وحتى أحفاده، هي التي تربط التشكيلة الاجتماعية بالمؤسس الأول وتعطي الشرعية للأفعال والممارسات وتولد القيم، إن النصوص الشفوية تعبر عن نوع من الرابطة التي يجب تقويتها بالامتثال لها وبالتالي تقوية الانتماء للمشارك. تعمل المتون على تقويتها وبعثها في كل المناسبات الجمعية والعبارة.

النصوص عبارة عن قيم تنظيمية للمتداولين لها وللمنخرطين في التشكيلة الاجتماعية لأنها خطاب معياري قيمي، لأنها تفرض احترام للمقدس ولسلطة الفاعلين فيه (سواء كانوا حاضرين أو غائبين) أي الاستجابة لأوامر ونواهي المؤسس الأول كقيم مرجعية يجب طاعتها والولاء لها؛ مع إعطاء قوة للفاعل الأول "المؤسس للسلالة" قوة معنوية رمزية هي قوة "البركة القابلة للتوريث"، مما يجعل الممارسات مهما كانت مضبوطة وموجهة نابعة من روح التقديس أي إخضاع جل الممارسات إلى شكل خاص من العلاقات الاجتماعية لهذا يمكن رد النشاطات الاجتماعية كالتعاون وأشكال التضامن إلى هذا التفسير السابق، كما أن هذه النصوص التي تربط بين التشكيلة الاجتماعية والمؤسس الأول تعمل على ربط المصلحة الفردية بالمصلحة الجمعية، فالفرد هو ملك للتشكيلة الاجتماعية.

المنتجون للقيم الدينية:

أ. المنتجون للقيم من الدرجة الأولى (الولي المرابط):

الولي يتضمن معاني الحماية، الكفالة والنصرة؛ "الولي له علاقة اجتهاد في الطاعة تبوء صاحبها منزلة متميزة عند الله فكلما ازداد العبد طاعة ازداد تقربا من الله وعُرف به، هي درجة إيمانية رفيعة... يتصف الولي بكمال الأخلاق واستقامة السلوك فيصبح رمزا روحيا"¹ نموذجاً للقيم المتسامية. الولي مرتبط بالمقدس هو الذي يقف في مواجهة الدنيوي (المدنس) ودوره هو الحفاظ على النظام المادي والأخلاقي، أي أنه مقاوم لكل ما هو دنيوي (ما هو دنيوي مرتبط بقوة الشر أي الفوضى والموت كل ما هو مقدس يرتبط بعالم المثل، السمو والرفعة).

هي صفة كل من تجرد من علائق الدنيا وانقطع لعبادة الله وفني فيه وحدثت على يده الخوارق والكرامات... "من صيغة "فَعِيل" مبالغة في من الفاعل، يكون معناه من توالى طاعته من غير تحلل معصية، هو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي فلا يخلق له الخذلان إنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة،"² تحدث على يده الكرامة التي لا زالت متواترة في متون إلى اليوم ويمكن تعريفها على أنها:

¹ - بينة الجلاصي: "الأبعاد الأنثروبولوجية في تجربة الفتوة الروحية عند الأولياء الصالحين في منطقة القبائل، الطبعة الخامسة لأعمال الملتقى الدولي "تصوف؛ ثقافة؛ موسيقى" 14-16 ديسمبر 2008، من أعمال المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، تنسيق زعيم خنشلاوي، ص413.

² - دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، المجلد العاشر، دار الفكر، بيروت، ص818.

الكرامة: قد تكون إجابة لدعوى وقد تكون إظهار لطعام في أوان فاقة من غير سبب ظاهر أو حصول ماء في زمن عطش أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة أو تخليص من عدو أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة.¹ تعمل الذاكرة الجمعية على حفظ الكرامات ونسبتها للولي مع التمييز بينها وهو ما يعطي المتن قوة؛ يعتبر الفاعل كمنتج للبركة كفاعل يعطي قوة للقيم. الغاية من استدعاء المتن الخاص بالولي أو المرابط هو التدبر وأخذ العبرة (نموذج للقيم). هي ترشد الافراد إلى كيفية الوصول إلى النموذج، المتون تبين المسلك المتبع وترسم طريقا للتابعين، الولي حصل على "درجة سامية من درجات المعرفة وعاش حياة التدبر وهي درجة سامية من درجات التأمل واستغراق الذهن في التفكير."² استحضار المتن هو استحضار لصورة إلى الذهن لتكوين مجموعة أفكار حول الإنسان، الكون والحياة، أي أن الفرد من خلال "الاستحضار اللغوي للبركة والأفعال الخارقة" يدخل في حالة نفسية يشعر بمقتضاها بأنه على اتصال بمبدأ أسمى؛ لهذا فإن كل ما أنتجه أو ما تم إنتاجه يتميز بالقوة؛ الغاية من المتون الشفوية الوصول إلى السلوك/القيم النموذجي، تصفية النفس (القلب) والوصول إلى الطهارة والتجرد من الذاتية (تصفية القلب عن مواقف البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد صفات البشرية، ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة)،³ ما يهمننا هو أن عملية التردد والتكرار جزء من الاستحضار للغائب وبالتالي استحضار للمشارك؛ قيم مشتركة بين الفرد والمرجعية الغائبة التي سطرت جملة من التعاليم (الأقوال). يوصف القائم بهذا الفعل "بالسلفي" أي الشخص المقلد للعرف الذي ينتقل إليه من جيل آخر، أي الركون إلى نزعة ترمي إلى الإستمسك بالماضي مع الاعتقاد الجازم بجملة العواقب المترتبة على ترك هذا التقليد (التقليد يمكن الفرد من تمييز الخير والشر).

الغاية من المتن الرجوع إلى نسق من الرموز للدلالة على معان خاصة أو التعبير عن الحقائق ومعتقدات.⁴ للوصول إلى قيم سامية (قيمة القيم أو الغاية القصوى) مثل سلوك **التعفف**؛ أي الامتناع الاختياري عن إرضاء حاجة أو رغبة طبيعية للوصول إلى قيمة "الزهد".⁵ يقابل الولي المرابط

المرَابِطُ: هو الذي "رَابَطَ، وَاظَبَ عَلَى الْأَمْرِ وَلَازَمَهُ (كما أنهم لازموا الثغر يلزم المرید والتابع تعاليمهم) الغاية منها التماهي والالتزام والمواظبة على سلوك محدد، وتأسيس نوع من الرابطة المعنوية تضمن امتدادية القيم،

¹ - دائرة معارف القرن العشرين، مرجع سابق، ص 818.

² - المعجم الفلسفي: تصدير ابراهيم مذكور، الهيئة العامة للشئون المطابع الأميرية، مجمع اللغة العربية، مصر، 1983. ص 46.

³ - المعجم الفلسفي: تصدير ابراهيم مذكور، مرجع سابق، ص 46.

⁴ - المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 96.

⁵ - المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، الطبعة الرابعة 2004، مكتبة الشروق الدولية، مصر. ص 784.

إذا كان المرابط بمعنى "الانتظار والتحبس ويحتمل معنى الإقامة"¹ فالأفراد ملزمون أيضا بالإقامة على نهج واحد وقيم واحدة، وهو ما أفاد به الشباب في ميدان البحث.

ب. المنتجون للقيم من الدرجة الثانية (العيارين والشطار):

الشاطر هو من أعيا قومه خبثا ويوصف بالذكي الحرك الحاذق ويشتق منه الشطارة على زنة العيارة... يطلق على أفراد جانحين (هامشيين بالنسبة للنموذج الأول)؛ عرفهم المجتمع لكنهم يتميزون بروح المغامرة والاندفاع؛ غير المحسوب، مع الخفة والطرافة.² هم أقرب إلى اسم "الفتى" أي إشارة الشاب اليافع ينتمون إلى فئة اجتماعية خاصة مهنتهم "السرقه" يحترفونها يقطعون الطريق على التجار والمسافرين، تبين النصوص الشفوية أسلوبهم ونمط عيشهم وعلاقاتهم؛ وتخلد ذكراهم على أنهم عاشوا في المدن أو الأرياف، تميزوا بأخلاق خاصة تميزهم عن غيرهم من عامة الناس. هي متون تركز على بعض الشخصيات من التاريخ القريب أو البعيد مثل "بوزيان القلعي" وهي إما تدعم المتون الدينية بنفس القيم أو تؤسس لقيم محرفة، الفاعل على مستوى المتن لا ينتمي إلى الأسر الشريفة أو إلى الأصل والنسب الشريف لكنه منتج للقيم مثله مثل الولي والمرابط، لكنه أقل درجة منه، أنتجت لتعبر عن فئات هامشية اهدت إلى القيم بطريقتها الخاصة وبأسلوبها الخاص (تذكر قصصهم وتعرف بالمهملات،³ منها ما يرجع إلى العهد الاستعماري أو بدايات الاستقلال).

من خلال النصوص الشفوية نرى أن الراوي يحاول التماهي مع الديني المقدس مما يدل على تدين الراوي، أو وجود ثبات للتدين في الوسط الشعبي، أو أن الراوي المرسل أراد لها أن تكون كذلك ليقنع المتلقي، أو لتمكين المتلقي من إدراك أن هذه الظواهر توجد في بيئة إسلامية متدينة لكي يكون الدين معيارا فاصلا يحدد المكانات ويررها (شخصيات متدينة/شخصيات غير متدينة)⁴، أي فاعل يتماهي مع القيم وآخر ينكرها وينتمي إلى المدنس.

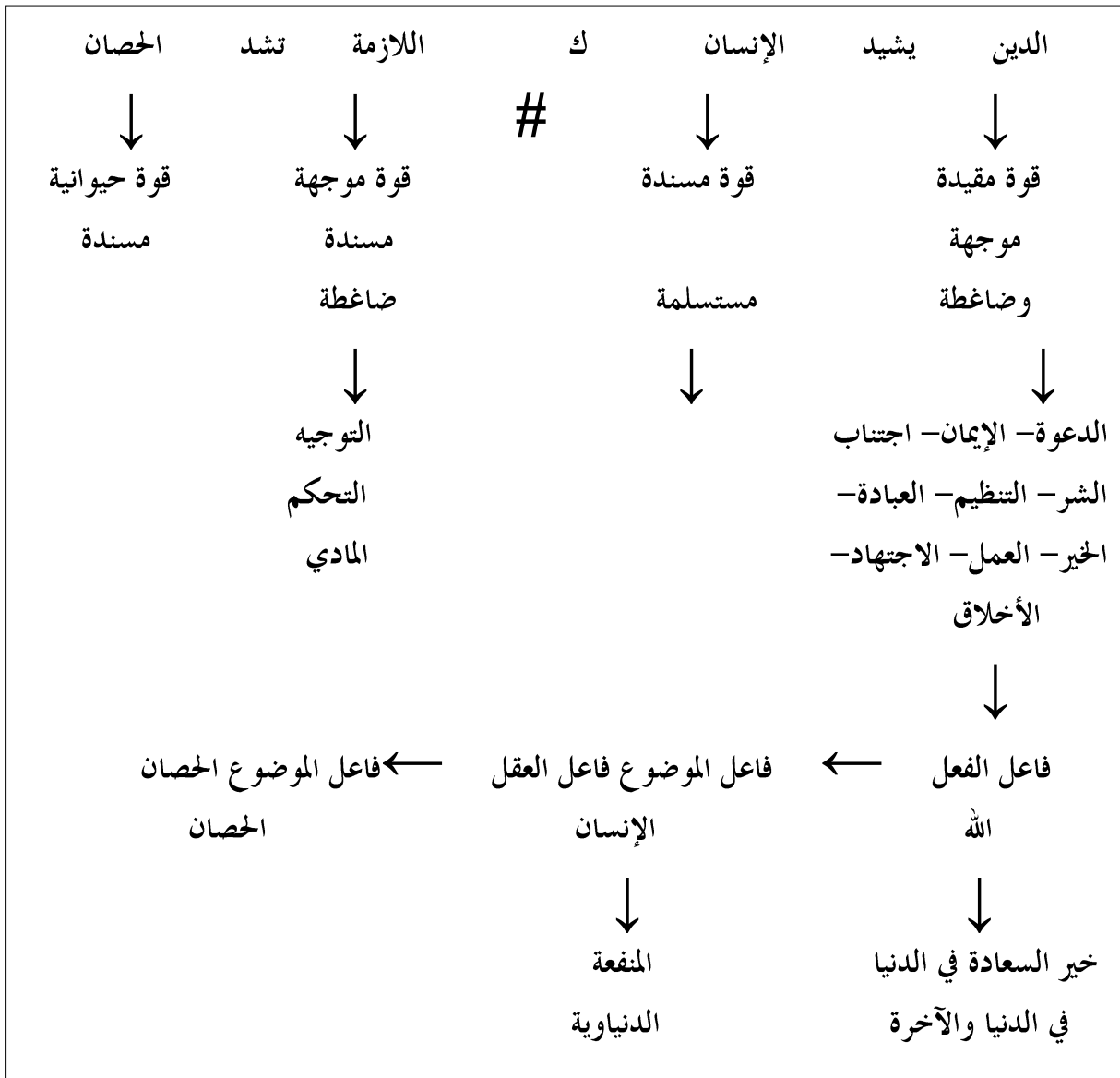
¹ - المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية مرجع سابق. ص 323-324.

² - هادي العلوي: "من قاموس التراث"، الأهالي للطباعة النشر والتوزيع، العراق، 1988، ص 115.

³ - المتون التي تتحدث عن الشطار والسراق غنية بالأسماء (الأعلام والأماكن)، تتميز بالشباب، مثلا شخص سارق حكم عليه بالنفي إلى كالدونيا تمكن من تحرير الفرنسيين من وحش عملاق في غابة كثيفة، كانت مكافئته الحرية، عاد إلى الوسط المحلي التحق بالثورة وقتل ظابط فرنسي مستعرب، تحصل على الاعتراف الاجتماعي...

⁴ - مرتاض عبد الملك: "تحليل الخطاب السردية"، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 64.

يمكن التعبير عن المثل الشعبي واحالته إلى الديني بنموذج الذي وضعه الباحث سعيدي محمد¹.



(شكل رقم 17) يمثل إحالة المتن اللغوي إلى الديني.

القيم الدينية العصرية/القديمة:

نلاحظ في الميدان وجود نماذج مغايرة للنموذج السابق لهذا يجب تبني اتجاه تحليبي للمقاربة للوصول إلى معاني القيم الدينية ودلالاتها من خلال الخطاب الشفوي وشكل السلوك تجاهها، سلوك الشباب الذي يتميز بالتعدد كنتيجة لتعدد القيم.

¹ - سعيدي محمد: البنية الايقاعية، مرجع سابق، ص 89.

إن التحليل يقود إلى: البحث في الدلالات النصوص الشفوية وعلاقتها بالواقع أي الممارسات الدينية، وتجاوز المعيارية إلى الواقع المعاش، إن هذه النصوص تبدوا متعارضة ومتقابلة على شكل ثنائيات وفق مرجعية محددة سلفاً مثل: صوفية/سلفية¹ كل منها منتجة لشفويات خاصة بها وبنمط من التدين يتماشى مع نظام قيمي ومرجعية محددة لكنها كنصوص لا تكاد تخرج عن إعطاء معنى للعالم بل وإعطاء معنى للخلاص Le salut.

عل الرغم من أنها مؤسسة ومؤسسة على نظام قيمي وعلى الرغم من أنها توصف بالحدثة والجددة إلا أنها ذات معالم مستقرة يمكن أن تحصر وتخضع للدراسة؛ لأنها متكررة ثابتة نسبياً يمكن إحصاءها ومعابنتها.

في مقابل النموذج القيمي التاريخي نجد أن الشباب ينتمون إلى نظام قيمي صنعه مشايخ جدد لا يمتون بصلة للمقدس في شكله التقليدي، أي وجود نموذج مرجعي حديث، فيه المشايخ قرييون من النجوم أي أنهم صناعة إعلامية من الفضائيات لهم من الشعبية ما يمكنهم من أن يكونوا مرجعية قيمية، خاصة أن خطابهم نقدي احتجاجي ذو نمط "إصلاح" (هذا ما أكدته بعض الشباب)؛ اتجاه يركز على العديد من الأفكار والقيم كالوسطية، الاعتدال، العودة للتراث وللعصر الذهبي عصر السلف الصالح، قائمة على فاعلين جدد لا يمتون بصلة للمحلي (الدعاة الجدد، نمط تدين، متدينون جدد...يقابله جسد جديد وشفويات ساخرة) وهو ما يربط الشباب بالنصوص المكتوبة (النصوص مثل القرآن السنة، قصص الصحابة والتابعين...الخ) أكثر من المتون الشفوية.

الشباب ورفض القيم الدينية التقليدية:

"اختار بعض الشباب أن ينفصل عن كل الآباء، (الأب الأسري، الثقافي، السياسي، التربوي) انفصال...هجر أو هجرة للنسق برمته؛² يمكن الحديث عن فكرة "المرور الاجتماعي" فالشباب يحاول تأكيد الذات من خلال التحرر من النعوت والصفات التبخيسية وإشارات التصغير من الآخرين الأوصياء، لكن هذا النشاط الاحتجاجي يصطدم بالموثوثات والتمثلات الاجتماعية الموجودة على مستوى اللاوعي الجمعي. يحاول الشباب الحصول على الاستقلالية والخروج من تحت ظل السلطة الأبوية بل من كل أشكال السلطة — من

¹ - إن النصوص الشفوية المنتقات من ميدان الدراسة لا تكاد تخلوا من هذه الثنائية بل تعبر عنها واعكسها، محاولة الفاعلين خلق فرق في نمط التدين يقودهم إلى تبني نظام قيمي محدد، وبالتالي إنتاج شفويات مناسبة له ومبادئ تتماشى مع هذا النمط، فالصوفية تكاد قصصهم لا تخلوا من مبدأ التحلية والتحليلة، والسلفية-نقصد بها نمط تديني سلوكي ذو اتجاه الإصلاح-ي- لهم قصص وشفويات مثل قصة المنبع والأصل وهي تقوم على مبادئ كمبدأ التصفية والتربية.

² - العطري عبد الرحيم: "سوسيولوجيا الشباب المغربي؛ جدل الادمج والتهميش"، طوب بريس، المغرب 2004، ص 05.

تجلياتها المتعددة في المجتمع-والوصاية عليه مهما كانت، أي محاربة ومقاومة آليات المجتمع كإعادة الإنتاج الأفراد نفس الأفراد (مقاومة التدجين الاجتماعي).

هذه المقاومة قد تتجلى في تبني نظام قيمي خاص (القيم الاستهلاكية) تبني "الموضة" كنشاط احتجاجي وكرهان متجدد يعول عليه لخلق فروق واضحة بين جيل ما قبل وما بعد، يترسخ بالتدرج كثقافة معبرة عن الشباب موجودة يمكن إدراكها من خلال تحليل "اليومي" يضاف إليها أفكار قد لا يعترف الشباب بالسلف، والمؤسس الأول، بل بفكرة الاختلاف المشروع وبالتالي الابتعاد عن كل ما هو ماضي والتمسك بالآني المتجدد (الموضة، الفهم الديني)¹.

فكرة الرفض تعني التزوع إلى فكرة الاختلاف والتمايز وتبني فكرة الغيرية، تبني بعض القيم البعيدة كل البعد عن المحلي تفرض على الجسد، تبني نمط سلوكي عام مشترك بين فئة الشباب لا أساس له؛ ليس له سند ومرر تراجعى إلى الماضي، نمط حديث، عصري كليا مؤسس لنظام قيمي جديد ناتج عن الفردانية، تغير أنماط الاستهلاك والانقطاع عن الفضاءات المحلية.

جزء من المتن الشفوي يعبر عن وجود صراع اجتماعي أي صراع مقولات، الملاحظ أن هناك رفض للسلطة

فالسطة الممتدة في الزمن قد انقضت وحلت محلها سلطات موازية أو معارضة ولم يعد الأفراد-الشباب مرتبطين كليا بالسلطة الزمنية كسلطة متجذرة بل توجد أخرى ولكل منها قيمها وسلمها القيمي ولها من المقبولية ما يجعل من النسق الاجتماعي يحوي صراع قيمي قديم وآخر جديد.

يجرى استثمار المقدس في شكله الجديد الذي يتبع فاعلين (أيقونات الميديا) من طرف الأفراد للإقحام جملة من القيم تتجاوز الزمن المعاش، لها ما يبررها لكن هل مازال هذا الاستخدام يسهم في إنتاج القيم المسيطرة على الحقل الاجتماعي ككل؟ هل الربط بين القيم ونمط التدين المعبر عنه شفويا يعطيها قوة وثبات؟

هناك مزاحمون منتجون للقيم كأصحاب الحراك الاجتماعي الجديد-أو المستفيدين منه-أصحاب التجربة الجديدة المنقطعة عن المتون، تجربة شخصية منتجة للقيم يوصف الفاعلون فيها بأهم غرباء، (حتى أن بعض الشباب

¹ - مناقشة فكرة الموضة في هذا الفصل تعني أن الشباب يتبنى سلوكيات جديدة مبررة شفويا كخطاب احتجاجي لا يؤمن بالماضي بل بالمستقبل، ومن هنا يمكن القول بوجود نوع جديد من القيم مؤسس على ثقافة الاختلاف مولد لثنائيات جديدة الماضي/المستقبل. الأقدمية/الكفاءة... يمكن الرجوع إل الدراسة التي قام بها العطري عبد الرحيم حول سوسولوجيا الشباب.

يعلن أنه ينتمي إلى فئة "الغرباء" الفرقة الناجية" من يحملون منظومة قيم مغايرة لما هو معروف يضاف إليها تغير الولاءات وتغير التراتبية بشكل جذري مع الحراك الاجتماعي الذي عرفته المنطقة والجزائر ككل ثقافيا واجتماعيا وهو ما يعطي قوة للقيم الوافدة والجديدة.

يقابلها جماعات أخرى لها تصورات تحمل نفس الأفكار ظاهريا لكنها تختلف معها في المحتوى القيمي؛ كلها تحاول أن تؤسس لرؤية ميتافيزيقية-غيبية عبرنا عنها بالوعي الديني حول الوجود، و(طبيعة الأشياء ونظامها، وظيفتها) كلها تهتم بقواعد السلوك، كما أنها تضمن فكرة وجود "مثل عليا" يجب على الأفراد التماهي معها بغرض نفي الأنانية الفردية وتوجيه الأفعال نحو الغيرية الاجتماعية البناءة وهو ما تبينه كثير من النصوص الشفوية والسلوكيات داخل المجتمع المدروس كالقيم التي تنادي بالتضحية والبذل والتعاون كلها مؤسسة لنفي الذات مقابل تأسيس "للذات الجمعية" ونقطة البداية هي التماهي مع القيم الدينية وتبنيها وإشاعتها. مع دعمها بنصوص مقدسة، يقتبس منها قيم تعبر عن المثل العليا، تؤسس لاحقا "للوحدة القيمية"، ذات طابع مستمر ملزم للأفراد أعضاء الجماعة. ما يقودنا إلى البحث عن المنتجين إلى الاستثمار في النموذج الذي قدمه إرنست غلنر، على اعتبار أننا أمام تعدد المنتجين والوسطاء.

الوسطاء وتقاطب القيم السلوكية:

يتميز إرنست غلنر بين الوسطاء ذو النزعة الفقهية والوسطاء الشعبيين فهم يسهرون على "تقديم وسائل للهوية الإسلامية لرجال القبائل، الذين يتميزون بالأمية، وليس لديهم لا ذوق ولا أدوات لفهم التقوى الشرعية القائمة على النصوص،... "رجال القبائل يحتاجون إلى وساطة من قبل أشخاص بل من أشخاص "أولياء" خاصين يتسمون بالتميز لا بالمساواة، تحتاج هذه الوساطة إلى أن تكون فرصة؛ تستحق الاحتفال/الاحتفاء بما ألا تكون ذات نزعة طهورية أو فقهية... تعتمد أخلاقها على الولاء وليس على التقييد بالقواعد والقوانين."¹

أما في الأوساط الأخرى لا يمكن أن يوجد هؤلاء الوسطاء وطقوس التأكيد على الهويات والحدود؛ فالتفقه ذاتي لوجود التعلم والكتابة كمؤسسة والاعتماد على النصوصية الدينية -بطريقة مباشرة- كمنبع للقيم، فالقوانين والأحكام في هذه الحالة معدة سلفا بناء على النص المقدس الذي لا يمكن التلاعب به، ولا دخل للوسطاء فيها (استقلالية القيم عن الوسطاء وتبعتها للنص المقدس يقلل من قيمة الأشخاص "الوسطاء

¹ - غلنر إرنست: "مجتمع مسلم" ترجمة ابوبكر أحمد بقادر، دار المدار، توزيع دار اويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، ليبيا، يناير 2005، ص90.

التقليديون"). وهو ما يعطي قوة للمعايير والمثل أكثر من غيرها خارج حدود الاجتماعي فهي منزلة وأزلية، نهائية ومؤكدة، مثلا في هذا النموذج الذي يعتمد على النصوص نلاحظ رفض لتمجيد الفاعلين التاريخيين والبناء الاجتماعي "رفض لمفهوم القبيلة، الولي، المرابط، الشريف" ترى الجماعات الجديدة -النصوصيون- أنها لا تتناسب مع النصوص الدينية.

في النموذج الأول تستخدم الرمزية لإضفاء الشرعية ونزعها، تبين المتون الشفوية القدرة الخارقة للفاعل الديني مثل: القدرة على التعبئة للجماعات الحربية كثرة الأتباع المرادين والوسطاء، القدرة على تغيير الوقائع والأحداث، الفاعلون يقدمون الإحتياجات للأفراد يعملون على تلبية الطلب الاجتماعي ويسعون لتوفير تفسيرات/تأويلات منطقية مقبولة حول الديني، الاجتماعي وطبيعة العلاقات. (القدرة على الحشد؛ التي تتحدث عن قوة الثورة الشعبية)

دور الوسطاء -النموذج الأول- كنجبة لها مشروعية بحكم أنها تنتمي إلى سلالات مقدسة، يتقرر بتدريب المتدينين ونشر الوعي بينهم، وتكون حياتهم هي النموذج تعمل الذاكرة الجمعية على حفظها واستظهارها في مواقف محددة، فهم يدعون إلى قيم لالتزام، والاعتدال، ينظر إلى الدين على أنه مكمل هرمي للمجتمعات المحلية فقط؛ الفاعل يجعل من الاختلافات الاجتماعية غير موجودة ويجول الأفراد إلى زبائن يعتقدون أنهم شركاء يوفر لهم قيم التفرقة والمساواة، هم من جهة لا يشبهونه لأنه ينحدر من أصل شريف، يساوي بينهم في الحقوق والواجبات.

المتون تراعي توفير الحماسة الدينية وتوجيه الصراعات للخارج وإنهاء الحروب المتبادلة داخليا بين البنيات الانقسامية. وترديد المتن الآن بشكل استرجاعي يدم غاياتها ووظائفها، وهي منبع للقيم، لكننا أمام نموذج موازي يظهر نفسه على أنه عملية -تطهير- جديدة لعدم الالتزام بالدين وقيمه يقوده الوسطاء الجدد، القائمون على هذه التزعة يتميزون بأنهم ذوي توجه رسالي لتطبيق القيم، يرون أنها أصلية تم تحريفها لاحقا.

إذا كان دور الوسطاء من الحالة الأولى هو الصهر على توزيع الامتيازات (ينادون بالتمركز حول الولي، يرون أن القداسة وراثية) فالحالة الثانية (التمركز حول فهم النص وما تم الإجماع عليه، القداسة متعلمة) أي الإهتمام بالاتجاه الطهوري والتعبير عن دين له مظهر خارجي يلف الجسد يبرز الجماعات الدينية، على أنها متميزة (جماعة من المتدينين ذات جسد خاص -قيم جسدية)؛ وكل جماعة منهما تحتكر القداسة وتحتكر التفسيرات وقيم

خاصة وفهما محدد لترشيد السلوك ونمذجته ووضع إكراهات تقيد منه. العلاقات بين الأفراد في النموذج الأول علاقات بين شيخ/وسيط ومريرين ورسالة القيم وراثية (يقول أحد الشباب: بَكْرِي وَالْيَوْم لَأَزَم كُلِّ وَاحِدٍ يَكُونُ قَابِضٌ عَلَى شَيْخٍ؛ مَشِي كُلِّ وَاحِدٍ يَقْرَأُ فِي لُوحَتِهِ... لي دار شيخه كتابه كثر غلاطة وقل صوابه) العلاقة بين طرفين الأول الولي على اتصال دائم بالمقدس وبقية الأفراد على علاقة بالاجتماعي، الأفراد منغمسون في النشاطات اليومية يحتاجون إلى الوسيط؛ في حين أن الاتجاه الثاني يركز على إمكانية عدم وجود الوطاء والاتصال بالنص مباشرة؛ فالوسطاء إذا كان وجودهم أساسه ضمان حد أدنى من التنظيم المركزي من خلال الإرشاد والتوجيه السلوكي فإن وظيفتهم قد انتهت بانتهاء البناء الاجتماعي الانقسامى لهذا لا يحصلون اليوم على التجيل، تجيل من يقوم بهذه الممارسة لانقطاعه عن العالم والاكتفاء بهذا الدور التنظيمى ولتجربته الفريدة التي قادته إلى تملك الكرامة مما يمكنه من منح البركة. كما أن تجربته فقدت معناها لعدم وجود وساطة بين النص والأفراد وأعطت قوة للنوع الثاني من الوسطاء وللقيم التي يحملونها وهو ما تجسده القصص التالية:

القصة رقم واحد: (القصة تعبر عن النموذج الثاني النموذج الذي يعتقد أنه بدون وسطاء)

فِي وَاحِدِ الْوَقْتِ كَانَ وَاحِدَ الْوَادِ، الْمَاءُ تَأَعَهُ مَلِيحٌ لِلصَّحَّةِ، كَانَ صَافِيًا، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَقْيَسُوا النَّاسَ فِيهِ الْوَسْخَ، وَمَرَّةً عَلَى مَرَّةٍ، وَبَعْدَ وَقْتِ الْمَاءِ تَأَعَهُ حَسْرًا، وَلَا يَضُرُّ الِي يَشْرَبُهُ، جَاوَا وَحَدِينَ وَطَلَبُوا بَاهُ يَجْتَمِعُوا النَّاسَ وَيَنْقُوهُ بَصَحَ مَكَانِشَ لِي بَعَا، عَرَضُوا عَلَى النَّاسِ بَاهُ يَجِيئُوا الْمَاءَ النَّقِيَّ مِنَ الشَّلَالِ (الأصل)، وَمَا صَرَى لِي صَرَى قَرُّوا هَادُوكَ النَّاسِ بَاهُ يَرُوحُوا لِلأَصْلِ لِلشَّلَالِ وَيَشْرَبُوا وَيَجِيئُوا مَعَهُمُ الْمَاءَ، وَبَشَوِيَّةَ رَجَعَتِ لِلنَّاسِ صَحَّتَهُمْ، وَاتْفَقُوا بَاهُ يَنْقُوا الْوَادِ يَعْنِي يَصْفُوا وَيَشْرَبُوا وَيَرْجَعُوا الْمَاءَ لِأَصْلِهِ النَّقِيَّ.

عبارة التجمع في المتن تشير إلى التجمعات الدينية والماء يشير إلى الدين وأنه غارق في البدع ويجب الرجوع للأصل الأول لتنقيته والتمسك بالسلف الصالح، هذه العملية كفيلة بتنقيته. تعتمد هذه الجماعات على مبادئ ومناهج نصوية مثل "التصفية والتربية" التي تقابل في النموذج الأول "التخلية والتحلية"، وأفكار الفرق والفرقة الناجية (بطبيعة الحال الفرقة التي تتبع النص فقط) يحاول أتباعها تحويل الديني إلى شأن خاص يبدأ بالإصلاح والتخلص من "البدع" أي السلوكيات التي ليس لها أصل في النص المقدس وهو ما تبينه القصة السابقة، لهذا فعلاقة الوطاء مع الأشخاص غير موجودة كما أن الأفراد لا يعطونها اهتماما على عكس النموذج الأول

وهو ما ينعكس على مستوى القيم والممارسات في هذا النموذج تكاد تغيب جل النشاطات ذات الطابع الطقوسي.

الجماعات الموجودة في الوسط المحلي متميزة ومختلفة تنتج قيم قد تكون متباينة ومتعارضة، أحدها ذو اتجاه (إصلاحي) وآخر ذو اتجاه محافظ، وكلاهما يبقِي في مرحلة الكمون قد يتحول إلى راديكالي-متشدد إن توفرت الشروط. الجدير بالذكر أن لكل منها نفس الطريقة في إنتاج المتون الشفوية التي لا تخلوا من ذكر للفاعلين المؤسسين على أنهم رواد للإحياء الديني وهم مرجع للقيم ولهم أثر على الممارسات والسلوكيات في الفضاء الاجتماعي.

بالرجوع إلى الوضع الاجتماعي الراهن يمكن أن نلاحظ لدى الشباب وجود انتعاش والميل للنصوص- مباشرة خاصة لارتفاع المستويات التعليمية وانفتاح البناءات الاجتماعية وزوال القبيلة (زوال جغرافي، سياسي وتغير البنية الاجتماعية، ووجود وسائط جديدة مثل الفضائيات ووسائط التواصل) كل هذا عزز من التوجه نحو الفاعلين ذوي التزعة طهورية. وعزز الميل لإستهلاك متون شفوية دينية جديدة، وطلب حول المعرفة يمكن تلبيته مباشرة دون وجود وسطاء (بالقراءة وتعلم الكتابة أو التعرض لوسائط الاتصال). كما أن الخدمات التي كان يلبها هذا الأخير -الوسيط الولي والصلحاء- تتكفل بها مؤسسات أخرى قد عوضتها اليوم وسائط جديدة.¹

تعمل فئة الصلحاء والمريدين التابعين لها على إنتاج وتداول الشفويات ذات الطابع التاريخي والمناقبي التي لا تخلوا من الكرامات، وتعمل الفئة الأخرى على التشكيك في المتون أي أنها بدل أن تطرح نصوص جديدة تعمل على نقد الفئة الأولى واستغلال لغتها وقيمها وتقارنهما بفهم النص الديني المقدس لتعوضها بقيم جديدة. إن هذه الآلية تفصل تدريجياً الأفراد عن التجربة الاجتماعية التاريخية وعن الممارسات والطقوس وتجعل منهم يهتمون بالراهن فقط ويتبنون تجارب جديدة غير معهودة بعيدة عما يحاول المتن إشاعته (نحن أمام فعل ورد فعل متبادل).

كما أن هذه الفئة ترى أن إنتاج متون شفوية كان ظريفي (افتراض أن الشفويات أنتجت من متعلمين إلى أميين فقط، لظروف اجتماعية تاريخية للتقليل من قيمتها وتأثيرها، بل تتجاوز كل هذا إلى التشكيك في النسب) مثلاً: جزء من الشباب يرى أن المتون كانت تؤدي دور وهي ناتجة عن ضرف انقضى؛ تحت تأثير الصدمة

¹ - الفاعل الديني اليوم بعيد عن المحلي وهو مرتبط بوسائط وتكنولوجيات الاتصال، الفقيه الفضائي " حسب تعبير الغدامي، يعمل على تلبية الطلب الاجتماعي الديني، وهو يميل إلى النصوص وفي نفس الوقت هو بعيد عن البنية الاجتماعية وعن تجاربها ومعاشها وله تأثير على المريدين والأتباع وهو فاعل منتج للقيم.

الاستعمارية تسعى إلى إشاعة قيم الشجاعة والبطولة والتذكير بالمناقب والملاحم،¹ وهي متون تعتبر كرد فعل مقاوم للحركة التوسعية الاستعمارية ولقيمتها (كثيرا ما نجد المتون تذكرهم بالاسماء؛ ضباط فرنسيين، رتب عسكرية، صفات، جنسيات فرنسية اسبانية أوروبية) لا زالت هذه المتون موجودة مثل شعر محمد بلخير، ولخضر بلخوف وغيرهم. إن هذه الحركة المقاومة التي كانت الغاية منها رد الاعتبار للقيم المحلية والانتصار لها، كانت تمجد قادتها-الزعماء الروحيين من الصلحاء والأولياء والمرابطين لكنها بعيدة عن النص المقدس لذا يجب تجاوزها وتجاوز القيم التي تدعوا إليها (هذا حسب فئة من الشباب).

نلاحظ أن الوسطاء في النموذج الثاني ينتقدون استغلال طابع الخوارق الذي يغرق فيه المتن الشفوي (القوة المطلقة للولي، وأفعاله الخارقة، إظهارهم على أنهم منغمسون في اللهو والملذات الدنيوية)،² وتعوضه بتجربة اجتماعية متواترة موجودة في الكتب الفقهية وكتب السيرة كآلية لرفض القيم في النموذج الأول والاكتفاء بالشفويات التي لا تتعارض مع رؤيتهم، والتي تستخدم للتربية على القيم.

يشير ارنست غلنر إلى تراجع الأدوار والمكانات؛ "فإجازة مهرجان قرية والتوقيع على حدود فخذين متواظعين لقبيلة ما إنما هو عمل مناسب جدا لرجل متواضع من الصلحاء لا تتجاوز إنجازاته على الإطلاق كرامة مريديه الذين يطلبون خدماته وعونه..."³ إن هذا التراجع للنموذج التاريخي مكن للنموذج القيمي الجديد من الظهور، ظهرت المنافسة بين الفاعلين الدينيين من خلال لعبة التحديد،⁴ بين الفاعلين والتنافس المتبادل لتقديم معارف حول المقدس ونظام القيم، أي تقديم نظام معياري متماسك من خلال رعاية الأخلاق وضبط السلوكيات كل هذا لإنتاج معاني متعددة والتفاوض حولها. مثل تحديد وضبط مفهوم المحذور، الممنوع، الحدود الأخلاقية.

¹ المتون تشير إلى التجربة الماضية من خلال الأبيات التالية:

لَوْ شِئْتُمْ مَا فَعَلْ بِنِسِينِ الدِّيْوَانِ شَهَدَتْ يَوْمَ غَرِيٍّ وَاجْبَارَ قُدَيْ عِبَاوًا يَتَّبِعُوهُ بِمَحَالِ الْجَرْدَانِ لَا عِبْرَةَ لِيَهْدَا حَنَسِ الْيَهُودِيِّ.
عِبَاوًا يَحَاوُلُو يَعْطِيهِمْ لَأَمَانَ قَالَلَهُمْ يَا أَهْلَ كَمَةَ مِنَ الْبَارُودِيِّ عِبَاوًا يَحَاوُلُوهُ بِقَالَ النَّمَانَ قَالَلَهُمْ شَهَدُوا وَخُدُوا مَا عُنْدِي
وَتَصْنَتَ يَا الْعَاقِلُ نَعْطِيكَ حَكَايَا بَيْنَ مَحِي الدِّينِ طَالَ وَعَدُو وَبَطًا مِيحَالُوا رَأَيْتُ نَوْرِيكَ يَا الْعَاقِلُ وَفَهْمَ مَعْنَايَا يَا الدُّنْيَا مَا تُدَوِّمُشْ عُنْدِي لِي تَرْهَالُوا.

² - هناك العديد من الأفكار التي تم بثها من طرف النصويين على أن الفاعلين الدينيين كثيرا ما اعتنوا بالأمر الدنيوية أكثر من غيرها ولم يكن لهم من دور سوي تنظيم وتنسيق الرعي والوساطة في لحظات الصراع كما أنهم كانت لهم ممارسات قديمة مثل الادعاء بأن الخمر يتحول إلى عسل بعد أن يشرب وقد أنتجت عدة ملاحظات تعقيبية على المتون الشفوية المناقبة وهو ما مهد للقضاء على النموذج القيمي الذي يمثلونه وعزز من الاتجاهات وأماط التدن الجديدة (محاولة تحييد لهم من خلال النقد القيمي وإنتاج متون موازية خاصة أن حل مآثرهم متواترة شفاهة غير مكتوبة يمكن التشكيك فيها وإضافة حقائق لم تكن موجودة أصلا).

³ - غلنر ارنست "بمجتمع مسلم"؛ مرجع سابق، ص111.

⁴ - النموذج الأول موجود في فضاء الزاوية، الضريح وبعض الفضاءات الخاصة، النموذج الثاني يظهر في مؤسسات مثل المسجد، لعبة التحييد الغاية منها إنتاج متن مضاد للتهكم والسخرية والتقليل من قيمة الطرف الآخر.

دور الوسطاء هو محاولة لتحديد معالم المحرم والممنوع؛ الذي يعرفه سيغموند فرويد "... بأنه فعل محظور يترع إليه اللاشعور مدفوعاً بميل بالغ القوة".¹ كل من الفاعلين في النموذج الأول والثاني يحاولون توفير رؤية للكون وحشد الأتباع وصناعة القيم، أي أن هناك ميل للتصنيف وللتوجيه الأفعال والسلوكيات والفصل بين المحظور وغير المحظور منها، لكن دون وجود سبب عملي/منطقي يربط بين الفعل/السلوك والأثر المترتب عنه، يرى أصحاب النموذج الثاني (النصوصيون) أن المتون ليس لها دور مثلاً: التحريم/المنع موجود لسبب وهمي وإعتقاد الأفراد -في مجتمع البحث- بقوة الأشياء ووجود جوهر كامن هو أساس التحريم/الخطر ليس له أساس، حتى أن الأفراد لا يعرفون سبب المنع في كثير من الأحيان لأنه يعود إلى أزمنة سحيقة؛ هذه الانتقادات جزء من لعبة التحديد، لهذا في الكثير من المتون نلاحظ أن اختراق الممنوع والمحرم يترك أثراً على الفاعل لكن الواقع يثبت العكس، الغاية من المتون في هذا النموذج عملية دورها ووظيفتها ضبط السلوك والتقليل من بعض الأنشطة مثل الاتصال الجنسي وتوفير مبادئ للبناء الاجتماعي وخلق قيم للتوكيد وتحديد أشكال التضامن -المقنن- من خلال محاربة الرغبة والميل المفرط، وتوفير البدائل الجنسية الممكنة (في المتن نلاحظ أن التفضيلات الجنسية تقابل الممنوعات كبدايل)؛ كما أنه يمكن اعتبار المتن -في بعض الحالات- كإشارة إلى أفعال تعويض فهو يشير إلى الوقوع في الممنوع الانتهاك (المحرم من طرف الفاعل-البطل) ثم الندم، ثم القيام بعكس السلوك الأول والوصول إلى مرحلة التطهير، المتن يوفر مضامين ازدواجية تفصل بين نوعين من الأفعال المرغوب/الممنوع وهي لا تنكر المطالب الجنسية بل تسعى إلى تنظيمها (من خلال بدائل) وضبطها وإعطائها معاني.

كما أن -الملاحظ للمتون على تنوعها، يمكن أن يستنتج أن هناك شعور جماعي بأن الأفراد عرضة للخطر كنتيجة قيام فرد واحد بانتهاك المحظور، كنتيجة لأنانية، والإفراط في التأكيد على السلوك "الممنوع/المحظور" يلحق الضرر بكل البناء الاجتماعي؛ الغاية من إشاعة هذا التصور غرس وتعزيز قيم تجعل من الذات "مثالية" من خلال نفي الفردي ونفي الميول "الإيروسية"، لذا يجب حسب المنتجين للمتون والمرددين له استحضار معنى المحرم (والاستفادة من تجربة الوسطاء لأنها ناجحة نموذجية أي جعل التجربة التي تجسدها النصوص متعالية) أي التقيد بما قام به الفاعلون في كل السلوكيات (وجوب قمع التروات وكبت منظم للنشاطات المهددة للاجتماعي). الغاية هي توفير مستوى أدنى من المعرفة في كل مرحلة عمرية، (تهيئة للأفراد والتعريف بمعنى الخطيئة) والتعريف بشبكة العلاقات الاجتماعية وإمكانية التبادل، والتعريف بالنموذج الاجتماعي وبالاعتبارات التي يجب أن يؤخذ بها في

¹ - فرويد سيغموند: "الطوطم والطايب"، ترجمة: جورج طرابشي، الطبعة الثانية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون سنة نشر ص 48-49.

كل سلوك/فعل؛ مثل الاعتبارات الأخلاقية، الدينية والاجتماعية. الربط بين المحرم والعضوية في الجماعة (الاختيار بين الفعل والانتماء للجماعة وفق قواعدها وقيمتها) إن إنتاج المتن وتداوله تعبير عن تداول ميثاق غير رسمي لضبط السلوك.

الغاية من قيم/الدينية:

هناك نوع من المتون قد لا تدخل في مجال البحث إلا أنها شائعة في مجتمع المدروس، وهي بمثابة طقوس كلامية الغاية منها، تجنب الغضب والحصول على الفأل، تجنب العقاب، وهذا الاستخدام ظرفي موجود في فضاءات محددة لا يخرج عنها وفي مناسبات وفضاءات محددة (الضريح والممارسات الاستشفائية الطقوس الزراعية... الخ). تتوحد بعض المتون لتعبير عن العلاقات لتحافظ على الروابط العلائقية بين الأفراد في مستويات معينة (الأبعاد العلائقية بين الرجال والنساء، الكبار والصغار) المتن يميل إلى الوعظ أكثر من المنع كإستراتيجية، يحاول المنتج/أو المتداول إشاعة تحريم غير رسمي (في بعض الأحيان دون وجود نص ديني صريح). متون تحكي عن طبيعة المحيط الخارجي-الفيزيقي والقوى التي تعمل على تسييره والتي لا يمكن أن يراها الأفراد يجب عليهم التعامل معها. يمكن وضع المتون في فئات وربطها بنماذج من القيم تكون مطلوبة يدعمها النص الديني لكنها تُخدم الاجتماعي.

خلاصة:

"نلاحظ من خلال الاستخدام الاجتماعي للغة أن هناك تقابل وترجيح بين الأفعال والسلوكيات فالقوالب اللغوية تلزم الأفراد بقيم محددة وتتيح لهم فرصة الإستبدال بينها مثلا: المتون التي تعبر عن الإنتاج تزول لتظهر قيم أخرى تركز على تبادل للخدمات والفورية، تشبث بقيم كالوحدة، الاتحاد النسب الشرف الأخوة التآزر، التعاون، وقيم أخرى تدل على الانتهازية، التكيف مع الظروف، المكر والحيلة، الستر والكتمان، التلاعب والتحايل، وجميعها تتضمن الثمار الفورية."¹ "كلها تغلف بالصبغة الدينية لضمان قوة الإلتزام (لي خَلَا مِنَ الشَّرْعِ حُرْفٌ يَشْتَأَقُهُ).

الحياة في الجماعة ضرورية ومفروضة عن طريق المحيط الفيزيقي وهو ما يفرض قيم التعاون والامتثال أو التبعية الأمن والاستقرار وخطر العدوان، الغاية من التعبير عن الاجتماعي بالديني هي مجابهة المحيط الفيزيقي الخارجي وتوقع الأسوأ، لضمان التسيير والتنظيم والمراقبة لكل السلوكيات، الافتراض دوما بأن الفضاء الخارجي لا يمكن مجابهته فرديا لذا يجب التمسك بالجماعة المرجعية وبالمؤسسين والعارفين، لأنه عدواني غير مستقر لا يوفر قيم المساواة لهذا يجب إشاعة قيم التعاون وقيم أخرى مثل الحذر، الخوف "لي خَافَ سَلَمَ، الحَذَرَ غَلَبَ القَضَا...". تبرير العنف في حالات ومحاوله الوصول إلى التقليل من حدته، والتعبير عن الأمن لتوفير قيم التعاون لاحقا. الوصول إلى نمط حياة متوازن وقيم من حيث المحتوى تدعوا إلى ضرورة التكيف مع المواقف في واقع متغير غير مستقر (تقديس التصرف الذاتي في حالات كُونُكَ سَبَع، دَبْرَ زَمَانِكَ...).

¹ - فوزية شريفي بوشارب: "سيكولوجية القبل والقال، تحليل نفسي واجتماعي للممارسات اجتماعية شفوية"، دار هومة، الجزائر، 2010، ص60.

الفصل الثالث

قيم الجنوسة الجسد والجمال

تمهيد:

"لقد اهتمت الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية بالتقاليد الشفوية كما هي على حالها في المجتمعات القبلية التي تجهل الكتابة... وانعظفت نحو دراسة الأداء الشفوي بوصفه يمثل وضعاً تواصلياً خاصاً لنقل التقاليد الجماعية للمجتمعات؛"¹ لم تغفل الأبحاث عن تناول الجنوسة، الجسد وثنائية الذكورة والأنوثة. "إن التحليل الأنثروبولوجي قبل أن يكون أدبياً هو أولاً وقبل كل شيء تحليل للكلام الاجتماعي ومدونات وأساليب وأجناس،"² للوصول إلى فهم أحسن للعالم الاجتماعي والفاعلين، لهذا اتجهت الدراسات إلى الاهتمام بجوانب متعددة، وفق مستويات: التأليف، الإرسال، الأداء، والفاعلين؛ هي عبارة عن فن نسخي لها جماليته الخاصة تعبر عن وضعيات تتداخل مع المستويات السابقة. المتون هي عبارة عن لغة. اللغة هي الملكة المشاعة بين الناس... هي موضوع اجتماعي بالتعريف تتميز بالكثافة، هي نظام توارثي قابل للتحويل موجهة للاستخدام المباشر. إذا كانت لها الصفات السابقة فهي تتجاوز كل شيء حتى الكتابة لكنها تتوازي معها في بعض المحددات لتعبر عن الجسد، الجنس وما تعلق بالنوع الاجتماعي.

الشفوية مثلها مثل الكتابة؛ نتاج حركة تأملية، قابلة للاستعمال الاجتماعي وهي عبارة عن اختيار - الكاتب والمنتج للمتن الشخص العامي - للمناخ الاجتماعي الذي يوضع داخله طبيعة لغته... المناخ الاجتماعي ليس مناخ استهلاك فالكاتب والمنتج للشفويات لا يختاران الفئة الاجتماعية التي يكتبان لها والكتابة والمشافهة طريقتان للنشر والإيداع، "ما دام الكاتب قادراً على تحرير وتحويل المعطيات - تشفير وتحويل -... أي أنها حقيقة مزدوجة فهي لا تنشأ لا ريب من المجابهة بين الكاتب ومجتمعه وهي تنشأ من غاية اجتماعية"³. نفس الاستراتيجية يقوم بها المنتج للتقليد الشفوي إذ يجمع بين واقعية الأفعال ومثالية الغايات، المهم بالنسبة إليه الوصول للهدف حتى لو استعان بما هو خيالي أو غير واقعي، يعتمد القارئون عليها وحتى متداولوها إلى عرض جوهر خاص محاط بخيال وأسطورة الجماعة ومخيلها لكن دون اغفال الهدف البيداغوجي البحث، على الرغم من الزيف الظاهر والجلي إلا أن الأفراد يقبلون عليها ويصدقونها لهذا الجوهر الكامن فيها، فالمتون تستغل في التعبير عن النوع الاجتماعي، الجنوسة والجسد.

¹ - أزالدواديكرو: جان ماري سشافير: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياش، المركز الثقافي العربي، 2007، ص 549.

² - أزالدواديكرو: جان ماري سشافير، نفس المرجع السابق. ص 55.

³ - بارث رولان: الكتابة في الدرجة صفر، ترجمة محمد ندم، طبعة أولى، 2002، ص 23-24.

"إن الأدب الشعبي ليس مجرد تعبير يحتفظ به الشعب لنفسه، بل صرخة عالية تدعونا إلى أن نستمع إليها، وأن نتفهمها وأن نتعاطف معها فإذا فعلنا ذلك أمكننا أن ندعي أننا نصنع بقدراتنا شيئاً إيجابياً يسهم في الكشف عن نفسية الشعب وما يختلج فيها من آلام وآمال."¹

القيم، المشافهة والنوع الاجتماعي:

تخبرنا الأدبيات الأكاديمية والمعرفة السميولوجية بأن الجسد يعتبر نسقا تواسليا له امتداداته في كل مناحي الحياة العاطفية والعقلية والمخيلية... إنه جهاز يشتغل كسند للعيش والتواصل لإنتاج الدلالات، إنه لغة أو هو لغات لها قوانينها وأسرارها أيضا... هو المبدأ المنظم للفعل، وهو الهوية التي بها نعرف وندرك ونصنف وهو أيضا الواجبة."²

يتميز الجسد بقدرته التعبيرية والإيحائية؛ فهو منتج لدلالات غير متناهية خاضع للتشريط الاجتماعي وللتقييم جل حركاته وسكناته محسوبة "يوجد الجسد داخل عالم الأشياء وهو جزء منها لا يتميز عنها بشيء ويصبح مدرك من خلال ارتباطه بهذا الكون وهو عنصر منفعل يستوعب التقييم."³ يعبر عنه كوحدة مادية من خلال المتون الشفهية ليؤس لقيم المذكر وقيم المؤنث، البحث في معنى القيمة -محتواها- يقودنا إلى البحث في ما يريد المنتج تبليغه.

نلاحظ أن المتون الشفهية تتعالق مع العديد من المفاهيم، يسعى الفاعلون والمنتجون للشفويات/قيم إلى ضبطها مثل اللذة، كثير من النصوص ترفض ممارسات اللذة وأقصى المتع والمذات على أشكالها لأنها تضمن سعادة مؤقتة غير مكتملة تربط المتون بين اللذة والجسد/جنس لهذا فهي تنتج القيم الجسدية. تبين النصوص أن هناك سعي حثيث للبحث عن اللذة لتحقيقها وإشباعها ذاتيا لهذا يجب ترويضها.

يريد المنتج للمتن نقد العلاقات الاجتماعية ويحاول ضبط "العلاقات العابرة" خاصة أن بعض الأفراد يأنفون عن إقامة علاقات طويلة الأمد، شاقة التكاليف والتبعات، العلاقات التي تركز على الجسد، المتعة واللذة دون ما

¹ - نبيلة ابراهيم: "قصصنا من الرومنسية إلى الواقعية"، دار العودة بيروت، 1974، ص87.

² - بنكراد سعيد: "السيمياءات؛ مفاهيمها وتطبيقاتها"، الطبعة الثانية، 2005، دار الحوار للنشر والتوزيع، ص191.

³ - بنكراد سعيد، مرجع سابق ص192-193.

يليه من مسؤوليات والتزامات (كالأسرة، بيت، حياة زوجية الأطفال... الخ) أي عدم إعطاء الشرعية للعلاقات العابرة والاعتراف بشبكة علاقات واحدة عامة يجب الخضوع لها.

الجنس محرم وممنوع (تابو) وكل فرد أكان ذكر أم أنثى قد تم تنشئته حسب دور معين ومكانة معينة وكل ما يصدر عنهم متوقع؛ يظهر سلوك التحاشي بين الجنسين، والفئات العمرية ككل.¹ تحاول المتون ترسيخ كل هذه المفاهيم بالتركيز على ثنائية الذكورة/أنوثة؛ بل تتجاوزها لمناقشة الوضعيات والمكانات (مكانة الرجل ومكانة المرأة).

فالمرأة في المتون تتميز دون الرجل بمظاهر الأنوثة التي تتسم كلها بالجمال والحاذبية والعاطفة ومن الطبيعي أن تثير مظاهر الأنوثة الرغبة الجنسية لدى الرجل وتحنه على القيام بمختلف الأنماط السلوكية للاتصال بالمرأة قصد إشباع حاجته الجنسية بواسطتها -أي المرأة-² هكذا تصور اللذة لغويا يحاول المنتج تحويلها إلى غايات اجتماعية.

الشفويات غنية بالتوصيفات الجندرية التي تشير إلى الأدوار والمكانات المتعلقة بالنوع الاجتماعي، تُكوّن مقولات لعلاقات ومحيط اجتماعي يرتبط بمعرفة وفضاءات محددة، تصور يربط الأشياء بثائية الذكورة والأنوثة، الشفويات منتج خيالي يسعى إلى إشاعة معرفة؛ مروية متداولة (صناعة أحداث خيالية ذات وظيفية) يستعين بالترميز والتصوير والتحريك،³ يتخذ من الكلمة وسيلة للوصف وبالتالي يمكن إدراك أن هناك استخدام اجتماعي للتدليل على النوع الاجتماعي؛ دون الاهتمام بمعقولية الحكيم والسرد، هي قابلة للتبادل (صناعة متون قابلة للتداول ورموز قابلة لأن تكون اختزال-انعكاس للاجتماعي) وبالتالي الاشتراك في المعاني القيمة الجدلية القائمة على الذكورة والأنوثة؛ نحن أمام منظومة شفوية/قيمة معرفية، قابلة للاستهلاك كثيرة الاستخدام (تقابلات حول النوع تخيل إلى اللأنا/للآخر) ترتبط هذه المقولات بالسلطة وتوزعها، تعمل على وصف الاجتماعي والاعتقادات والتمثلات والتصورات، من خلال توريث وخلق وصناعة العجائبي القصصي المرمز، تكشف لنا المحاورات الشفوية الكثير من المعاني والقيم السلوكية اليومية والآنية، تعمل على تصوير الممكن وتجعل القيمي ضرورة إنسانية-اجتماعية؛ الشفويات كتابة للتاريخ ومحوا له في الآن ذاته، تاريخ الأفراد والجماعات وتاريخ الجنسين معا بل تاريخ الأجساد، ليتجلى كعملية منطقية هادفة بدايتها تكون بالاستعانة باللامعقول؛ للتعبير عن الجمعي، مثلا يحيل المتن

¹ - بوتقنوش مصطفى: "العائلة الجزائرية، التطور والخصائص"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص59

² - يحيوي محمد جمال: "خصائص الرجل والمرأة وشؤون الزواج والأسرة"، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2002، ص120-121.

³ - تحريك الساكن مثل وصف المرأة بعبارات كالدار والبيت، ولوصف الجمال يستعين الشباب بكلمات مثل غزالة حوته... الخ.

إلى ملكية الجسد ويعبر عنها، فصلا عن ذلك تبين المتون عدم ملكية الجسد إلا من خلال الانخراط في لعبة إستهلاك القيم، أي الانتقال من قيم جسدية طهرانية إلى قيم أخرى، خلق علاقة تباين وفروق مع الآخر تعمق الاختلافات البيولوجية، (صفة الجمال خاصة بالمرأة فهي تتحمل لكي تحلوا... توفير مقولات متداولة الغاية منها التماثل معها... لخلق اختلاف مع الرجولة) تداول معاني الجمال والتجميل لغويا لتوفير المقبولية وبالتالي تقاسم والاشترك في وصف خاص للجسد النموذج، الملاحظ أيضا وجود نوع من الاستبدال الاختصار والتخزين كآلية ميزة للمتن الشفوي، من خلال التصوير للجسد-الجنس، وحركته لوصف الهندسة الاجتماعية وضمان توازن منشود، توازن قيمي معياري نحن أمام لغة تتميز... تسلسل منطقي ولعب أسلوب يهدف إلى خلق آلية للتجنيس المتبادل بين الذكور والإناث.¹

تعمل الشفوية على التجنيس وتحويل السلوكيات إلى ممنوعات أو محرمات أو العكس تسعى إلى محو السلوك وإعادة صياغته لغويا، لتخبر عنه كواقع مطلوب من الأفراد التماثل معه غالبا ما تأتي بصيغ أمرية إرشادية، وتعمل على محو ما سواها من نصوص وتتحول إلى مرجع/أرشيف مفتوح ouvrage متداول ثابت نسبيا ترتبط بالجنس والفضاء والزمن وفق مرجعية، كما أن الشفويات إعادة استحضار تارة وتارة أخرى هي استدعاء وظيفي للتعبير عن التغيرات السلوكية المحدثة، (كانت موظفة في عصر سابق ولا زالت إلى اليوم رغم التغير وهنا المفارقة) الرجوع إلى ما قبل إلى حالة/مرحلة السلوكيات السوية الأصيلة، لتوفير نوع من القيم ثم تسويقها للاستهلاك وتعزيزها في السلوك، يسعى القارئون عليها إلى التعبير أو إلى هندسة الاجتماعي بناء توازنات، وقيم خاصة بمحيط حيوي لتولد ثنائية الخاص والعام، ونظام معرفي مختزن في المتن الشفوي.

الشفويات نظام متعاف عليه مكون من الرموز تتيح للمتداول لها مستوى من الفهم، على اعتبار وجود نوع من الاستخدام الواعي لها ولكل المتون على اختلافها، لاعتناقهم قيم وسلوكيات تعكس في مستوى السلوك. إن دراسة التعابير الضدية في المتن يكشف نوع من الازدواجية القيمية، الشفويات تعبر أحيانا عن التحول المجتمعي وتغير الفاعل التاريخي المنتج للقيم؟ لازالت المواقع مشغولة على الرغم من عدم وجود المنتج الأول للمتن ينوب عنه مرسل آخر، يستعير كل التشبيهات؛ التوريات، المجازات والكنائيات للتعبير عن الواقع المعاش والمواقف، على الرغم من أن بعض الكلمات الموجودة في المتن خرجت من الاستعمال إلا أنها لا زالت موجودة²، كما أن الملاحظ هو

¹ - خليل أحمد خليل: "علم الاجتماع وفلسفة الخيال"، دار الفكر اللبناني للطباعة النشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1996، ص 27.

² - توجد العديد من الكلمات باتت خارج الاستخدام الاجتماعي للغة لكنها متداولة في أكثر الحالات في المتن الشفوي فقط.

تعدد التوصيفات للتعبير عن النوع الاجتماعي فهي معاجم للذاكرة تحفظ الأحداث لتستعاد وتعبّر عن الآبي محاولة لإحياء المتن والقيم لصناعة تاريخ وجعله ممتدا غير منقطع، غير متجاوز، الاستعمال بغرض إحياء القيم. الغاية هي صناعة الهوية أي رسم معالم محددات هوية جنسية نوعية، من أجل تنظيم الدوافع والنشاط الجنسي (تنظيم الاجتماعي).

لا وجود للواقع-الهوية النوعية والجنوسة إلا كما يتخيلها الآخر "كول لي يعجبك وكبس ما يعجب الناس" فالقيم الجسدية عبارة عن سلوك يجب أن يراعي فيه الآخر، الآخر هو ما نطق به المجتمع واستقر كأمثال وقصص. إن المقاربة التي تعتمد على النوع الاجتماعي يمكن أن تقدم فهم للمتن على اعتبار أنه يؤسس لنظام قيم مزدوج يعتمد على ثنائية الذكورة/الأنوثة، وتختزل هذه الثنائية للتعبير مجازيا ورمزيا، في كل الشفويات نلاحظ أن المتون تجسيد لغويا مواضيع وقيم مزدوجة متقابلة خاصة إذا ما ركزنا على جزئية أن المتن منتج ذكوري تعبّر عن الأنثوي وقيمته، -انطلاقا من هذا الافتراض- تسعى الشفويات إلى تصوير لأنثى كشر يترصد بالفحولة والرجولة، على أنها جسد شبيهي جنسي فقط، مكن الرغبة والشهوة، الغاية من المتن بشكل عام صناعة هوية النوع والغاية النهائية هي ترتيب الاجتماعي؛ أي صناعة متن يراعي وصف وتحديد النشاطات الجنسية والفروق بين الجنسين، صناعة كينونة مجنسة للأفراد، استعانت باللغة لتظهر. المتون محملة بالمعاني تستخدم في الحياة اليومية، تسعى لإكساب الأفعال قيم محدد جنسية بالدرجة الأولى، لتقدم على أنها عقلانية و متماسكة إلى أبعد الحدود، خلق جنسانية تحاول أن تضبط العلاقة بين الفاعلين وتخلق مساحات اجتماعية ومقولات/قيم كالحشمة والحياء والشرف، تحدد أنماط سلوكية تفرق بينها طبيعة النشاط والقيم، كل هذه القيم مثبتة في متون يتم الاستشهاد بها.

نحن أمام مقولات مؤطرة للتجارب تحاول أن تحتوي الجنسي وتؤطره، توفر معتقدات تعبّر عن خصائص ثنائية، تعني المتون بتوضيح أنواع الرغبات الجنسية، تجعل من بعضها ممنوعا وآخر مشروعا، (الرغبة السوية وغير السوية) وصف الأنماط والممارسات ذات الطابع الجنسي إن هذا الطرح يمكننا من النظر إلى المتن على أنه خطاب متأثر بالسلطة مؤسس لأنظمة مفاهيمية شائعة، تساعد على ضبط النظام الاجتماعي، وتوفر لمتداوليها التعريفات الجوهرية لمعاني لأنثوي والذكوري، تتحول المتون إلى دليل إرشادي حول الجنس والجنسانية، تصف النشاط الجنسي ومنابعه، وكيفية التعامل مع الأنثى/ذكر وتتجاوزها للتدليل على المكانات والأدوار.

النوع الاجتماعي كقيمة مؤسسة:

تحولت العلاقات بين الجنسين إلى رابط مقدس يجب أن يراعي قواعد منطقية ثابتة، مثلاً يجب أن يتم الاختيار وفق مميزات ومحددات ومؤهلات في ضل توفر مجموعة من الخصائص التي يراها الأفراد ضرورية، يتم التركيز على المرأة؛ يجب أن تتوفر فيها مجموعة من القيم، جانب قيمي متعلق بالوظيفية وآخر متعلق بالاجتماعي، يعمل المتن على التركيز على المظاهر الجسمية الخارجية التي يجب أن لا تعبر فقط إلا على الأنثوي "الكامل"، "الزین المكمول، كل صُبع بصنعة"، تحول الخصائص إلى قيم ثابتة مع الإقرار بوجود قدر أو درجة من التفاوت النسبي، يربط المتن بين هذه المواصفات القارة والنشاطات المعتادة بالرجوع إلى المبحوثين نلاحظ على أن الاعتبارات التقييمية السابقة تمثل قواعد عامة تنطبق بالضرورة، أي أنها ليست محددات يبحث عنها مبدئياً، بل قيم راسخة مؤسسة.

إن تداول المتن يتأثر بقيم المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه الأفراد مما يخلق مفهوم الجنوسة ويعطيه معنى، (إن البحث عن المعنى وشكل السلوك هو بحث في العوامل التي تتفاعل لتحديد الخصائص العامة للذكورة والأنوثة) تربط المتن الشفوية على اختلافها بخصائص النوع الاجتماعي وبالقيم، تعزز بالسلوك القابل للملاحظة، وبالتالي يتم تبرير الأنماط السلوكية (ذكورية وأخرى أنثوية).

السلطة الأنثوية كقيمة:

"حُكم النساء"، سلطة جديدة تنبئ بها المتون ذات الطابع لاستشراقي، مثل المثل التالي: "يكثر الغلا والبلا وحُكم النساء" هي متون تعبر عن وجود استعدادات غير مسبوقه ووضعايات جديدة، ترى أننا أمام خطر داهم يتمثل في ابتعاد الطرف الآخر عن النشاطات المنزلية-العائلية والنشاطات في الفضاء الخاص والتزوع إلى الابتعاد عن الأدوار المعهودة، أي ولادة سلطة ومكانة ومركز أنثوي تنتفده الشفويات.

الشباب يعمدون إلى التركيز والاستعانة بالمتون التي تعبر عن تحول القيم والسلوكيات مثل نفي القدرة العقلية عن أحد طرفي النوع الاجتماعي؛ أي أن فقدان القدرة العقلية تعتبر قيمة ملازمة للأنثوي من خلال رد الفرق الجنسية إلى القدرة على التفكير المنطقي والعاطفي، لا إلى الفروق الفردية-البيولوجية، وهو مبرر للفصل بين الجنسين؛ وبالتالي لا يمكن أن يكتسب كلا الجنسين نفس السلطة ونفس القيم. "المرأ ماعندهاش عقل".

اهتمت المتون الشفوية بالربط بين ثنائية الجسد والعقل-كقيمة، يرى الأفراد أن هناك علاقة بين الجنوسة- النوع الاجتماعي والثنائية السابقة، لوجود الافتراض التالي: العقلانية كملكة وكقيمة تهيمن على الجسد المذكر وتغيب عن المؤنث، يرى الشباب أنها حقيقة مطلقة مجسدة اجتماعيا واقعيا تعمل الشفويات على توضيحها أو دعمها في أكثر الحالات، كما أن الاقتران بين العقل والذكورة يفضي إلى القوة الجسدية؛ والأنوثة عكس ذلك تماما.

يتم تعويض سمة العقل بسمة أخرى هي "الجسد الجميل"، فالتغيرات الشكلية مطلوبة لتحديد الجنس- النوع؛ للتفريق بشكل جلي بين الأنوثة، الذكورة، وهو ما يحاول الشباب إشاعته من خلال متون متنوعة ومختلفة، كما أن المنتج والمتداول للمتن يحاول غالبا وضع قواعد وشروط خاصة بالاستعمالات الجسد لتحقيق شروط موضوعية لتوزع الأجساد وإمكانات الاتصال أو عدمها تربط الممارسة العادية بالقيم لتوفير معايير انتقائية، لتنظيم الشأن اليومي.

البحث في القيم هو بحث في ممارسات الفاعلين، وملابسات المعاش اليومي، رصد كيفية اشتغال القيم وعلاقتها بالسلوك ذلك بالرجوع إلى رصد أشكال الواقع والتوقف عند هذه الثنائية لمحاولة الفهم والإحاطة بالاجتماعي والمعاني التي يعطيها الأفراد للممارسات من خلال لعبة المشافهة أي اللغة المتداولة لدى الشباب. لذلك يجب مساءلة المتن/القيم والاقتراب من السلوكيات كما هي موجودة معبر عنها. أي الاهتمام بالراهن لكن بالرجوع إلى التاريخي الذي لم ينقطع كما أنه مصدر مساعد على تفسير القيم، القيم كمعرفة وكمؤسس لنظام السلطة (في أشكالها البسيطة). الانطلاقة من خلال تفكيك المتن وربطه بالراهن التاريخي والفضاء الذي يتداول فيه لفهم النوع الاجتماعي/الجسد (فهم العلاقات المؤسسة على أنها غير منفصلة عن نظام القيم مكونة من محتوى معرفي يعكس في اللغة وفي الاجتماعي)، لهذا توجه البحث إلى الجسد لا كمعطى بيولوجي بل كمعطى ثقافي اجتماعي تعبر عنه اللغة-المتن الشفوي.

إن المتن في إطار علاقته بالجسد-القيمة-يمكن أن يقودنا إلى فهم التجارب التي تسعى إلى تطويع الجسد- وتحويله إلى ذات إلى جسد اجتماعي يتماهي مع القيم-المعايير، لتحقيق في النهاية مبدأ الامتثال الجسدي، إن القيم الجسدية الموجودة في المتن ذات معاني محددة لا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى الوظيفية؛ فوظيفة المتن وضع شروط للجسد للتحكم به وتوجيهه، وإبعاده عن الشهوة والرغبة والدوافع. لتحقيق التماثل بين الذات-الفرد والاجتماعي

تقدم المتون تجارب تعبر عن وضعيات للجسد وكيفية السيطرة عليه للوصول إلى التوازن (صنع عالم من القيم من خلال صناعة فضائل ومفاهيم كالاعتدال) أي صناعة نظام متحكم به.

لذا ترتبط القيم بالجسد لصناعة مفاهيم موجودة باليومي، تشاع من خلال المتن (المتعة-الشهوة، الطهرانية التزهد) وكلها عبارة عن قيم ذات معاني ترتبط بالجسد، يتبعها بالضرورة مجموعة من الأشكال السلوكية، فقصص الكرامة -النسوية- تؤسس لنوع خاص من الجسد له علاقة خاصة أيضا بالاجتماعي وقصص البطولة الأنثوية تؤسس لنوع آخر بينما تسعى نصوص شفوية أخرى إلى صناعة أجساد أخرى الغاية منها تحديد توز السلطة (اتجاهها وعلى من يجب أن تقع).

تحدث المتون عن "العناية بالجسد" ووظيفية الجسد الذي يجب أن يسخر لخدمة الاجتماعي، إذن نلاحظ أن هناك نوع من تجريد اللغوي يعبر عن الذات والقيم الخاصة ليعاد دمجها في المحيط الاجتماعي هذا يبرر وجود متون تركز على تهذيب السلوكيات والأنشطة الجنسية وتنظيم العلاقات الاجتماعية بناء على الفصل بين الأجساد.

إن البحث عن معاني القيم يقودنا إلى الجذور المؤسسة لها، فوجود الجسد هو وجود اجتماعي، مؤسس على كينونة وهوية لا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى الماضي للفهم "لأن"، الأفراد (أي الشباب) لا يكفون عن الرجوع إليه في تأويلاتهم وتحليلاتهم ومبرراتهم لاستخدام المتن الشفوي كعرفة، إن البحث في هذا الاتجاه يوصلنا إلى فكرة النماذج الجسدية التي تحدد النمط السلوكي. هذا النمط يتبع أشكال السلطة الموجودة.

المتن يشيع القيم التي تستند للسلطة التي تخرق كل شيء... أصبحت السلطة تحاصر حياتنا اليومية وجوانبتنا وفرديتنا أكثر فأكثر، فأمست تخرق الأفراد وتظهر عبرهم، فالمعرفة نفسها أضحت تفرض نفسها على الأفراد منشئة بذلك تأويلات وقوالب جاهزة، مقننة، منظمة للذوات الراغبة...¹

إن المتن يؤسس للعلاقة بين الجسد من جهة والسلطة ومن جهة أخرى من أجل ضبط حاجاته/دوافعه الممكنة، الجسد يجب أن يخضع في الأخير للاجتماعي ويتوافق معه، كما أن أثر السلطة يولد نوع من المقاومة لتظهر في الأخير أجساد أخرى مفارقة، الغاية هي دمج الأفراد في هويات معترف بها في الأخير.

¹ - موسى حسين: "ميشال فوكو الفرد والمجتمع"، المكتبة الفلسفية، دار التنوير للطباعة النشر والتوزيع، تونس، 2009، ص12.

استخدام المتن يبين أن الجسد خاضع لاستراتيجيات الترشيد من خلال خلق قيم يجب أن تظهر وتطبع على الجسد اليومي، يمكن أن نلاحظ أن الاجتماعي يتجلى لغويا-من خلال المتن-يسعى إلى إشاعة جسد وطابع جمالي أي جسد نموذج لا يخرج عن السلطة التي تسعى إلى ترشيد المتعة واللذة.

تمنح المتن أهمية للحياة الخاصة (الفضاء الخاص) ووضعيات الأجساد فيها، أي أنها تعمل على تبرير أسس تنظيمها وتحويلها إلى مرجع يجب أن تتماثل معه كل الأجساد، تؤسس لمؤشرات يُقِيمُ بها السلوك/الجسدي ككل. إن اللغة المتداولة تعبر عن الكيفية التي يجب أن يقدم بها الأفراد أنفسهم كأجساد اجتماعية، بأن لا يزيد الاهتمام بالذات عن الحد المسموح به، مثلا مطلوب من المرأة أن تكون جميلة داخل فضاء محدد، أن تكون مثل الغزالة لزوجها فقط، بالتماهي مع النماذج الجسدية المقترحة من خلال المتن فقط (دون الخروج عنها).

الجسد يمكن أن يعكس المكانات والمترلة الاجتماعية، وهو ما يرر العناية بالأجساد، ويحولها من أجساد غير متجانسة إلى أجساد تتماشى مع القيم المثلى؛ الملاحظ أن المتن يشير إلى العلاقات بين الجسد وكيف يمكن أن تؤسس لمفهوم "الخلاص" وتؤسس للجسد التعبدي الزهدي الديني. كما أنها تبين أنه يجب إقصاء/إحفاء الجسد للوصول إلى الدرجات العرفانية وتكوين ذات أخرى "ذات دينية". أي أنها عبارة عن تجارب تحول الجسد من مدنس إلى جسد آخر، نلاحظ إعطاء أسماء تحقيرية للجسد مثل "الخَشَبَة...". لخروجه عن المعايير المعمول بها أو كنتيجة لعدم الاعتناء به، كما أن الشفويات تسعى للمبالغة في اظهار قيم مثل الزهد عند وصف الأولياء وأجسادهم ولباسهم، النموذج الناجح هو الذي يتحكم بذاته وفق النموذج الاجتماعي.

إن القيم داخل المتن الشفوي لها غاية توجيهية للسلوك نحو غايات اجتماعية، لذا تربط القيم بمجموعة من الممارسات والأفعال الجسدية، تتوجه الشفويات إلى بناء قواعد معروضة ومشاعة في متناول الأفراد، عبارة عن مبادئ، خطاب يحاول أن يعبر عن الرغبة-الشهوة؛ الأهواء لكنه يتناول بالدرجة الأولى الجسد، يحاول أن يعرض تجاربه على شكل محكي أو على شكل قوالب لغوية موجزة مثل الأمثال تُرغب في الزهد والاعتدال في الرغبات وطلب الملذات.

إن حركة الفاعلين في المتن الشفوي هي عبارة عن توصيات للأفراد لتذكير بما قام به الفاعلون كيف تمت السيطرة على الجسد وكيف تم ترويضه (هي عبارة عن رؤى دينية) ...هي جزء من نظام تربوي لازال قائما. يعمل على ترويض الجسد، وتقنين حركاته ووضعياته أي إخضاعه لقيم كالطهارة؛ التي تتعارض مع الرغبة الجنسية

المفرطة؛ ونجد في المتن الديني الربط بينها وبين الغواية، لذا فالفاعل على مستوى المتن يسعى إلى إخضاع جسده لسلوكيات؛ أي إزماله بالسيطرة عليه؛ "...فالباحث عن الرقي في مقامات التصوف، يجب أن يعمل على تخليص نفسه من الماديات وشؤون الدنيا.. وكان الزهد والتقشف ترجمة لهذه الرؤية..."¹ التي يحاول المتن الساقها بالجسد.

إن كثافة الأفعال وكثرة المتون التي تتحدث عن الجنس؛ جنسانية والجسد جسدية لا يبررها إلا الاعتبارات التالية؛ تكثيف الأفعال الضابطة للسلوك من خلال تكثيف المتون والإرساليات وتبادلية اللغة ذات وظيفية فهي تركز عنايتها بالأجساد والغاية في المرحلة الأولى هي الإرشاد والتوجيه ثم في مرحلة ثانية؛ لاحقا؛ تركز على السيطرة والإخضاع، من أجل تنظيم علاقات الأفراد وممارساتهم، ثم توجيههم نحو وظائف اجتماعية تكاملية.

بما أن هناك علاقة بين الجسد والإفصاح؛ بما أنه جزء مصغر لأننا يتم إخضاعه، تغيير ما يمكن أن يفصح عنه بالرجوع إلى تقنيات يحددها الاجتماعي، من خلال اللغة الشفوية. إن المتن على اعتبار أنه تاريخي أو على الأقل يعتبر منبع مؤسس لتقنيات الجسد وأشكال السلوك يشيع القيم ويحاول الإحاطة بكل السلوكيات.

الملاحظ أن المتن لا يكف عن الإشارة إلى جماليات جسدية جديدة ناتجة عن التحولات الاجتماعية. (مرحلة زمنية لم تتحدد فيها معالم الفردية أو الفردانية وتطور أنماط الاستهلاك لهذا تنوع القيم وتعدد الأجساد).

المتن يشير إلى ضرورة ضبط السلوكيات، يشير إلى حالات الخروج عن المألوف، كما أنه يشير إلى التقنيات الواجب سلوكها للسيطرة على الذات للمحافظة على السلوك القويم، المتن موضوعه لتوجيه الأفراد المعتنقين للمعاني الموجودة في المجتمع، كل هذا لأننا لا يمكن أن نتجاوز الطابع المعرفي للمتن والقابلية لإشاعة نماذج جسدية وتقنيات للجسد لأنه يبين لغة يجب أن تتبعها الأجساد.

كما أن تنوع المتون يمكن الباحث من التوصل إلى الممارسات الفعلية وعلاقتها بالقيم، لأنها منتجات تعمل على تكريس الهيمنة وتعبر عن السلطة، كما أنها - كخطاب- تعمل على تشكيل التصورات والمحافظة عليها لأطول قدر ممكن (تطويع الجسد والجنس وتحويله إلى شيء هادف ذو وظيفية اجتماعية)؛ المتن يشير إلى الحيلة والحذر ويحث على المكارم، يصورها بالرجوع إلى تجارب متخيلة وأخرى واقعية ومنه فإن له دور في التعبير عن الحياة الفعلية وما يجب أن يكون كقيم على الأقل هذا هو التوجه المعلن من طرف المنتجين والمرسلين للمتن، كما أن الهدف منها تعريف الذات بالجسد النموذج والأجساد الأخرى.

¹ - بوبريك رحال: "بركة النساء، الدين بصيغة المؤنث"، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010، ص55.

إن حركة الجسد في المتن لها ما يوازيها في العالم الاجتماعي وهي شبيهة بالممارسة السلوكية خارج اللغة، على الرغم من أنها تهتم بالحديث عن بواعث الرغبة إلا أنها تتجاوزها إلى ربطها كقيمة بجنس محدد دون الآخر لذا يمكن أن نتناول المتن على أنه يسعى إلى إدماج الأجساد والسلوكيات وتحويلها ونمذجتها مع ترك هامش ضئيل للأفراد من طرف القارئ على إنتاج النصوص ومستخدميها الذين يحمون السلطة أو ينتجون متون تعبر عن القيم والمعايير الاجتماعية.

نحن أمام إنتاج ذاتية وهوية وحقائق تعبر عنها اللغة الشفويات في الظاهر هي عبارة عن متون لغاية تهيئية تربوية إلا أنها تتجاوزها إلى التعبير عن النوع الاجتماعي وتفرد كل جنس بجسدية خاصة مختلفة يجب أن تميز، إذن فالجسد جزء دال تابع؛ إن إنتاج المتن يعنى تبعية الجسد إلى حتمية اجتماعية.

إن المتون الشفوية غنية بالقيم ومعانيها على علاقة بمبادئ مثل: مبدأ التحريم للعلاقات الجنسية (مبدأ المنع، الحرمان تشير إلى إمكانية الوصول للقيم والمرحلة كمال السلوك) له هدف تأسيسي-لاحقا-علاقات زوجية لتحقيق الإنجاب، لذا يجب أن ينتج متون للمرحلة الأولى والمرحلة الثانية وكلها متكاملة؛ ثم تليها متون أخرى تعبر عن طريقة العيش، التدبير المترلي وتقنيات التحكم وأساليبه، تشير إلى تنظيم المنزل أي أنها غائية وظيفية لكن يجب الاهتمام بالإجابة عن السؤال التالي: هل هي خطابات ذكورية موجهة إلى الأنثوي أم العكس؟ ما هي علاقاتها بالقيم؟

إن المتن الشفوي يتوجه للذات، يحاول أن يصور الصراع بينها وبين الذات الأخرى والرغبات ثم، يصور نهاية لهذا الصراع بالوصول للاستقرار واكتساب القيم، كما أن الشفويات تحاول أن تفرض على الأفراد الحد من السلوكيات الشاذة والتحكم في الذات أولا ثم عدم التأثير بالذات الأخرى.

يعتمد المتن الشفوي على استراتيجيات تراعي حصر الأفعال المحرمة والممنوعة وتربط بالمكانات والأدوار، بالجنوسة، لإعطائها معاني جديدة، كما أن حركة الفاعلين والأحداث توصل في النهاية إلى التحكم في الجسد والأفعال والأوضاع الجسدية محاولة إشاعة ممارسات وتكرار المتن يعمل على تلقين الأفراد وتعزيز القيم ورسم حدود موجهة للسلوكيات.

لا يمكن فصل المتن عن شروط إنتاجه الأولى ولا عن ظروف استخدامه في مواقف راهنة، ولا يمكن تحليل المتن في علاقته بالجسد دون الرجوع إلى السلطة، إن إنتاج خطاب شفوي حول الجسد هو عبارة عن آلية، يمكن

إرجاعها إلى الجماعي أو الاجتماعي (يقول أحد الشباب: أحنّا النساء تاعنا العتبة مايفوتوهاش مشي كيمًا لخرين يتسوقوا...)، إنه عبارة عن إنتاج لحقائق تحتاج للتطبيق (أي أنه يخدم تطبيقات معينة مثل لحظات اختيار العشير مثلاً: المتن الذي يعين الجسد ويربطه بالأم والبنت-الزوجة المحتملة، وعن العرقوب "عرقوبها يذبح الطير") أي أن السلطة تنتج أنظمة معرفة تتجاوز الفردي، لها طابعها التاريخي المؤثر في الراهن (إنتاج تصورات تاريخية مرتبطة بالجسد تحدد وتعرف بالجسد كشيء فقط يتبع قيم).

يرى فوكو "... أن اللغة لا تكتسب قيمتها من الدلالات أو الإحالات المباشرة أو التي تشير إليها فقط، بل من نظام العلاقات العامة التي تنتظم وفقها، فهي تفوق سلطة الأفراد، بموجب ذلك لا يمكن القول أن اللغة ليست مجرد أداة للتعبير والتواصل، بل هي أولاً وقبل كل شيء نظام عام ومستقل يتكلم من خلاله الأفراد ويحدد تصوراتهم وآرائهم للأشياء وللعالم."¹

المتن ناتج ومعبر عن السلطة التي تمارس على الجسد -دور رقابي-، المتن يعبر عن رفض المتعة الفردية فهي هدامة لأنها لا تخدم الاجتماعي (لا تخدم نمط التحالفات المعلن عنه). يحاول إشاعة قواعد جاهزة تغرس في اللغة. تتجاوز هذه اللغة الزمن والمكان. (يجب عدم نسيان قدم بعض النصوص ومرجعيتها للفاعل الديني-العارف). تعمل هذه السلطة على تناول النشاط الجنسي والتمييز بين النشاط "الرشيد" الذي يتميز بأنه دائم هادف (مثل النشاط الجنسي السوي يهدف إلى الإنجاب والتناسل) وآخر غير السوي وتقرر أنه ظرفي-هدام للبنية الاجتماعية.

تشيع المتون الشفوية قيم وسلوكيات كالعزلة والزهد وهي تسعى لتكوين ممارسات رقابة ذاتية على الجسد، وضبط الممارسات الجسدية اليومية لتوجيه الوعي الفردي إلى القطيعة مع السلوكيات التي يرى فيها المنتج للشفوي أنها شاذة. "...أبرز فوكو أن المعايير والأعراف الاجتماعية تطبق على الجسد وتعيش من خلاله."² لا يصبح الجسد الأنثوي ذا قيمة إيجابية رمزية إلا حين يؤدي وظيفة طبيعية وثقافية، المتمثلة في الإنجاب، ففي هذه الحالة يصبح موضوع تقديس لأنه يرتبط بدور الأمومة والخصوبة ومنح الحياة...³ ودون توجيه للجسد الأنثوي سيتحول إلى "الغواية".

¹ ميشال فوكو: "الفرد والمجتمع"، مرجع سابق، ص118.

² بينت طوني: مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، مرجع سابق، ص 244

³ بويريك رحال، مرجع سابق، ص48.

...الرجل في موقف سلبي أمام جسد المرأة، فهي التي تغريه وتتسبب في انشغاله عن العبادة وخروجه عن الطريق السوي، لذا كان لزاما إخضاع أداة الفتنة هذه المتمثلة في الجسد لضوابط تعمل على تدجينه وتنميته وإخضاعه للمراقبة...¹ المتن يكرس الجسد الأنثوي كمصدر للغواية ومنبع للملذات وللشهوات يتم إخضاع الجسد للنفي Négation والنكران Dénier ويحول إلى ما أريد له، أي اجتماعي يجب أن يمثل للقيم السائدة.²

إن الهدف من ربط الجسد بالقيم هو إعطائه جدارة لئتملكها ويصبح مؤهل للمكانات والأدوار الاجتماعية، حتى أن الأفراد في مجتمع البحث -خاصة الشباب- يعتقدون أن المنتج للتمن مؤهل للحكم على الجسد ولتقويمه ولتقييمه؛ ولتكوين قواعد للجسد، وهي أي الشفويات ترسم تصورا للجسد وتؤسس لقيمه وتعطيه رمزية.

ترتبط المتون بالمهارات التي يجب على الجسد أن يكسبها للحصول على قيمة اجتماعية أو مدى التزامه بآداب السلوك لاحقا، تنسج مثلا صلات رمزية بين الجسد والأنوثة والفضاء الاجتماعي، "إن الجسد في التقاليد الشعبية يكون على اتصال دائم بالعالم، إنه قطعة غير منفصلة عن العالم..."³ يفقد من فعاليته الرمزية كلما ابتعد عن القيم التي تواضع عليها المجتمع. يصبح الجسد غير مرئي لأنه يتمثل مع الطقوسي، يكرر باستمرار ما أريد له، نفس الأوضاع والإشارات، المقبولة اجتماعيا. نلاحظ دوما أن الأفراد يشعرون بوجود إختراق للجسد وأنه دائما ما يغترب عن الاجتماعي، هذه هي نقطة البداية لقبول أو للإنتاج متن شفوي أو الرجوع إلى التجارب الاجتماعية الأصلية والسابقة؛ عدم قبول التماثل في الأجساد والرجوع إلى التجربة التاريخية المقبولة.

الغاية من المتن ممارسة سلوكيات المحو في الحياة اليومية ومنع الاقتراب الاحتكاك الجنسي بالآخر الغريب البعيد والمنع من الظهور حتى لغويا لذا نجد عبارات ك "الدار، العايلة، البونادام... لأفرؤنجين... الخ" إن الجسد تحول إلى قيمة لان به يتم التعريف الاجتماعي وهو الجزء المدرك. بالرجوع إلى المتن نلاحظ أنه يجعل من الجسد جزء من الرمزية الاجتماعية على الرغم من تفرد عمل المخيال على إنتاج نصوص تترع للمحافظة عليه وضبطه.

بالرجوع إلى النمط الاستهلاكي اليوم نلاحظ أن الجسد يحاول أن يفلت من الرمزية الاجتماعية ويتماهي مع الأجساد الأخرى خارج البنية الاجتماعية "...فالجسد الذي صار عامل تفرد أخذ يضاعف إشارات التمييز،

¹ - بويريك رحال، مرجع سابق، ص 48.

² - شبال عبد الملك: "الجنس والحرم وروح السراري، السلوكيات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير"، ترجمة عبد الله زاور، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010، ص 125.

³ - دافيد لوبيرون: "أثروبولوجيا الجسد والحدائق"، ترجمة عرب صاصيلا، الطبعة الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1997، ص 83.

ويتباهي على طريقة من يروج لشيء ما.¹ تجارب الآخر وجسد الآخر يعني قيم أخرى وسلوكيات أخرى، لكنها مرغوبة.

هناك نوع من الاختيارات الحرة نسبيًا، لما يتعلق بالجسدية بالإضافة للخضوع الشكلي للمعايير التاريخية وتبعية الشباب للقواعد الجديدة المنقطعة عن الأصل، هذا كنتيجة للتغير النسبي لتصورات الأفراد حول أجسادهم وكنتيجة غير مباشرة للإيمان بقيم جسدية جديدة (جسدي ملكي لي وحدي فقط)، حتمت إعادة ترميز الجسد من خلال ممارسة جديدة، تتم بشكل نظامي، عززت من معاني جسدية، تأثرت بالمعارف حول الجسد خاصة التي يملكها الشباب، فهي تتكسد فوق بعضها إلى درجة أن الأفراد اليوم لا يتخرجون من تغييره.

لهذا فاللغة تدمج الجسد، تحوله إلى كيان اجتماعي، تربطه بوظائف تكون محل تقييم اجتماعي - يستمد قيمته من خلال معاني فيتحول إلى رأسمال بيولوجي - اجتماعي من غير المسموح أن يبقى بدون وظيفة، تتساند النصوص الشفوية للتعبير عن هذه الوظائف الجسدية فهي تُرغَب في النكاح بعد الزواج فقط لتحقيق الإنجاب أي أنها تعمل على تأطير اللذة وضبط العلاقات الحميمة بين الجنسين، تربطها بقيم قدسية (المرأة الزوجة ثم المرأة الأم) لكنها تحاول أن تخلق هوية جديدة للجسد مرغوبة وأخرى غير مرغوبة مثل المرأة العاقر (الجسد الهامشي، الجسد غير الجميل²).

تعمل الشفهات على إلحاق المؤنث بالذكر من جهة "المرأ للرجل لا تعرف إلا به" ومن جهة أخرى بالفضاء الخاص "المرأ إما دارها إما قبرها، المرأ للدار، فوت على قبرها ما تفوتش على دارها." إن المتن يعبر عن النسيج الاجتماعي والحدود التي تبني حول الهوية التي يجب أن تكون مشتركة، لذا يجب على الأفراد التوفيق بين الصورة الشخصية للجسد والطريقة التي يجب أن يكون عليها أمام الآخرين "كول كيما تبغي وكبس كيما يبعو الناس... ربعين واحد إذا شهدوا وقالوا أنت مكلوب، تولي كيما قالوا" أي أن الأفراد يسعون إلى تحويل أجسادهم إلى مشاهد في السياق الاجتماعي فيحملونها بدلالات محبة مقبولة، رسم صورة عن الجسد بالرجوع إلى القيمة التي يقدمها الآخر الموجود ضمن شبكة العلاقات لا "الأنا" كمصدر للتقييم.

¹ - لوبيترون ديفيد ، مرجع سابق، ص07.

² - الهامشي يقصد به "الهجالة والعاقر، يجسده المثل التالي: "لأ تغويك الهجالة بأو لو كان خدّها مشموم" *** تخدم خدمت الرجال وتقول الله يرحم المرحوم" وغير الجميل يجسده المثل التالي: "لبي عرّفونها يدب الطير وصلوعها بالعدادي" *** ليا بغا الشر يروح ثقوله وين راك غادي." مع العلم أن الأثنى على العموم بالنسبة لفتة الشباب بنقصها الوفاء: "مأ كان في النساء عهد وافي..."

إن اللغة والتعبير السائدة حول الجسد يمكن تقسيمها إلى تعابير تصفه بالعملية والقوة والوظيفية وتعابير أخرى تصفه بالجمالية،¹ التوصيف الأول في الغالب ذكوري أما التوصيف الثاني للأنثى، تسعى المتون إلى تكسير التماثل الفطري بين الأجساد، يتم التفريق بين أفعال الجسد المذكر والمؤنث. بالنسبة للجسد المؤنث الجمال مرئي وقابل للتوصيف وقابل إلى التحول إلى لغة خطاب "إغوائي" لذا تعمل الشفويات على إبرازه وتصويره وتقديمه من خلال خلق قرابة بينه وبين الطبيعة وهذا للإيجاء وتجاوز ما هو ممنوع والمسكوت عنه.

لأن الجسد يقوم بعملية تواصل إغوائي من خلال "الكلام، المشي، القد والقوام" كلها للتأثير في الآخر؛ يجب أن توجد عدة صيغ للتقليل من الإغواء كتغيير للملامح الخارجية تغيير دلالتها لتحقيق مبدأ المماثلة مع الأجساد الأخرى البعيدة عن الغواية. التقليل من الحركة والتواصل "خلّت راجلها ممدود وراحت لدار مسعود، البعد يجيب السلام... تزوّج المرأ البعيدة، ما يَخَصَر ما بين الرجال غير النساء والدراهم" إن هذه الآلية تهدف إلى وضع فواصل بين الفضاء العام والخاص وتؤسس لهندسة الفضاء الاجتماعي والجسد معا. كما أن التداول للأمثال قد يعود للترغيب في الأدوار الجندرية لخلق هذا الفصل بين الأجساد.

إن المتون تحرص على ضرورة تماهي الجسد مع النماذج الموجودة على مستوى الخطابي التعبيري - للمتن -، الجسد يربط بوظائف تمنح لها صفة القاعدة يجب إيصالها للآخرين تتحول إلى طابع رمزي ملزم يتم صياغة الجسد به وضبط الممارسات اليومية له ويتحوّله إلى مشهد محبب، أي أن السلوكيات الخطابية هي مرجع للسلوكيات الجسدية.

مثلا: يحذر من المرأة لأنها تتميز بقيم وصفات المكر،² القبح كما أنها تشكل عبئ خطرا على المحيط والجماعة التي تنتمي إليها؛ إن إنتاج وتداول متن حول الجسد لا محالة يرتبط بالقيم يعبر عن إنتاج لمعرفة تطبيقية تسهم في الإخبار والتعريف به وبموقعه تجاه الناس عبر نظام قيم يتخذ معاني ثقافية اجتماعية.

الأوضاع الجسدية قابلة للترميز/ يجب أن يذوب الجسد في هذه الأوضاع عن طريق تبني حركات وإيماءات للتعريف به وفصله (أوضاع جسدية ذكورية وأخرى أنثوية) الغاية منها محو الجسد غير المرغوب، لهذا

¹ - بالرجوع إلى العبارات المتواترة يمكن أن نرصد: العبارات التي تصف مشي الأنثى "تمتخر، تمايل، تتعبل" إذن هي حسب اللغة مشي شبيه بمشي الغزالة، ولا يمكن أن يوصف الجسد الذكوري بهذه الأوصاف فهي عيب وغير مقبولة.

² - مثل أقوال الجدوب، سوق النساء سوق مطيار... متخلخلين بالغبّار... حايثهم يؤنس... إذا حلفت فيك مرأ بات قاعد... هذاك من زوجة الهّم ويشبهها ب "العلقّة" التي تمتص الدم... عجوز فابضة سبحة رقيقة لي ذرة يلبس في عام تديرة في دقيقة...

يلجأ الأفراد إلى تقنيات جسدية لتطويع الجسد ومحاولة تشبيهه بالقيم والنموذج الاجتماعي السائد والخضوع للتصورات الاجتماعية السائدة حتى أن الشفويات من خلال خاصيتها البلاغية تحتكر النوع وتلصقها بالجسد ويشبه بها، لإعطائه معنى وقيمة.

يعمل المتن/القيم على التعبير عن إعادة إنتاج العلاقة التراتبية بين الجنسين من خلال الإشارة للفضاء العام ومشروعية التواجد فيه، تربط التصورات بين الجسد والأنوثة، كالجسد، المغربي الواجب تحويله، الذي يجب أن يحاكي المثل الجماعية أو الاجتماعية، أي أنه من خلال اللغة يمكن التعرف على المقاييس التقييمية للجسد لأنها في الغالب تعتمد على المقياس والقيمة الجمالية وتربط لاحقاً بالجنس والخصوبة أي أن المتن يعبر من جهة عن جسد مكمن الرغبة والشهوة واللذة المتعة كموضوع للجنس (مدنس غير خاضع) وعن جسد وظيفي رمزه الأمومة خاضع للعلاقات الاجتماعية (جسد محتجب موجود دوماً في الفضاء الخاص، جسد متزوج خصب، جسد عاقر غير محبب). المنتج للمتن والمتداول له يحول كل شيء إلى قيمة ويحاول نمذجة السلوكيات.

العذرية كقيمة:

المتن يعبر عما ترسخ كتصورات وتمثيلات حول جزئية الجسد وهو مؤشر لفهم المشترك، العام لدى الجماعات الاجتماعية، هذه الأخيرة التي تسعى إلى وضع حدود وضوابط للسلوك، تُوجد قيما تسعى لإشاعتها من خلال اللغة. الملاحظ وجود شبه إجماع حول قيمة "العذرية" وتبعيتها لقيمة "الشرف"؛ من خلال العبارات التي تم جمعها والمتون نلاحظ أن الأفراد يبنون تصورا معنويا حولها انطلاقاً من ما هو مادي إذ أنها تجمع بين قيم أخرى مجاورة مثل: "العفة" و"الطهارة" و"الاستقامة المنشودة، كسلوك"، "هي لا تعني عدم ممارسة الجنس وإنما تتجاوز ذلك إلى "البراءة" الجسدية والروحية وعفة النفس قبل عفة الجسد، فهي "ذلك الشيء الثمين الذي لا يجب التخلي عنه بأي شكل من الأشكال إلا في إطار المسموح الشرعي والمقنن اجتماعياً،¹ أي أنه لا وجود لمشروعية العلاقات إلا في إطار مؤسسة الزواج لوصول إلى مقاصد أخرى البداية من قيم الطهارة والوصول إلى نقاء العرق والنسب. يتم ربطها بقيمة الشرف الاجتماعي لهذا يجب السيطرة على هذا الجسد ضماناً للشرف. إن الغاية من هذه القيمة هي إلحاق الجسد بالذات أولاً وبالآخرين ثانياً وتحميله بمعاني ورموز، هذا لإعادة إدماج الجسد اجتماعياً وتحويله إلى وظيفة إعادة إنتاج النوع البشري (لتحقيق إمكانية تبادل النساء لا أحد يريد زوجة فاقدة للشرف). هو موضع

¹ - خولة مطري: "البحث العلمي والجنس" النوع البشري" أية علاقة الرسائل الجامعية في علم الاجتماع بتونس نموذجاً؛ أعمال ملتقى دولي: النساء والمعرفة في العالم العربي المعاصر، المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ 9-11 ديسمبر 2009. نشر سنة 2011، ص102.

مراقبة ما يفسر أيضا وفرت المتون التي تتحدث عن النكاح والرغبة ويعيد طرحها كمسائل جوهرية تتعلق بالأدوار والوظائف وتؤسس لاجتماعي؛ المتون تحذر من الغواية وفقدان الشرف يستغل المتن التجارب الشخصية-التراكمية للتعبير عن هذه القيمة وإعطائها صبغة اجتماعية.

الملاحظ وجود سلوكيات جديدة للاستمتاع الجنسي،¹ لدى الشباب؛ بعيدا عن العذرية، يمكن القول إننا أمام إعادة بناء علاقة بالنوع الاجتماعي وإعادة تعريف بالحميمية والعلاقات الاجتماعية الممكنة وطرق جديدة للالتفاف حول هذه القيمة. لذا تترع النصوص إلى الحرص على ضرورة تكثيف الرقابة وتشديدها على الجنسين في مراحل عمرية أو خلال دورة الحياة ككل وهو المبرر للقوالب اللغوية التي ترى في الأنثى عبأ كبير منذ الولادة؛ "دَارِ الْبَنَاتِ خَاوِيَةً"، "الْفُقُوسُ يَتَعَوَّجُ مِنَ الصُّغْرِ" ثم قوالب لغوية أخرى تتحدث عن المكر والدهاء كقيمة متأصلة لا تنفع معها الرقابة وأساليب التنشئة المعتمدة مثل الأمثال التي تعبر عن المرأة-القيم، خاصة ما تم نقله عن المجدوب.

الفضاء الجسد والقيم الجسدية:

إن المتن على تنوعه يشير إلى الفضاء الفيزيقي كمجال لحركة الجسد وفيه تتوزع المهام والوظائف وفيه تخلق المسافات والمساحات بين الأجساد وتتوزع السلطة داخله؛ وفيه الحميمية، يستغرق المنتج في وصفه وتحديد معالمه ليتحول إلى الداخل والخارج، الأعلى الأدنى، الممنوع والمسموح، المركز في مقابل الهامش؛ الحدود مرتبطة بالجسد؛ ومن خلال تحديد الفضاء تتحدد بعده السلوكيات ومعانيها وترتبط بقيم ومعايير تبثها اللغة (الاحتشام، الخجل، العيب، الفتنة، الشرف)؛ إن هذا التقسيم ليس اعتباطيا فهو ينتج سلوكيات التحاشي بحيث تتوارى الأجساد وتختفي أو تمحي من فضاء لتستقر في فضاء آخر، كما أن ترتيب وهندسة الفضاء هو هندسة للجنس، مطلوب من الأجساد الأثوية أن لا تعلن عن ذاتها (فالجسد كله عورة حتى الكلام بصوت مرتفع).

تترتب الفضاءات/القيم/السلوكيات حسب الجنس منها المغلق ومنها المفتوح وكلها يجب أن تشغل وتبعد عن الآخر الغريب، حتى أن التركيز على التركيز الفضاء الهامشي يؤكد ويدعم حضور المركز ويؤكد سلطته؛ قيم

¹ - بالنسبة للشباب المستحوب أكلوا أن طرق الاستمتاع الجنسي اليوم لا تمس العذرية، كالدعابات اللمسات والوصول إلى المتعة من خلال ممارسات أخرى، أي الاستمتاع بطرق لا تمس البكارة... حسب الشباب والشابات: يمكن بسهولة إقامة علاقات غير محدودة والاستمتاع لهذا يجب أن يكون هناك فصل تام بين الجنسين وتقاسم الفضاء إلى خاص وعمام. المتن يشير إلى حالات الانفلات وإلى الفضاءات غير المراقبة وإلى إمكانية اختراق الجسد وعدم جدوى الرقابة الأبوية أو رقابة اجتماعية فهي بدون معنى لها لأن المرأة تتميز بالمكر والدهاء فالشباب عبروا بهذا المتن عن هذه الرؤية (النساء إذا بغاؤ يديروا وإذا كرهوا ينجروا).

مركزية تلغي القيم الهامشية بطريقة غير مباشرة؛ وفق مرجعية قوية لكنه يدل من جهة على وجود استقطاب جديد -نموذج قيمي مغري للأفراد- فضاء جديد غني بالقيم موجود في الزمن الراهن مقابل نموذج قيمي مركزي مرجعيته تاريخية وكلاهما يمكن أن نلاحظهما كسلوكيات وعلامات وكلمات ومتون شفوية. نحن أمام نموذجين للقيم الأول تاريخي والثاني يقطع الصلة بالروابط الأصل وبالزمن والمكان والفضاء؛ وبالتالي الانقطاع عن القيم التي يؤسسها النموذج الأول من المتون.

إن تداول المتن اليوم لدى الشباب يحفز الذاكرة من خلال استراتيجية الرجوع للقيم الخاصة بالفضاء، لإعطاء هامش من الحرية للجسد ومسافات جديدة أي إعادة رسم حدود للسلطة وللفضاء معا لتوافر قيم جديدة وتغيرات جوهرية مست الاجتماعية (التغير في الأدوار والمكانات). إن وظيفة الفضاء حسب اللغة هو العزل عن الخارج (قوة المنع من خلال إنتاج قيم تختزن في اللغة) فصل الداخل الحميمي عن الخارج، عن الغريب وعن الذكوري وعدم إتاحة الفرصة لاختراقه واختراق قيمه، أنسنة الفضاء تقطيعه الهدف منها تحويله إلى أليف حميمي/مقدس وآخر موحش/مدنس، به يتم التعريف بالأنا وتنسب إليه الذات، وممارسة السلطة على الفضاء (التقديس الوحشي للفضاء) الغرض منه الحفاظ على قيم الشرف.

إن إشاعة المتن والتركيز عليه دون غيره ذو دلالة؛ فكثرة الاستناد إليه دون غيره من القوالب اللغوية يشير إلى نية توفير نماذج قيمية ليحتذي بها الأفراد-الشباب-موجهة على نحو مؤكد للإناث فقط أو للذكور وفي حالات لكلي الجنسين، استندت بنية المخيال للشفويات لتبرير هذا التقسيم الذي يجب أن يخضع له الجسد. حضور هذا الجسد خارج الفضاء يكون مصحوبا بقيم الحشمة والحياء والحجاب كشاهد مادي مرافق يثبت العفة خارجا في الفضاء العام؛ ما يعطي مشروعية لسلوكيات اللباس؛ أما بالنسبة للذكور يجب تحاشي الأجساد الأخرى والغاية من إنتاج النص وتداوليته هي أخلفة السلوكيات وهندسة النسيج المجتمعي بإنتاج للقيم والسلوكيات والمسافات الاجتماعية.

مثلا التركيز على عبارة الدار له دلالة في المتن التالية: "دار البنات خاوية... المرا غير دارها ولا قبرها... ما تفتوش على دارها فوت على قبرها..." أو قول أحد الشباب، "أحننا النساء مايفتوش العتبة" الغاية منه الفصل بين المركزي والهامشي الغرض تشخيص الواقع بالاستدلال بالتجارب الماضية من جهة ودمج الأفراد في نظام قيمي يستمد قوته من السلطة المنتجة للمتن ومن المتداولين له. إذن نحن أمام حالة قصديّة مرافقة للمحتوى

الخبري؛ فالمتن يقدم نفسه على أنه تمثيل للوقائع والأحداث ويوفر اعتقاد يوجه الأفراد ليتلاءم سلوكهم مع القيم الشفوية (المتن يأمر ينهي ويطلب بإلحاح) يثير الرغبة في القيام بالفعل الموجه له ويلزم الأفراد بذلك (قصد القيام بشيء مثلا عدم فصل بين الجنسين يعتبر كخلل يعتقد أن صاحبه أقل شأنًا من غيره أقل رجولة)، يلجأ المنتج إلى التعبير لاحقًا عن السلوك/القيم بإيجاد مستوى من المطابقة الحقيقية بين المتن والواقع بذكر قصص واقعية بعيدة عن الخيال ثم المستوى التمثلي أي تمثل السلوك بالتعبير عنه وتشكيل سلوك يطابق اللغة/الشفوية والقيم الموجودة فيها.

الجسد الديني:

يمثل الجسد أحد المعطيات التي تخضع للوصف، نلاحظ أن بعض المقولات الراسخة عنه خاصة التي تربطه بالدين ونمط الدين، تجعله جزء مادي ملتزم بطقوس محددة، خاصة تلك التي تعمل على تكريس تبعيته لقيم تطبع على مستوى السلوك وتؤسس للجسد الديني، بما يدعم سلطة معية، سلطة المنتج للمتن الفاعل الديني التي تختزل وتعبّر عن السلطة الاجتماعية. إن المتن عبارة عن معاني تجسدت في رموز تم نقلها وتواترها، على علاقة بالدين كنظام مفهومي متوارث معبر عنه أيضا بأشكال رمزية، بما أن هناك علاقة فألما تؤسس لنماذج قدسية، "ففي الإيمان والممارسة الدينيين تكتسب روح الجماعة مبررا فكريا عبر إظهارها بأنها تمثل طريقة حياة متكيفة-مكتفية- بشكل مثالي مع الحالة الفعلية للأمور الموصوفة في نظرهم إلى العالم.."¹، الملاحظ لدى فئة الشباب الارتباط بقيم وتفضيلات لها غاية لأنها تصور الحياة الاجتماعية على أنها مجرد ذوق سليم، تستعمل اللغة للتعبير عن شيء لا نستطيع التعبير عنه بطريقة مباشرة لهذا نستعين بالرموز، يُكوّن الشباب تصور؛ معنى؛ رمز كصياغة ملموسة تعبر عن أفكار وتجريدات من التجربة الإنسانية يتم تكثيفها والإفصاح عنها في المتون الشفوية، ليتحول الجسد إلى جسد ديني رمزي يتحول معه الجسد إلى جسد يتماهي مع الدين وقيمه.

يعبر المتن عما هو عمومي/غير عمومي وعلني/غير علني، كالزواج ويصف العلاقات البينية بين الأشخاص ويحاول الوصول إلى رصد التفاهات العامة ونموذج للعلاقات يضع الجسد من بين أسس تكوينها؛ يمكن للمستمع له تعلمها والوصول إليها من خلال المقارنة التقليد والمحاكاة. أي أنها بناء ونسخ للتجارب جسدية ماضية قابلة للاستيعاب والتكرار وهي نماذج صالحة للواقع تضمن ترتيب خاص له وهي تؤمن معنى، وتجعل من الجسد الديني من بين أكثر النماذج المطلوبة.

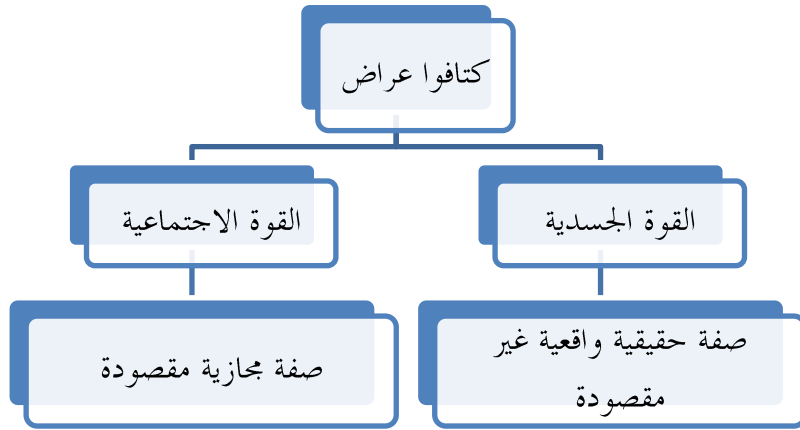
¹ - كليغورد غيرتس: "تأويل الثقافات" مرجع سابق، ص225.

الغاية من تداول المتن باستمرار هو تثبيت مجموعة من الاستجابات (ضبط التعبير العاطفي من خلال تتبع قيم الزهد والورع والخضوع لها) خلق مجموعة من الطباع والنزعات والمهارات والقابليات والاستعدادات، جعل مسار الأفعال يتناسب مع ما هو موجود في المتن وإلحاق تجربته الفردية بالتجربة الجمعية "المؤمن تابع مَشِي بَادَع...اللي دار شَيْخَه كَتَابَه كَثَر غَلَطَه وقل صوابه" المتن يعمل على حصر التبعات أي احتمال وقوع الفعل لذا يعمم التجارب الدينية لأنها ناجحة في نظر المنتج ونظر المتداولين للمتن. كل هذا لجعل الجسد جزء من الفضاء الاجتماعي مكرس للخدمة العامة، بناء سلوكيات وتوحيد التصرف ليصبح آلي في مجتمع ميكانيكي، بشكل محدد لضمان التماسك داخل-بين الجماعات اللغوية، بالاستعانة بالجسد الديني لأنه أسمى نموذج؛ أي محاولة موازنة الاجتماعي بالرجوع إلى إنتاج متن ذو طابع ينادي بالمساواة، لضمان توحيد الشعور بالتشابه وخلق تقارب بين المجموعات الاجتماعية، لهذا نجد متن/قيم تسعى إلى المطالبة بالانزاع والتعقل والالتزام بمبادئ تم الاتفاق عليها مسبقاً قبل الآن.

الجمال كقيمة للجسد:

يستعين المنتج/المتداول للمتن بالجسد لإشاعة القيم، ينتقل من الجسد غير محدد المعالم ليس بالضرورة ذكوري أو أنثوي لكنه يهتم أكثر بالجسد النموذجي، النموذج موجود في المتون لصناعة الأذواق فالعبارات تدل على الجسد/القوة لتعبر عن المكانات والأدوار، سرعان ما تتعدها للتعبير عن القوة المعنوية، "...إن مقصدية النص وما تحتويه من كناية تتعدى الطرح الحقيقي...فهو مستوى مجازي إيحائي ذو دلالات مختلفة تستمد عناصرها من المرجع النفسي والاجتماعي والأخلاقي والثقافي والإيديولوجي...إن المقصدية التي يريد النص البوح بها تتمثل في الحديث عن هذا الإنسان"¹ ويبين لنا الباحث محمد سعدي ذلك من خلال الشكل التالي:

¹ - سعدي محمد: "التشاكل الإيقاعي والدلالي في نص المثل الشعبي الجزائري"، مرجع سابق، ص 65-66



الشكل رقم (18) يوضح استخدام الجسد للتدليل على واقع خارج اللغة (نموذج عن الأستاذ سعيدي محمد)

لهذا فإن الشخص الذي لا يملك هذا الإمتياز عليه ب: "دهن السير يسير" نلاحظ استعانة بأجزاء من الوجه والجسد من أجل خلق القيم والتعبير عنها مثل: أقوال المجدوب في ربايعاته:

الوجه تطبعه الحسانة.... من جاور قدرة انطلى بحمومها ومن جاور صابون جاب نقاه... القلب
المجروح الوجه يعطيك أخباره... لفتك باشبوب فوته بالحسانة" أي أمام قيم التطهر-القدارة-الاتساخ
الطهارة-النقاء-الصفاء.

الحشمة كقيمة:

"...الحشومة كلمة يعسر أن نجد لها ترجمة تفي بمنعها، فهي تارة تعني الخجل، الذي يمتلك المرء من إتيانه
فعلا من الأفعال وتارة أخرى تعني الحياء... هي المتحكمة في الكثير من الأفعال والتصرفات... أنها قانون يخضع لها
الجميع، من دون تفكير، لأنه قانون يقن جميع الأوضاع."¹

حسب الباحثة سمية نعمان جسوس الناس يخشون من الأقاويل لأنها لا تمس الشخص فقط بل كل
الأقارب كما أن هذه "الحشومة" تختلف حسب الجنس والفضاء الاجتماعي والسن وهي قريبة مما هو ممنوع دينيا
تحمل معاني اجتماعية، ترتبط أحيانا بوضعيات الأجساد وما يجب أن تتصف به، هي قانون ذو طابع خاص قانون
اجتماعي يقن الأفعال ويجعلها تابعة للعادات والتقاليد المتواترة الموروثة.

¹ - جسوس سمية نعمان: "بالحشومة الجنسانية السائبة في المغرب"، ترجمة عبد الرحمن حزل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص09.

الغاية من هذه القيمة حماية الجسد وهيئته لأن يحتل مكانات وأدوار جديدة وتجعل منه مقبولا، والتماهي مع هذا السلوك يعتبر كرقابة ذاتية للجسد في الخارج "الفضاء العام"، تحدد المواضيع القابلة للنقاش والموضوعات التي لا يمكن التطرق لها (مواضيع حشومة)، لوجود "الحشومة" ينوب الراشدون أو الأكبر سنا عن غيرهم؛ لتقديم تفسيرات حول العالم والاجتماعي وطبيعة العلاقات وكيف يجب أن تكون، كما أنها -كقيمة- منبع للحجاب- بالمفهوم العام -وسلوكيات التحاشي بين الجنسين وبين الفئات العمرية ككل. إن هذه القيمة تين لنا أيضا عدم التعامل مع الفئات العمرية الأكبر سنا ويجب أن نعطيها حق "الطاعة"، الاحترام والوقار ويجب إرضائهم دوما ولا تجوز مخالفتهم بأي صورة من الصور. إن الحشومة كقيمة توجه السلوكيات وتجعل من العلاقات الاجتماعية تطبع بطابع خاص إذ أنه من العيب إقامة علاقات مع جنس آخر ومن العيب إقامة علاقة مع الأكبر سنا، أي أنها تعكس وتقن العلاقات فتتجه العلاقات إلى أن تكون علاقات أفقية (نسوية-نسوية)، أو علاقات ذكورية ذكورية من نفس السن أو علاقات بين الجنسين لكن في إطار مؤسسة الزواج أو في ضل علاقات أخوة، صداقة، زمالة مبررة فقط يرضى بها المجتمع).

تتميز المرأة بمظاهر الأنوثة التي تتسم كلها بالجمال والجاذبية والعاطفة ومن الطبيعي أن تثير مظاهر الأنوثة الرغبة لدى غيرها، الحشومة تحول الأنماط السلوكية إلى مقبولة. أي إستخدام الجسد وجعله "آداتي" يتطابق مع القيم المكتسبة والمفروضة أو المتبناة، دون إنكار وجود هامش الحرية الذي يوفر للشباب وهو أمر يمكن ملاحظته ووصفه.

تعمل النصوص الشفوية على نشر قيم خاصة متعلقة بالجسد/الجنوسة يتم توليد خطاب لتوصيف الجسد "المحتشم/غير المحتشم"، إلحاقه بأوصاف معينة ذات طابع قيمي تتجسد في الواقع أو هي مطلوبة كسلوك بالنسبة للجنسين، وفق نمط من التقابلات والثنائيات.

"يتم إنتاج الذاتية المجنسة في سلسلة من الخطابات المتنافسة،...وعلاقات الجنوسة هي عمليات تنطوي على استراتيجيات واستراتيجيات مضادة للسلطة...التجنيس والتوليد والعمليات الاجتماعية"¹. نلاحظ في الشأن اليومي وجود نصوص وخطابات حول قيمة "الحشمة" تفصل بين الذكورية والأنثوية، تجعل من الجسد وحدة أولية خاضعة للقيم معبر عنها من خلال اللغة.

¹ - طوي بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات النقاة والمجتمع، مرجع سابق، ص265.

لا وجود للقيم دون الجسد فهي ترتبط به مما يعطيها معنى، ففكرة "الحشومة" تولد سلوك العزل يتم إسقاطها على الجسد، كما أن لأجساد تخضع لنفس القيم التي ينظمها الاجتماعي أي أنه؛ تابع لمبادئ معيارية؛ يتم تعليم الأجساد برموز مثل: الأسماء والأوصاف للفصل بينها؛ تحول الأجساد إلى جسد اجتماعي واحد، تخاطب على أنها كينونات متفردة، يجب أن لا تكون شاذة عن القواعد والمعايير، من خلال المتن نلاحظ وجود فكرة عزل الجسد لأنه يرتبط بالفضاء الخاص يجب أن يخدم الوظيفة الاجتماعية (حالة الجسد العاقر أو الجسد الذي لا يمتلك هوية بملكيتها للعمل يكتسب مكانة وقيمة أو من خلال إحقاقه بالرجل في إطار الزواج)، كما أن اللغة تخاطبه فرديا لأنه وحدة أولية للمجتمع، يجب أن يتبع ما يسلم به كل الآخرون -النسق السوسيو-ثقافي- أي أنه يتبع الوحدات المرجعية التاريخية أو الراهنة على حد سواء، الجسد ذو قيمة؛ لتمثله مجموعة من القيم، ليس له معنى إذا امتلك قيم مغايرة للاجتماعي (كما أن المتن يركز على قيمة "الحشومة" ومواصفات الجسد-العقوب سحنة الوجه، القامة والقد والجمال) لكن الملاحظ وجود تعدد للقيم الجسدية وتغير على مستوى التصورات -الجديدة- ما كان قائما من مفاهيم وتمثلات تغير نسبيا لدى فئة الشباب المستجوب.

يمكن حصر وظيفة الحشومة على أنها استراتيجية تهدف إلى:

التعويض تعويض نموذج جسدي بآخر، الحذف، حجب/أو/حذف ما هو غير وظيفي وعدم إعطائه هوية وكيونة، **التجزئ** أو **التبعية** "النَّار تَجِيب الرَّمَاد، المرَا لِلرَّاجِل، البَنت لِأُمِّهَا... الخ"، الجسد لا يشير للانتماء الاجتماعي إلا إذا كان يتوفر على تبعية، "هَذَا مَن ذَاكَ" "البَنت تَبِعَ أُمِّهَا." هذه الآليات لتعليم الجسد للمحافظة على نمط عام شامل تدرج تحته مفاهيم وقيم خاصة بالجسد (توزيع الأجساد وتطويعها كلها هادفة للترويض أو التهذيب وبناء بدائل في الاجتماعي).

المتون الشفوية تطرح نموذج لإعادة تشكيل الأجساد، فهي تحوي قيم قابلة للتطبيق (عمليّة)، تقدم نماذج جسدية تعتمد على قيم "إصلاحية-تنويرية-ثورية" شبكات من التصورات التي يرى الأفراد أنها عقلانية عبر تفكيك التمثلات التي سبقتها وقيمها وإنتاج ما هو موازي يقدم فهم جديد للجسد في إطار الموضة والعصرنة والتقدم، والبدائية من رفض النصوص المؤسسة-التاريخية-وهو ما تم الوقوف عليه لدى جزء من الشباب المستجوب.

توجد تفسيرات للمتون القديمة تم تعويضها بمنتجات لغوية جديد غير معهودة يسعى الشباب من خلالها إلى الخروج من الفاعلية والوظيفية القديمة والدخول في فهم جديد، ومنظومة رمزية جديدة، هي عبارة عن حركة مقاومة للأفكار السابقة حول الجسد، الغاية منها توفير فهم جديد وإعطاء دور للتجربة الفردية "طابع التشكيل الخاص للجسد"، حتى لو لم يتطابق مع غيره من الأجساد الاجتماعية، يمكن أن يخضع للتواصل الاجتماعي (إنشاء الاختلاف الجسدي) إذن فهي أجساد ليست خارجة عن النموذج/القيم بقدر ما تعبر عن أجساد مؤسسة لنموذج جديد شائع، قد خلقت قطيعة نسبية مع التصورات السابقة تحافظ على مرجعية داخل أو خارج البناء الاجتماعي، كنتيجة لظهور نظام قيم جديد.

الغاية هي إنشاء أجساد تتوسط التصورات الموجودة على مستوى اللغة، وعلى مستوى اليومي، تفرض نفسها كنمط خاص وشكلا وأوضاع لها قيمة على علاقة بالهوية، الغاية من تداولها إعادة صياغة مفاهيم جديدة، لا يمكن لها أن تكون غير فعالة لأن لها علاقة بنماذج/أجساد خاضعة، تُعكس على مستوى السلوك، تمنح الفعالية، وتؤهل للانتماء للاجتماعي كلما تماثلت مع القيم والمعايير.

للمتن قدرة وصف الفعل وتوفير البدائل الممكنة لضمان الاختيار الحسن¹ وبما أن الجسد يعتبر كإسمال فإن اللغة/الشفويات تعني به وتعمل المتون على تنميته؛ الإفصاح لغويا عنه من خلال الشفويات وتحول الأجساد إلى نموذجية يتم تبجيلها دون غيرها لأنها تتبع القيم التي تم الإفصاح عنها سابقا. كل متن يعتبر جزء من محاولات إصلاحية الغرض منها "إحيائي" لنماذج جسدية تنمهي مع الأصل كالجسد الديني، في مقابل أجساد نموذجية عصرية وكلاهما مؤسس على نظام للقيم تعبر عنه اللغة والمتن الشفوي. ليتحول إلى معنى وهوية للجماعات الاجتماعية (استشهاد العينة - الشباب - بأقوال وقصص الزهد (القائمة على ثنائية اللذة والألم) التي تعمل على إجهاد الجسد وإخضاعه في مقابل أجساد أخرى تنقدها وتؤسس للحرية الجسدية. الجسد له لغة تعبر عنه وتجسده لتبدوا أنها تؤسسه ويستعين بها لتبرير أوضاعه.

النسق الثقافي يتحول إلى لغة، علامة ويكتسب قيمته بما يمكن أن يصنعه فيدل على قيم الشرف، الزهد والجمال؛ هو كل أكبر من الجزء المادي المدرك هو كل ما أضافه المجتمع من تفسيرات وتأويلات يعبر عن الروابط

¹ - جل الأمثال تعمل على الترغيب والترهيب-التحذير وفق صيغ أمر، تنوجه إلى الأفراد المراهقين يكونون في الغالب مقبلين على خيارات دقيقة نجد مثلا: "أَلَا يَعْجَبُكَ نَوَازُ الدَّفْلَةِ فِي الْوَادِ دَائِرُ الضُّلَّائِلِ وَأَلَا يَعْجَبُكَ زَيْنُ الطُّفْلِ حَتَّى تُشَوِّفَ الْفَعَائِلُ... لَأُفَرِّقَ الزَّيْنَ.. النِّسَاءَ مَرْفَعُهُمْ مَا تُنْحَسِي وَهَدَرُهُمْ مَا تُنْسَى... أَخْرَثُ الْأَرْضَ الْقَرْيَةَ وَزَوَّجَ الْمَرْأَ الْبُعِيدَةَ... رُدُّ بَأَلِك... الخ"

الاجتماعية كل هذا للتأثير في المتلقي وإلزام الأفراد بسلوك محدد، تبقى الشفويات كنسق رمزي على علاقة تبادلية مع النسق الثقافي، هذا الأخير الذي يتكون من مجموعة من المعايير الثقافية (ليكون ما هو مقبول اجتماعيا ويساعد على القيام بالفعل وتبين ما يجب فعله).

تداولية المتن تبين الحاجة إلى إيجاد أفراد مؤدجين وهو الدافع الأساسي لإنتاج المتن، في جزء منه يعبر عن أفكار متخيلة للإقناع وفي جانب آخر معرفي واقعي. المتن يتأسس على أنساق معينة تعبر عن الفعل الإنساني؛ تقيم له مجموعة من الحدود المعيارية المنطقية العقلانية، تعبر عن العلاقات الاجتماعية هي تخطيط للبنية الاجتماعية، الشفويات عبارة عن رمز يختصر الكثير من الموضوعات رسم للتمثالات الذهنية؛ من خلال اللغة ومن خلال المخيال، تحاول الوصول إلى تجانس الأفعال الجسدية فتخضعها لمبادئ مثل "الحشومة". يسعى الفاعل إلى صناعة مظهرات نصية للسلوكيات ككل، لكنه يتجاوزها ليهتم بالسلوك في حد ذاته (مثل الشباب يتحدثون عن الحشمة لكنهم يتجاوزونها للحديث عن فكرة، العزل، الفضاء الخاص، الرجولة، الفحولة، الجمال، الانجاب علاقات اجتماعية... الخ).

مثلا: في كثير من المتون يتم التركيز على أن دور المرأة إنجاب الورثة الشرعيين ورعايتهم لكنها تتجاوزها إلى البطولة والقيام بأدوار أخرى حربية مثل سيرة الجازية وبنيت الخوص، ويعمل على إضفاء الشرعية على الأفعال ويكسبها مصداقية، المعنى هنا هو تقاطع للأفكار والتمثالات التي توفرها اللغة لخدمة أهداف وللتأكيد على تعالي وقدسية القيم وثباتها، مع الإيحاء بإمكانية وجود قيم أخرى. كما أن المنتج يسعى إلى خلق معنى له دلالات حسب طبيعة العلاقة فالعلاقة أم أولاد وزوج زوجة لا يتم فيها استدعاء قيمة "الحشومة"، لها معنى معين في ضل قيم ثابتة على العكس من علاقات أخرى فالمتن يسعى إلى ترتيبها (ترتيب العلاقات حسب أولوية القيم وترتيبها). يعكس تداول الشفويات الكثير من القيم التي تبين العلاقة بين الجنسين، قيم لذكورة وأخرى للأنوثة، هي امتداد للممارسات الموجودة، كما أن الشفويات من حيث التداول ليست محايدة بل يسعى الأفراد إلى إشاعة النموذج القيمي انطلاقا من ازدواجية التصور الذي يراعي تعددية السلوكيات وتقاطب القيم.

إن تداولية الشفوي على علاقة بقيم الجنوسة وبالثنائيات التالية؛ الاحتشام/التحرج والشرف الطهارة/القدسية، الإثم/الخطيئة؛ التي يجب أن تخضع للتحليل والغاية من هذا الفصل الإشارة إليها فقط والوقوف

على معانيها وأهم الممارسات والسلوكيات الاجتماعية، أما تعبر عن الحياة الجنسية وفق الفهم الشعبي ووفق التصورات التي ترسخت منذ الأزل، أهم ما يمكن الإشارة إليه هو الطابع الشمولي لهذه التصورات القيمية.

الشفويات تتحدث عن الحياة الجنسية والجنوسة بصفة عامة، لكن من خلال المتن يمكن أن نلاحظ أنها في انتظامها تخدم بناء تصور معين عن الاجتماعي وبالتالي تبني قيم تترتب عنها سلوكيات محددة. تعبر الشفويات عن الحياة الاجتماعية الهدف هو الرجوع إلى المعاني كما هي موجودة (لأن الأفراد يعتقدون أنها أزلية) خاصة أن المنتجين للشفويات يحاولون دمج الجنسي أو التعبير عنه ليبين التجربة الاجتماعية وتجسدها السلوكية.

بالنسبة للشباب تطرح الشفويات نماذج سلوكية، لا ترقى للتشكيك، لها من القوة ما يجعلها معتنقة من فئات مختلفة يتبنونها ويعملون بمقتضاها، كما أنها تقدم نفسها كنموذج عملي سابق في الوجود عن الأفراد المتداولين لها أي أنها متسامية، مؤسسة للمثاليات/للسلوك؛ نصوص يغلب عليها طابع الديمومة (يقينية مكتملة وحقيقية). الغاية منها إعطاء معنى الاجتماعي والبيولوجي، إذا كان "... الجنس هو حضور لجسدي ولأجساد الآخرين أيضا... على المجتمع أن ينظم العلاقات الجنسية بقدر ما تعنيه الممارسة الفعلية، لأن الجنس علاقة اجتماعية في الأصل، هذا هو المعنى الاجتماعي للجنس..."¹ فمن خلال اللغة الشفوية يحاول المنتج/المتداول للمتن تحويل السلوكيات إلى غائيات محددة نهايات محتمة لكل فعل إنساني، تظهر القيمة (مثل قيمة الحشمة، الجمال، الفطنة، العملية) بصفة جزئية غير معلنة تغلف كل النشاطات والتعاقدات. في المتن التي تم جمعها (الملاحق) نلاحظ أن الرابطة الزوجية مقننة تأطرها قيم محددة، تمنح للجنس معنى محدد لا يخرج عن المتعارف، فتضبط جل أشكال التحالفات الزوجية. بما أن المجتمع المدروس يولي أهمية للمتون الشفوية وللقيم المبنية على الاعتراف العلني، "العهد" يصبح الارتباط إلزاما على علاقة بالقيم. يسعى الأفراد إلى التماثل مع ما يتم الإفصاح به عن الآخر وجسده، أي أن إختيار الزوجة من أجل بناء علاقة دائمة يتم بعد التأكد بأنها التزمت ب "العهد" والطقوس الجسدية أي أن السلوك تتماهي مع القيم المعلنة. مما يجعل من الزواج نافذا "عند ذلك يسمح بالإعلان عنه." الإشهار به توجيهه لينتهي مبدأ التحريم، ويسهم في بناء علاقة ورابط بين العصب التي ينتمي إليها الأفراد والعصب الأخرى لتتسع رباط القرابة، دمويا وجغرافيا خلق دوائر قرابية. كذلك اللغة المتداولة تعمل على تهيئة الأفراد وتحديد الارتباط الجنسي وتنظيمه في دوائر محددة، أي أن الشفويات تطرح نماذج سلوكية مصقولة، تصويرية لنقل

¹ - بوحديية عبد الوهاب: "الإسلام والجنس"، ترجمة هالة العوري، الطبعة الثانية، رياض ريس للكتاب والنشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 2001، ص 35.

الأحداث بطريقة دراماتكية ورسم صورة عن المرأة/و-أو/الذكر تعتمد على السرد تسهم في بناء القيم وبناء العلاقات وتوجيهها.

نلاحظ الإدانة الواسع والاستهجان للوضعيات التي يكون عليها الجسد في كثير من الأحيان، مما يخلق حدود لوضعيات الأجساد ويحيطها بقيم معينة، وهذا لضبطه، وخلق كينونة محددة مميزة له.

يتم تصوير المحرم الجنسي بطريقة قصصية، درامية مما يخلق علاقات قرابية جديدة دموية وغير دموية موجهة في اتجاه واحد "...ويبدأ العبور التدريجي من رؤية تشيد بتمايز الجنسين إلى أخرى تعمل على تكريس الفصل حتى بين المتفاوتين عمريا واجتماعيا من أبناء الجنس الواحد..."¹ يجب الاعتراف بوجود نوع من الرمزية الجنسية بعيدة عن النفعية -بل أكثر من الوظيفية- لتصبح قيما ملزمة، تتجاوز بعض المتون ذلك للتمييز بين رموز تلحق بالفحولة، الفتوة، القوة وأخرى للأنوثة، وما تثيره من إغراء. بينما تترع نصوص شفوية أخرى إلى بناء نوع من التقدير الضمني للأجساد دون غيرها لأنها تعكس ثنائية النوع/القيم. يحول كل شيء إلى قيمة يقاس بها النوع الاجتماعي، تكون ظاهرة جلية على علاقة بقيمة مثل الطهارة، العفة. مثلا: الملابس؛ "تتجاوز الملابس غرضها النفعي لتعبر عن موقف يرمي إلى الحفاظ على طهارة (المرأة) بالدرجة الأولى... مهما اختلف المتن نلاحظ تجدد الطلب على الفصل والتمايز بين الجنسين والمطالبة بالالتزام به، فحركة الجسد خارج الفضاء الخاص تجعله عرضة للنظر "مُتَكَشِّف" (الحماية من نظرات الآخرين) الحرص على تأسيس وتكريس الفروق مع الاعتراف بتعاقب حالات الطهارة المكتسبة ثم المفقودة ثم المستردة... فالطهارة حالة أو وضع يمكن تحقيقه... حيث يعمل التطهير على إعادة الإنسان إلى حالة الطهارة الأولى."² فالقصص الشعبي يحاول أن يحاكي هذا التعاقب الذي يبدأ باختلال قيمة ثم استردادها لاحقا.

الطهارة كقيمة ملازمة للجسد:

يجب الحفاظ على الجسد ببعض عمليات تطهير التي تلازمه تتم بممارسة أساليب وفنون وطقوس في العالم الاجتماعي يعلن عنها من خلال الشفويات لتعبر عن الممارسات اليومية الجمال وطرق العناية بالجسد، تؤسس لرؤية أخلاقية حول الجسد.

¹ بوحديية عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 67.

² بوحديية عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 81.

تبين النصوص أن الطهارة ليست حالة دائمة لكنه يجب الحرص على استردادها بمجرد وقوع ما يفسدها، أي السيطرة الذاتية على الجسد بعد التعريف به وكلها نابعة أو مؤسسة لنظام قيمي قائم على التعفف، التقشف والزهد والورع. للوصول للمعنى يسعى المنتج للمتن إلى الربط بين النفسي والبيولوجي لتفسير الطهارة فالتغير البيولوجي يغير من النفسي والغاية هي نحو الإثم عن النفس، هناك علاقة بين الطهارة/الجسد والممارسات والهدف هو بناء نموذج جسدي، إفراط اللغة الشفوية في وصف الممارسات الفعلية، والاهتمام بجسد غايته الوصول للنقاء السكينة.

في نماذج شفوية أخرى نلاحظ إهتمام بجزئية الجنس إذ يتم ربطه بالقدسي "إعادة الإنسان من غربته إلى القدسي"¹؛ من وضعية إلى أخرى وتحويل هذه الجزئية من العبية والفوضى إلى تحقيق غايات وأهداف محددة لبلورة سلوك نموذجي يخدم الجماعة الاجتماعية المنتجة للشفويات والقيم.

المتن -لاستشرافي-يحاول الإشارة إلى إزدياد السلوكيات الحرة، يحاول أن يمنعها، يقلل من أثرها ويعطيها معاني معينة، إن ازدياد المنع يولد المقاومة للممنوع وللتهديد بالمنع، لهذا فالشفويات تحاول أن تجعل من السلوكيات متطابقة مع سلوكيات الآخرين المشاهدين للحصول على تقدير الذات، هي محاولة لبناء توقعات وقيم، الواجب على الفرد إتباعها، أي اتباع مجموعة التوقعات حول الكيفية التي يجب على الأفراد أن يشعروا بها، يعتقدونها ويتصرفون وفقها... نحن أمام نوع من التبادل الضمني أو الصريح للمكافأة أو للتكاليف.

من قيمة الحياء، الحشمة، إلى الشرف كقيمة:

يرى المنتج للمتن والمردد له أنه يجب على كل الأفراد في التشكيلة الاجتماعية أن يكون سلوكهم مرهقاً إلى قيمة "الحشمة"، هذه القيمة يدعمها الخوف من الفضيحة والعار، كل فعل يعتر مؤثر لأنه يربط بالكرامة وبالخزي كل هذا لحماية "المجال الشخصي" وتحويل العلاقات إلى اجتماعية، تعبر المتن على أن الإخلال بقيمة "الشرف" يحول الفرد إلى فرد معزول أي أنه بدون "وجود"، إن هذه القيمة تتطلب الصون والحفاظة، الدائمة، الأفراد مرتبطون بهذه القيمة ومطالبون بها، يجب "تأمين الشرف" من خلال سلوكيات متعددة مثل التحاشي أو الفصل، وتنظيم ما يجب أن يكشف وما لا يجب، تعمل النصوص الشفوية على وصف الأحداث المخلة التي يترتب عنها فقدان "الشرف"... يخشى الأفراد من "ارتكاب إخلال خطير بالشرف، الذي لا يحدث إلا إذا وقع الحدث

¹ - بوحديية عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 95.

المحل علنا، عند ذلك يجب على صاحب الشرف أن يكون مستعدا جاهزا للقتال... يجب عليه أن يتحرك ضد كل تحد أو إهانة لشرفه، يجب أن لا يظهر استعداد للمصالحة إذا ما أهين شرفه.¹

يتعلق الأمر بعضوية الجماعة وإمكانية فقدانها وفقدان الهوية والانتماء إذا تم الإخلال بقيمة الشرف، يجب أن يتم معالجة وإصلاح الشرف بالانتقام "السِّن بالسن، العين بالعين، زُوج صوَالِح لَأَزْم نَحَافِظُو عَلَيْهِمُ المَرَا وباللاد" أي أن المتون تحاول إعطاء إجابة دالة لوضعيات اجتماعية والتعبير عن الرؤية الاجتماعية التي يشترك فيها الأفراد، وهو الأمر الذي يمكن الوصول إليه بعد تجاوز البنية الداخلية للمتن وفهمها (compréhension) والتعامل مع البنية الخارجية بالتفسير (explication) مع تغليب رأي واستجابات المبحوثين والبحث لاحقا عن علاقتها بالسلوكيات والتمثيلات-التصورات والقيم السلوكية. من هنا يمكن القول أن المتن معبر عن وعي جمعي مشترك مبثوث في اللغة الغرض منه تشخيص الواقع؛ واقع العلاقات الاجتماعية حتى الجنسية منها.

يمكن أن نلاحظ أن الاستخدام الاجتماعي للغة الغرض منه الوصول إلى القيم وترشيد السلوك. في لحظات إنجاز التلفظ نلاحظ أنه عبارة عن متتاليات لغوية ناتجة في موقف-سياق وهي عبارة عن تدعيم لفظي للتأثير على الاستجابات (نفي الاستجابات السلوكية غير المرغوبة والمكافئة على المقبول منها-التعزيز-) وتعويد الأفراد على الربط بين شرطية لفظية وشرطية سلوكية، بناء للتوقعات، وتوجيه الأفراد لتبني نسق معتقدات واتجاهات وقيم. الملاحظ أن هناك تناسب بين موقف وسلوكيات والأداء اللغوي للمتن؛ فالغاية منها مقاومة السلوكيات الشاذة غير السوية لوجود اتفاق مشترك "عهد ضمني" يجب الوفاء به في نظر الجماعات على اختلافها. إن مقاومة السلوك الشاذ الغرض منها تنظيم الإشباعات والسلوكيات الحرة-المنفلتة (منع تكرار السلوك والتقليل من مقاومة الأفراد ببناء التوقعات والخبرات). الغاية من المتون استباق الوقوع في الخطيئة، استباق وقوع سلوكيات يرون أنها قد تهدم البناء الاجتماعي مما يوفر إحساس بالذنب، والخطيئة، "سمة الإحساس بالحياء تتصل بفشل الفرد في الامتثال إلى معايير الجماعة وإلى فقدان السلطة والانكشاف... وهي سمة تعوض الشعور بالذنب."² في التربية يلجأ القائمون عليها إلى غرس "التحجيل" ليتحول إلى سمة أو إلى قيمة "الحياء" يرتبط بالشرف العضوية الانتماء والمكانة الاجتماعية.

¹ - فروم إيريك: "حوار الثقافات والزرعة الإنسانية"، مجموعة من المترجمين، حميد لشهب، محمد سبيلا، جيرار حوري وآخرون؛ حوار الثقافات والزرعة الإنسانية"، منشورات توب ايديسون، الطبعة الأولى، الدار البيضاء المغرب، 2007، ص 69.

² - عبد الله بن محمد: سيكوباتولوجيا الشخصية المغاربية، مرجع سابق، ص 30.

الغاية من قيمة الحياء حماية البعد الفردي، كما أن له علاقة بنظام المنوعات؛ من خلال هذه القيمة ينفي الغرائز التي تراها الجماعة هدامة، نفي اللذة المؤقتة غير المقننة. توجيه أحادي للسلوكيات وفق نمط محدد بيوثقافي خاضع لقانون الشرف، يجب على الأفراد أن يبدوا نوع من الانطوائية التحفظ الخجل في كثير من المواقف أي الاتصاف بقيمة "الحياء".

كما أن دور قيمة الحياء خلق مساحات بين الأفراد المكونين للبنية والحفاظ على المسافات الاجتماعية (دور قيمة الحياء هو المحافظة على "الحرمة") وبالتالي تحفظ المكنات والأدوار. هي آلية ذاتية دائمة لمراقبة الأنا ومحاولة للتمركز في جماعة الانتماء وتحقيقا للتوازن (كأن الأفراد يعترفون ضمنا بالمقولة التالية: إذا اتصفت بالحياء فإن الآخر يتصف به أيضا فالفرد محمي بهذه الآلية سواء كان موجود أو غائب). إن البنية الاجتماعية محكومة بهرمية غير واضحة المعالم غير مصرح بها لكن معترف بها لدى الأفراد ككل، وهذه القيمة "الحياء" تنظم الحياة الاجتماعية وتعطيها معنى خاص، وتبادل الحياء كسمة يضمن الحصول على الاعتراف وتقدير من هم في أعلى هذه الهرمية، إن حدث العكس، إن لم يمثل لهذه القيمة فيعتبر السلوك شاذا قد يعاقب عليه، كما أن "قيمة الاحتشام-حياء" تجنب الفرد الدخول في علاقات غير محدودة، مع الأكبر سنا، بل تسمح بإنشاء شبكة علاقات مع جماعة الأقران فقط، مع احترام الجماعات الأخرى الأكبر سنا؛ إذن هذه القيمة هي مطلب جماعي اجتماعي لها وظيفية ومعنى لدى معتنيها نجد لها صدى في كثير من النصوص الشفوية وهي لا تنفصل عن قيمة "الشرف". نلاحظ انعكاسية في الممارسات والسلوكيات يجب على الأفراد التحلي بهذه القيمة وفي المقابل يحصلون على التقييم الاجتماعي، التقدير، والاعتراف أي بكونونة لهذه الذات.

تعمل الجماعة على إنتاج قيم محددة ترعرعها في الأفراد، يُعدّون من خلال التربية إلى تمثلها وعكسها في السلوك من خلال بيداغوجيا الردع¹، يتعلم الأفراد تقديس المكان والفضاء ويقبلون لاحقا إمكانية العزل عن الآخر ليتحول إلى ذات وكونونة غريبة هذا العزل مادي، أما العزل المعنوي هو إنتاج قيم وأنماط سلوكية لها علاقة بمفهوم الحشمة ك "الحرمة" و"الشرف" "النيف"... "النيف" الذي هو كناية عن الجسم وعن الوجه وبالتحديد يجسد الشخص في بعده الخلقي ويرمز إلى شرف الفرد والعائلة التي ينتمي إليها والقبيلة التي ينحدر منها².

¹ - تربية الأطفال على مراقبة ذواتهم آيا، وتربيتهم على مراقبة إخوانهم وأحواهم وغالبا ما تسند هذه المهمة للابن الأكبر سنا؛ البكر ويعدون لهذه المهمة الشاقة منذ الصغر وتتواصل هذه الرقابة إلى السنين اللاحقة ويسهم فيها الأب، الزوج، وفي بعض الأحيان الجد وباقي العائلة.

² - عبد الله بن محمد، مرجع سابق، ص59.

تخلق المساحات ويتم الحفاظ عليها من خلال المحافظة على معاني "كالسمعة" "الشرف" هذا إشارة إلى نوع من التمرکز حول الذات التي يعتقدون أنها صافية نقية متميزة عن غيرها من الجماعات المتجاورة، الحفاظ على "وهم الانتماء" للقيم السامية، ومحاولة فرض قيم سلالية يضاف إليها قيم مجاورة تعطيعها معنى مضاعف. الأنا غير موجودة والآخر وهو من يحكم على الذات، للحصول على الواجهة واكتسبتها مكانة وانتماء للجماعة، يتم تعزيز هذه القيم ومحاولة فرضها بالقوة على الأفراد المنتمين للسلالة للأصل المشترك.

تنشئة الجسد على القيم:

من خلال تعليقات/تعقيبات الشباب على المدونة التي تم جمعها والملاحظات الميدانية يمكن القول أن الشخص في تكوينه وتطوره ومن خلال جسمه يُعد إعدادا دقيقا ومتوصلا، يزود بالعتاد المناسب لتحقيق المشروع المجتمعي الذي يسمح له بالتمايز سواء في إيماءاته وحركاته ومظهره وتصوراته وتعبيراته الحقيقية والرمزية فالجسم في المجتمع هو بالتأكيد "مادة خام في البداية ونحت كامل في النهاية"،¹ يتم الإعداد للتمييز عن الآخرين داخل البنية الاجتماعية وخارجها، حتى التميز عن الجنس الآخر يتم باستمرار الإعداد للأدوار المتوقعة وأي خلل أو حياد عن المتوقع يعتبر عيبا لا بد من تلافيه وإقصائه. لا بد من الامتثال للقيم وبالتالي الامتثال للوظيفية الموجودة داخل المجتمع فالجسد مطلوب منه أن يكون ذكوريا وفق قيم أو أنثويا وفق قيم أخرى.

إن عكس القيم من طرف الأفراد-الشباب- في الواقع (كما أريد لها أن تكون) يعتبر كتأمين للجسد الذي يؤدي وظيفة كما أريد له، ومن خلال التماهي مع الجسد يمكن الوصول إلى مكانات وأدوار ليتحقق الاعتراف الاجتماعي به، ويتحصل على قيم جديدة بحكم هذه الوظيفة كالوجهة، الشرف، "فالجسد الخصب يبدو محفوقا بكل الخصال بيد أن الجسم العقيم هو بمثابة جسم فاشل عاجز لأنه لم يتمكن من تحقيق استمرارية النسب ولم يقوى على نقل التراث الروحي."²

إن قيم مثل الفحولة والمروءة والحكمة يتم التأكيد عليها في الشفويات، يتم التأكيد عليها لترسيم معالم الجسد يجب أن تنعكس عليه وتبدوا واضحة للآخر، فالجسد خاضع للتقييم الاجتماعي اللاهائي في كل مراحل العمرية.

¹ - عبد الله بن محمد، مرجع سابق، ص56.

² - عبد الله بن محمد، مرجع سابق، ص57.

يجب أن يتماهي الجسد مع نموذج شائع معترف به، الجسد عبارة عن شفرة اجتماعية تعكس كينونة الفرد وانتماءه الجمعي، لذا لا بد له أن يخضع للتشريط والتقنين والإلزام والقهر، الجسد عبارة عن أيقونة اجتماعية ثقافية. تحاول اللغة الاحاطة به وضبطه إلى درجة الوصول للافتتان. الافتتان الثقافي بالمظاهر الجسدية يعني وجود أسلوب موحد للسلوك، ضمن البيئة الفضاء، يعني طريقة واحدة للجلوس، للكلام، طريقة للتعامل مع الذات والآخر، عدم إتيان "العيب" العيب هو مرادف "للإثم" "الخطيئة" "السمعة" هو قيام الفرد بشيء مستهجن يولد "شعور بالخزي" شعور المرء بأنه قام بشيء معيب" (...التضاد بين الكلمتين يدور على حقيقة أن كلمة عيب/العار -تستخدم على المستوى غير الحصري- في المواقف التي يكون فيها الفعل المعيب مكشوف على الملأ بينما كلمة إثم/ذنب -كذلك بشكل غير حصري- تستعمل للدلالة إلى المواقف التي لا يكون فيها الفعل المعيب مكشوفاً، فالعار هو الإحساس بالخزي والمهانة، الذي يتأتي بعد انكشاف الفعل المعيب، والإثم هو الشعور بالسوء في داخل النفس عندما لا ينكشف الفعل...¹، تعبر اللغة الشفوية عن العار والإثم الذي يمكن أن يلحق بالأفراد جراء القيام بتجاوزات سلوكية مكشوفة أو مستورة، معترفاً بها أو خفية متخيلة أو فعلية. (يجب الالتزام بالقيم دوماً) فالشعور بالذنب والعار يحمل أهمية وجدانية كبير في ضبط السلوك والعلاقات بين الأشخاص، هذا الإحساس كفيل بضبط السلوكيات"على الرغم من أنه سريع الانحفاء."² تربط القيم/السلوك بالآداب الاجتماعية يُنص عليها في المتون الشفوية غالباً، تربط أيضاً بالوجدان-العاطفة مما يحولها إلى آلية لضبط عمليات وأشكال التواصل الاجتماعي قبل حدوثها أو في أثنائها.

للتوضيح نستعين بفكرة (التمسرح) ل إرفينغ غوفمان لشرح قيمة "الحياء" وعلاقتها بالآداب العامة؛ ففي كل تفاعل هناك نوع من الخشية، من فشل الأداء بين الناس في ما يتعلق بالآداب الاجتماعية، خشية مستمرة من تلاشي المسافة المطلوبة بين الأشخاص التي تفرضها تلك الآداب الاجتماعية، الخشية من فقدان الواجهة، ومن أن شخصية المرء ستحترق ه ويكشف وآدائه الاجتماعي، سيظهره سلباً على الملأ (في مجتمع يرفض الالتزام بالقيم الجسدية) وهو ما يؤدي في النهاية إلى مراجعات ذاتية لكل تفاعلاته سيسعى لإذابة هويته الفردية في الاجتماعي والمعيارى، وفي حالة ارتكاب فعل مخالف للآداب يتبخر كل شيء وتصبح اللحظة شديدة الوطء على النفس - قد تشل حركة الفرد- ويصبح الأفراد عالقين في مشاعر الحرج، كأن أحدهم اقتحم مجال خصوصية الآخر دون وعي منه...وهو ما يحفز المرء على العمل على محاولة تجنب الكارثة/الخطيئة، الخوف من العثرات والزلات المحرجة،

¹ - كليفورد غيرتس، مرجع سابق، ص740.

² - كليفورد غيرتس، مرجع سابق، ص741.

والحفاظ على التواصل الاجتماعي.¹ للقيم دورها المؤثر القوي، الفرد يشترى الاعتراف الاجتماعي بالخضوع قصرا للمعايير الأخلاقية والقيم، لهذا لا يجذب إظهار ذلك الجانب الفردي وتحقيره في كل مناسبة. ربط السلوك بالحشمة كقيمة جزء من كل تلك السلوكيات الاجتماعي يمكن تقديمها من خلال الوصف بتقديم نماذج من أحداث ملموسة، معاشة ملاحظة وتتبع للأنشطة الاجتماعية المتركمة.

خلاصة القول إن مفهوم الجسد والقيم التي تتبعه، ضل في الثقافة الحديثة مرتبط بالنصوص الدينية الفقهية والطب وعلوم أخرى كالعولم الاجتماعية والإنسانية لكنه يرتبط بالمأثور-المتداول الشفوي. في المتون الشفوية يتجلى ككيان مادي له استقلالته (استقلالية الفعل) ويرتبط بالقيم الذاتية والعامية، يختصر في الكثير من الوظائف لكنه يختصر في الوظيفة الجنسية، "الجسد معطى مادي له مفهومه الثقافي... وهو موضوع بحث خصب..."² هو جزء لا يتجزأ من التخييل سواء الفردي أو الجمعي "هو جزء من صورة ذهنية مركبة ذو دلالات تحده وتأطر وجوده؛ إذن فهو محكوم بتعددية الدلالة قابل للتحليل؛ (دلالات عن مظهرات شكله) قابل للتأويل (متعدد المعاني)."³

هناك نماذج أساسية تحدد الجسد-الجسم المثالي وتربطه بجملة من الدلالات والسلوكيات مما يساعد على بناء صورة مشتركة شائعة حول الجسد-جسدية تكون عامة، كما أنه يعتبر متخييل من جهة؛ (لغويا من خلال استدعاء المتن) وواقعي من جهة أخرى يرتبط بالثقافة بخصائص كالجمايلية وله علاقة بالتصورات والتمثيلات. يمكن القول إن المتن يتحدث عن نماذج جسدية متعددة، منها ما هو مثالي يسعى المنتج إلى الوصول إليه من خلال إنتاج متون تحتوي على قيم جمالية، ووضعيات للجسد تكون مطلوبة. "بتواجد الجسد داخل الخطاب التخيلي قد اتخذ صفة التاريخية من خلال تداول خطاب لغوي الذي ضل ثابتا -إذن فهو حسب الزاهي فريد-يمتلك تاريخا وهو يخترق الديني التاريخي والاستيهامي والحميمي الشخصي الذي يقبل الحكيم والحكاية."⁴

يحاول المتن تأطير السلوكيات العامة والاستخدام الاجتماعي للجسد يربطه بوظيفية وبدلالات لبناء تصور حول السلوكيات الجسدية، لكيلا يخرج عن الطابع الاجتماعي، يتماهي مع النماذج الذهنية والواقعية ويصبح تابعا للتجربة الاجتماعية. يمنح له طابع خاص ودينامية تخرجه من التصورات العامة إلى الخاصة أو العكس، وتربطه

¹ - كليفورد غيرتس، مرجع سابق، ص742.

² - الزاهي فريد: "الجسد الصورة والمقدس في الإسلام"، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص8

³ - الزاهي فريد: مرجع سابق، ص8-9.

⁴ - الزاهي فريد، مرجع سابق، ص11.

بالممارسات الثقافية المستجدة والوافدة، يمكن القول بأنها تكوين للجسد الآلي تجاوز أحيانا التاريخي والتجربة الاجتماعية والدليل هو المناادة بقيم الاستقلالية الجسد.

بما أن الجسد هو نقطة الالتقاء بين الواقع والوعي يسعى المتن إلى ضبط العلاقة بينهما وصناعة أو إعطاء المشروعية لتمظهراته، "الجسد هو نقطة ارتباط بين الذات والواقع بين الأنا والخارج هو تمظهر الأنا للآخر هو الذي يجعله مدركا... هو مرآة وجودنا... مما يدفعنا إلى التفكير في الجسد لا كطبيعة وإنما كبنية متكونة من مجموعة من العمليات ذات الطابع الإدراكي والوجودي".¹

يجب إعطائه معنى لهذا تخلق علاقة بينه وبين الرمزي والثقافي من خلال اللغة، ويعمل المتن أو المتداول له على ربطه بوضعيات وطبع وأفعال، وبناء وعي، لأنه مرتبط بالعالم الخارجي، كما أنه محل للغريزة لذا يرى الأفراد أنها يجب أن تكبح وتكبت ليتم منحه صورة تتوافق مع النماذج الاجتماعية.

الشفويات تهم به تجعله مجال للتعبيرية تقدمه على أنه، "حركي، صامت، حرفي، جسد اجتماعي، إخباري".² الشفويات على اختلافها نوع من الوصف لغوي اثنوغرافي للجسد، تحاول ضبط التواصل الاجتماعي تعبر عما هو مدرك من الآخرين؛ يمكن الحديث عن "أنا جسدية" تدخل في علاقات مع الآخر في فضاء وزمن محدد ويمكن تصور الجسد على أنه عبارة عن "خطاطة هندسية" أو صورة أو وحدة قابلة أن يعبر عنها لغويا. يمكن أن يتحول إلى لغة أو نموذج خطابي تعبري مرتبط بوظائف يومية اجتماعية أي أنه عبارة عن مشهد قابل للوصف وقابل للتجزئة ذكوري وأثوي، على الرغم من أنه لغوي نحوي إلا أنه يعبر عما هو موجود خارج اللغة.

"فالجنس النحوي يملك قيمة خاصة به تقتضي تراتبية تتأصل بمرور الوقت وتدخل في علاقة تماثل مع التراتبية الجنسية للعالم الواقعي... إن اللغة تنقل إلى الإنسان نسقا جاهزا من القيم يوحى إلى بعض التصنيفات...". المفاهيم مستعارة من مجال الجنس تشير إليه مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، مثل عبارات الأرض، الحرث دلالة على الإخصاب فالعبارات التي تشير إلى التضاد تشير أيضا إلى طبيعة السلوكيات وتشير أيضا إلى الاختلاف والمطابقة بينها وبين الموضوعات في العالم الخارجي (العبارات المرأة الزين الدفلة). هي دلالة على تعارض في الأدوار والمزاوجة بين الجنس كطبيعة متأصلة تكون جوهر لا يتحول (الربط بين الأفعال والكلمات لتشكيل وحدة دالة

¹ - الزاهي فريد، مرجع سابق، ص23.

² - الزاهي فريد، مرجع سابق، ص28.

على القلة والكثرة، الأعلى الأدنى، فوق تحت، القدرة وعكسها تعتبر كلها مصدر للقيم) في حين تنفي هذه العبارات ذلك عن المذكر أو المؤنث لإقامة الفصل في اللغة وفي الواقع الاجتماعي المعاش. تؤخذ هذه العبارات للاستدلال بها وللتعبير عن الجنسين وعن التفاضل والتمايز في السلوك والقيم، (التمايز في القيم هو تمايز يعكس على مستوى اللغة) أي وجود دلالة إيجابية (مثلا في حالة الرجل المطر والمرأة الأرض، الأعلى والأدنى) أي أننا أمام تبادل لغوي قابل للتحليل انطلاقا من فرضية وجود تجنيس للغة وللقيم والسلوك. المتن يحول السلوك إلى شكل- والقيم المعنى- لتعبر عن المعاش الغاية توفير حد من التطابق بين اللغة والموقف الجمعي المراد التعبير عنه.

التلفظ لدى الشباب لا يخلوا من عبارات التلذذ والتعبير عن الجنس الآخر -على الأقل بالنسبة للذكور- في فضاء محدد، أي التعبير الشبقي، على الرغم من التحذير من الحميمية التي لا نخدم الاجتماعي وتتعارض مع الأطر العامة التي يحددها المجتمع لأفراده. لكن لا يمكن انكار فكرة وجود بقايا لغوية تعبر عن الذهنية الجماعية يمكن تجاوزها، أحيانا، لأننا أمام متون جديدة. على الرغم من أن المنتج الأول للشفويات يقر أن الصورة التي يعطيها الأفراد لذاتهم يجب أن تبقى سليمة وفيه لقيم الشرف والعفة، والالتزام بالكيفية والطريقة التي أقرت بها العلاقة بين الجنسين، وبما أن اللسان لا يمكن أن يحيط بكل شيء من خلال "سلوك الملائمة" فالشباب المدروس لهم عدة بدائل؛ قد يستعينون بعبارات جديدة في كل مرة، أو يستدعون نماذج تاريخية تفي بهذا الغرض، (بناء تصور للمذكر وللمؤنث وللقيم) تبنى نوع من القصص لأنه يلاءم المعاش ويولي حاجات اجتماعية (مثل الفصل بين الجنسين وتجنب غيره من المتون) أما بقية المتون الأخرى فليست لها أية قيمة حتى أن فئة الشباب لم تعلق عليها. الملاحظ هو أن المتن لا يرمي الخصوصية الجغرافية التي تم فيها الحكى بل يتجاوزها للتعبير عن الحركة والسكون الحبكة والحل والوصول إلى النهاية إلى نوع القيم التي تتناسب مع من يدخلون إلى السوق اللغوية ويتبنون نفس القصص/المتن الشفوي.

الفصل الرابع

القيم الاقتصادية

تمهيد:

تعمل الشفوية على التعبير والابانة وتناول السلوك وكل الاستجابات الحركية واللاآداءات المختلفة في الوسط الاجتماعي، تعبر وترصد كل لأنشطة اليومية. يهتم المنتج والمردد بكل ما يتعلق بالأفراد، مثل المتون التي تتحدث عن المهارات المكتسبة والمتعلمة، تعمل على تقييمها وتبيان أثرها على البيئة المحيطة، يحاول المنتج/المتداول للمتن أن يجعل من اللغة معبرة عن السلوك هذا الأخير هو عبارة عن مجموع من الاستجابات، تصرفات وتعبيرات خارجية أي أنه: يتجه إلى شيء؛ أنه مسبب وهادف، يسعى لتحقيق إنجاز أو إشباع حاجة، كما أنه مرن يتعدل تبعاً للظروف لتحقيق التوافق ويتميز بالتنوع.

القيم الاقتصادية والشفوية:

يحدث السلوك كنتيجة لدافع حالة داخلية تثيره للوصول إلى غاية محددة، تعتبر اللغة كمنبه تثير سلسلة من الأفعال، يعتقد بأن كل فعل هو عبارة عن نشاط ذاتي لذا يكون دوماً-ضمناً محل تقييم ذاتي، الدارس له يركز على القيم ويعتبرها كحافز (خارجي) أدى إلى الفعل؛ يتأثر السلوك باللغة، يكون مقصود وهادف يعبر عن قيم ذات نمط "اقتصادي"؛ تجعل اللغة من النظام الاقتصادي مقسم إلى أنشطة منسقة، يطلب من الأفراد أن يكونوا عمليين، وظيفيين، يتسم سلوكهم بالمرونة، الخفة، والاستجابة السريعة، (مثل الحث على العمل وتحويله إلى نشاط هادف ومقصود). تداول اللغة يخلق شعور بالانتماء لنوع موحد من المفاهيم وأنماط سلوكية (اقتصادية موحدة، كما يهيئ للأفراد تقبل النشاطات لتحقيق نوع من التماسك والترابط (تصوير حوافز الفعل على أنها أكثر من إسهامات فردية بل جمعية تُمكن من الحصول على العضوية الجماعية والمنافع التي تنجر عنها تفيد الجميع) المتون الشفوية تعمل على بناء توقعات مشتركة تليها استجابات للتقليل من ردود الفعل السلبية، لغوياً كل نشاط يرتبط بأهداف محددة، مرحلية قائمة على تعدد الأدوار.

نحن أمام لغة تسعى لتوفير بدائل ممكنة للأفراد للاختيار بينها في حالات معينة أي شرعية نشاطات وعدم شرعية نشاطات أخرى. تستهدف المتون السلوكيات وتعمل على بناء نوع خاص من الإدراك، الاستجابات، تنظمها حسب السن والبيئة والغاية هي إحداث أثراً على الذات والآخر... تعمل التون إلى توجيهه لخدمة الاجتماعي وكل نشاط لا يخدم ذلك يتم رفضه. تسعى لتحويل كل السلوكيات إلى جماعية أي تطوير عادات وسلوكيات تلقائياً.

في بعض المتون نلاحظ نزوع الراوي، المتداول لرفض فكرة المنفعة الفردية، يحرص المنتج للقيم على دعوة الأفراد إلى ترتيب الخيارات والأولويات مثل طرق الاقتناء من أجل خدمة الجماعة لخلق التجانس الاجتماعي (الرغبة في هندسة الاتفاق الاجتماعي بترتيب الاستهلاك وترشيده)؛ تتحقق المنفعة من خلال المشاركة مع الآخرين، ومقاومة أشكال "التَمَلُّك" المختلفة وعقلنتها وتحويلها إلى طبيعية في الحياة اليومية، إذا كان التملك يعني، "تملك الشيء ملكه والتملك هو الذي يصير الشيء ملكا لك بعد أن كان ملك لغيرك، بحيث يؤدي دخوله في ملكك إلى اكسابك القدرة على التصرف فيه ضمن حدود..."¹ فالشفويات تسعى إلى تحديد وظيفته، وإلى إشاعة نماذج قيمة لها علاقة بالتملك، العطاء، المشاركة.

تركز المتون على ضرورة التحلي بالقيم وعدم الخروج عن التجارب الجمعية؛ أي أن الحكيم والشفويات تركز على أن العالم الاجتماعي محوره الأساسي هم "الأفراد" لا "الأشياء"، وسلوك "التملك" قوة إن لم تضبط فأها تصبح هدامة للبناء الكلي. المتون الشفوية مؤسسة على؛ أولا: الفصل بين مفهوم "النشاط الاجتماعي" كفعل إنساني مطلوب أن يتجسد كممارسة لدى كل أو جل الأفراد، ثانيا: الإشارة إلى أن مفهوم "التملك" المرتبط بالأشياء فقط يجب أن يخدم الإجماعي ككل؛ فالمكانات مرتبطة بالنشاط الاجتماعي، لذا يجب تسخير كل الأشياء "المملوكة" لخدمة هذا النشاط وتحقيق التكامل الاجتماعي.

قيم/قيمة الاستهلاك:

تسعى الشفويات إلى نقد وترتيب طرق الاستهلاك خاصة أنها تبرز كنمط مميز لفئة الشباب دون غيرها من الفئات الاجتماعية الأخرى، الاستهلاك وموضوعاته، "الترعة الاستهلاكية" محل نقد من الفاعلين والمنتجين للشفوية/قيم، وبالتالي فالشفويات تحاول مناقشة ثنائية الاستهلاك/إشباع، كما أن هذه الأخيرة أي الإشباع معبرة عن هويات جديدة (أنا موجود بقدم ما أنا أملك وأستهلك). الاستهلاك معبر عن طريقة في العيش وهوية مميزة للذات عن الآخر، كما أنه مرتبط بالملكية/تملك، يرى الكثير من الشباب أنه النمط الوحيد للحياة، فمن خلاله يمكن خلق الكينونة، التعبير عن الذات والمكانة.

كنتيجة للتغيرات الجزئية والجزئية التي مست البنية الاجتماعية يلجأ منتجو الشفويات إلى نقد ما هو موجود نقد العمل إن لم يكن مرتبطا بالمصلحة العامة، نقده إذا كان خاص وفردى، لأنه يحقق منفعة فردية، نقد

¹ - صليبا جميل: المعجم الفلسفي الجزء الأول، مرجع سابق، ص344.

أي جهد مبذول يلقي القائم عليه أحر نقدي محسوب ومحدد، نتائجه تتعارض مع تطلعات القائمين على البنية الاجتماعية، لأن الأفراد ولوقت طويل ضلوا يمارسون أعمال قد تستوعب كل حياتهم إلا أنهم لا يلقون عليها أجرا سوى التقييم الاجتماعي فقط.

التغيرات الجذرية والمرور من منظومة اقتصادية قائمة على "الاقتصاد المعاشي" لا ترضى بإنقسام الارث الممتلك (كالأرض والذكار محل إقامة الجماعات المترلية) هذه المنظومة تبجل إلى حد ما التملك الجماعي، عكس بعض التوجهات اليوم التي تعطي أولوية للفردى وتحوّله إلى نموذج مثالي مطلوب؛ هذا ما ولد ازدواجية قيمية جديدة ونظام قيمى جديد تسعى المتون إلى محاربه. فى النموذج الأول يتم تحويل أشكال التبادل إلى قيم يتساوى فيها كل الأطراف، "البائع يأس والشاري يخلص" جعل الأفعال محل تقدير لأنها تتماشى مع النظام القيمى (توفير نوع من الاستهلاك المقنن) تقنين لعبة المبادلات من خلال القيم. ومحاربة التغيرات السريعة مثل المتن التالى: "شاف القافلة قاس الغيز" الإشارة لسرعة التغير فى القيم.

الشفويات ومحتوى القيم الاقتصادية:

فى جل المتون نلاحظ إشارات من طرف المنتج والمردد إلى التجارب النموذجية التي تثنى النشاط والعمل والابتعاد عن أي تجربة فاقدة للمعنى (إذا كان العمل أو الثروة لا يخدم الاجتماعى فلا قيمة لها) أي رفض القيم التبادلية الجديدة التي تعطي قيمة للذات ولل فردية على حساب الاجتماعى، الحين إلى نمط تقسيم العمل السابق (الذي كان يتيح فرص كبيرة للتعاون والتضامن ولم يكن يولي أهمية للتملك والملكية) فى الميدان المدروس يعتقد أنها قد أنتجت التمييز وولدت جماليات جديدة جسدية بعيدة عن الجماليات الروحية والقيم المعنوية، ساعدت على تلاشي المعاني القديمة لذا يتم استرجاعها بحميمية من خلال اللغة (قيم الفناعة كمثل "كول ما حضر وكبس ماستر"¹)، تلك القيم التي يعتقد الأفراد أنها أبدية غير زائلة مقارنة مع القيم الجديدة التي يرون بأنها تفتقد للجوهر.

الحديث عن المال والترعة للتملك يكاد يكون عام فى المتون الشفوية، لهذا يتم تحقير السلوكيات والقيم الجديدة يرى الأفراد أنها "إستلابية" ساعدت على القضاء على التنظيم الاجتماعى الذي كان يُشيع كل شيء (الملكية مشاعة للجميع)، تبدلت القيم وفقا للسياق الاجتماعى الجديد ف"الشاطر" "يديها من فم السبع، (لأننا فى

¹ - ومثلها الأقوال المتداولة: لَأ نَحْمَمَ لَأ نَدَبِرَ وَأَلَّا تَرَفَدَ الْهَمَّ دَيْمًا *** الْفُلُكُ مَا هُوَ مَسْمَرٌ وَأَلَّا الدُّنْيَا مَقِيْمَةٌ، يَا صَاحِبِي كُونَ صَبَارًا وَاصْبِرْ عَلَى مَا جَزَأَكَ *** أَرَفَدَ عَلَى الشُّوْكَ عَرَبِيَانِ حَتَّى يَطَّلِعَ نَهَارَكَ" لكن يقابلها مجموعة من الأمثال الأخرى يعتقد الشباب أنها مكتملة للأمثال الأولى مثل: ضُرِبَتْ كَفِّي عَلَى كَفِّي وَحَمَمْتُ فِي ذَا الزَّمَانِ سَاعَةً *** لَقَيْتُ قَلْتَ الشَّيْءَ تَرَشِي وَتَنُوضُ مِنَ الْجَمَاعَةِ... الْحَبِزُ يَا الْحَبِزُ وَالْحَبِزُ هُوَ لِيَفَادَةَ *** لَوْ مَا كَانَ الْحَبِزُ مَا يَكُونُ لَأ دِينٌ وَأَلَّا عِبَادَةَ."

وقت) تَغَلَطَ تَخَلَّصَ، تَحَلَّ فَمَكَ تَرُوحَ ضَرَسَكَ، نَفْسِي نَفْسِي، يَدِيهَا مِنْ عَيْنِ لَبْرَةَ "الشَّاطِر" من يراكم أكثر من غيره حتى بدون عمل أو بدون أن يبذل أي جهد. تتحول الفردية إلى مقياس للتجربة بدل الجماعة وتجاربها وقيمها، حسب بعض الشباب هذا ناتج عن غياب/تغييب المعاني والقيم (لغياب السلطة والدين والتاريخ وتراجع الأساطير الكبرى) جزء من المتون الموجودة اليوم يقدم البديل لقيم الأجداد بداية بتفكيك الدلالة من معانيها تدريجياً وجعل السلوكيات الجديدة عقلانية ومبررة؛ تعمل على إنتاج رد فعل على الشفويات التاريخية وترسيخ ميل نحو القيم الجديدة (ثنائية القيم المحلية والقيم العالمية).

تعمل "الأشياء" في العالم الخارجي على التعريف بالأشخاص، لأنها تحتزن قيم محددة كما أنها قابلة للتبادل يسعى الأفراد لاقتنائها لأنها - حسب الشباب مميزة، تبين هويتهم ومكانتهم (يؤى جزء من الشباب أن المكانة هي نتاج تراكم مادي فقط). في القصص مثلاً نجد إشارات إلى نشاطات مثل: العرض والطلب وحركية الإنتاج المربح، الرفاهية والاستهلاك كمنط، يقابلها الثروة، المصالح، كل هذا لإنتاج التفاوت الاجتماعي وتركيز الفوارق والتمايز الاجتماعي، الحديث عن الخدمات، الملكية العامة حصر النشاطات المربحة والأناية، وغيرها مثل المكانات الاجتماعية تمثلها القصة التالية:

القصة رقم: (01)

كَانَ وَاحِدَ النَّهَارِ فِي جَمَاعَةٍ وَاحِدَ فَقِيرٍ قَالَ: عِنْدِي عَوْدٌ رِبَطْتَهُ بِالْحَبْلِ، مَا فَاتَشَ وَقَتَ حَتَّى قَطَعَهُ قَالَتْ الْجَمَاعَةُ هَذَا الشَّيْءُ كَذَبٌ كَيْفَ عَوْدٌ يَقْطَعُ حَبْلٌ وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ قَالَ الْعَنِي الْيَ كَانَ فِي الْجَمَاعَةِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَاحِدَ النَّهَارِ تَسَوَّقَتْ وَشَرِيَتْ سَنَسَلَةَ مِنَ الْكِبَارِ رِبَطَ بِيهَا الْعَوْدَ وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ كَلَاهَا بَسْنِيهِ قَالَتْ الْجَمَاعَةُ وَاهَ هَازِي تَصْرَى هَذَا الشَّيْءُ كَأَيْنَ وَأَمْنُوهُ... (ملاحظة: وردت القصة بالدارجة، تم سردها بلغة مغايرة للتفسير فقط)

القصة رقم: (02):

فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ كَانَ وَاحِدٌ فِي وَسْطِ الْجَمَاعَةِ لِأَبْسِ بَرُّوسٍ عَجَبَ مَا كَانَتْ كَيْفَهُ؛ خَافَتْ الْجَمَاعَةُ تَهْدَرَ هَاكَ وَلَا هَاكَ، مَا عَرَفُوشَ السَّيِّدِ وَاحِدٌ يَقُولُ رَاجِلٌ مُتَدَيِّنٌ وَعَارَفٌ مِنَ الْعَرَفِينَ وَفَاهَمٌ وَوَاحِدٌ يَقُولُ هَذَا وَكَدَ قَائِدٌ وَوَاحِدٌ يَقُولُ هَذَا حَضْرِي وَمَا نَجْمُوشَ يَتَكَلَّمُوا خَافُوا مِنْهُ، قَالَتْ لَهُمْ وَاحِدٌ أَنَا نَجْبَدَهُ مِنْ هُوَ، قَالَتْ لَهُمْ يَا جَمَاعَةُ: بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ خَبْرُونِي رَأْنِي مَتَعَجَبٌ مِنَ الرَّعَائِنِ كَيْفَ يَصْنَعُوا الْجَبْنَ وَمِنْ يَخْرُجُوهُ يَاكَ...؟ فَمِ الشُّكُوءَ صَغِيرٌ وَفِي

هَذِي اللَّحْظَةَ تَسَقَمُ السَّيِّدُ الِى لَأَبَسَ وَعَدَلَ رُوحَهُ وَقَالَ سَاهَلْ يَحْلُوا الخُلَالَ (مكان في "الشكوة" أداة لصناعة اللبن) وَيَخْرُجُوهَ وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةَ قَالَهُمُ السَّيِّدُ الْمُتَحَدِّثُ غَيْرَ هَدَرُوا صَاحِبَنَا الِى لَأَبَسَ غَيْرَ رَاعِي...".

في القصة السابقة نلاحظ أن "الزي" يشير إلى المكانة "فهو ينطوي على معاني متعددة، يشير إلى المظاهر أو أساليب السلوك، والمتزلة الاجتماعية، الملاحظ هو الخروج عن الوظائف الاعتيادية للباس، مثل الحماية أو التدفئة، الوقاية... الخ. دور المتن في هذه الحالة النقد التجريح ونقل ما هو موجود في المجتمع من سلوكيات.

الملاحظ أيضا أن المتن يشير بطريقة احتجاجية إلى أثر الجانب الاقتصادي، فالمنتج/المردد له يهتم بتوزيع الثروة ويدعوا بطريقة ساخرة إلى إعادة توزيعها ورسم حدود إجتماعية "عادلة"، إعادة إدماج الأفراد لأنه يحملون قيم "سامية"، فالأنشطة (العمل) مراكمة الثروة لن تمكن الأفراد من الوصول إلى الواجهة ما لم يقدموا خدمات أو يدخلوا في لعبة التبادلات الرمزية، المتن يعمل على التحفيز للقيام بالواجبات تجاه الآخر (مثل القوالب التالية: الدراهم يديروا طريق في البحر... الذهب يعير المذهب، الشبعان ما دري بالجيعان، واحد مالك حارة وواحد يصلي على مشوارة، قلة الشيء ترشي وتنوض من الجماعة، لي ما عندو فلوس كلامه مسوس¹... تعكسها نسبيا قصة الغني والفقير.

الشفويات/السلوك وقيم الاستهلاك:

تحدد المتون الشفوية الالتزامات الاجتماعية، وتقوم بنقد الاستهلاك وموضوعاته (الإشارة إلى تنامي التزعة الاستهلاكية التي تعززها توجهات فردانية) بالتالي فالشفويات تحاول مناقشة ثنائية الاستهلاك/إشباع، كما أن هذه الأخيرة أي الإشباع معبرة عن هويات جديدة (أنا موجود بقدر ما أنا أملك وأستهلك... نوع اللباس هو المحدد)

الاستهلاك السليبي هو إقتناء لمنتج بدون أن تكون له قيمة إستعمالية أي أنه لا يتطابق مع القيم الموجودة في المجتمع، بحيث يلجأ الأفراد إلى إشباع حاجات فردية فقط بالرجوع إلى منتوجات لا علاقة لها بالاجتماعي، فطريقة إستعمال الأشياء تخلق تميز في المكانة والدور؛ يتم نقد نمط الاستهلاك لإستعراضي الذي يركز على

¹ - المصنَّبُ مَا دَرَى بِالْحَافِي وَالرَّاهِي يَصْحَكُ عَلَى الْهُمُومِ *** لِي رَاقِدٌ عَلَى الْفُطَيْمَةِ دَافِي وَالْعَرِيَانُ كَيْفَ يَجِيهِ الثُّومُ... قَلِيلُ الْمَالِ لَبْدَى مَحْفُورٌ فِي دَنِيَّتِهِ مَا يَسْوَأُشِي *** زَهْرُ الدُّنْيَا لَصْحَابِ الْمَالِ وَلِي يَعْتَفِرُوا الشَّوْاشِي... الشَّرُّ مَا يَضُنُّمُ حَدَّ غَيْرِ لِي حَابَةٌ لِرَاسِهِ *** فِي الشِّتَاءِ يُقُولُ الْبَرْدُ وَفِي الصَّيْفِ يَعْطِبُهُ نَعَاسُهُ. لكن يتم نفي جزء كبير من الأمثال من خلال عبارات مثل: حُبْرَةُ وَالْقَلْبُ مَشْرُوحٌ وَالصَّحْكُ هُوَ يَدَامُهَا *** خَزَارٌ وَكَبْشٌ مَدْبُوحٌ وَمَا تَتَلَدَّدُشْ عَلَى طَعَامِهَا.

المشهدية بعيدا عن القيم الجوهرية الحقيقية، (استعراض للجسد فقط). يُنظر إلى أنماط الاستهلاك على أنها وسيلة لهيمنة القيم الجديدة التي تعمل على ظهور سلوكيات جديدة وخصوصية أنانية؛ من خلال صناعة "أذواق" بعيدة عن القيم الموجودة في المجتمع، المستهلك يتبع سلطة المنتجات (صناعة أذواق غير مستقرة تليها سلوكيات للاستهلاك غير مستقرة تخرج عن السلوك النموذج). هذا السلوك يعزل الأفراد عن الاجتماعي ويفصلهم عن الفاعلين الاجتماعيين، كما أن التفضيلات الجديدة المناسبة، تؤسس لنظام قيمي متجدد ولأجساد جديدة.

الغاية من المتن إدماج أنماط الاستهلاك في الخطابات وتصويرها على أنها تمثل سلوكيات أكثر عملية من غيرها، ليتجاوز الأفراد ويصلون إلى إستهلاك ذو نمط جمعي، من خلال القضاء على الرفاهية ذات الطابع الفردي هذا ما تصر المتون الشفوية على تجاوزه بتجاوز الأنانية والتوجه المادي للذات والابتعاد عن القيم والمعاني الجمعية. يرى جان بودريار أن: الإستهلاك في الأساس نظام من العلامات. " يتضمن مظاهر رمزية وشكل أي إستخدام.

الهدف من المتن هو الرجوع إلى ضبط السلوكيات وملاءمتها مع القيم من خلال خلق نظام من العلامات أي إنتاج أجساد متناسبة، ومتناسقة، طيبة ومفيدة، يجب أن تخدم ما هو "عملي" أي ما يقرره الفاعل الاجتماعي فقط، لذا يتم إضفاء صفات معيارية على السلوك، للفصل بين أنماط السلوكيات الاستهلاكية، النشاطات المناسبة وغير المناسبة، بهذا يتم المحافظة على النظام؛ الغاية من المتن إشاعة قيم لضمان الانصياع والارتباط بممارسات ذاتية.

يضع الفاعلون أهداف للممارسات والنشاطات ويوجهونها، يقدمون مفهوم جديد للأشياء. يحولون اللغة وإلى سيط أداة للتعريف وإخبار بالقيم؛ هناك سيطرة -منتهجة- على الذوق؛ كل الممارسات والاختيارات، تختصر في عبارات لفصل الأفراد عن المتعة الحسية الشخصية، والمصلحة الفردية، لضمان عدم استقلاليته -الذوق- عن الاجتماعي، الغاية من نشر نمط للاستهلاك عبر اللغة وإحداث استجابة.

إذا كان "الذوق" يعني صناعة منطق جمالي -قد يكون مستقل مؤسس للاختلافات- يمكن الوصول إليه من خلال تتبع الاختيارات، أبعادها وظائفها الاجتماعية. "الذوق" هو الميل الجمالي الظاهر تجاه الموضوعات في الواقع الاجتماعي، عبارة عن أنظمة للتقييم لمصلحة معينة، يعبر أيضا عن الذات والهوية وجماعات "الذوق"؛ يجب ألا يعارض مركزية القيم، تعمل اللغة الشفوية على صناعة معاني "مثالية" للسلوك وأنظمة للتصنيف لكي يميز الأفراد بين قيم اقتصادية أصلية وأخرى زائلة مؤقتة؛ منتج المتن يبحث عن تجانس (تجانس الأذواق وتبعيتها لنموذج

اجتماعي يعني تجانس القيم). يشير المتن إلى ضرورة تهذيب السلوك والتقليل من آثار النشاطات غير السوية، واحتواء الموقف.

العمل كقيمة:

يشير العمل إلى الجهد المنظم المسخر عادة للإعالة الآخرين، وهو جزء من المساهمات التي يجب على الفرد تقديمها (ضريبة الانتماء للاجتماعي) يجب أن يكون جماعي، هو نشاط يعبر عن تقلد لمسئوليات، جديدة، تتطلب إتباع أنماط قيمية، المتون تشجع على الأنشطة للتقليل من الاعتماد على الآخر من خلال التماهي مع القيم المرجعية (أخدم بفرنك وحاسب الرائد، اخدم باطل ولا تُقعد عاطل، الخدمة مع النصارة ولا القعد خصارة).

يكون الهدف -في الغالب- من الشفويات وضع، صنع وتحديد "الخير الأسمى" بل ابتكار أساليب لغوية للفهم وللإشارة لممارسات، معنى محدد، مستعار من التجارب اليومية أو التجارب الماضية فقط، تسعى لإقناع الأفراد الآخرين به كقيمة موجودة سابقا.

المتن الشفوي يعبر عن تجربة ذات بعد تأهيلي "عبارة عن "سيناريوهات" متوقعة، لها بنية تأهيلية. فهي تدور دائما حول قيم "بؤرية"، غالبا ما تتناول زمن بعيد نسبيا، أحداثها درامية الأفعال فيها متتالية، تعتمد على العجيب والغريب، لكنها تحاكي عالما لا يقل أهمية عن عالم الحياة اليومية، فاجتياز الاختبارات والابتلاءات والتأهيل ذو دلالة رمزية على الانتقال من حالة إلى أخرى يساعد على تقويم التجارب الفعلية مثلها مثل الانتقال من حالة العطالة إلى حالة العمل والمساهمة بجزء من المردودية نحو الاجتماعي.

الشفوي يمكن أن يوصف بأنه طقس للتقوية: فهو يدعوا لوحدة الجماعة وتماسكها يبعث الحيوية في أفرادها وينمي الشعور بروح الجماعة، مثلا تعمل اللغة/القيم كإطار عام يضمن وجود مناخ يلزم الأفراد بأنواع من التعاقد ويحميها. هذه الرؤية تقضى على الاعتماد السلبي والاتكالية.

لا يمكن الحديث عما هو اقتصادي إلا بالرجوع إل الاجتماعي/الأخلاقي لا يمكن توفير تفسيرات عامة إلا بالرجوع إلى هذه الثنائية لأنها مكن التحليل والمنطلق لأي تأويلات. فالقيم توجد ملازمة للأنشطة ينظر إليها على أنها جوهر التنظيم الاجتماعي، (الأفراد يعتقدون أن الأفعال- ذات طابع اقتصادي- موجودة بالفعل لديهم دون غيرهم أي أنها عنصر مكن للهوية يجب إبرازه في كل أشكال التعاقد) القيم أكثر من بناءات فكرية فهي

مدركة في الواقع يمكن معاينتها واخضاعها للبحث، لأنها ملموسة، يمكن أن تمدنا بفهم جديد للاقتصادي كامتداد للاجتماعي.

لأنها بالحصلة وليدة المجتمع برزت كنتيجة لحاجات الجماعة، نسعى من خلال هذا البحث إلى تصنيفها وتفسيرها انطلاقاً من الرصد والوصف فقط.

المشاهدة، أشكال التبادل وعلاقتها بالقيم:

حاول كل من مالينوفسكي 1909 ومارسيل موس 1924 تقديم نظرية حول أشكال التبادل والهبة؛ الملاحظ هو وجود أشكال من التبادلات الاجتماعية لا يمكن أن تعبر عن الجانب الاقتصادي البحت، فهي موجهة لغاية وهدف يُنظر إليها على أنها ظاهرة كلية لا تنفصل عن أشكال التنظيم الاجتماعي، "أشار مارسيل موس إلى وجود أشكال من التبادلات مثل العطاء-الهبة الذي يعبر عن التفوق، والقبول إذا كان دون الرد يعنى الخضوع"¹، ... جل المبادلات والأعطيات لا يمكن أن تؤول باستقلاليتها عن الاستراتيجيات الفردية وعن الوضعيات الاجتماعية التي تحددها... "وهي عبارة عن سلوكيات وأفعال ملزمة تخضع للمعايير الاجتماعية والقيم.

الهبة-الأعطية مقدسة "في هذه المجموعات... يجتهد الناس من طبقة عليا للحفاظ على وضعيتهم يقدمون هبات على سبيل المفاخرة والمنافسة..."² إذن الغرض من المبادلات هو التنافس وخلق التحالفات وتعزيزها وهي خاضعة للقيم المتوارثة. ترتبط المبادلات برأس المال المادي وتعبر عن الرمزي.

القيم الاقتصادية تشمل كل التبادلات الممكنة التي تُعنى بتسيير المشترك الجمعي وضبط فائض الإنتاج، الملاحظ في الميدان أن الأمثال الشعبية مثلاً؛ تشير إلى الملكية المشتركة كما كانت سابقاً إلا أنها لازالت مستخدمة وشائعة لتعبر عن المواقف الآنية الحالية على الرغم من التغيرات الكبيرة البنوية التي صاحبت المجتمع المحلي فالملكية لم تعد حكراً على العائلة وتسييرها لم يعد حكراً على الجد أو رب الأسرة كما أن النشاطات المعهودة والارتباط بالأرض تغير إلا أن القوالب اللغوية لازالت وفيه لما هو قديم.

لكن من الجدير الربط بين هذه القوالب اللغوية الشفوية وجل أشكال التبادلات الملاحظة في الميدان لأنها على علاقة وطيدة بجملة من الاستراتيجيات الفردية والجمعية والاجتماعية. كالتبادلات التي لها علاقة بالمقدس

¹ - مارك أوجيه، مرجع سابق ص 36-37.

² - مارك أوجيه، مرجع سابق ص 37.

والتبادلات التي لها علاقة بالمكانات والأدوار أو تلك التي لها دور في بناء الذات انطلاقاً من المفارقة والمنافسة التي تضمن جمع فائض والحفاض عليه وعلى الولاءات والعلاقات الزبونية. بحيث تستغل الثروة أو جزء منها للقيام بخلق تجمعات طارئة أو اعتيادية أو موسمية بهدف التذكير بالمكانات "الخيمة الكبيرة تبات وتدفى، الخيمة الحمراء مشمرة بعمودين، الخيمة الكبير إذا ما تعشيتش تدفى... الدار الكبيرة كبيرة... يا لي ما يوكل ضيف ربي وجه النبي ما يطمع يشوف، لي جاك وتعناك فرشله قطفة ولا شطاطة من كسك*** لي راح وخلاك ما نقصلك من عشاك.... لحواد ما يقولو لا لا... " نحن أمام لغة متوارثة جزء من نظام تبادلي يمكن دراسته منفرداً. إلا أننا في البحث نربط بين نظام القيم كمؤسس لنظام التبادل. يجرى الصهر على ديمومته والحفاظ عليه من طرف الفاعلين الاجتماعيين فهي تجذب الامتياز والتفرد وتخلق نوع من الالتزام للأطراف التي تدخل في العمليات التبادلية الفعلية والرمزية (كالمبادلات الاحتفالية) من خلال الملاحظة بالمشاركة ومن خلال آراء المستجوبين نستشف وجود "جماعات تبادلية" خاضعة لنظام قيمي متوارث لا يمكن تجاهله كما لا يمكن أن يدرس كفعل فردي معزول عن الفئات الاجتماعية التي تفرضه.

يلعب النظام القيمي على توجيه المبادلات على أنواعها ويؤثر على العلاقات الاجتماعية، بينها يعززها أو يقوضها (تبادل_ تحالف_ سلطة) على الرغم من التحول من اقتصاد معاشي بسيط الهدف منه خلق اكتفاء إلى نظام تعاقدى مغاير تماماً، لا بد من التركيز على المبادلات لأنها في المحصلة مبادلات رمزية تدعمها نصوص شفوية متنوعة متداولة بكثرة بطريقة واعية أو لا واعية وهي تبين أن النظام الاجتماعي يخلق نوع من الالتزامات القيمية تترتب عنها سلوكيات يمكن ملاحظتها وتفسر على أنها خيارات عقلانية يلجأ إليها للحفاظ على التنظيم الاجتماعي وأشكال العلاقات داخله.

وهو ما يجرنا إلى التعميم التالي جل أشكال التبادلات المادية والرمزية داخل محيط معطي مرتبطة بسلم ونظام قيمي يمكن أن نكتشفه من خلال الفعل التواصل (تداولية الشفويات)، يعبر عن الحياة الجمعية وكيفية انتظامها على أساس قيمي، فالقيم تعمل كحافز بالنسبة للفاعلين الاجتماعيين في مواقف محددة تولد سلوكيات يمكن معاينتها.

إن دراسة القيم الاقتصادية بين جملة من العلاقات التبادلية بين ما هو إنساني وغير إنساني يعطي السيرة لفعل التبادل الذي تحكمه القيم ونظامها؛ تدعم القيم الممارسات، تولد رمزية حول فعل التبادل، تعطيه معنى

خاص ووظيفية تسعى لإشاعته بين الفاعلين وغرسه من خلال فعل التنشئة (استبطان نظام تبادلي رمزي يكرس من خلال السلوك التعلم غرس تمثلات، تصورات؛ يؤسس من خلال إشاعة نظام قيمى معرفي). النظام القيمي يعمل كمعزز للسلوك وكآلية تجعل الأفراد يقرون ويعملون وفق سلوكيات متوقعة وبطرق متناسبة مع سلم القيم.

يُنظر إلى التجمعات ذات الطابع الاحتفالي الاحتفائي الموسمية والدورية على أنها "أعياد تنافسية تديرية" الهدف منها تكريس السلطة وخلق عملاء، زبائن، وتابعين، فيها يتم الاعتراف دوريا بالسلطة والولاء للمؤسس أو الجد أو السلف أو القائم على التبادل على أنهم منبع للقيم التي يجب الحفاظ عليها وغرسها (هناك تقارب بين الاقتصادي والسياسي إذ تجرنا التفسيرات للتبادلات الاقتصادية إلى تأويلات سياسية لا يمكن أن نتجاوزها فالتبادلات الهدف منها القيام بتبادلات ظرفية في مكان محدد وتفرض القيام بشعائر لتبرير وتبيان الانتماء الاجتماعي للأصل وتجديد الاعتراف بالجد المؤسس، فتجديد الاعتراف في جزء منه عبارة عن مشاركة عينية).

المشاهدة تحاول جعل السلوكيات عملية نفعية تعبر عن الجانب الاقتصادي وتحاول صناعة نمطية أو عقلية لدى المتداولين تربط بين الإنتاج المادي والفاعلين والمقدس. تتساند النصوص الشفوية وتندرج من مقولات عامة إلى مقولات خاصة لتعبر عن توجهات قيمة تركز على العمل وترغب فيه "أخدم بقرنك وحاسب الرأقد، يفنى مال الجددين وتبقى حرفة الديدن"، من خلالها يمكن فهم التحول من العمل كقيمة اجتماعية إلى العمل كقيمة ذاتية خاصة تأثرت بالفردانية، هذا التغير أظهر قوالب أخرى "أخدم بالشاقي للباقي، الخدمة والتهمير للحمير/للبلع"، قيم تركز على الاستهلاك وتبين توجه الذات نحو مواضيع محددة وتبين تطور جانب الاقتناء كنتيجة للتحول من الاقتصاد ذو الطابع المعاشي إلى نوع آخر تتحدث عنه نصوص تحاول التقليل من أثره "ألبس ماستر وكول ما احضر".

تبين النصوص الشفوية أشكال توزيع الثروة وتربطها بقيم معينة ك: "القناعة" و"الرضى" وهذا لخلق مجال يقضي على أشكال الصراع المحتملة. الملاحظ في الميدان أن الشفويات/القيم تشير إلى الارتباط بالأرض كقيمة محددة للهوية وللانتماء (الاحساس بأن الأرض امتداد للقائمين عليها) ترتبط القيم الاقتصادية بكيفية إدارة المجال الحيوي، العمل وضبط جل النشاطات والتفاعلات ذات الطابع الإقتصادي. تبين النصوص مدى التحول الحاصل خاصة بعد تحول الفاعلين من ملاك للأراضي إلى مستفيدين منها فقط أو التحول إلى نشاطات أخرى أكثر ربحا. يتغلغل مفهوم الربح كقيمة لدى الفئات الشبابية وهو ما يؤدي إلى العزوف عن بعض النشاطات.

تجدر الإشارة إلى غنى النصوص الشفوي بالقيم الاقتصادية التي تركز على العمل وتجعل من الأرض رمزا له، ومن الأسرة/المجتمع المستفيد منه وبه تتأسس الروابط الاجتماعية وتنظم المراتب والمكانات على أساس قيم عملية، توفر القوة وتولد السلطة/الوجاهة، على الرغم من التغيرات الكبيرة لازالت هذه القوالب راسخة ثابتة ومتداولة إلى اليوم، العمل يرتبط بالملكية الفعلية للعقار الفلاحي، للثروة، المال، يمكن صاحبه أو الحائز عليه من الحصول على الوجاهة رأسمال اجتماعي-رمزي، يمكن أيضا من الانتقال العمودي والأفقي وفق الحركية الاجتماعية التي أقرت سلفا. هذه الحركية تسهم في اكتساب الاحترام لوجود مكانة جديدة. الجدول التالي يمثل التغيرات الحاصلة ويعبر عنها:

الجدول رقم (07) يوضح التغيرات على مستوى الاجتماعي والاقتصادي وعلاقتها بالأفراد

الزمن	قبل العصرية	في ظل العصرية
الاستفادة	جماعية	فردية
تلبية الحاجيات	إنتاج	شراء
الدفاع	ذاتي	مؤسسي
التنشئة	أسرية	مؤسسية
التشغيل	أسري	مؤسسي
المصاريف	قليلة	غير محدودة
السياسة	محلية	خارجية

الملاحظ وجود عدة أنواع من النشاطات تعمل المتون على تفضيل بعضها بناء على مدى مطابقتها للاجتماعي مثل قيمة التعاون والتغيرات التي طرأت عليها. تشير قيمة التعاون إلى السلوك التضامني أو المشترك لتحقيق هدف ما، فيه مصلحة مشتركة لجميع الأطراف، يكون عفويا أو موجهها أو طوعيا أو قسريا رسميا أو غير رسمي كبيرا وواسعا أو ضيقا وصغيرا.¹ هو صفة مميزة من صفات التفاعل الاجتماعي وهو شكل أولى من أشكال المساعدة/التضامن المشترك الذي يهدف إلى بلوغ نوع من الإنتاج، يتجه من التعاون البسيط إلى التعاون التنافسي الذي يتميز ب بروز الصراع. حسب فئة الشباب يجب أن يكون هذا السلوك عفوي غير مبرمج غير مخطط.

¹ - عماد عبد الغني: سوسيولوجيا القافة، المفاهيم والإشكالات... من الحداثة للعلمة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى 2006، بيروت لبنان. ص 124-125.

التعاون العفوي؛¹ أبسط أشكال التعاون وهو من بين الأشكال الأكثر تلقائية غير محكوم بعرف وليس له تقليد يتميز بأنه ضريفي (كالأمر الظرفية في التجمعات الطارئة) غير خاضع للزمن وغير مخطط. وهو من بين أكثر الأشكال التي اهتمت بها نصوص الأدب الشفوي فهي ترغب بها وتسعى إلى إشاعتها داخل المجتمع، وهو حصيلة لوضع ينشأ فجأة بين شخصين أو أكثر.

التعاون الموجه؛² توحيد العمل أو السلوك باتجاه هدف مشترك أي أنه ناتج عن توجيه وهو يحتاج إلى تخطيط وقيادة. عكس أشكال التعاون التقليدية، التي تستند إلى جزاء، المعايير، التقاليد والأعراف الاجتماعية (النشاطات لا تخضع لنظام العقود غير موجهة من فوق لكنها أصيلة وهي أشكال ملزمة للأفراد).

التعاون التعاقدية؛³ محدد ومشروط وفق بنود واضحة المعالم قد يكون موجه أو غير موجه لكن ليس عفويا ناتج عن التدابير والتخطيط (حسب الشباب المدروس؛ هناك علاقة طردية بين التعاون التعاقدية والتقليدية إذ كلما زاد أحدهما قل الآخر).

الأمثال بالدرجة الأولى وفيه لنمط الاقتصادي الرعوي الزراعي فهي غنية بالعبارات التي تدل على ذلك، وهي تشير للثقافة الزراعية (الإرث الثقافي) وتتجاوزها للتعبير عن كل أنماط وأشكال النشاطات ذات الفائدة (الفردية والاجتماعية)، ويمكن تقسيمها إلى متون زراعية وأخرى رعوية، نجد فيها عبارات زراعية رعوية؛ (الخصوبة، المطر، السكة، الحرث، الراعي، الخماس... الخ) هي من حيث الكلمات المستخدمة تعبير عن الهامشي وليست تعبير عن المركز لكنها لا زالت مستخدمة بكثرة. كما أن المتن يتحدث عن بيئة اجتماعية (البيئة الصحراوية، القبيلة، القرية، المدينة) لم يتجاوزها الأفراد إلى اليوم.

المتن مضاف إليه الهوامش والتعليقات من الميدان يبين وجود كل معرفي خاص بالقيم، يعبر عن "هاجس" خوف من الاختلال القيمي، نتيجة التزوع للاستهلاك وعدم الارتباط بين المجتمع والقواعد والنظم والبيئة؛ ووجود مصالح وعلاقات زبونية جديدة تجاوزت القيم التراثية (البس ماستر وكول ماحضر، خيار اللبسة سهول وخيار المأكلة جوع وكول وخيار الاسم الرسول) ووعي اديولوجي غير متطابق مع المجتمع التاريخي؛ أي عدم وجود عقلانية وطريقة مميزة لإدارة الموارد الحيوية.

¹ - عماد عبد الغني، مرجع سابق، ص 124-125.

² - عماد عبد الغني، مرجع سابق، ص 124-125.

³ - عماد عبد الغني، مرجع سابق، ص 124-126.

القيم لدى الشباب ليست متجانسة فالتون في جوهرها رفض للأشكال الانتماء الجديدة التي تتعارض مع النموذج القيمي التاريخي؛ ترى أن هناك فقدان للحس الجماعي وابتعاد عن الجمعي وخلق للتباين غير مبرر ونزوع نحو الملكية التي لا تخدم المجتمع؛ وخروج عن التضامن -التكافل كقيمة جوهرية. أي أن المنتج أو المردد للمتن يغترب عن الواقع الراهن يجب أن يرجع للتاريخي وللماضي ويتبنى الرموز واللغة للتعبير عن هذا التوجه النقدي بنماذج قريبة من الواقع نلاحظ أن القيم تحاول أن تعبر عن:

"القيمة الأولى: الاعلاء الشديد لقيمة "حيازة الثروة" وتحول اكتساب المال من وسيلة إلى غاية، والانشغال به عما عداه، الانصراف بشكل مطرد عن كل ما عدا ذلك، ... تحول نحو الأشياء ومعاني الحيازة وليس فيما يقيمه الفرد من علاقات إنسانية حقيقية والاهتمام بكثرة الأشياء التي يحوزها الفرد."¹ يقابلها انحصار للحميمية ولللاقات الأخرى "مَا يُحْكَلِكْ غَيْرَ ضَفْرِكَ وَمَا يَبْكِيكَ غَيْرَ شَفْرِكَ، الذَّرَاعُ المَيْشُومُ يُوَكَّلُكَ المَيْدُومُ."

"القيمة الثانية: الاندفاع نحو نظام تتحكم فيه قيمة "التنافسية" والنجاح يكون بالتفوق على "الآخر" على الرغم من أنها حافز مشروع إلا أن هناك نوع من التزوع نحو السبق والتفوق ولو عن طريق إزالة الآخر والتخلص منه."² "كُلُّ شَيْءٍ حَلَالٌ غَيْرَ الشَّرِّ لِي حَرَامٌ... يقول أحد الشباب: النَّاسُ جَهَلَتْ وَاحِدَ النَّاسِ: يَقُولُوا يَا رَبِّي أَنْتَ عَلَيْكَ الصَّحَّةُ وَأَنَا عَلَيَا الخِدْمَةُ."

الملاحظ أن المتون تحاول إعادة توجيه الأفراد ليدركوا التراجع البالغ عن العلاقات وسلطة المؤسسات الاجتماعية تأثراً بالتغير الاقتصادي، اللغة تسعى لإعادة ترتيب الأولويات واطهار السلوك على أنه شاذ يجب على الأفراد الالتزام بالأوامر والنواهي، يسعى إلى إعادة بناء للنموذج القيمي أو محاولة ترميمه، من خلال محاولة التشكيك في النماذج القيمية الجديدة.

يشير المتن أحياناً إلى سلوكيات مثل: غلبة الاعتبارات المادية عند الإقدام على الأفعال، زيادة التطلعات نحو الموضوعات المادية، يحاول المنتج كبح هذه التوجهات، وتكوين نوع من الاستعداد في مواجهة الأفعال التي تعتبر هدامة أي مقاومة التغيرات القيمية لأن المنتج يعتقد أنها تؤثر بل تحدث تغير بنائي، يتجه لإنتاج مقولات

¹ - مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر، الدورة الربيعية أبريل 2001، مطبعة المعارف الجديدة المغرب، ص118.

² - مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر، مرجع سابق، ص118.

مثالية تواجه ميل الأفراد المفرط نحو العلاقات التي تتوفر على الحد الأقصى من المنفعة الفردية (نثرة من الحُوف وما تخليّش سآلم.. بوس الكلب في فمه وقضي صوالحك منه... أنا نعيش غير مرة وحدة علّاش ما نبروفيتيش).

الشفويات والتغير الاجتماعي/الاقتصادي:

يشير المتن إلى طبيعة التوزيع والاستهلاك - التي يرى الأفراد أنها عقلانية رشيدة، على الرغم من أن الاقتصاد ونمط التعاقد تحول من زراعي معاشي إلى نمط آخر؛ لكن الشفويات لا زالت وفيه للنمط الأول، تسعى إلى تغليب القيم الروحية والمعنوية أكثر من المادية (نزعة مثالية)، كما أن مفهوم الاعالة وطرقها تغيرت مع تغير الملكية الجمعية كل هذا ساعد الأفراد للتوجه نحو موضوعات بعيدة عن الجمعي؛ الانتقال من وحدات عائلية منتجة إلى أنماط فردية أكثر استقلالية وهو ما قد يؤثر على طبيعة السلطة القائمة المكنات والأدوار "العجوز مينن تكبير تحب يشاوروها وتدبر."

بتغير الاقتصادي تتغير المصالح التي كانت تسخر للعائلة؛ اليوم نلاحظ تغير في علاقات الإنتاج ووسائل ونمط الإنتاج؛ وأشكال التوزيع المنتهجة إلا أن المتن لازال غني بالعبارات التي تشير إلى النمط الأول وفيها إشارات للمهن وطبيعتها (الحماس، التويّرة، المعاونة؛ السكّة، الحرث، الزرع والفلاحة) تشير الشفويات مسألة التوزيع ونوعية المهن والمراكز الاجتماعية "فتات لحجر وبياع الماء وقطاع الشجر ما يربحوا ما يشوفو الخير" أي إشاعة تصورات حول العمل وطبيعته وجدواه، كما أنها تقلل من أهمية التوزيع كهدف في حد ذاته "الفلاحة ما تغنيك ما تفقرك بصح ترهيك برك."

الملاحظ أن الشفويات تعني بمفهوم الثروة وتولي أهمية كبيرة لها تبين الانتقال من ثروة العائلة إلى ثروة الأفراد من جهة تربطها بتراتبية صارمة - واضحة يجب احترامها ومن جهة أخرى تربطها بأشخاص يصهرون على التوزيع - استهلاك، كما أنها تشير إلى التغيرات الجذرية التي طرأت على التنظيم الاقتصادي، تحول النشاطات عن غاياتها الاجتماعية فهي تخلو من الفائدة ليست موجهة لخدمة الجماعات ككل، اليوم لم يعد الأكبر سنا الوحيد الذي يملك ويوزع فقط، أي أننا أمام فاعلين جدد ومالكين جدد.

يرتبط الإنتاج بالحاجة فقط وبأشكال التدبير الخاضعة للقيم، الهدف دوما هو ترشيد طريقة الاستهلاك، لأنها تخلق الفارق بين الجماعات الاجتماعية؛ يجب - حسب المتن - المحافظة على قدرة الإعالة دوما ودون انقطاع هو حال "الخيمة الكبيرة، الخيمة المشمرة" وفائض الإنتاج موجه لغايات اجتماعية.

هذه الثروة موجهة في جزء منها إلى الاستهلاك الجمعي في مناسبات عامة، نحن أمام استعراض لرأس-المال بحيث تشاع قيم الكرم التي تخدم التكافل؛ التساند وترابط البناء؛ في نظر المستجوبين هذا نوع من الالتزام تجاه الآخرين، ضروري لأنه يوصل إلى اكتساب المكانة والتقدير والاعتراف من الأفراد داخل البنية الاجتماعية.

الملاحظ وجود نزعة للاكتفاء من جهة ونزعة للتوزيع على الكل للحصول على نوع من التقدير الاجتماعي تعني الأمثال بتوزيع الملكية وطريقة التدبير "الْحَرْثُ لِلْحَيْطَانِ وَالْأَشْرُ لِلْبَيْطَانِ-وَاحِدٌ مَالِكٌ حَارَةٌ وَوَاحِدٌ يَصِلِي عَلَى مَشْوَارَةٍ". النقود كقيمة "الدُّورُ وَالسُّورِدِي يَنْفَعُ...حَجْرَةٌ فِي حَيْطٍ خَيْرٌ مِّنْ لُّويزَةٍ فِي حَيْطٍ" الاهتمام بالنشاطات الاقتصادية ونوع الملكية؛ الخدمات والسلع لخلق التمايز بين الوحدات القرابية العائلية.

ترتبط القيم بالحياة الاقتصادية ونمط العيش، تبرز الشفويات أيضا وجود تمايز وارتباط بالتنظيم الأسري، تعني الشفويات بأنماط الإنتاج والعمل كنشاط والاستهلاك وأشكال التبادل وتحقيق الاكتفاء وتحقيق الأهداف العامة كالتكافل والرعاية والإعالة؛ هذا للربط بين الاقتصادي والاجتماعي من خلال خلق قيم ذات طابع خاص.

الشباب على العموم يحافظ على لغة غنية بعبارات والكلمات التي ترتبط بالمهارات وطريقة العمل، ووسائل الإنتاج والتوزيع؛ لأنها نماذج قديمة أثبتت نجاعتها وقوتها. الغرض من استدعاء هذه العبارات توجيه الاقتصادي لخدمة الاجتماعي؛ الموازنة بين المطالب والحاجات والسيطرة على طرق الإشباع، مما يضمن استقرار الجانب الاقتصادي ثم الجانب الاجتماعي.

يتحدد دور الفرد ومكانته تبعا لأسس اقتصادية مادية ووجود لا تجانس في هذا الجانب محل نقد من منتحي المتن الشفوي الذين يسعون إلى الربط بين الانتماء للوحدة القرابية، والقيم الاجتماعية، تسعى اللغة إلى إشاعة نمط التعاون العفوي لغايات وأهداف، كل هذا التفريق بين أشكال الملكية الفردية والجمعية كاللباس والأرض لتحقيق الأمن وكبح التوجهات الفردية التي تعتبر على أنها مجهودات هدامة للاجتماعي. كما أن المتن الشفوي يجعل من الأفراد مرتبطين بالأرض، لا يفرق بينها وبين العرض أي أنها جزء من قانون وقيمة "الشرف".

التمايز بين الوحدات القرابية-العائلية وبين الأفراد في القدرة على الإعالة والرعاية الاجتماعية للغرباء وللضيوف هو أساس الوجاهة أي أن المجتمع المحلي لازال يؤمن بقيم "الكرم التضامن"، تميز الشفويات بين وحدات تسعى لتحقيق الحد الأدنى من المعيشة وأخرى توفر فائض موجه في جزء منه نحو الخارج لتحقيق قيم أخرى غائية

مثل الكرم الدائم والقدرة على تقديم توزيع للاستهلاك يتجاوز أفرادها. هذا النوع يتطلب وجود إنتاج وفير ونوع من الادخار لتلبية المطالب الاجتماعية (يرى الأفراد أنها مطالب إلزامية) لتكون هذه الوحدات ذات مراكز هامة.

توجيه الاقتصادي لخدمة الاجتماعي من خلال إشاعة قيم التعاون التي تتطلب عدم وجود نظام للمصلحة، وتوجيه النشاطات يتطلب قيم تراعي تقوية الروابط الاجتماعية لتسخرها لاحقا لخدمة أهداف جمعية، يسعى المنتحون والمتداولون لتوفير متن يتوجه للأفراد ليذكرهم بالواجبات (تحويل النشاطات ذات الطابع التبادلي الجمعي إلى أمر إلزامي مرغوب). كل النشاطات المهدف منها توفير مقابل يوجه للتبادل الملزم مع الآخر، مثل تبادل قيمة مالية في المناسبات أو هدايا أو خدمات عند الحاجة (مثل تقديم نقود للعريس أو ما يعرف بالنصيفة). ومن يعجز عن تقديم تبادل عيني يجب عليه أن يدفع من مجهوده العظلي. إن علاقات الجوار تفرض حد أدنى من التعاون، وحد من الإلزام يتجلى في أنماط التبادل الدائمة الموجودة، التي تتعلق بمناسبات ذات طابع جمعي، لكنها محدودة تكاد تختفي، وهي كعادات تقوي العلاقات الاجتماعية لأن الأفراد يتضامنون لوجود هذه القيم.

لا يمكن فصل النشاط الاقتصادي عن الإطار الاجتماعي ففي المناسبات الجمعية يظهر فيها التعاون الإلزامي بحيث تقسم المهام والأعباء بين جل الأفراد الذين ينحدرون من أصل واحد أو على الأقل يعتقد أنهم يرجعون إلى جد مشترك (الولي المؤسس للقبيلة أو العرش، المتجاورون) وهو تعاون تضامني تحث عليه الكثير من المتون الشفوية، يبين أن العلاقات متجذرة ومكتنفة بين "الفرق" المكونة للوحدة الاجتماعية، تسعى القيم إلى الربط بين هذه الوحدات، الربط بين وحدات متمثلة لتكوين وحدة أكبر مكتفية تؤمن بفكرة الجد الأوحد المؤسس. إذا كانت الاعتمادية والتعاون محدودة بين الجماعات الأخرى فالعلاقات الاجتماعية موجهة داخليا. كما أن هناك نوع من الاكتفاء وعدم التبادل مع جماعات أخرى لوجود حدث ذو طابع تاريخي، أو قد يقل الاعتماد المتبادل بينها لوجود وصية ذات صيغة قديمة، وهو ما يحكم العلاقات ويعطيها معاني محددة بعيدة عن مفاهيم كالربح، المصلحة والثروة.

لكن المتن يشير أيضا إلى النمط الاقتصادي واتساع شبكة العلاقات التي يدخل فيها الفرد ويسعى إلى ضبطها وترشيدها. ويعطي الأولوية للنشاطات مثل الحرفة "يَفْنِي مَالِ الْجَدِيدِينَ وَيَقِي حَرَفَ الْيَدِينَ. فَلَحَ وَطَبَّ الْمَرَاجِعَ وَمَالَ التِّجَارِ لِيكَ رَاجِعٌ" تعطي أولوية للعمل ويذم الاعتماد على الآخر مهما كان "الذراع الميشوم يوكلك الميذوم".

سلطة العائلة تقوم على توفير تنظيم، يضبط السلوكيات والنشاطات ذات الطابع الاقتصادي، على الرغم من التغيير في هذه السلطة إلا أنها موجودة على المستوى اللغوي والفعلي، لكن النشاطات-العلاقات أصبحت اليوم ترهن إلى مفاهيم جديدة "المصلحة المباشرة" تتجلى في كثير من المتون "اليوم العقلية حكيمة... فيفتي فيفتي... بأك ما يعرف خالك، دهن السير يسير" كما أن العلاقات توسعت خارج النسق القرابي وتغيرت معها أنماط الحياة مما جعل من الأنشطة تميز وتغير أيضا.

الملاحظ اليوم هو قلة الاهتمام بقيم ومعاني التطوع، الرعاية والتعهد فالمراكز الاجتماعية غير مرتبطة بها ارتباطها لكنها مرتبطة بالسوق ونمط الاستهلاك الفردي؛ هذا ما عزز من القيم الجديدة وكنيجة لكثرة النشاطات الفردية والحصول على الكفاية الاقتصادية من نشاطات غير جماعية لا تتطلب حضور كل الذين يدخلون في دائرة القرابة تراجعت القيم السابقة على الرغم من أنها موجودة على مستوى المتون الشفوية.

ظهور مفاهيم جديدة للعمل وتغير النظرة إليه وإلى طرق الكسب والاستهلاك واختفاء العلاقات والبناءات الاجتماعية القديمة مكن للقيم الفردية من البروز، وأصبح العمل ذو طابع فردي، كما أن أفراد الأسرة الواحدة يقومون بنشاطات ذات طابع اقتصادي مختلفة لا ارتباط بينها أي أهم يشاركون -أو لا يشاركون- في العمل والإعالة والرعاية وهو ما عزز من سلطتهم في مقابل سلطة الأولياء.

اختفت النظرة التحقيرية للسخرى وللأعمال والأنشطة الأخرى، وأصبح الأفراد مرتبطين بمصالح أخرى بعيدة عن رابطة القرابة (المصلحة والفائدة)، وهو ما يجعل المعيشة بعيدا عن العائلة ممكنة وذات طابع تنافسي مع أفرادها (تحول الأشياء عن وظيفيتها وارتباطها بقيم خارجة عنها كالقيم الجمالية التي تثبت رأس المال الرمزي فقط).

تداخل العلاقات الاجتماعية وتداخل النشاطات بعيدا عن الفهم القديم لها عزز من القيم الجديدة، ومكن من التبادل غير المشروط وقلل من الإلزامية التي كانت تفرضها القيم السابقة (نسبيا)، وأصبح التعاون تعاقدية له ثم يتم وفق صيغة تعاقدية. تغيرت الأنشطة ونظام العمل أصبحت غير مرتبطة بمفهوم المراكز الاجتماعية التقليدية بل تحتاج إلى مراكمة الأرباح لقاء مجهودات أقل (تغير في مفهوم العمل).

تغير القيم كنتيجة لمحاولة الأفراد تلبية الاستهلاك غير المتناهي، وعدم الوقوف عند الاكتفاء الذاتي بل تجاوزه لتحقيق إشباع جديدة، كما أن تنوع الإشباع والمداخيل والمهن داخل الأسرة الواحدة والاتجاه إلى

الفردانية والاستقلالية، وعدم وجود ملكية بالمعنى القديم وإنتاج أسري موجه للإعاشة كلها تعكس على مستوى المتن الشفوي، كنتيجة لتعدد الإشباعات والحاجات يتجه المتن إلى رفض العطالة وعدم القيام بأي نشاط، (نجد عبارات تأمر، أخدم... أنشط، وفي حالة العطالة نجد العبارة التالية "حصارت الطين"). توجه الأفراد للإقبال على نشاطات تُدر الأموال لا علاقة لها بملكية الأسرة-العائلة، والتوجه من حيث الاستهلاك إلى ما هو رائج فقط والإقبال عليه لأنه شائع. أي الخروج من النظام القيمي الذي كان يطر النشاطات والتوجه إلى نظام آخر، عمل على تعزيز قيم ومتون جديدة.

خلاصة:

نتلمس وجود نموذجين -على الأقل- يحاول كل من المنتج للمتن والمتداول له اشاعتها؛ في النموذج الأول يتم تسخير أشكال التبادل لخدمة الاجتماعي وعدم إعطاء أهمية للمال كقيمة مركزية "وسخ الدنيا" بل كواسطة فقط في مواقف محددة، والحرص على التعاملات الاقتصادية التي تخدم البناء الاجتماعي، كما أن العمل لم يكن مقابل ثمن دوماً وعدم وجود تعاقدات مكتوبة إلا في حالات نادرة فالعلاقات لا يتم فيها مراعاة الاعتبارات السابقة (المعاملات الاقتصادية لا يوجد لها مقابل "ثمن" إذا كانت روابط القرابة متينة) فالنشاطات تخدم عائلات وأسر ممتدة وجماعات لا أفراد.

النموذج الثاني تتغير الحاجات ونمط الاستهلاك إذ يلي ما هو فردي، كما أن الوحدة القرابية لا تمارس نفس النشاط الاقتصادي في الغالب، كما أنها لا تكتفي بالعلاقات الدموية-أو علاقات الجيرة بل تتجاوزها للإقامة علاقات جغرافية واسعة الغرض منها التكسب وزيادة الثروة ويختلف أيضا نمط التوزيع لأنه لا يتوافق مع النموذج الأول. أي أننا أمام قيم جديدة لها ما يناسبها من متون شفوية. إما بالموافقة أو نقد من طرف المشرفين النظريين على العمل أي المنتجين للمتن.

غاية المتون، البحث عن الفعالية-الفاعلية في الإنجاز وعدم الرضي بالخمول والتبعية (دافعية الإنجاز) لبلوغ أهداف الجماعة من خلال النشاط والعملية (الحذاقة-اللباقة والخفة) وتحويل الطموح إلى جماعي بدل أن يكون فردياً أي محاربة الاستقلالية، والذاتية/الأناية، تطويع الاهتمامات والرغبة في تنمية القدرات والمهارات لزيادة الرغبة في العمل والنشاط (القيم الاقتصادية تتجلى في اللغة من خلال عبارات مثل السرعة الإتقان والإنجاز) السرعة في العمل، للوصول إلى نوع من الكمال النوعي/كمي. الاستغراق في العمل والتفاني فيه.

لهذا فالمنتج للمتن والمتداول له، من فئة الشباب، يربط القيم الاقتصادية بسمات مثل الفعالية لتوفير نمط سلوكي معمم، للحصول على التعاون وترجيح مصالح الجماعية وتغليبها دوماً. جعل كل النشاطات تخدم أهداف معنوية بعيدة عن الملذات الفردية/المادية، لهذا نجد عبارة تحث على التضحية.

المتن الشفوي يحاول الربط بين التعاون كنشاط وبين استعدادات يحاول المنتج الوصول إليها وتحريكها (تركيز الشحنات العاطفية حول مواضيع محددة) يعمل على تعزيز وغرس الخبرات من خلال نقلها لغويا إلى الجماعات كتجارب وجدانية ذات صبغة تاريخية يجب أن تتكرر ويجب أن تظهر في السلوكيات لدى كل الفئات الاجتماعية، تنظيم الانفعالات (المترجمة) لتحويلها إلى نشاط يخدم البناء الاجتماعي، فالفرد مجند لخدمة الآخرين وهو يتوقع أن الآخرين معنيين مباشرة بكل نشاطاته لتتحول إلى قيم وسلوكيات متأصلة في الأفراد يمكن أن تنقل للآخرين من خلال الإيحاء والتقليد والتجارب التي تختزنها اللغة، إن اللغة تعمل على خلق نوع من الاقتران لخلق الاستمرارية (اقتران السلوكيات وانعكاسيتها).

غاية المتن البحث عن التناسق وتوحيد السلوكيات وخلق إمتثال مباشر وتمايز بين الأفراد والجماعات في أنواع النشاطات لتسريع إستجابتهم مع المحيط، محاولة بناء عادات اجتماعية، للوصول إلى انتظام في السلوكيات تجاه الآخر وبناء للتوقعات. لهذا فالمتن الشفوي والقيم لا يمكن أن تكون اقتصادية بحتة، بل هي تقيم علاقات مع الاجتماعي والديني، وتتقاطع مع الثقافي.

تأثير الدراسة

المتون الشفوية على إختلافها عبارة عن نص يتميز بالوحدة التي تجمع بين عناصره المتباينة والمختلفة يقرب بينها على شكل نسيج ينظمها؛ يحولها إلى كل، تعرف بميزة الانفتاح على نصوص الأخرى يمكن أن نقول أن الشفويات نصوص لها جملة من الخصائص والوظائف التي لا تخرج عن الإبلاغ والإفصاح عن ما هو خارج بنيتها (أي الإشارة إلى واقع آخر خارج النص).

المتن الذي تم جمعه يتميز بالكثير من الخصائص المتداخلة، تجعله منه ذو خصوصية تفيد في التحليل الأنثروبولوجي يتشارك مع متون أخرى، مختلفة يعبر عن واقع، (مبدأ العمومية والخصوصية) فالمتن يقدم نفسه - مبدئياً- على أنه وسيط بين المنتج والتداول هو عبارة عن خلاصات ونهايات محتومة يستخدم لوصف سلوكيات، يتناول موضوعات تبدو لأول وهلة أنها عامة يتضمن إجابات عن حالات يقدم معرفة تتخفي خلف الأسلوب والايقاع إلا أنه في جوهره يرتبط بأحداث متتالية متعالية (غير خاضعة لمبدأ الزمن والمكان) -أحياناً- قد لا يرعي التعاقب الزمني والمعقولة لكن هذا لا يغير من قيمته وقوته الدلالية ولا يؤثر على جدواه الإستعمالية.

المتون تعبر عن زمن مفقود (قيم مفقودة) أو عصر ذهبي يرغب الرواة والمنتجون في إعادة إنتاجه من خلال فعل التداول والحكي؛ كما أنها ترتبط بحدث زمني وفاعل قوي، لهذا تكتسب قوة وديمومة كما أنها ترتبط بموقف محدد قد يتكرر فيتكرر معه التلفظ وإنجاز المتن مرة أخرى يؤدي كل هذا إلى بلورة رؤية للاجتماعي والقيم/سلوك.

المتون الشفوية تعمل على التعبير عن الأفعال/السلوك في لحظات معينة أي أنها محاولة استعراض لحركة الفاعلين في سياق معين قد يكون متخيل غير أن الأفعال؛ السلوكيات والممارسات هي محل التقييم، الشفويات تقدم وظيفة داخل المجتمع المدروس وتعطي للسلوكيات دلالتها. تولى الشفويات أهمية بالغة لفاعل تسند إليه مجموعة من المهام يمكن تتبعها خلال عملية الحكي ومنها يمكن فهم المتن والقيم المتضمنة فيه والسلوك المراد نقده أو توجيهه أو تغييره وبهذا ترتبط بسلوكيات واقعية يمكن إدراكها وإخضاعها للدراسة الأنثروبولوجية.

يمكن أن نفصل بين المتن كمساحة مغلقة لا تحيل إلى ما هو خارج عنها إلا أننا في هذا المقام أمام بعض الجزئيات كالذات والموضوع المرسل والمرسل إليه وبالطابع التواصلية ومقصدية الإرسال الشفوي أي أننا أمام منتج يرتبط بالقيم يعبر عن السلوك.

مثال: ترهن سيرورة الحكى لترسيمة لا تحيد عنها غالبا بحيث أن كل فعل للحكى يتضمن في سيروته صراع بين فاعل هو البطل وواهب مساعد له (قد يمدده بعناصر سحرية) ومعارض-خصم-عدو لهذا الفاعل المركزي؛ إن هذه السيرورة يمكن النظر إليها على أنها سيرورة قيمية، بحيث تتعارض القيم بين البطل-الفاعل والمعارض ومن خلال تتابع الأحداث تنتصر القيم الأصلية الراقية على الأخرى. من هنا فالمنتج للنص يجعل من الصراع-الحكى أساسا لنقد الأفعال والسلوكيات الاجتماعية المعاشة في الواقع كما أن الكثير من المتون الشفوية يمكن ردها إلى اليومي لأنها تستخدم فيه وتستدعى من أجله (الشفويات تخدم وظيفة).

تتضمن الشفويات مبادئ عدة يمكن أن ترد عفويا أو بصفة متعمدة لوصف ما هو موجود أصلا في الحياة الاجتماعية التي ينتمي إليها المنتج لهذا المتن أو المردد له؛ فالفاعل المركزي في المتن ينتقل من مكانات إلى أخرى ومن وضعيات إلى أخرى؛ يتعرض للاختبارات متتالية الغرض منها "تأهيله" وبهذا يتحول إلى ذات فاعلة قادرة في نهاية الحكاية. أي يمكن أن تحصل على مكافآت متتالية هذا الانتقال أيضا على مستوى الحكى هو انتقال من سلوكيات وقيم هامشية غير مرغوبة إلى قيم وسلوكيات مركزية محبذة مثلها مثل القيم الموجودة في مجتمع "الراوي والمتداول" للنص الشفوي (هذا يحيلنا أنثروبولوجيا إلى التفاوض الاجتماعي حول المعنى الجدلي للقيم بين الفاعلين في سياق اجتماعين نحن أمام طقوس كلامية ذات وظيفة).

تعتمد الشفويات -وبالتحديد الرواة- على عوالم متخيلة تكون ساحة للأحداث يتم تحريك كل جامد كالحوانات والأشياء كلها تقوم بأدوار بارزة مساعدة أو العكس للفاعلين أغلبها جزء من عالم المنتج، (يحترم المنتج الفضاء/الجغرافيا التي ينتمي إليها) بهذا يكون لها مواقف قيمية دالة، إن الاستعانة بعناصر مثل المكان والفضاء والتركيز على جغرافيا-يعزز القيم والقدرة على الاقناع ويربط الشفويات بالجماعات على اختلافها.

الشفويات هي في المحصلة مادة/موضوع يمكن من فهم الاجتماعي ككل، فالمتن يؤسس للكثير من العلاقات (الدائمة أو المؤقتة) بين الفاعلين يختارهم المنتج-الراوي بعناية فائقة وتبدأ حركة القصص، تخلق عوالم (حقيقية، شبه حقيقية أو متخيلة) تتخللها أحداث بارزة غير متوقعة غالبا، تتميز بالانتظام والتلازم تفضي إلى نهاية يتم استعادة التوازن فيها والوصول إلى قيم مركزية موجهة للسلوك، هذا النشاط ليس عفويا فهو يعبر عن لحظات التوازن والاختلال وحالات الأنوميا لدى الجماعات اللغوية.

إن تناول ثنائية الشفويات القيم وتجليتها السلوكية هو تناول للغة المحكية المتداولة وانتقال من النص إلى المجتمع وانتقال من الدلالات إلى الممارسات الفعلية وتناول للمتخيل الرمزي وتجلياته كما هو موجود في المجتمع المدروس، لجماعات اجتماعية فاعلة لها شفويات خاصة متوارثة والمتداولة (مثل قصص الكرامة ومناقب الصلحاء). يمكن تناول القيم بعيدا عن المعيارية والتسامي المفرط الذي تتميز به، إذ أنها -في النهاية- بنى الألسنية ضمن سياق اجتماعي يمكن أن تختزل إلى وضعيات إرسال ووضعيات اجتماعية-لسانية. تعتمد على المتخيل والأسطوري والرمزي لها وظيفة.

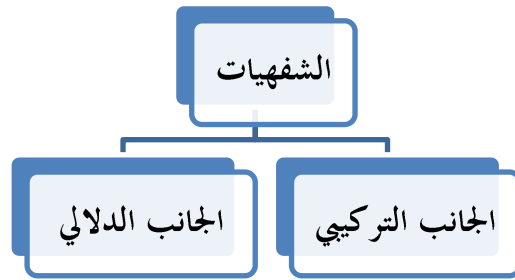
تتفاعل الشفويات مع الكثير من النصوص وتتناص معها، كالنصوص المقدسة، بل وتعمل على حفظ الأحداث (المهجرات المتتالية، الأحداث البارزة، وتنهل من تجارب الفاعلين الدينيين...) لا تكاد تفهم إلا بالرجوع إليها. إذن هناك علاقة تفاعلية بين النص وسياقات الإنتاج والتداول، كل هذا يعطي معني محدد للقيم وأشكال السلوك.

هناك الكثير من المتون الشفوية وليدة نشاط المؤسسات أو هي على أقل تقدير معبرة عنها كالمؤسسات الدينية، مؤسسة العائلة-الأسرة والفاعلين، الوسطاء لا يكفون عن إنتاجها -أو أنها في الغالب تنسب لهم- نقصد بهم الولي والمرابط والقائم على شؤون الديني، كل هذه النصوص معبرة عن أنماط التدين وقيم الجماعات الدينية على اختلافها، أو بالإمكان القول إنها رد فعل على نصوص سابقة مؤسسة لنمط التدين في ميدان الدراسة. يمكن القول عنها أنها نظام مفهومي تقوم على أفكار، لا يمكن فهمها إلا من خلال فهم مضامينها وردها إلى مرجعيتها الاجتماعية، هي على علاقة بمؤسسات ومنتجين للشفويات، بهذا تفرض ألوان محددة وتفرض أشكال للكلام وأنواع من القيم لها معنى خاص يتبعها شكل للسلوك. إذن هناك إنتاج للنصوص وللحدود الاجتماعية والمعاني وأشكال سلوكية (العلاقات والرابط الاجتماعي، معنى الممنوع والمسموح، العلاقة مع الفضاء الملكية والتملك...) الحدود التي يجب الركون إليها. لكن يجب الإقرار بتداخل هذه المتون وتعددتها وبالتالي تعدد القيم التي تحيل عليها (كل جماعة اجتماعية تتبنى متن شفوي خاص/عام، يقابله نماذج قيمية أخرى).

الشفويات هي تجريدات/تعميمات ألسنية معبرة عن لإديولوجيا (معبرة عن أشكال الهيمنة وتوزع السلطة)، هناك تمظهرات لغوية للإيديولوجي في الحياة اليومية فالقوالب والمتون الشفوية المتوارثة تعتبر كحامل وناقل للقيم، ترتبط بالبنيات الاجتماعية، تعبر عنها في حالتها الراهنة أو السابقة، أي وفيه للماضي وللحاضر

تستمد منها شرعيتها، يمكن القول إنها خطابات مهيمنة على غيرها، أي أنها نشاط لغوي نصي معبر عن الاجتماعي (التصورات، التمثلات، أشكال الهيمنة، أشكال الصراع، السلطة والقائمين عليها... الخ). الشفويات ذات وظيفية فهي تحاول فرض ضوابط محددة، كنتيجة لمرونة المتن الشفوي يمكن أن تستوعب اديولوجيات متعددة، تعبر عنها. الملاحظ هو أنها تحاكي وتماهي مع بعضها ومع متون سابقة لها. يمكن القول بأن للمجتمع مظهرات لغوية تعبر عنه منتجة بطريقة واعية، محددة على المستوى اللساني والخطابي.

يمكن اعتبار المتون الشفوية بناءات معرفية، معبرة/ناجحة عن المصالح الاجتماعية يحاول من خلالها الفاعلون بناء تصور عام موحد يتضمن جل قيم على اختلافها. وهو ما عبر عنه كل من جيل دولوز وغواتاري إذ إعتبروا أن: اللغة بناء غير مستقر؛ فهي تعكس التناقضات والصراعات الاجتماعية والتاريخية، الشفويات عبارة عن خطاب مؤسس على الرغم من أنها تبدو كوحداث لغوية يتم التلفظ بها عفويا ذات حجم مغاير للخطابات الموجودة والمستخدم (حجم يقصد به: عبارة عن جملة واحدة، أحيانا، أو أكثر) إلا أنها تتميز بالتكثيف على الرغم من الإيجاز. يمكن القول إنها خطاب يتميز بجانبين على الأقل متلازمين أولهما الجانب التركيبي -الذي يجب احترامه- والجانب الثاني هو الدلالي المراد تبليغه وهو ما يعطي للنصوص طابعا آخر هو الطابع المنطقي والمعقولة لدى الفئات المتداولة لها. بطبيعة الحال ضمن سياقات محددة.



الشكل رقم (19): شكل يوضح جوانب المتن الشفوي

تم الإشارة في البحث للغة الشفوية الراهنة وخصائصها، على الرغم من أنها ترتبط بعناصر أخرى تعطيها قوة وتأثير بليغ مثل: الايقاع، التركيب، الإلقاء/التلفظ كلها ترهّن إلى مبدأ تزامني لكنها لا تلغي الجانب التاريخي بل تحاول أن تنقله كمصدر مرجعي للقيم؛ أي أن الحدث اللغوي المباشر، الذي تم معانيته يتجاوز طرفين السامع/المتلقي "الآن"؛ على الرغم من أنه رسالة لغوية؛ ليثبت أنه نظام تاريخي اتفاقي متعارف عليه بين الجماعات الاجتماعية، حامل للقيم له وظيفة. أي أن سياقات التداول والأطراف الذين يدخلون في عملية الصياغة اللغوية

والإرسال يعملون على تشكيل المعنى للقيمة وشكل للسلوك. الغاية من الاستخدام الاجتماعي للغة الشفوية هو فرض التماثل، التعبير عن السلوك والإبانة عن معنى اجتماعي، فالعبارات تستبدل لتحل محلها أخرى في السلسلة الكلامية لتولد حقل رمزي؛ يختفي الاستخدام العادي ليحل محله استخدام لقوالب تاريخية سابقة في الوجود، فاللغة موجودة قبل الأفراد؛ لتعين لهم ما يجب وما لا يجب. لا يمكن فهمه (أي المتن) متروعا عن سياقه والملابسات التي تحيط به.

لكن بما أن هذا الاستخدام ينتج دلالات مختلفة ينتج تعدد في المعاني؛ المعنى ليس ثابتا أو مستقرا، بل متأثر بالتعدد، خاضع للاستبدال الدائم من طرف الجماعات اللغوية المتداولة للمتن لهذا نلاحظ وجود متن واحد يقابله تعدد الفهم وتعدد في القيم، كل هذا يمكن أن نرده إلى التفاوض الجدلي حول المعنى. تعبر المتن عن السلوك من خلال متاليات لغوية/قيمة لا يمكن فهمها إلا من خلال التضاد، تعمل الجماعات المختلفة على إنتاج متون/قيم متميزة.

الشفويات من حيث الاستعمالات تؤدي وظيفة هنا "الآن" في الزمن الحالي، تسعى لتخليقة وتغيير معيارية صارمة تعطي للاجتماعي طابعا خاص، إلا أنها تخرج عن المنطق والمعقولة إلى اللامعقول، وتتجه إلى الأسطوري لكنها لا تتخلص من وظيفتها مثل حالة النصوص التي تعبر عن لحظات التأسيس الأولى والأبطال المؤسسين (طريقة شغل الفضاء وطرق تدبير الشأن الديني اليومي والاجتماعي ككل، وهي موجودة للتعبير عن الانتماء والغيرية قيم الأنا وقيم الآخر).

كما أنه لا يمكن اختصارها إلى مجرد ألعاب كلامية فهي ذات دلالة وغاية؛ يمكن تفكيكها من أجل فهم المعنى. الشفويات تشير إلى خاصية "التغير، الحراك" تستخدم من طرف الفئات الاجتماعية للتعبير عن الرفض، نقد المتعارف عليه؛ يمكن ردها إلى شروط اجتماعية مادية وتاريخية (تختلف الجماعات والانتماءات لتختلف معها معاني القيم مثلا قيمة الكرم واحدة لكن معانيها تختلف).

إن النصوص الشفوية بمجرد إنجازها تحدد وضعية "الأنا" إزاء "الآخر" والآخرين وتحدد النظرة للأشياء في سياق معين، هي نتاج موقف معين، تمكنا من بناء شبكة العلاقات أو التعرف عليها بيسر، بعد جمع القوالب اللغوي/الشفوية من الميدان، فهي تؤكد على الرابط الاجتماعي وتربطه بمعاني قيم ودلالات ضمنية أو صريحة كل هذا من أجل هندسة الاتفاق الجمعي.

الشفويات محكومة بقوانين تتابع الأصوات؛ المتواليات الصوتية، كما أنها تتميز بالتنوع والتعدد مكونة في الغالب من وحدات منفصلة لها غاية ووظيفة لا يمكن تجاوزها لأنها تضع فاصل دال بين الوحدات المكونة للشفوية ولا يمكن الزيادة فيها أو الحذف والإضافة لكي لا يختل المعنى، هذه الوحدات يمكن أن تكون ذات طابع معين، في المثل نلاحظ أن: الوحدة المعبرة الأولى استفهامية والوحدة الثانية جواب مضمّر، مع التأكيد على أن حضور بعض العبارات يحيل إلى تجاوز ما تم التلفظ به وهذه ميزة أخرى (الإيجاز والتكثيف) تنوب عبارة واحدة عن عدة أفكار وتختصرها، هذا الاستخدام يشير إلى المعاني الضمنية ودلالة/سلوكيات محددة (في الشطر الأول سلوك وقيمة مرفوضة وفي الشطر الثاني القيمة المراد الوصول إليها).

يمكن تجاوز الجانب المورفولوجي أي التركيز على الشكل (البداية بالاستهلال والتوسيع واللحظات الختامية أي العودة إلى الاستقرار) إلى البحث في المعاني العميقة بالرجوع إلى قصدية المنتج للشفويات والمتداول لها أو بكل بساطة المقارنة بينها. إن البحث عن المعنى هو بحث عن المشترك، القيم التي تم الإجماع عليها وتم إخراجها للعلن من خلال النص الشفوي بعد صراع جدلي حولها بين الفئات الاجتماعية. العودة إلى المعنى الظاهر في النص والمعاني الأخرى المفهومة منه أو المراد إبلاغها في مواقف معينة من مرسل إلى مرسل إليهم؛ هذه المعاني تختفي خلف طبيعة النصوص الهزلية؛ ووظائف مثل الامتاع والمؤانسة، مثلها مثل تركيبها وصيغة التكرار أو خلف طابعها الإيقاعي المبني على وحدات ختامية متشابهة (الإفراط في العبارات المسكوكة في كل جزء يمكن أن يؤسس لفهم محدد لكن يمكن تجاوزه للوصول إلى المعنى).

يمكن التمييز بين المعنى الشمولي الكلي العام والمعنى الشاذ بالرجوع إلى الشفويات، بما أنها تتميز بالقدرة على التصوير والتعبير، فإن المعاني تتغير وتتغير معها القيم لتصبح الخاصة/العامّة؛ قيم الأنا قيم الآخر... بالإضافة إلى ذلك يمكن التمييز بين نوعين من المعاني الأول هو المعنى الذي أراد المنتج للشفويات إيصاله وتبليغه (توافر قصدية ووعي لدى المنتج بناء على موقف مواجه)، المعنى الثاني هو المعنى الذي تم تحويره وتغييره، بالاستعانة بالقوالب اللغوية فالاستخدام الاجتماعي لنفس القوالب اللغوية لكن في مواقف مختلفة ولدى فئات متباينة يعبر عن الاختلاف القيمي. يضاف إليها معنى آخر؛ المعنى الثالث هو المعنى لاستعمالي الخفي الذي يكون غير مدرك (لحظات التعبير عما لا يمكن نطقه علنا والمثال هو قصص الحيوان) ومن هنا يمكن القول إن الشفويات تتخذ وظيفة التعبير والإبلاغ وتستعين من جهة بشكل معين ومن جهة أخرى إيقاع معين لإيصال القيم والهروب من الرقابة والسلطة.

المتون خاضعة لمبدأ التبادل أي أنها ذات طابع تواصلية يمكن أن يحدد أطرافها في خطاطة تواصل لكن مع الأخذ بعين الاعتبار عدم إمكانية حضور أو تواجد أطراف هذه العملية في نفس اللحظة (لحظة إنجاز الشفويات والتلفظ بها وزمن الإلقاء والتداول) فالمرسل قد ينتمي إلى جيل والمرسل إليه ينتمي إلى جيل آخر، بل أكثر من ذلك مرسل بالجمع ومتلقي بالجمع دون نسبة المنتج إلى مؤلف محدد (لا يهم مدى مصداقية المتون ولا يهم نسبة متن إلى مؤلف، الأهم هو لماذا تنسب الأعمال الشفوية بطريقة معينة لشخص وترتبط بفضاء وجماعة اجتماعية المهم هو ما يعتقد الأفراد...).

يمكن القول بأن الشفويات نظام قائم على الترابط والانسجام غنية بالقيم تعتمد على (الإيقاع والتركيب؛ الإسهاب في التوصيف والسرد) للنفاد وللبقاء واكتساب نوع من الديمومة للنص وللقيم التي يحويها أو يحاول أن يشيعها الاستعمال اللغوي الاعتيادي هذه الممارسة أو الاستعمال تتضمن معاني لقيم تم إنتاجها لتتخذ شكل تقابلي/ضدي تعبر عن سلوك المتداولين للشفويات، (هناك سببية كامنة خلف الاستخدامات المتتالية للشفويات بحيث يتم استدعائها في مواقف محددة للتعبير والإبارة والإبلاغ، كمحاولة لتعديل السلوك أو نقده) لجوء الفاعلين إلى الخيارات اللغوية التعبيرية واستعمالها بشكل مفرط للتدليل على الفعل وتقييمه مهما كان الفضاء الزمن، الفاعل والفعل. تستخدم التكرار للتوكيد؛ تستعين ب"التناس" للتعبير ولكسب قوة تأثير بمجرد التلفظ بها، تثير في ذهن السامع أو المتلقي التعالق مع النص الأصلي في جزئية معينة (أي أنها تتداخل مع غيرها من النصوص)؛ مما يعطي صياغة للشفويات تقترب من التصور الذي أراده المنتج/المتداول، أي الاقتراب من المعنى الاجتماعي.

إن اعتبار الشفويات كمنتج من فاعل ذو مكانة ودور سواء كان معروف أو غير معروف، يجعلها منطقية مقبولة، يعطيها قوة لتأدية معنى معين، يفرضها كمنطق غير قابل للجدل، غير قابل للتفاوض حولها تمر دون رقابة من السلطة الاجتماعية كقصص الهزلية التي ترفع فيها الكلفة، والخرافة والأسطورة وقصص الكرامات والمؤسسين الأوائل التي يصعب التأكد منها ويستحيل رفضها. كل هذا يجعل منها ناقلة للقيم ومحافظة عليها.

الشفويات لها جمهور عريض؛ يتأثر بها المتلقي لحظة إنجاز فعل الكلام والمشاهدة، كما أنها تلزمه بنوع من السلوك، حتى أن المرسل إليه يعتقد جازماً في مواقف محددة أنها تعبر عن قيمه الخاصة وقيم الجماعة التي ينتمي إليها، إن كانت الشفويات ذات طابع تاريخي قصصي/ماضي؛ فهي تعبير عن حالة، وتعبير عن فعل/سلوك مميز

للذات عن غيرها. واستمرارية الحكيم عن هذه الحالة تعبير عن استمرارية هذه الأفعال واستمرارية تمايز المعاني والقيم لذا يجب أن تتجسد في السلوكيات؛ هذا ما هو معترف به على الأقل لدى فئة الشباب.

إن القيم تعبير عن حقيقة كامنة تتجلى في السلوك وتعبير عن "حقيقة/معنى" معترف بها في المجتمع؛ لكنها ليست ثابتة دوماً؛ لا يمكن الحديث عن حقيقة بالمفرد، أي أن وجود نفس النص أو المتن الشفوي لا يعنى وجود نفس الحقيقة أو نفس المعنى، الذي يتخذ طابع العمومية؛ الشمولية، إذ أن البحث الميداني يثبت عدم تجانس فئة الشباب ويبين كذلك عدم وجود تصور موحد لدى هذه الفئة لكل القيم، على الرغم من وجود نفس الاستخدام الاجتماعي للغة (تداول نفس القوالب اللغوية لا يحيل إلى وحدة القيم ومعانيها)؛ من هنا يمكن القول بوجود تعدد في الفهم وتعدد في القيم ومعانيها حسب كل جماعة اجتماعية ينعكس كل ذلك على السلوك.

الشفويات تعتمد على أساليب يتم تضمينها في الإرساليات؛ منها الأسلوب الأمري التعجب والإشاري؛ إن استخدام ضمائر للإشارة إلى الأنا، والتعريف أو التشهير بها كذات فاعلة تنتمي إلى جماعة مرجعية. تستخدم للترويج لمعاني وقيم تتناسب معها تعرف بها؛ هذه الإشارة تكون مصرح بها أو ضمنية تفهم من خلال ترديد عبارات بعينها ويتم تداولها بكثرة.

الإشارة إلى "الأنا" كفاعل يمتاز بخصوصيات قيمية وإلى الآخر بعكس ذلك، يتم التقديم له بالسرد والحكي وإستدعاء الشواهد التاريخية أي العودة للحدث ومطابقتها مع المواقف اليومية الآنية المعتادة، لتدعيم الشفويات وتدعيم فكرة ديمومة القيم لدى الفئات الاجتماعية لذا يتم إقحام النصوص الشفوية لأنها تتميز بالإيجاز والقدرة على التعبير كل هذا له غرض أو أغراض محددة وليس خاضع للارتجال أو الصدفة إذ أننا وفق الطرح السابق أمام حالة من حالات التوكيد للذات الجمعية وإعلان عن الخصوصية وعن غيرية الآخر في مقابل "الأنا-نحن".

كما أن المتمعن في هذه النصوص يجد نوع من الحذف للأفعال في الحكيم، الأفعال المتعلقة بالقدرة على الإنجاز تحذف من القصص إذا ما تعلق الأمر بالحكي عن الآخر الغريب؛ بحيث لا يمكن نسبة القوة إلا للبطل وكل قوة موازية تعتبر عارضة وزائلة بعكس قوة البطل التي تتميز بالعقلانية والخيرية (لأن البطل ينتمي إلى "الأنا")، إن هذا التركيز على الحذف هو تعبير عن قيم تنسب للبطل المنتمي "للأنا". إن هذا النوع من الحكيم يتم تدعيمه بمرجع خارجي عن اللغة، رغبة في التوكيد، هنا تتم الإشارة إلى المكان وإلى الخارق والأسطوري لتدعيم القول

وبالتالي تدعيم القيم الموجودة أصلاً في الشفويات (الطابع التمجيدي للقيم "قيم الأنا" وتحقير قيم "الآخر" يعبر أيضاً عن وجود ازدواجية).

إن الشفويات تعمل بعد إنجازها والتلفظ بها في موقف معين على إثارة سلسلة من التداخيات غير المنتهية؛ مثل الشفويات ذات الطابع التاريخي ترجعنا للحدث؛ أما آلية لمقاومة النسيان ومن خلالها يقحم الحدث في سياقات لغوية ذات تركيب معين، الغرض منها استدعائه لا كماضي انتهى بل كماضي حاضر في الزمن الحالي وتقوم اللغة مقام الحدث الأصلي.

الشفويات تتعدد وتتنوع من فئة إلى أخرى وتتمايز من حيث الأنواع، على الرغم من هذا يمكن القول بوجود استخدام اجتماعي مفرط لها لدى جل الفئات العمرية، يُعبرون من خلالها عما هو مرغوب وعما هو مرفوض غير مرغوب يستعين فيها المنتجون أو المردون بمعجم للتعبير عن الرغبات والاحتجاج يتم فيه بشكل مُتعمد الحديث عن الممنوع والمسموح؛ إنها تحيل إلى قيم تتعلق بالاجتماعي الديني الاقتصادي الجسد، جسدية والنوع الاجتماعي. يجب الاهتمام بالشفويات في شكلها الجديد: لأنها تقدم فهم للقيم غير مسبوق. تعمل الشفويات الجديدة على إقحام عبارات وخلق تراكيب الجديدة هي محاولات ارتجالية لها غرض محدد قد يكون التندر لكنها لا تخلوا من القيمة على الرغم أنها تعطي انطباعات لحظة التلفظ قد لا تعبر عن مقتضى الحال إلا أنها تستخدم للحفاظ أو للاحتجاج على الواقع بحيث تحذف عبارات وتقحم أخرى لتغيير الدلالات¹؛ للدلالة على مرجع خارجي غير متوقع في سياق الكلام؛ ومن خلال الحذف والإضافة يتغير سياق الكلام ويصبح غير متوقع؛ هي عبارة عن تراكيب لا ترهقن إلى مقدمات ونتائج واحدة تعتمد على سابق ولاحق غير متجانسين وهو ما يعطيها طابعها الخاص، أهم ما يميز الألوان الشفوية الجديدة هو الاقتضاب والاختصار واحترام الجرس الذي صاحب الشفويات، كما أنه يمكن القول بوجود نوع آخر عام من الشفويات حدث فيه تغيير كبير في الفاعلين وأدوارهم القارة؛ مثل الحكايات التي تستغل الكائنات ما فوق طبيعية تغير دورها ومهامها داخل الحكيم مثل المانح للقوة، وجودها مركزي تعبر عن جملة من الأفعال مثل الأفعال الهامشية الغرض من ذكرها التندر فقط²، هذا

¹ - هذا اللون بالشفويات يميز فئة الشباب ومن بين القوالب اللغوية التالية - وأحد ضرب يُتَقَوَّنُ غَاظَةً؛ وأحد جاء يُنْشَرُ فِي الإسلامِ مَا لَقِشَ السَّلَكُ، رُوجٌ رَاوِحٌ لِلْبَحْرِ وَأحدٌ عَامٌ وَالرَّوَاجُ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، رُوجٌ يَمْشُوا مَعَ بَعْضٍ وَأحدٌ دَارٌ وَأحدٌ كَوْرِيْنَةٌ...

² - مثل حكاية التوام ذو الحدة: "رُوجٌ تُوَامٌ وَأحدٌ مَثُومٌ كَانَ يَلْعَبُ عِنْدَ بُلَاصَةَ نَاحِسَةَ خَرَجَلَهُ جِنٌّ صَغِيرٌ لَعِبَ مَعَهُ وَضَحِكُو مَعَ بَعْضٍ، خَرَجَتْ مِنْ بَعْدُ جَنِيَّةٌ (أُمُّهُ) قَالَتْ لِلنَّاسِ وَأَشْرٌ تَطْلُبُ أَنَا بِنِي عُمَرَةَ مَا ضَحَكَ حَتَّى لِلْيَوْمِ، قَالَتْهَا فَلَعِيلِي الحَدْبَةُ مِنْ صَهْرِي، وَبَعْدَ مُدَّةٍ رَاحَتْ الحَدْبَةُ، فَرَحٌ وَخَيْرٌ حَوَّةُ التُوَامِ، بَعْدَ مُدَّةٍ رَجَعَ الأَخُ التَّانِي الأَخْدَبُ لِنَفْسِ المَكَانِ وَبَعْدَ يَلْعَبُ، بَصَحَ خُلْعُ الجِنِّي الصَّغِيرِ خَرَجَتْ أُمُّهُ وَاسْتَقْبَلَتْ حَدْبَةَ أُخْرَى لِأَنَّهُ بَكَى وَلَدَهَا"... والحكاية التالية تعبر عن الاستعانة بالكائنات لتمير القيم: "وأحدٌ كَانَ هُوَ وَصَاحِبَةُ خَرَجَلَهُ عَفْرِيْتٌ قَالَهُ لِي تَطْلُبُهَا أَتْنَا نَعْطِي لَصَاحِبِكَ رُوجٌ صَوَالِحٌ قَالَهُ فَلَعْلِي عَيْنِي..."

التحول على المستوى اللغوي تحول في نماذج الحكمي يمكن أن يكون محل تساؤل؛ هذا التغيير في المواقع من فاعل في الحكمي ومؤطر للتصورات إذ لا تكاد الحكايات تنجز تلفظاً إلا نجد فيها الفاعلين القدماء (الغولة، الجن، الستوت....) إلا أننا أمام أشكال جديدة ونفس الفاعلين بأدوار هامشية ونشهد تغيير في المواقع؛ الوظائف دخل القصص.

قد يكون إحالة إلى الواقع الاجتماعي الذي تغير ومحاوله إقامة فارق بين عصر سابق ولاحق وإحالة إلى بداية الرفض والمبرر هنا هو وجود استعمالين للفاعلين على مستوى الحكمي. إن هذا الطرح يقودنا إلى فهم الذات من خلال فهم تطور الحكمي وبممكننا لاحقاً من فهم التغيير القيمي السلوكي.

في هذه الدراسة تم الرجوع للمتداول والمعتاد ومحاوله مقارنته بالرجوع إلى الاستعمال اللغوي اليومي والملاحظ هو وجود هندسة نموذجية يحترمها القائمون على الإنتاج الشفوي تخدم وظيفية معينة إن البناء الداخلي للنص/المتن يحترم قواعد كالتناظرية بين مقدمتين أو أكثر والاعتماد على المجاز تم تعويضه بالاعتماد على عبارات ذات دلالات مفارقة للتعبير عن واقع لساني خارج اللغة أي العبور إلى الاجتماعي.

الشفويات تعتمد على آليات ثنائية الاستبعاد والفصل، والتجريد والتعميم، الوصف، التقرير وهي ذات سيورة تخلق بناء مفهومي-تصورات يخلق مسلمات ويناقش حتميات يعرضها للتدليل على الفئات الاجتماعية تبين التراتبية وأشكال توزع السلطة ومنابعها، غير أن الملاحظ في الميدان هو تولد ألوان جديدة تحتاج إلى الفهم والتحليل. إن هذه الألوان الجديدة تبين التغيير البارز حول ما تم التواضع عليه (على مستوى اللغة) بين الفئات الاجتماعية، هناك انقلاب على الأشكال والأنواع الشفوية الكبرى والتروع إلى ألعاب لغوية لدى فئة الشباب للتعبير عن التجربة الاجتماعية الجديدة التي خلقت قطيعة مع ما مضى وبالتالي تولد قيم وسلوكيات جديدة.

إن التغيرات على مستوى الحكمي والفاعلين فيه هو نوع من التغيير ناتج عن تحولات جوهرية جذرية يمكن أن تقدم لنا صورة عن القيم/سلوك. لا يمكن البحث في ثنائية القيم شفويات إلا بإرجاعها إلى السياق الاجتماعي وربطها باليومي، للتجلي كثنائيات على علاقة بالسلطة والدين والجسد، ومفاهيم أخرى كالهوية والتاريخ الشخصي والصراع ومفهوم الجيل، ومن خلال تحليل هذه الثنائيات تفهم القيم والسلوكيات.

إن تحليل ودراسة القيم/سلوك والشفويات هو رجوع إلى تناول الفردي والجمعي والكوني والخصوصي الملاحظ هو وجود نوع من التمرکز القيمي لبلورة نوع من السلوكيات الموحدة في ضل وجود نماذج قيمية

منافسة سريعة الانتشار في ضل تكنولوجيا الحديثة التي سرعت من نقل وتبادل العلامات والرموز والصور (سيادة أنماط جديدة للإستهلاك والاتجاه إلى توحيد الأذواق والقيم نتيجة الخشية من توحيد القيم وفق نموذج خارجي)، في سياق آخر لا يمكن نفي وجود المحلية والدعوة إلى الأصول بل والدفاع عنها والبحث عن ترقية الاستثناءات الثقافية والقيمية وتأكيد الإنتماء إلى الهويات والدعوة لوحدة الأصل والاختلاف عن الآخر كرد فعل على النماذج القيمية الكونية أو محاولة لرفض التغير باستدعاء فكرة الأصل والمشارك، العودة إلى لحظات التأسيس الأولى من خلال إستدعاء المتاليات؛ حكي؛ قيم؛ سلوك.. يقابل هذا النموذج نموذج آخر يعمل الأفراد فيه على إعادة إنتاج نظام قيمي جديد يواكب البنيات الجديدة، يعاد تشكيل الوقائع من خلال تشكيك اللغة وتبني أشكال شفوية جديدة مبنية على منطق ذو طابع خاص مغاير لما هو موجود للقديم كالأساطير المؤسسة والشفويات ذات الطابع الشمولي. الشفويات الجديدة نقدية مرتبطة أساسا بأنماط الإستهلاك "الهجينة" والجديدة وقيم الفردانية المغايرة للأولى التي توصف بأنها سحرية طوباوية مغرقة في المثالية من هنا يمكن القول بوجود نوعين من الشفويات لدى فئة الشباب لكل منها معناها ودلالاتها الأولى محافظة والثانية توصف بأنها ثورية - إلى حد ما - مما ينشئ صراع قيمي رافض لكل أشكال الحميمية للماضي وللأصل وللقداسة والأسطورية وهو نوع من التجاوز للقيم ومحاولة بناء قيم يرى الشباب أنها "حادثة جديدة".

من جهة أخرى نلاحظ في الميدان أن شريحة من الفاعلين يتميزون بدعوى محمومة للعودة للأصل الواحد والنموذج الموجود في الماضي -العصر الذهبي- تقابله دعوة للتغيير وتبني قيم جديدة، هذه القيم لها تظاهرات وطابع لغوي، تتمسك أحيان بالديني وبأفكار مثل: التمركز حول العرق (الرجوع إلى القبيلة كمثال) تقابلها نماذج جديدة وقيم مرتبطة بالإستهلاك لبناء أذواق "عصرية" لبناء نماذج قيمية منقطعة عن الأصل وجودها آني فقط - الزمن الراهن - لها علاقة ب: "هنا"، "الآن" فقط. إن هذا الصراع بين لونين من الشفويات والقيم ناتج عن قطيعة واعية مبررة لدى هذه الفئة الاجتماعية، وهي نتاج تغير عميق مرحلي على مستوى الطقوس والممارسات وصعود فاعلين ومؤسسات جديدة. كل هذا يؤدي إلى ظهور نزعة احيائية للماضي يعبر عنها بالمقولة التالية: "... في مقابل ذلك تنحو الثقافة إلى الرجوع إلى الأصول، نحو مواجهة الآخر مواجهة مطلقة... فأنا سرعان ما تلوذ بالقيم الثقافية الماضية... بإحياء رمزي لعصر الذهبي في أثناء التأسيس، وفي عصر النقاء والطهر الأول، بتكرار طقوسي لسير رجالته وبطولاتهم ومناقبهم وأقوالهم..."¹.

¹ - حيمر عبد السلام: في سوسولوجية الخطاب، من سوسولوجيا التمثلات إلى سوسولوجيا الفعل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008، ص 27.

كل هذا لإنتاج قيم تدخل حيز الإستعمال مقطوعة عن الأصل وعن التجربة الاجتماعية الماضية ناتجة عن فعل الاستهلاك فقط، وقيم أخرى مواجهة يسعى أفرادها إلى ربطها بالماضي من خلال الرجوع إلى الحكيم وإلى العجائبي والأسطوري المقدس تعيش الماضي غير المنقطع عن الراهن الآني، يُفرض نموذج قيمي تاريخي يقابله نموذج لا تاريخي، كلها مؤسسة لنمط خاص من السلوكيات تطبع بها التمثلات والأجساد يسعى الفاعلون إلى إنتاجها وإشاعتها بل وتبرير السلوكيات التابعة لها يرون بأنها عادية أو تلقائية ذات طابع عقلائي.

إن هذه القيم ناتجة عن نظام معرفي موضوعي مستقل عن الأفراد وهي ناتجة عن رؤية مركزية للكون ولشروط تاريخية متى توفرت تفرز قيم محددة، إن هذا النظام المعرفي المولد للقيم يبرر ذاته بالارتكان إلى جملة من الأفكار، الممارسات والسلوكيات، يتبناها الفئات الاجتماعية لتولد تلقائيا قيم ملزمة بحكم الانتماء للبنية الاجتماعية.

إن هذه القيم لها دلالات محددة تفرض نفسها على أنها رؤية للعالم، يشتغل بها الذهن لتولد سلوكيات تتميز بالثنائية والتقاطب، إذ أن لكل فئة قيمها وأفكارها ومبررات لوجودها. بهذا فإن القيم تعتبر كموجهات سلوكية -معارية- للفرد وللجمعي، ومن خلال النص الشفوي يسعى المنتجون إلى تضمين المتن قيم محددة والدفاع عنها وتسعى الجماعات الأخرى إلى نقدها وتقديم البديل عنها.

إن دراسة القيم الشفوية لا يجب أن تُغيب وجود هذه الثنائيات، لأنها مبنية على محاولات للإثبات/النفي والرفض الأولى تسعى إلى تأكيد الماضي والثانية تسعى إلى نسيانه وتبني نماذج سلوكية جديدة، وكلا من المنتجين للنص الشفوي يدعمون النصوص بحقائق تدل على قوة وأصالة النموذج القيمي المعروض، حسب فئة الشباب الذي يتبنى التزعة الأولى يبرر إعناقه للقيم لكونها منتجة لنوع من الوحدة والاستمرارية وبالتالي يعمل على تضخيم المآثر والمناقب ويرفض أشكال التباين الجديدة، كما أنها تسعى إلى تقديم الوقائع في سياقات تتميز بالتجانس وعدم التباين، وأن كل محاولات الخروج عن النموذج القيمي تكمل بالفشل، ومن هنا يحاول القائمون على هذا النموذج إنتاج تصورات تتميز بالتوحد، في أشكال العلاقات الاجتماعية، والتمثلات والسلوكيات ولا يتم التعرض أبدا إلى أشكال الرفض إلا بالتلميح فقط، أو الحديث عن فاعلين منعزلين أو عن ظواهر شاذة بل يتم إغراء وتحذر الشباب من الخروج عن المألوف والمعتاد لأنه خروج عن المبادئ والأعراف والقيم العامة. وكل هذا مبرر من خلال خلق

حقائق تاريخية لا يرقى إليها الشك لأنها نابعة من فاعلين/منتجين للمتون لشفوية في فضاءات مقدسة أو ممن يمتلكون السلطة الفعلية وأصحاب رأس المال الرمزي يقابله نموذج أو نماذج أخرى.

أما النموذج الثاني؛ يقدم نفسه على أنه متنورة رائد ذو طرح قيمي جديد قد اكتسب نوع من التاريخية (لدى الآخر) يرفض أصحابه ومعتنقوه الطرح السابق لأنه يستمد قوته من بنية أسطورية وهو نتاج لشروط تاريخية وشبكة من العلاقات الماضية زالت وانقضت لا وجود لها اليوم، كما أنها تعبر عن لحظات تأسيس لا وجود لها، لا يمكن أن تخدم الواقع الراهن، لهذا لا تكف الفئات الاجتماعية بالتذكير بالمساوي وإدانتها كلما سمحت الفرصة، أو التشكيك في مصداقيتها، ورفض السياقات التاريخية غير الموثوقة -تقبل هذه الفئة التجربة المكتوبة فقط على الأقل- وترفض فكرة القيم المتجانس لأنها سلبية يجب تجاوزها أو على الأقل طرحها للنقد للنظر فيها والنظر في العقلانية التي تميزها بداية بالشروط التاريخية المنتجة لها ونهاية بالممارسات السلوكية التي تميزها وترتبط بها؛ لكن بالرجوع إلى الميدان لا يمكن أن رفض وجود فئة من الشباب تتميز ب "الحياد" وهي لا تعبر هذه القيم وهذا الجدل/التفاوض أية أهمية.

بناء على الطرح السابق يجب دراسة القيم وتناولها على مستويات، الاجتماعي، الثقافي والمعرفي، الإيديولوجي من جهة ومن جهة أخرى ربطها بالبناء الاجتماعي، سياقات الإنتاج والتداول وأشكال السلطة مع مراعاة تنوعها (قيم اجتماعية، دينية، اقتصادية، جمالية...). تعمل القيم على تكوين جملة من التوجيهات للسلوك، تسعى لتقديم صورة عن الذات والمجتمع ككل، وطريقة تشكله من خلال حدث أصلي لكن على الرغم من أن الشفويات شمولية إلا أنها تعبر عن هذا الوجود الجمعي المشترك، الذي يتطلب حدا من المعيارية لضبطه وتوجيه سلوكيات أعضائه. من خلال الشفويات يسعى المنتجون إلى تحويلها -أي القيم- إلى رمزيات قابلة للإيصال لأكثر قدر ممكن من الأفراد داخل وخارج البنية الاجتماعية لإعادة صياغة الوجود الاجتماعي في لحظات معينة للتذكير والتدليل والبرهنة على الانتساب للقيم والسلوكيات الخاصة، وهي العامل الذي يعمل على توحيد بين الفئات الاجتماعية ضمن جماعات. يمكن أن نلاحظ أن القيم أساس للتقسيم إذ أن لكل جماعة اجتماعية قيمها الخاصة مهما كان حجمها (مثلا الجماعات المترلية، الجماعات الديني، معتنقي الأذواق الجديدة... الخ) الملاحظ أيضا وجود نوع من الاتفاق حول قيم جمعية عامة موحدة تسعى الجماعات إلى خلقها لضمان خاصيتين هما الانفصال والإنصهار (قيم مشتركة بين جميع الجماعات تتميز بالعمومية).

نحن أمام خطابات متعارضة "من خطاب إلى آخر تتغير هيكله المجموعات المتصرفة في هذه الخطابات وإشغالها...¹، لا يمكن فصل هذه الخطابات عن المؤسسات والمنتجين لها. بالرجوع إلى المنتجين للخطاب الشفوي (اليوم) وتوقعهم داخل البنية الاجتماعية نلاحظ أنهم يعملون على تجديدها، فمكائنتهم لا تقل مكانتهم عن مكانة المنتجين الأوائل للنص في مراحل تاريخية معينة، (لا يمكن إغفال دور كل من المنتج والمروج للشفويات)؛ إن الجماعات تنتج خطابات الشفوية وتستعين حتى بنفس المتون، تصهر على إذاعتها بطريقة منتظمة بإستغلال لحظات جمعية معينة يتم فيها العرض، إن تتبع لأثر الناتج عن العرض والتداول يقود إلى الاعتراف بأن منتجي النصوص (اليوم) يشتركون في طبائع وتقاليد ومعارف يصبغون بها الإنتاجات والخطابات للتعبير عن الذات الفردية والجمعية، يمكن أن نجد تميزا واضحا -مفصلا- بين عدة جماعات خطابية إحداها يغلب عليها الطابع الاقتصادي بينما جماعات أخرى يسودها طابع ديني-إيديولوجي وأخرى يغلب عليها الطابع المعرفي؛ كلها منتجة لقيم وآراء ومعتقدات؛ كلها تقابل بعضها بعضا منظمة ضمن "سوق" للنصوص وهي متجهة إلى الخارج². يوجد نوع من الاتفاق الضمني غير المعلن حول مدى مقبولية بعض الخطابات فهذه الجماعات اللغوية، تشترك في أكثر من معيار كاللغة، التاريخية، النطاق الجغرافي لكنها تختلف حول رؤية العالم والواقع الاجتماعي مما يؤسس للأنماط سلوكية مختلفة، نحن أما خطابات، متون، قيم وسلوكيات غير متجانسة تسعى لتعميم رؤيتها والإنتصار لنموذجها.

كل هذا يمكن أن يتضح من خلال النموذج-المثال التالي عن الجسد: تعمل النصوص على إظهار الجسد كقيمة ثقافية، يحاط بمجموعة من الطقوس الجسدية المتوارثة، يتعرض للتشريط الاجتماعي، تخصه اللغة بنوع من التمثلات التي لا تفصله عن اليومي، يعبر عنه من خلال اللغة الشفوية، ليتحول إلى قيمة ثقافية. تنفرد الثقافة بمفهومها الخاص عن "الايروس" ومبدأ اللذة الذي يرتبط به، الملاحظ أن النصوص الشفوية لدى فئة الشباب لا تخلوا من الوصف الإباحي للجسد، لكنها في النهاية تسعى إلى أن تحوله من تصور "إباحي" خيالي إلى تصور اجتماعي "مؤنس"، لتصوير "لعبة الإغواء" والإغواء والإغراء الذكوري والأنثوي وتوجيهه نحو مقاصد اجتماعية، تصوير القوة الجنسية الطائشة والتحذير منها في نصوص تُخلد لأحداث وتنتج قيم.

¹ - باتريك شارودو، دومنيك مغنو: "معجم تحليل الخطاب"؛ ترجمة المهيري عبد القادر، صمود حمادي، المركز الوطني للترجمة تونس، منشورات دار سيناترا، 2008. ص105.

² - باتريك شارودو، دومنيك مغنو: معجم تحليل الخطاب، مرجع سابق، مرجع سابق ص106.

وفي موضوعات أخرى تنتقل المتون أيضا للحديث عن التعلق بتقاليد وأذواق جديدة لدى الفئات الاجتماعية، أي الحديث عن الجسد تمجيده ومحاولة ضبطه ضمن إطار محدد، كقوة يجب أن تنظم اجتماعيا وأخلاقيا، مع نكران الفردي وتغليب الأسري (التنظيمي الذي يجب أن ينتمي إليه الجسد).

هذه الجماعات المنتجة للخطابات الشفوية يمكن اعتبارها على أنها منتجة أيضا لظواهر ثقافية وموضوعات للتواصل لها دلالاتها. إن المتون الشفوية عبارة عن عملية إسناد واعية؛ إسناد الوظائف لموضوعات وفاعلين في الاجتماعي، تعمل الجماعات والأفراد على إنتاج وتبادل أنظمة من العلامات، لها منطقتها الخاص ودلالاتها، ترتبط بنماذج للسلوك (نمذجة السلوكيات وتمييزها بعضها عن بعض وفق نظام ثنائي معبر عنه لغويا)، أي أنها بكل بساطة تبني تصورا عن العالم في شكل نموذج تسعى إلى ترسيخه وبنه، ومن خلالها—أي الشفويات— يتم نقل المعارف، وبحفظها يتم حفظ وصيانة الأفكار والقيم، وهي ذات علاقة وطيدة بالثقافة الكلية وما تحتوية من الديني والاجتماعي والاقتصادي، إذن فدراسة الشفويات يمكن أن تفيد في معرفة الثقافي ومعرفة كيف أن المجتمع يتيح لأفراده نمط من التواصل يسمح بتنظيم المعلومات وإرسالها إلى الآخر ليضمن إنتاج وإعادة إنتاج نماذج سلوكية وقيم لا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى هذا النسق الثقافي.

تبين الشفويات أن على السلوك الاستجابة لوظائف محددة تسعى للتعريف به وإشاعته من خلال خلق مجموعة من النماذج التي تفرض أو تعمم. لا يمكن أن تستقل الإنتاجات الشفوية عن الاجتماعي الذي أنتجت فيه ولا عن الغايات التي أنتجت بسببها، لهذا يجب الرجوع إلى منتجها وإلى وظيفتها. (على اعتبار أنها جزء من نسق تواصلية يؤدي وظيفة غرس القيم والمحافظة عليها) لذا يجب الرجوع إلى المقصدية التواصلية.

الأفراد داخل المجتمع يسهمون بطريقة واعية في تشكيل دلالة النصوص الشفوية وإعادة تشكيلها، يرون بأنها عملية محاكات للواقع وتعبير عن الأنماط السلوكية الموجودة، هذه الشفويات غنية بالوحدات الدالة، فالفضاء والأشخاص والأسماء كلها تخرج عن وظيفتها المعتادة للتدليل على أشياء أخرى، من خلال مسار الحكيم، التردد والإستدعاء تُوظف من طرف الفاعل ليثبت رسالة أو قيمة تُخدم هدفا معين يمكن استخلاصه بعد ترديد أي متن شفوي. كما أن الأداء الجسدي للفاعل (الإيماءات ولغة الجسد) أو الباث للشفويات تعتبر كجزء لا ينفصل عنها له دلالاته التي يمكن تحليلها. نحن أما ترسيمة يحاول الفاعل من خلالها خلق مجموعة من الأحداث وربطها ببعضها البعض ثم إحداث مواقف للتنبيه واستدعاء التأويلات لنقل القيم إلى المرسل إليهم. لمحاولة تقريريهم من الدلالات

الخفية الموجهة إليهم دون غيرهم. الغرض منها هو التبليغ عن شيء معين لغاية وهدف ومنه تتحدد وظيفية ترديد المتن الشفوي وتعمل على نشر القيم، يسعى القائم على التواصل التأثير في المخاطب لإقناعه، الشفويات لها قدرة إنجازية لأنه وبمجرد التلفظ بها يمكن أن نلاحظ الأثر مباشرة من خلال رصد المواقف. زيادة على التبليغ المتون الشفوية تتضمن التلميح، الإثبات والتوجيه والتعبير والإخبار والإبلاغ.

قد يتم التلفظ بها لغاية تبادلية (مثل الملابس) أو للتأثير في الغير ولنقد-تقريع ما يلاحظ من سلوكيات، الغاية هي إحداث رد فعل أو التعبير عن الكينونة، الذات والسلوك/قيم، كلها يمكن أن تفهم بين المشاركين في إنتاج اللغة الشفوية، إن الانتقال من الدور اللغوي إلى الدور الاجتماعي للتقليد الشفوي، هو إنتقال من الفاعل على مستوى المتن إلى الفاعل الاجتماعي أي القائم كطرف في العملية التواصلية ووضع الاجتماعي وما يحمل من تمثلات، يجب الاهتمام بقواعد التحادث، والتواصل الشفوي الذي يتطلب اللحن النغم والإيقاع الإيجاز والتكثيف والمعنيون بالتبادل اللغوي التواصل أي الذين يدخلون في لعبة لغوية الغرض منها إنتاج قوالب لغوية/قيم مناسبة للمواقف التي يتم التعرض لها أو ملاحظتها مباشرة، لذا يجب الرجوع إلى أطراف العملية التواصلية (الشركاء الذين يدخلون فيها ووضعياتهم الاجتماعية) لكن دون إهمال ظرف التبادل لأنه يفيد في التحليل المتون الشفوية.. و يبين المعنى ويصبح قابل للتبادل (لكنه مربوط بجملة من الاكراهات كالمصلحة والإيديولوجيا والسلطة والذات المنتجة أو المتداولة) إن تتبع سيرورة التبادل الشفوي يقودنا إلى "طقوس الكلام" التي يجب الإلتزام بها. كل الأشخاص الذين يدخلون في العملية التبادلية لهم جملة من الاستراتيجيات خاصة أن المتون الشفوية تعبير عن الذات ولآخر.

الشفويات نشاط اجتماعي موجه له غاية، موجه نحو دلالة رمزية (كتأكيد الذات من خلال اللغة) تحديد ما يجب عمله في لحظات التفاعل، الغاية منها التوجيه أو الإصلاح وتحديد نموذج سلوكي عام، إعتناقها يعني الخضوع للتقييم من الآخرين.

تتميز بإقامة صيغ علائقية مع مجموعة من المخاطبين بالاستعانة بالاستفهام، والأساليب الاشارية، الإشارة إلى أشخاص كالذكور مثلا أو الإناث أو إلى وسط اجتماعي معين له ميزة خاصة، الإشارة إلى المفرد أو الجمع، لكل منها هدف، فالإستعانة بمصطلحات القرابة (الخال، العم، الأب) أو إلى المهن والمراتب، والألقاب الغرض منه تحديد الأدوار والمكانات والوضعيات الاجتماعية، للدلالة على التناظر أو التراتبية/الهرمية، لوصف/تصنيف المسافات الاجتماعية وفق محاور عمودية وأفقية، تساعد الذات على إنتاج مقولات ومعاني وقيم. مثلا: "الغيرية"

تستعمل لتحديد الكائن ضمن علاقة إنتماء أو مقامة-الاختلاف، "فالأنا لا يمكن أن يعي بكونه أنا إلا لوجود ما ليس أنا الذي هو آخر مخالف..."¹، نلاحظ أن الفاعل يحاول من خلال المتون الشفوية تثبيت القيم وإلحاقها بـ"الأنا" يسعى إلى تضمين أشكال التواصل قيم وصفية ومحتوى تواصل يرى أصحابه ومعتنقوه أنه موضوعي، لأنه يرتبط بسلوكيات مقبولة نموذجية، تعتبر المتون كأنساق خطابية -إديولوجية- تحوى ضمناً قيم وتعبر عن سلوكيات، على الرغم من أن معناها واضح، يمكن الوصول إليه بعد تجاوز العبارات إلى المقام-الموقف والقيمة والسلوكيات المستهدفة في الوسط الاجتماعي، أي المرور للاستعمال الحقيقي للغة الشفوية من طرف منتجين للقوالب اللغوية من جهة ومتداولين لها من جهة أخرى في وضعيات معينة.

¹ - باتريك شارودو، دومنيك مغنو: معجم تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص35.

خاتمة

الشفويات نشاط تفاعلي متعالي على الزمن والمكان، هي إنجاز اجتماعي بامتياز، من خلال تحليلها يمكن العبور من اللغة إلى الأهداف المراد إيصالها، بعد إنجاز فعل التلفظ (أي ترديد المتن) ضمن مقام تواصلية وضمن موقف، يسعى فيه كل من المرسل والمرسل إليه إنتاج قيم المراد التعبير عنها أو إبلاغها للآخر، مع ربطها بالاجتماعي الذي يمكننا من تفسيرها وتأويلها والوصول إلى القيم السلوكية.

في جل الممارسات التواصلية التفاعلية يتم استخدام المتون الشفوية. هذه الأخيرة ينظر إليها على أنها معبرة عن الفضاءات والوضعيات الاجتماعية الممكنة أو الموجودة، كل الأجناس والتنوعات تخدم هدف ووظيفة؛ المثل، الحكاية بأنواعها، الشعر وبعض القوالب اللغوية المتداولة تعطي دلالة للاجتماعي لأنها ترتبط بلحظات التأسيس الأولى، كما أنها ترتبط بالدور والسلطة والإيديولوجية والهوية، كلها يمكن أن تعطينا فهم خاص وأعمق للاجتماعي والثقافي لفئة اجتماعية مهمة. إن تناول المتن الشفوي بالتحليل يرجع لأهميته ولأنه يتميز بالأصالة والتراثية، لأنه يقع ضمن الإنتاجات اللغوية الأكثر تداولاً بين جل الفئات الاجتماعية كما أنه يعبر عن حس نقدي لجل السلوكيات معبر عما هو موجود كقيم.

كما أنه معبر عن الخصوصية-العمومية يجمع بين لغة وتصورات وقيم وسلوك، كما أنه يجمع بين عبارات تركيبية يعود أحرها على أولها (مثل الرباعيات في الشعر والأمثال) لا يمكن فهم أولها إلى بالرجوع إلى الشطر المتبقي من العبارات، واللواحق في النص تضمن تقديم تفسيرات وتأويلات للبدايات الأولى، إن هذا الترابط مقصود، الغاية منه إقامة علاقات بين السلوكيات والقيم وإقامة نوع من التقابلات للتأثير في المستمع من خلال الربط بين السلوكيات والمواقف (المطابقة بين الأفعال اللغوية، والسلوكيات والأحداث الواقعية). هذا للتذكير بقيم وسلوكيات مرجعية من خلال اللغة، أي الاعتماد على استراتيجية الإحالة على النموذج لغويا والسعى إلى إشاعته وتمثيله سلوكيا.

يمكن القول بوجود منظومة تقييم لغوية تستعمل الاكراه تفرض على المستخدمين للمتون الالتزام ضمناً بمحتوى "الكلمة المنطوقة" تعمل على تقدير السلوكيات وأثرها، تصدر أحكام معيارية حول جل الأفعال. إن عملية التقييم تستند إلى الشائبة التالية التهجين/التمجيد، معبر عنها من خلال المتون الشفوية، يمكن أن تمدنا بصورة واضحة حول منتجها أي المرسل هذا من جهة ومن جهة أخرى تقدم للباحث صورة عن مجموع المتداولين، لا

يمكن نفي صفة التقديري عن المتن الشفوي مهما تعددت أنواعه ولا يمكن نفي ارتباطه بالقيم والسلوك والواقع ككل.

ينظر إلى المتن على أنه ناتج عن مسار معين هو منتج اجتماعي بامتياز معبر عم الممارسات الجمعية، الفردية؛ هو معرفة يتخذ عدة أشكال يتميز بأنه عابر للاستخدام التواصل "الآني" هو شكل تراثي يختزن الكثير من التصورات والتمثلات والقيم، قابل للتحليل والتناول الأثروبولوجي. تُستدعي النصوص للاستعمال في اليومي، وفي لحظات التفاعل والتواصل لكنها أكثر من ذلك فالمتن له علاقة بالثقافة الكلية، يمكن فهمه من خلال التقابلات العلاقات والاختلافات التي يقيمها مع خطابات أخرى، موازية. إن المتن يمكن تناوله من الجانب التزامني أو التعاقبي أو كلاهما معاً؛ هذا لأنه يمتلك خصوصية فهو يرتبط بالمؤسسات الاجتماعية والفاعلين في لحظات وأحداث معينة، الملاحظ أنه يتميز بالتكرار والتراكم، إن لحظة التلفظ هي محاولة لإحياء حدث والتأكيد على آخر، التركيز على فعل أو سلوك واستهجان سلوك آخر من خلال اللغة للتأسيس للقيم.

حتى لو اعتمد المتن على التخيل إلا أنه يمكن اعتباره اصطناع للغة، له غاية وهدف؛ كهندسة الاجتماعي من خلال خلق القيم وإنتاجها لغويًا، إن البحث عن القيم من خلال الشفوي يقودنا إلى البحث في الاجتماعي، الديني والاقتصادي... إلخ؛ المتن يشير إلى الجزء إلا أنه تعبير عن الكل للتدليل على المشترك أو على ذات متعالية افتراضية-متخيلة أي يسعى إلى توفير قدر من المعيارية-العمومية لنقد ما هو موجود كسلوك في موقف معين "هنا الآن".

القيم موجودة في المتن الشفوي يصرح بها عند كل استخدام للغة من طرف الأفراد، هي مرجع مشترك للمستخدمين للمتن، لأنه يختزن أو يتأثر بالخطابات الموجودة يعبر عنها وينقلها في كثير من الأحيان، المتن يعطي نوع من المعيارية ويشجع للممارسات كما أنه يتقاطع مع النص الديني والفهم الاجتماعي للدين؛ وهو نتاج لمؤسسات، إنه جامع للخطابات المختلفة، وتعبير عن الذات وعلاقتها بهذه الخطابات؛ المتن خطاب ناتج عن مؤسسات بالتعدد يتقاطع مع ما قبله ومع الآني مما يجعل منه خطاب غير متجانس وغير مندمج مع غيره؛ إلا أن التحليل الأثروبولوجي يستفيد من هذه الخاصية لمعرفة كل القيم الموجودة في المتن والمعبر عنها عند إنجاز فعل التلفظ والاستخدام في مواقف محددة. إن عدم التجانس يفيد الباحث في الاطلاع على شبكة المفاهيم التي يثيرها المتن، خاصة أن هذا الأخير يتميز بالاستمرارية والدوام، أي أنه يتميز بالوحدة منذ لحظات الإنتاج إلى اليوم مع

وجود قطيعة مؤقته. إن تحليل المتن الشفوي هو تحليل لخطابات تتميز بنمط من العلاقات كالانتظام، التنافر، التمايز، التآلف، وهو ما يعطينا شبكة للتحليل، نحن أمام تشكل خطابي تاريخي لازال يستخدم إلى اليوم؛ حتى أن الأفراد ينتقون بين المتون في لحظات إنجاز التلفظ وهي عملية واعية تعبر عن وجود نمط ثابت للاستخدام يستدعي نمط خاص من القيم؛ هذا الاستخدام يفيد بوجود نوع من التماثل والاتفاق حول معاني ودلالات الخطاب الشفوي، ونوع من الصراع بين هذه الخطابات (جدلية الإنتاج والفهم للشفويات) كما أنه لا يمكن نفي انتماء الخطابات بحكم الإنتاج والتداول إلى مواقع خاصة. إذن هي خطاب تمثيلية للاجتماعي.

إن الشفويات عبارة عن خطاب يتميز بوجود عناصر مشتركة على مستوى الشكل والبنية لكن يجب الاقرار بوجود إختلاف على مستوى المضمون والدلالة وعلى مستوى الفهم من طرف المرسل إليه أو المررد للمتن الشفوي يمكن رد هذا الاشتراك والتمايز إلى كون الخطاب ينتمي إلى إطار زماني ومكاني تاريخي. كما أنه محكوم بنوع من الإكراهات أي أنه خاضع للسلطة ونابع من مواقع اجتماعية معبر عنها متأثر بها.

الشفويات تتميز بأنها تنقسم إلى نصوص نموذجية عليا يشترك فيها الأفراد يعترفون بها وبقوتها؛ ونصوص أخرى نموذجية لكنها ليست محل اتفاق عام، أي أنها أقل من الأخرى، وكل متن شفوي أو قالب لغوي يمكن أن ينتمي ويمتلك في لحظات معينة القوة التي تجعل منه نص متعالي ينتمي إلى الفئة الأولى أو الثانية بالإضافة إلى خطابات أخرى هامشية لمنتجين ينتمون إلى الثقافات الفرعية لهم رصيد شفوي معتبر.

المؤسسات الاجتماعية حافظ على إنتاج الشفويات سهلت على المنتمين إليها تبنيها ورفض أخرى، أي أنه تبني لمعنى وخلق دلالة يسعى إلى إشاعتها من خلال الفعل التواصل اللغوي، إن هذا الإطار المؤسسي يحدد ما إذا كان النص متعالي مقبول أم أنه غير مقبول وبالتالي يؤسس لرفض أو قبول القيم الموجودة في النص خاصة أن هذا الأخير يتعلق بممارسات وسلوكيات خاضعة للتقييم. وبالرجوع إلى المتون الشفوية يمكن إرجاعها إلى مواقع ومكانات ومنتجين بعينهم ينتمون إلى مؤسسات وسلطة معينة.

الشفويات لدى الشباب تتميز بنوع من الخصوصية؛ بحيث يتم التلاعب بالكلمات والمقاطع وإعادة تكوين متون تختلف عما هو معهود، قد تكون وظيفتها للعب فقط أو للتعبير عن الهوية خاصة أن هذه الفئة هي المنتج الوحيد لهذا النوع من المتن، وهو ما تفيدها به الاستعمالات اللغوية الاجتماعية، هذه الانتاجات متداولة بين فئات

عمرية لها انتماء¹، محدد يمكن الرجوع إليه. كما أن الهدف منها هو الإيحاء بوجود نوع من الاختلاف على مستوى الاجتماعي والاختلاف في الممارسات والقيم، أي أن الاختلاف اللغوي هو اختلاف قيمي سلوكي، والمتن الشفوي الذي تم إنتاجه يوظف ويستخدم للتعبير عن الكينونة القيميية والاختلاف عن الآخر. هذه المتون تعتمد على "اللغة المعكوسة" بحيث يتم تحريف الكلمات والعبارات ونزعها من سياقها لتعبر على سياقات أخرى، إن هذه العملية منتجة لمعجم خاص لا يمكن فهمه إلا بالرجوع إلى هذه الجماعات المتكلمة. يمكن تقسيم المتون الشفوية لدى الشباب إلى نصوص وفاقية وأخرى إعتراضية-احتجاجية كلها معبرة عن وجهات النظر والخصوصية وكلها تبحث عن المشروعية-الشرعية للممارسات.

تعمل اللغة على بناء سجل للسلوك تدل عليه من خلال القوالب الشفوية، مع محاولة المنتج -في كل مناسبة- تقديم السلوك على أنه يقتضي سلوك آخر، كمتتالية محتملة وكنتيجة لممارسة سابقة لكن هذا التقديم رهين للقيم وثنائية المرغوب والمرفوض، ومن خلال هذا السجل يمكن فهم وظيفة القيم الشفوية فهي تقدم المشروعية للواقع للوصول إلى تأسيس الاتفاق العام للجماعة المتكلمة حول كل الممارسات أو جلها على الأقل، (تحقيق الاتفاق الضمني أو الصريح حول المتن والقيم التي يثيرها) لخدمة هدف ووظيفة معينة يعمل الاستعمال اليومي للغة على ترجيح متن وقيم على أخرى تتصالح وتتفق مع الاجتماعي.

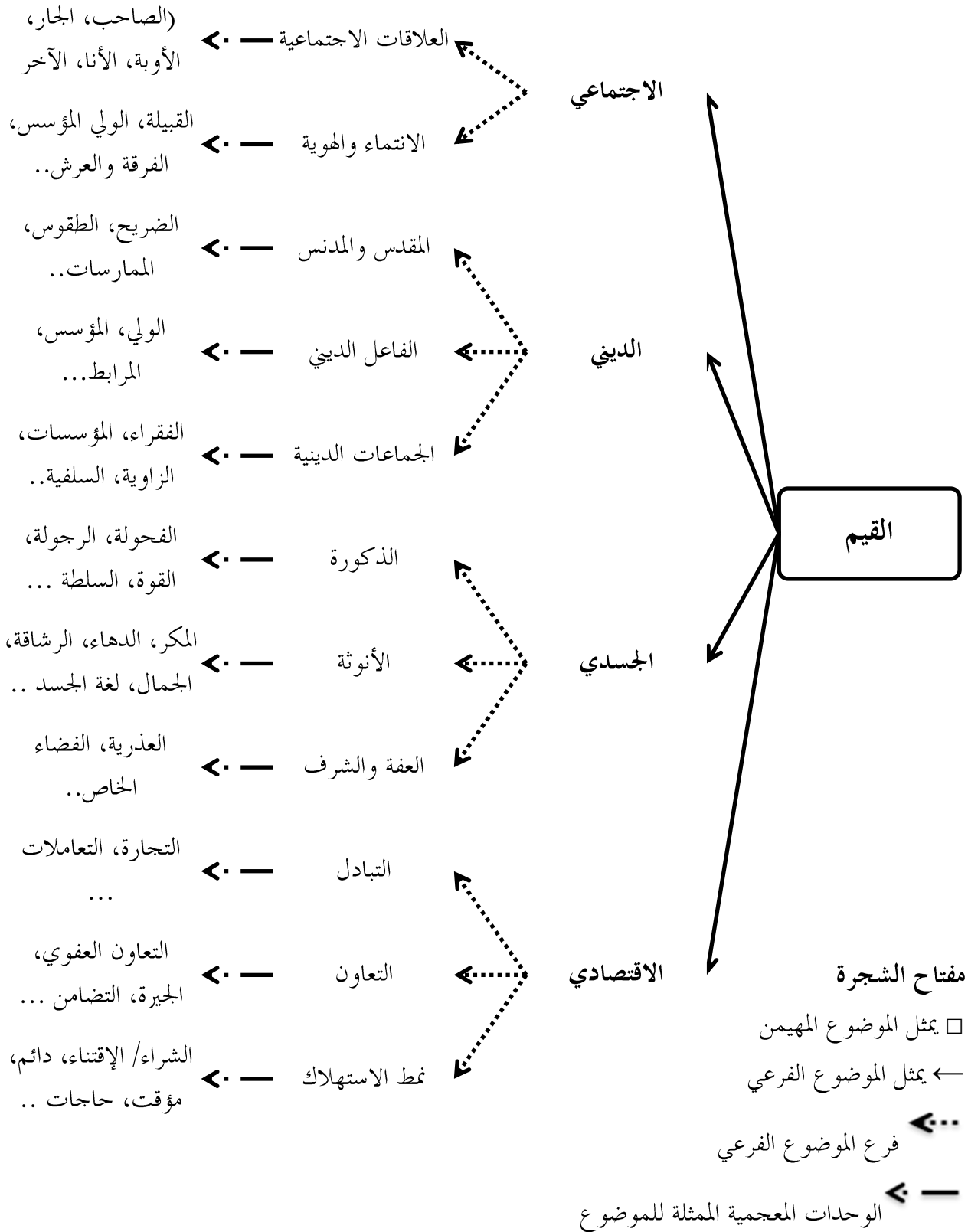
الشفويات تتميز بأنها خطاب حجاجي، يقيم الحجة على السلوك ويسعى إلى نقد الممارسات؛ لهذا تستعين الشفويات بتعبيرات مناسبة، تقدم نفسها كتوصيات، منطقية حتمية، تقدم أحكام تتوجه نحو السلوكيات، تسعى لتوفير مرجعية ذات ثقة منبع للخطاب، ثم بناء متتاليات (تسلسل للأحداث وللعبارات) تنتهي بحتمية لإقناع المستخدم للقوالب اللغوية وفي الأخير دعم سلوك معين ورفض سلوكيات أخرى أي التأثير العقلي في المخاطبين لحثهم على تبني القيم.

¹ - الحديث عن الانتماء هو حديث عن جماعات مهنية أو عن جماعات لها ممارستها الخاصة ونموذجها المميز لها كجماعات الهيب هوب. وأهم ما يميز هذه المتون هو إطلاق جملة من الألقاب والتسميات على الذات وعلى الآخر كما أنها نمط من الاحتجاج الاعتراض الوفاق.

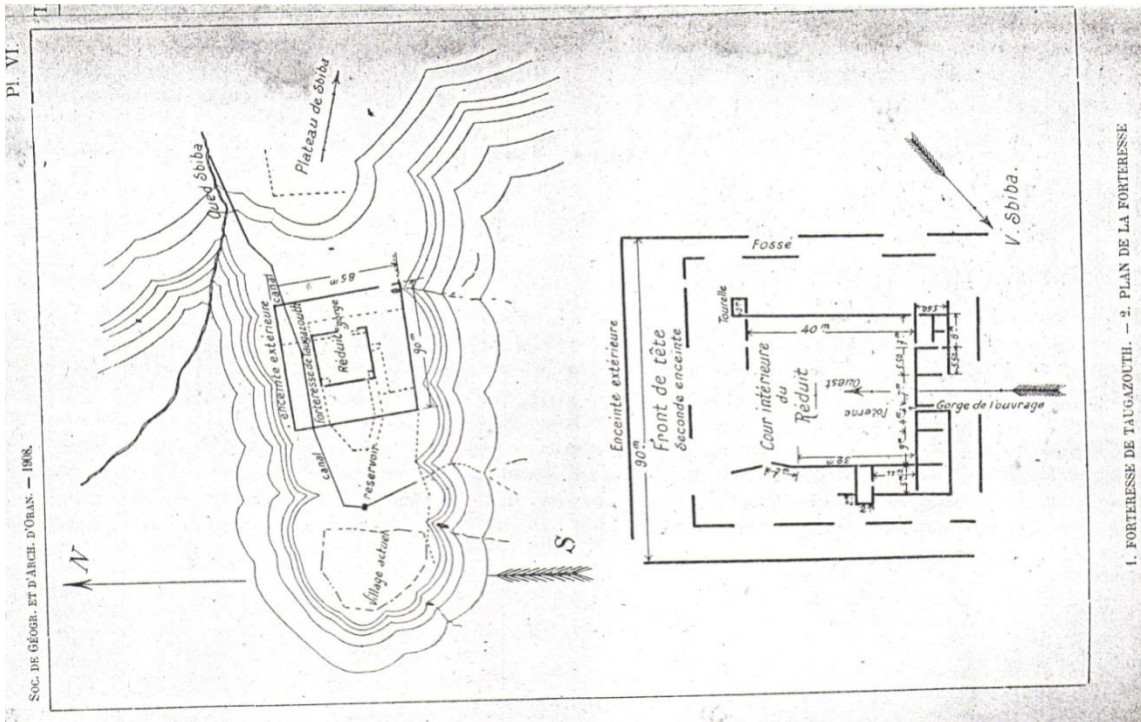
الملاحق

الأشكال والجداول:

الشكل يوضح: التشجير الموضوعاتي للقيم من خلال المتن الشفوي



الخرائط والصور:



شاهد مادي على حضور الولي (حذوة الحصان)



نموذج عن الأسئلة التي تم طرحها في المقابلة الحرة

- هل تميل إلى سماع الأمثال والقصص والأشعار الشعبية
 - لماذا (علاش تبغي تسمعهم) هل تحب روايتها (مع الآخرين لماذا، متى، أين)
 - هل يتكرر استخدامها حسب (الوقت، الجنس، السن، المواقف، المناسبات، الفاضاء)
 - هل تداولها يتطلب (القاء، مختصين، زمن شيء آخر)
 - من هم الأكثر ترديدا للمتون الشفوية (الكبار، الصغار، الذكور، الإناث... حدد لماذا)
 - لمن تردد المتون التي تعرفها (الأصدقاء، أفراد الأسرة، من نفس الجنس، جنس آخر، للكبار... آخر حدد)
 - ما هي المواقف التي تتكرر فيها ترديد المتون (داخل الأسرة، في العمل، الشارع... آخر حدد)
 - ما هي أهم الموضوعات التي تتضمنها المتون الشفوية (اجتماعية دينية ثقافية جنسية... آخر حدد) رتبها حسب الأولوية
 - ما الدور الذي تقوم به هذه المتون (التسلية فقط، التربية... الخ حدد)
 - ما الذي تحققه للمتداولين (علاش ييغوها الناس وييغوا يعاودوها)
 - هل تعبر عن متداوليها وعن المجتمع كل المجتمع
 - ما هي الممارسات والسلوكيات التي تعالجه اهل توافق على كل المضامين الموجودة فيها.
 - هل هي موجهة لفئة محددة
 - أي المتون تستهويك حدد لماذا.
- هل يمكن أن تذكر لنا بعض الأمثال والقصص (متون شفوية على العموم مع ربطها بالقيم)

نموذج عن شبكة الملاحظة الخاصة بالفضاءات (الدينية والجمعية) التي يتم فيها ترديد المتون الشفوية ويليه جدول خاص بالمقابلات:

السلوكيات	الأفراد	المكان	الوقت
التجمع في مكان محدد للحصول على المعلومات عن تاريخ المؤسس الأول بالنسبة للأفراد الذين ينحدرون من سلالته. تلازم بين الشفويات وطقوس (الكلام والممارسات) استذكار مآثر الولي الصالح	كل الأفراد الذين يقومون بالتردد على المكان مع التركيز على الذكور وكل من يقدم اضافة للبحث	مقام الضريح، مكان تجمع الناس للاستماع للمداحين، مكان التجمع للذكر، مكان تواجد الفرق الفلكلورية، فضاءات الفرجة.	وعدة الولي سيدي عمر بمنطقة فرندة فترة الربيع، ثم الرجوع إلى نفس المكان الوعدة الخريفية لسنة 2015/2014
ترديد متون باللغة العربية وتجاوزها إلى متون أخرى باللهجة العامية، محاولة ربط الولي المحلي بالولي في مكان آخر مثلا سيدي بومدين الغوث، ثم ربطه بعبد القادر الجيلاني، هي فرصة لرصد المتون والتأكد منها.	الأتباع للطريقة والمريدون خاصة الذين لهم رصيد من المتون الشفوية.	التجمعات في مدينة فرندة، عين الحديد، وتيارت.	استغلال كل اللحظات الجمعية مثل التجمعات الطارئة، الاعتيادية مثلا" الجمع" أي حضور أتباع الطريقة إلى الزاوية
ترديد نفس المتون الشفوية عن المؤسس الأول وعن مكان توجده وعن العهد الذي قطعه لأبنا	الأفراد الذين ينحدرون من الجد المؤسس	عائلات من المنطقة، زوار، شباب ينتمون إلى المنطقة.	يوم الوعدة بمدينة توسنينة خريف سنة 2014
ترديد المتون، القصص وربطها بالواقع المعاش، استرجاع المتون القديمة وربطها بأخرى جديدة	كل من يتحلقون حول شخص معين	فرندة، السوق، مدرسة عين كرمس، تخمارت	الأسواق الشعبية ما بين سنة 2015/2014 حسب الحاجة

التاريخ	الانتماء	الجنس	السن	عدد المستجوبين	مكان المقابلة
نهاية شهر أبريل 2014.	مدينة فرندة	ذكور	30/30/28 سنة	03 أفراد	الوعدة، فرندة
في أبريل 2014	مدينة فرندة	ذكور	30 سنة، 33 سنة	03 أفراد	ما بين منطقة عين أم الخير وتوسنينة، تجمع لزاوية
نهاية أبريل وبداية شهر ماي. 2014.	منهم 06 أفراد من الوسط القروي والبقية من مدينة فرندة	ذكور	موزعين حسب الفئات التالية [28-30] 6 أفراد. [30-32] 6 أفراد. [32-34] 2 أفراد.	14 فرد ممن يتحلقون حول المداحين والحلقات بكل من عين كرمس، مدريسة، فرندة، السوق.	الأسواق الشعبية
نهاية شهر أبريل وبداية شهر ماي 2014.	من مدينة عين كرمس	ذكور	2 أفراد السن 36/35 سنة	عين كرمس العدد 02	المناسبات الجمعية (المآتم).
بداية شهر ماي 2014	من مدينة فرندة	ذكور	3 أفراد، السن [30-32]	سيدي عمر فرندة عدد 03	مقام الضريح، الزوار
أكتوبر 2015	الوسط القروي	ذكور	02 أفراد من أحفاد صاحب الضريح	سيدي عمر فرندة العدد 02	الوعدة سيدي عمر فرندة (الخريف)
الانتقال إلى الإخباريين في نفس الفترة وبعدها في نفس الفضاءات أي سنة 2015.					
ماي 2015	مدينة فرندة	ذكور	من زائري الولي الصالح السن [24-26] 02 أفراد. من [26-28] 02 أفراد. من [28-30] 02 أفراد	06 أفراد	الوعد (نهاية الربيع) بفرندة سيدي عمر

15 ماي 2015	زيارة من طرف أشخاص من مدينة توسنينة	ذكور	من [32-34] 03 أفراد من [34-36] 02 أفراد	05 أفراد	مقام الضريح تاغزوت فرندة
المقابلات التي أجريت بكل من فرندة عين كرمس السوقر وقصر الشلالة من طرف الباحث أو من طرف الاجباري تمت خلال سنة 2015.					
10 ماي 2015	المدينة	أنثى	33 سنة	03 مقابلة مع أفراد بفرندة	الإخباري الأول مدينة فرندة
11 ماي 2015	المدينة	أنثى	30 سنة		
11 ماي 2015	المدينة	أنثى	35 سنة		
21 ماي 2015	المدينة	أنثى	السن 32 سنة	مقابلة مع 03 أفراد بقصر الشلالة	الاجباري الثاني، مدينة قصر الشلالة، الغاية هي المقارنة، الحصول على تفسيرات لأمثال حول النوع الاجتماعي وتعليقات على المدونة
21 ماي 2015	المدينة	أنثى	السن 33 سنة		
21 ماي 2015	المدينة	أنثى	السن 33 سنة		
28 ماي 2015	المدينة	ذكر	السن 28 سنة	05 أفراد من السوقر	الإخباري الثالث، مدينة قصر الشلالة، الغاية هي التعليق على الأمثال ككل والغاية هي المقارنة مع المناطق الأخرى
28 ماي 2015		ذكر	السن 28 سنة		
28 ماي 2015		ذكر	32 سنة		
29 ماي 2015		ذكر	30 سنة		
29 ماي 2015		ذكر	29 سنة		

30 ماي 2015	من المدينة	ذكر	33 سنة	عين كرمس عدد المبحوثين 03	الاخباري الثامن مدينة عين كرمس، محاولة تفسير وتحليل للأشعار والقصص والأمثال.
30 ماي 2015	من المدينة	ذكر (حفيد الشاعر محمد بلخير)	36 سنة		
30 ماي 2015	من المدينة	ذكر	35 سنة		
24 أكتوبر 2015	مدينة تيارت	ذكر	36 سنة	03 مبحوثين	الاخباري العاشر، مدينة تيارت، الحصول على الأمثال والتعليقات على المدونة
24 أكتوبر 2015	مدينة تيارت	ذكر	34 سنة		
24 أكتوبر 2015	مدينة تيارت	ذكر	30 سنة		
23 أكتوبر 2015	مدينة السوقر من طرف الاخباري	أنثى	36 سنة		الاخبار الحادي عشر مدينة السوقر، دفع الإخباري للقيام بمقابلات حرة على عينة من الإناث للمقارنة.
23 أكتوبر 2015	مدينة السوقر من طرف الاخباري	أنثى	36 سنة		
23 أكتوبر 2015	مدينة سي عبد الغنى السوقر من طرف الاخباري	أنثى	34 سنة		

الإخباريين:

الرقم	الجنس	المستوى التعليمي	الوضعية المهنية	مكان الإقامة
01	أنثى	مستوى جامعي	موظفة عقود ما قبل التشغيل	فرندة
02	أنثى	مستوى جامعي	موظفة عقود ما قبل التشغيل	قصر الشلالة
03	أنثى	مستوى جامعي	معلمة (تعليم ابتدائي)	قصر الشلالة
04	ذكر	مستوى جامعي	متقاعد عن سلك التربية	السوقر
05	ذكر	مستوى جامعي	موظف قطاع الصحة العمومية	فرندة - عين الحديد
06	ذكر	مستوى ثانوي	عامل مهني	فرندة
07	ذكر	مستوى متوسط	عامل يومي	فرندة
08	ذكر	مستوى جامعي	عامل قطاع الخاص	عين كرمس
09	ذكر	مستوى جامعي	عامل في القطاع الخاص	فرندة
10	ذكر	مستوى جامعي	عامل في القطاع الخاص	تيارت
11	أنثى	مستوى جامعي	التعليم العالي	السوقر

نمذج عن بعض الباحثين

المهتمين بالتقليد الشفوي

نموذج عن بعض الباحثين المهتمين بالتقليد الشفوي

الأخوين غريم: (1785-1863): من أهم الباحثين، كانت بداياتهم بدراسة القانون، كان أحدهما أستاذ للفلسفة (جاكوب) والآخر أميناً للمكتبة (فيلهيم)، تأثروا بكتابات الفيلسوف الألماني هرذر صاحب كتاب "صوت الشعوب في أغانيها" سنة 1887، وتأثروا بالاتجاهات القومية الألمانية، وضعوا عدة كتب من بينها "حكايات الأطفال والبيت"، صدرت على شكل مجموعات، الجزء الأول سنة 1812، والجزء الثاني سنة 1715 والطبعة السابعة سنة 1758. وهي مكونة من مائتي حكاية مرقمة وفيها هوامش وتعليقات متعددة وفي ما بين سنة 1913-1932 تأثر بهم الكثير من الباحثين إذ صدرا كتاب مشابه لأعمالهم مكون من خمس مجلدات بعنوان "ملاحظات على حكايات الأطفال والبيت".¹ من علماء فقه اللغة درسوا الميثولوجيا والقصص الشعبي والقانون القديم. "(الطفل والعائلة 1812-1822، قصص ألمانية 1816-1818)"²

بيسلر فلهيم Pessler Wilhim : علم فلكلور ألماني دعى لتدعيم النظرة الجغرافية للتراث الشعبي، اهتم باللهجات وله دراسة بعنوان "المسكن الريفي في ساكسونيا القديمة" الذي صدر سنة 1906، ثم أطلس الفلكلور الألماني.³

فان غنيب أرنولد Van Gennep (1873-1957) مفكر وباحث أنثروبولوجي فرنسي له كتاب بعنوان "طقوس العبور" Rites de Passage نشر سنة 1909 وكتاب المدخل إلى الفلكلور الفرنسي المعاصر.⁴

آرن تومسون Aarne Thomson له دراسات في التقليد الشفوي، وفي مجملها عبارة عن توزيع مقارن لمواضيع الحكايات العجيبة في الفضاء الهندو-أوروبي (حكايات الحيوان، حكايات الشعبية العادية، حكايات سحرية، دعابات ونوادير، ألغاز أحاجي، حكايات الحيوان... الخ. أكد أنها "بقايا حضارية استطاعت أن تحافظ على قيمتها الوظيفية"⁵ استخدم مصطلح التراث الشعبي من طرف الباحث (تومس وليم جون Thoms, William John 1803-1775) سنة 1864⁶، "ينتمي إلى المدرسة التاريخية الجغرافية التي تدرس إنتشار الحكايات القديمة، ويقابلها دراسات روهام- Roheim التحليل النفسي، ودراسات الوظيفيين، الاتجاه الأدبي، محاولة إثبات الأصل الهندي للحكايات الشعبية الأوروبية والمدرسة الميثولوجية ماكس مولر- Max Müller التي ترى أن الحكاية مجرد رواسب

¹ - محيّد محمد زياد: من التراث الشعبي، دراسة تحليلية للحكاية الشعبية، دار المعرفة بيروت لبنان، 2005. ص 156-160.

² - معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا ص 708-709.

³ - إيكة هولنكرانس وآخرون قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، ترجمة محمد الجوهري، حسن الشامي، دار المعارف مصر، 1971. الملحق الخاص بالقاموس.

⁴ - إيكة هولنكرانس وآخرون قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، الملحق الخاص بالقاموس.

⁵ - شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا إنجليزي عربي ص 361.

⁶ - شاكر مصطفى سليم، 1981، قاموس إنجليزي عربي ص 664.

نموذج عن بعض الباحثين المهتمين بالتقليد الشفوي

للميثولوجيا Myth والمدرسة الأنثروبولوجية التي ترى أن هناك خلفية ثقافية للحكاية الشعبية تأثر روادها بالباحث فرانس بواس.¹ (له العديد من الكتب من بينها الفن البدائي 1928، الجنس واللغة والثقافة 1940.

فلادمير بروب: "إشتغل بالحكاية الخرافية وتوصل إلى نموذج وظيفي (Modèle fonctionnel)، يرتبط ببنية النص الحكائي، والشخص، وهو نموذج يركز على الملامح القارة للخرافات، وقد أحصى من خلال دراسته أكثر من واحد وثلاثين ملمحاً قار واختزلها إلى سبع دوائر للفعل وهي بمثابة دوائر دلالية"²

فان غنبلد Van Gennep Arnold 1873-1957: إحتل كرسي الإثنوغرافيا ما بين 1912-1915، ومنصب مدير مساعد لمتحف الإثنوغرافيا في نوشاتل، ساعد على تنظيم مؤتمر لنفس التخصص سنة 1914، إهتم بالألسنية، عادات الشعوب، إهتم بالمظاهر الفلكلورية 'المحرمات والأشكال الأولى للدين وعلاقات الأساطير والطقوس، (Tabu et totémisme à Madagascar) ونشر كتابه طقوس العبور سنة 1909³ "تحدث عن "الشعي"، وهي تستخدم من طرف الباحثين الإثنولوجيين، الإثنوغرافيا والفلكلور للتدليل عنصر أو عناصر من الحياة الاجتماعية، هي شيء جمعي، غير فردي يتميز بمجهولية المؤلف، الشائع"⁴ " أفاد فان غنبلد سنة 1924 أن الفلكلور علم تركيبى يتناول بصفة خاصة الفلاحين والحياة الريفية، وانتشارها في البيئات الصناعية والحضرية"⁵ بداية من 1920 كرس نفسه لإثنوغرافيا والفلكلور، له "موجز الفلكلور الفرنسي" سنة 1957-1958

وولف بنجامين لي Wholf Benjamin Lee (1897-1941) أنثروبولوجي أمريكي وعالم لغويات أشتهر بنظرية سابيير وولف، أي النسبية اللغوية وهو يرى أن كل لغة تخلق واقعا متميزا وله مؤلف صدر سنة 1956.

جاك غودي: J. Goody 1919- بريطاني له الكثير من الكتابات والدراسات الميدانية إهتم بالشعوب الإفريقية (غانا من 1950 إلى 1966) كتب عن طقوس العبور، القرابة والعائلة، النسب والاقتصاد، وفي سنة 1960 إهتم بالكتابة وتاريخ المجتمعات، وركز على أساليب وطرق التواصل له العديد من الكتب "ترويض الفكر البري سنة

¹ - قاموس الأنثروبولوجيا إنجليزي عربي ص 277-278.

² -نادية غيبوب: الشخصية الأنثروبولوجية العجائبية في رواية مائة عام من العزلة لغابريال غارسيا مركيز، أماطها مواصفاتها، أبعادها، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو الجزائر، 2012، ص 44-45.

³ - بيار بونت وميشال إيزار، مصباح الصمد: معجم الإثنوبولوجيا والإثنولوجيا، ص 690.

⁴ - قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، مرجع سابق ص 238.

⁵ - قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، مرجع سابق، ص 274.

نموذج عن بعض الباحثين المهتمين بالتقليد الشفوي

1977، منطق الكتابة سنة 1986، وبين أثر الكتابة على التنظيم الاجتماعي وله كتاب حول "التفاعل بين المكتوب والشفوي" سنة 1987.¹

الغيرية والإثارة، نوع من السلوك موجود على مستوى اللغة والغاية منه نفي المصالح الذاتية الفردية وتفضيل مصالح الآخرين.

التمييز بين المجتمعات التي تعرف القراءة والتي تجهلها احتل مكانة بارزة في كتابات جاك غودي (1977) حتى داخل الثقافة الواحدة، التي يوجد فيها نسبة من المعرفة بتقنيات الكتابة لاحظ أنها ميزة للصفوة (الحاكمة) وهي أساس للمعرفة المتخصصة، تكون مقتصرة على طبقة ذات سلطة، وبالتالي يتم خلق تقسيم للثقافة أحدها قائم على المشافهة وثقافة قائمة على اللغة المكتوبة، والمعرفة تحددها الكتابة والقراءة وتستخدم لأغراض محددة كالأغراض الدينية أو الإدارية البيروقراطية، مثل جمع الضرائب (لتسهيل تدوينها وإحصائها) كما أن تطور الكتابة سمة للحضارة... الكتابة تسهل تطور الرموز والقواعد من خلالها نتعرف على آليات ضبط وتوزيع المعرفة في المجتمع بالإضافة إلى فهم الطريقة التي تنتظم بها عملية توافر الإمتيازات والقوى لكل جماعة... لكن نحن أمام مؤسسات جديدة تؤثر في المعرفة ولا تتطلب القراءة والكتابة مثل الراديو والتلفزيون فهي تؤدي إلى تغيير أو تعزيز التوجهات الإدراكية للأفراد.²

هنري باسي H. Basset 1893-1962 أحد الباحثين الفرنسيين عين مديرا المعهد الدراسات العليا بالرباط في المغرب وفي سنة 1921 أنشأ مجلة الدروس المغربية والبربرية Hesperis له كتب وتقارير حول الكثير من البعثات وإطلاع على الكثير من المخطوطات كتب في المجلة الإفريقية (1921، 1922)، والمجلة الآسيوية،

مارسيل غريول Marcel Griaule أنثروبولوجي فرنسي ولد سنة 1898، وشارك في بعثة إلى إثيوبيا 1982 ثم في بعثة أخرى من جيبوتي إلى داكار بعد سنة 1931، كانت تهدف إلى نقل مجموعات متحف إثنوغرافيا التراكاديرو ضمن برنامج تحقيقات طويل الأمد، 22 شهر، نقل الكثير عن الدغون في مالي، زارها أكثر من ثلاثة

¹ -بيار بونت ميشال إزار: معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 681.

² -سميث شارلوت سمور: "موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية"، ترجمة، محمد الجوهري وآخرون، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، مصر 1998، ص

نموذج عن بعض الباحثين المهتمين بالتقليد الشفوي

مرات حتى 1937 ونقل كل عاداتهم وطقوسهم وهو ما تضمنه الكتاب المعنون بـ "أقنعة الدوغون" 1938، ونشر الكثير من الحوارات "حوارات مع صياد نشرت تحت عنوان "إله الماء" سنة 1984، توفي 1956.¹

روبيرت ريدفيلد Rpbert Redfield 1897-1958، عالم أنثروبولوجي أمريكي له دراسة بعنوان "الحياة في قرية مكسيكية" وهي تصوير نمطي لمجتمع شعبي، إهتم بالتحويلات الحضرية ومفهوم النمط الحضري، وهو صاحب مصطلح "المتصل الشعبي" وهو عبارة عن الخصائص الثقافية للسكان ضمن منطقة معينة. "المجتمعات الشعبية هي وحدات معزولة تتميز بالأمية التجانس الاجتماعي، التضامن والقرابة المعنوية، وثقافتها مستمدة من التقاليد والعقائد، والسلوك فيها تلقائي، (ريدفيلد صاغ مفهوم الجماعة الشعبية)²

إرنست غلنر Ernest Gellner 1925-1995 شغل كرسي الأستاذية في تخصص الأنثروبولوجيا الاجتماعية بجامعة كامبريدج 1993 له كتاب في اللغويات بعنوان "الكلمات والأشياء" نشر سنة 1959، الفكر والتغير سنة 1964، قدم دراسة أنثروبولوجية عن بربر شمال إفريقيا نشرت تحت عنوان "أولياء منطقة الأطلس 1969، وهو من رواد الإتجاه الإنقسامي³

السلوك الإنساني محمل بالمعنى بالنسبة للفاعلين الاجتماعيين والمهمة الأساسية للبحث الأنثروبولوجي هي فهم "شبكات الدلالة" التي نسجها الناس بأنفسهم، محاولة التفسير والبحث عن المعنى.

إرنست كاسير: فيلسوف ألماني أمريكي (1874-1945) غادر ألمانيا متوجها إلى الولايات المتحدة الأمريكية- نيويورك، وفي لكتابات وأفكار إمانوايل كانط، له العديد من المؤلفات من بينها "الجوهر والوظيفة سنة 1910"، "الحرية والشكل سنة 1916"، "فلسفة الأشكال الرمزية 1923"، "الأسطورة والدولة 1942"، "الرمز والأسطورة والثقافة سنة 1979"، "اللغة والأسطورة سنة 1925".

بول زماتور: (Introduction à la poésie oral, Paris, 1983)

سوي كامارا: Camara. S. Gens de la Parole, Paris, 1975.

كلود حجاج: Hagège. C. Lhomme de la parole, Paris, Fayard, 1985

¹ -بيار بونت ميشال إزار: معجم الإثنولوجيا الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 679.

² - قاموس الأنثروبولوجيا إنجليزي عربي ص 362.

³ - جوردون مارشال: موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المجلد الأول، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة)، الطبعة الثانية، مصر. 2008.

نموذج عن بعض الباحثين المهتمين بالتقليد الشفوي

مادة شعبي، فلكلور، ثقافة شعبية في القواميس والمعاجم:

الهدف هو إعادة بناء صورة التاريخ-الروحي لكن لا يمكن نفي التوجهات الجديدة (الفلكلورية الجديدة-الحدثة، التي يرى أصحابها أنه جزء من الثقافة بل هو التراث الثقافي (شعبي)-Populaire هي كلمة دارجة-مستخدمة على نطاق واسع وهي تشير إلى الشيوع أكثر من إشارتها إلى الذوق السطحي أو المبتذل، وبهذا فهي تدل من جهة على مدى تتميز بزمان تاريخ ماضي من جهة وتدل على النقيض على مادة شائعة الاستخدام لدى الفئات الاجتماعية، كما أن تفسيرها بإضافة عبارة "الشيوع" لا يعني أنها كذلك ولا يعني أنها مقبولة أي أن الشعبي لا يشير دائما إلى الشائع ولا يمكن الحديث عن جوهر واحد أو عن ما هو موحد لدى كل الأفراد لوجود الانتقائية، المقبولية، نحن أمام استخدامات متعددة للكلمة. (الارتباط بأفراد ذوي مكانة وعدم الشعور بالانتماء إلى آخرين خارجها، مع وجود شعور بالقرابة، الألفة، الاشتراك في الظروف الاجتماعية-الاقتصادية، وحدة المصالح، التضامن وتغزز بالاتصال الدائم) الشعور بالخضوع للتأثيرات التي يمارسها المجتمع، معارضة منهج تقسيم الثقافة إلى وحدات وعناصر معزولة عن بعضها، كل الأجزاء على علاقة بما هو أكبر منها (مثلا الشعب يحيل إلى الأمة)، لأنها ستقدم فهم ناقص وهو مفهوم تجريدي من وضع الباحثين لا يشير إلى ما هو موجود فالظاهرة ينظر إليها على أنها مركبة، معقدة وتقسيمها أو تجزيئها غير مجدي، حتى أن هذه الأجزاء على علاقة بما هو مركب ومرتبط بالكل. لا يمكن الحديث عن "شعب" إلا ضمن إقليم لكن نتيجة للحراك والتغير والهجرة توسع النطاق-البيئة، المجال الجغرافي وتكونت علاقات وارتباطات جديدة.

وتجدر الإشارة إلى أن إصطلاح "فلكلور" استخدمت على يد وليام جون تومز Thoms سنة 1746

عبارة فلكلور تدل على "حكمة الشعب" وإلى مادة للدراسة ولا تشير إلى علم.

المدونة

الأمثال الشعبية:

أ) الأمثال والكلمة:

- 1) إِي يَعْرِفُ لُغَةَ الطَّيْرِ يَحْيِيهِ وَيَنْبِيهِ وَيَجِدُهُ نَهَارَ الصِّيَادَةِ وَالْيَ مَا يَعْرِفُهَا يَشْوِيهِ وَيَكْوِيهِ وَيَدِيرُ عِظَامُوهَا كِدَادَةَ
- 2) الْبَابُ الْمَحْلُولُ تُدْخِلُهُ الْعُوْلَةُ وَالْعُوْلُ
- 3) الْكَلِمَةُ الزَّيْنَةُ تَغْدَى مَعَ الدِّيَّةِ
- 4) اللِّسَانُ الْحُلُوهَا يَرْضَعُ اللَّيْبَةَ
- 5) ثَلَاثَةُ عَدْيَانِي وَذَعْنِي وَعَيْنِي وَزَيْدُ لِسَانِي لَوْ مَا هُوَمَا نَدْخُلُ لِقَبْرِ هَانِي
- 6) أَحْفَظُ الْمِيمَ تَحْفَظُكَ
- 7) إِلَيَّ خَرَجْتَ مِنَ الْفَمِ تَتَسَمَّى دِينَ
- 8) إِلَيَّ مَا عِنْدَهُ فُلُوسٌ كَلَامُهُ مَسْوَسٌ
- 9) الْكَلِمَةُ كَيْ الرِّصَاصَةِ
- 10) الْفَمُ قَاصِدٌ وَالْقَلْبُ مَنْ تَحْتَ فَاسِدٌ
- 11) الْكَلِمَةُ رَأْسُ مَالٍ
- 12) أَقْطَعُ وَادٍ فَرَفَارٍ وَلَا تَقْطَعُ وَادٍ سَاكِتٍ
- 13) الْحَدِيثُ قِيَاسٌ فِيهِ الْفَصَّةُ وَفِيهِ النِّحَاسُ
- 14) الصَّمْتُ حِكْمَةٌ وَتَنْفَرَعُ مِنْهُ الْحَكَائِمُ لَوْ مَا نَطَقَ وَكَلَّمَ الْحَجَلَةَ مَا يَجِي وَكَلَّمَ اللَّفْعَةَ هَايِمٌ
- 15) لَا تَسْرَجْ قَبْلَ مَا تَلْجِمُ وَعُقْدُ عُقْدَةٍ صَحِيحَةٌ لَا تَتَكَلَّمُ قَبْلَ مَا تَحْمَمُ لَا تَصْرَاكَ فُضِيحَةٌ

ب) الأمثال والتدين:

- 1) الْقَبْلَةُ بِلَا كَرَا وَالْمَاءُ بِلَا شَرَاءٍ
- 2) صَلَاتُ الْقِيَادِ غَيْرُ مُنَاسَبَاتٍ وَلَا عِيَادٍ
- 3) كَيْ الدِّيكِ يَعْرِفُ لَوْقَاتٍ وَمَا يَصْلِيهِ
- 4) لَا دِينَ لَا دُنْيَا
- 5) اللَّازِمَةُ تَشُدُّ الْحَصَانَ كَيْ الدِّينِ (الصَّلَاةُ) تَشُدُّ الْإِنْسَانَ
- 6) كُلُّهَا وَقَابُضٌ عَلَيَّ شَيْخٌ

- 7) لِي مَا يَخَافُ رَبِّي الْخَوْفَ مَنَّهُ
 - 8) إِذَا تَخَلَّطْتَ لَدَيَّانِ غَيْرِ رَجَعِ لِلدِّينِ الْأَوَّلِ
 - 9) إِلَيَّ عَيْنُهُ فِي الدُّنْيَا يَبْكُرُ وَإِلَيَّ عَيْنُهُ فِي الْآخِرَةِ يَبْكُرُ
 - 10) صَلَاةُ الشُّكِّ بَاطِلَةٌ
 - 11) بَعْدَ عَلَيَّ الدِّينِ الضَّيِّقِ
 - 12) إِلَيَّ صَلِّي وَيَقْطَعُ رَأْيَهُ يَدْخُلُ جَهَنَّمَ مَا يَطَّلِعُ
 - 13) الذِّبُّ حَلَالٌ الذِّبُّ حَرَامٌ التَّرْكُ حَسَنٌ
 - 14) الْبَقْرَةُ حَرَامٌ وَقُرُونُهَا حَلَالٌ
 - 15) إِلَى مَا عَلِمَكَ لَا فَرَضَ وَلَا سُنَّةَ غَيْرَ بَعْدَهُ (دفع) وَتَهْنئة
 - 16) اللَّهُ يَحْفَظُ مِنَ الدِّينِ وَدَعْوَةَ الْوَالِدِينَ.
- ت) نمودج العبارات التي تشير إلى الولي الصالح أو إلى صفة من صفات الجماعات الاجتماعية:

- 1) كَافِي مَا يَصْدَعُ وَلَفَعْتِي مَا تَلْدَغُ
- 2) يَصْحُبُوكَ بِلَا نِيَّةٍ وَيَتْرُكُوكَ بِلَا سِيِّئَةٍ
- 3) اللَّهُ يَعْطِيهِمُ الْخُبْزَةَ الْحَرِشَةَ وَالنَّعْجَةَ الْبَرِشَةَ وَالتَّلْفَ قَبْلَ الْعَرَفِ
- 4) لَبَسْتُمْ لِبَاسَ الذُّلِّ وَإِلَيَّ قَالَ أَنَا يَقْلَعُهُ
- 5) يَا وَيْحَ مَنْ تَصَبَّحَ عَلَيْهَا وَسَعِدَ مَنْ بَاتَ فِيهَا
- 6) يَا لِي عَادِي ل... (إسم مكان تم حذفه)... أَدِي مَعَاكَ بَاهْتَتَعَشَى وَالصَّحَّ غَيْرَ خَطِيئَةٍ وَكَيْمًا قَالُوا قَوْلَ هِيَه
- 7) ... (إسم مكان تم حذفه)... بَارِدَةٌ وَصُدُورٌ وَلَادَهَا حَامِيَيْنِ
- 8) هَازُوكَ يَعْرِفُوهُمْ بِجَعَامِيْنَ الْمَرْقَةِ

ث) الأمثال والعلاقات الاجتماعية

- 1) خُوكَ خُوكَ لَا يُعْرَكَ صَاحِبَكَ
- 2) خُوكَ خُوكَ يَا لَوْ كَانَ عَدُوكَ
- 3) خُوكَ خُوكَ مِنَ الْوَطَنِ وَمَنْ الْبَطْنِ
- 4) خُوكَ مَنْ وَأَتَاكَ مَشِيٍّ مِنْ يَمَانِكَ وَبَابَاكَ
- 5) إِذَا صَاحِبَكَ عَسَلَ مَا تَلْحَسْهَشَ قَاعَ

- (6) إِذَا بَغَيْتِ صَاحِبَكَ يَدُومَ حَاسِبَهُ كُلُّ يَوْمٍ
- (7) إِذَا صَفَاتِ النَّيَّةَ الْخُبْرَةَ تَوَكَّلَ مِيةً
- (8) الصَّاحِبَ سَاحِبَ
- (9) كَثْرَةَ لَصْحَابٍ وَلَا حَدَّ يَنْصَابِ
- (10) بَيْنَ لِحَبَابٍ تَصْقَطُ الْأَدَابِ
- (11) بِأَبْوَرِ عَشْرٍ يَغْرَقُ
- (12) الشُّرَكَةَ هَلَكَةً يَا لَوْ كَانَ فِي الطَّعَامِ
- (13) عَرَفَ مَنْ تَصَاحَبَ لَجَرَبَ حَكَاكَ وَالْحَايِنَ شَكَاكَ
- (14) الْجُرْبَ يِعْدِي وَالْمَرَضَ يَرِدِي
- (15) لَا تَخَالَطِ الشَّيْثِينَ بَفْعَالِهِ لَا يَصِيرُ حَالُكَ مَنْ حَالَهُ
- (16) مَحَبَّةَ الشُّوَارِبِ مُوَلَّاهَا دِيمَا هَارَبَ
- (17) الْجَارَ قَبْلَ الدَّارِ
- (18) جَارٌ مُرٌّ وَلَا جَارٌ مَرٌّ
- (19) مَنْ جَاوَرَ قَدْرَةَ انْطَلَى بِحُمُومِهَا وَمَنْ جَاوَرَ صَائُونَ جَابَ نَقَاهُ
- (20) عِنْدَ الصَّيِّقِ بَيَانَ الْعَدُوِّ مِنَ الصَّدِيقِ
- (21) شَهَقَةَ مَنْ رِيْقِي تَوْرِيْنِي عِدُوِي وَصَدِيْقِي
- (22) أَعْرَفَ عَرَبِي تَخْسِرَ بَقْرَةَ
- (23) أَعْرَفَ مُورُو تَخْسِرَ دُورُوا
- (24) إِلَيَّ عَيْنُهُ لَلْعَذَابِ يَكْثُرُ النِّسَاءُ وَلِصْحَابِ
- (25) أَلْبَسَ قَدَّكَ وَتَبَعَ نَدَّكَ
- (26) لَا تَصَادَقَ حَتَّى تَجْرَبَ
- (27) مَعْرِيفَةَ الرِّجَالِ كُنُوزِ
- (28) جَاوَرَ لِحَوَادِ
- (29) خَالَطَ الْفَحَامَ تَنَالَ الْحُمُومَ وَخَالَطَ الْعَطَّارَ تَنَالَ الشُّمُومَ خَالَطَ السُّلْطَانَ تَنَالَ الْمُهْمُومَ
- (30) عُمُرَهَا مَا جَاتِ، زُوجَ رِيصَانَ فِي شَاشِيَّةِ

- (31) أَخْسَرَ وَفَارَقَ
 (32) الدَصَارَةَ تَوْصَلُ لِلْخَصَارَةِ
 (33) الْمَرْدُوفُ مَا يَنْبِشُ مَا يَشُدُّ صِرَاعَ
 (34) السَّلَالَةُ سَلَالَةٌ وَالْعَرَقُ جَبَادٌ
 (35) شَرِيفٌ فَقِيرٌ وَلَا زَرْتِيفٌ غَانِيٌ
 (36) الْحَنْشُ مَا يُوَلَّدُ غَيْرَ مَا طَوَّلَ مِنْهُ
 (37) كُلُّ وَاحِدٍ وَيَعْرِفُ وَيُنَادِي بِأَبِيهِ
 (38) كَيْ يَحْسَنَ صَاحِبَكَ بَلْ أَنْتَ
 (39) تَخْطِي رَاسِي وَتُقَوِّتُ
 (40) لِي مَا قَامَهُ قَبْرَهُ يَرْقُدُ فَوْقَهُ
 (41) الْعَشْرَةَ فَتَأْشَتُهُ
 (42) زَيْتَنَا فِي بَيْتِنَا.

(ج) الأمثال والسلطة:

- (1) إِذَا كَثُرُوا الرَّيَاسَ يَغْرَقُ الْبَابُورُ
 (2) إِذَا مَاتَ بَابُكَ تَوَسَّدَ الرِّكَابُ وَإِذَا مَاتَتْ يَمَّكَ تَوَسَّدَ الْعَتَائِبُ
 (3) طَائِعٌ وَالِدِيَّةُ كُلُّشُ يَجِيهِ
 (4) الْعَزَّ بَعْدَ الْوَالِدِينَ حَرَامٌ
 (5) تَعْيَا الْعَيْنُ تَكْبَرُ وَالْحَاجِبُ فَوْقَهَا
 (6) تَقَادَتِ لَكْتَاةٌ وَلَا الْبِي (الأب) يَخَافُ
 (7) طَيِّعُوا وَلَا دُكُمُ لَا يَدْخُلُوا لِلنَّارِ
 (8) إِذَا تَفَاتَتْهُوا الرَّحَايَا أَحْفَظْ دَقِيقَكَ
 (9) كُلُّ عُوْدٍ وَدُخَانُهُ

(ح) الأمثال والجانب الاقتصادي:

- (1) كُؤُلُ مَا يَعْجَبُكَ وَالْبَسُّ مَا يَعْجَبُ النَّاسَ
 (2) خِيَارُ اللَّبْسَةِ سَهُولٌ

- 3) إِذَا كَانَ الْمَدْحُولُ خَمَاسِي وَالْمَخْرُوجُ سِدَاسِي غَيْرَ دَبَّرِ وَيَنْ تَسَاسِي
- 4) إِذَا مَاتُوا وَالِدِيكَ تَنْفَعَكَ حَرَفَتِ يَدِيكَ
- 5) الْخِدْمَةُ هَمَّةٌ
- 6) أَحْدَمِ يَا الشَّاقِي لِلْبَاقِي
- 7) أَحْدَمِ يَا التَّعَاسَ لِلنَّاعَسِ
- 8) خَلِّمْ الرِّجَالَ سَيِّدَهُمْ
- 9) الذَّرَاعُ الْمِيشُومُ يُوَكِّلُكَ الْمِيدُومُ
- 10) الْيَدُ لِي تَمُدُّ خَيْرَ مَنْ لِي تَشُدُّ
- 11) الْوَافِي مَا يَخَافِي
- 12) التَّدْبِيرُ نُصُ الْمَعِيشَةِ
- 13) بَاتَ بِلَا لَحْمٍ تَصْبَحُ بِلَا دِينَ
- 14) ابْنِي وَعَلِّي صُدَّ وَخَلِّي
- 15) أَحْدَمِ بَفَرْنِكَ وَحَاسِبِ الرَّاقِدِ
- 16) أَحْدَمِ يَا صُغْرِي لِكُبْرِي وَأَحْدَمِ يَا كُبْرِي لِقُبْرِي
- 17) أَحْدَمِ بَاطِلًا وَمَا تُقْعَدُشَ عَاطِلًا
- 18) الْخِدْمَةُ مَعَ النِّصَارَةِ وَلَا الْقَعَادَ خِصَارَةَ
- 19) مُوَلِّ الْحَرْفَةَ سُلْطَانَ
- 20) كَثُرَتِ الصَّنَائِعُ وَالرَّاسُ ضَائِعٌ
- 21) إِلَيَّ تَعْطِيهِ الْحَجَرَةَ مَا يَقَاسُ
- 22) إِلَيَّ يَصْرِفُ كَثْرَ مَنْ مَا يَصُورُ رَأهَ عَلَى الْحَبْسِ يَدُورُ
- 23) الْحَرْثُ بِالذُّوَامِ وَالصَّابِةُ بِالْعَوَامِ
- 24) أَحْدَمِ خِدْمَةَ لَبْدَةٍ وَمُوتَ غَدْوَةَ
- 25) الْإِبْرَةَ تَكْسِي غَيْرَهَا وَهِيَ عَرْيَانَةٌ
- 26) إِلَى مَا رَفَعَ مَالِبَسِ
- 27) إِلَيَّ مَا هُوَ فِي بِلَادِنَا مَا يَبْعُوهَ وَلَا دِنَا

- (28) إِلَيَّ بَعَا يَرْبِحَ الْعَامَ طَوِيلٌ
- (29) مُوَلِّ التَّاجَ وَيَحْتَاجُ
- (30) المَعِيشَةَ تَلْقَاطُ
- (31) الحَرْثَ لِلْحَيْطَانِ وَالشَّرَّ لِلْبَيْطَانِ
- (32) لِي بَعَاهَا قَاعٌ خَلَاهَا قَاعٌ
- (33) كَيْي الحَنْشِ مَا يَحْفَرُ غَارَ مَا يَبَاتُ بَرًّا
- (34) الشَّبَّعَانَ مَا دَرَى بِالْجِيْعَانَ
- (35) غَيْرَ خَلَمَ وَخُوضَ كَرَكَ
- (36) ضَرَبْتُ كَفَّ عَلَى كَفِّ وَخَمَمْتُ فِي ذَا الزَّمَانِ سَاعَةً لَقِيتُ قَلَّتِ الشَّيْءُ تَرَشِي وَتَنَوَّضَ مِنَ الْجَمَاعَةِ
- خ) الأمثال والنوع الاجتماعي والجنوسة:
- (1) الخَيْرُ مَرًا وَالشَّرُّ مَرًا.
- (2) لِي مَا عِنْدَهُشْ بَنَاتٌ مَا عَرَفُوهُشْ بَاهُ مَاتَ.
- (3) البَنَاتُ عِمَارَةُ الدَّارِ.
- (4) دَارُ البَنَاتِ خَاوِيَةٌ.
- (5) الفُقُوسُ يَتَعَوَّجُ مِنَ الصُّغُرِ
- (6) لِي فَاتَكَ خَلِيهِ لَبَنَاتُكَ.
- (7) النِّسَاءُ إِذَا حُبُّو يَدْبُرُوا وَإِذَا كَرَهُو يُخْبِرُوا
- (8) مَا تَغْرَسُ حَتَّى تَزْرَبَ وَمَا تَخْطُبُ حَتَّى تَجْرَبَ.
- (9) لَا يَعْجَبُكَ نَوَارُ الدَّفَلَةِ فِي الوَادِ دَائِرِ الظَّلَائِلِ وَلَا يَعْجَبُكَ زِينُ الطُّفْلِ حَتَّى تَشُوفَ الفَعَائِلِ.
- (10) لِي بَارَتْ عَلَى زَهْرَهَا دَارَتْ
- (11) الحَرْثُ بَكْرِي وَ الزَوَاجُ بَكْرِي
- (12) أَخْطَبُ لَبْنَتِكَ وَمَا تَخْطُبِشْ لَوْلَدِكَ.
- (13) البَنَاتُ عَلَيَّ لَمَاتُ وَالْخَيْلُ عَلَيَّ الصَّفَاتُ
- (14) تَتَزَوَّجُ وَمَا يَقُولُوشْ بَايِرَةَ وَ تَوْلَدُ وَمَا يَقُولُوشْ عَاقِرَةَ.
- (15) تَزَوَّجُ بِالْمَرْأَةِ البَعِيدَةِ وَ احْرَثُ الأَرْضَ القَرِيبَةَ.

- 16) شُوفِ المرأَةَ وَ اخْطُبْ بِنْتَهَا.
- 17) مَدَّاحَاتِ العُرُوسَةِ أُمَهَا وَ خَالَاتَهَا.
- 18) كَبِ القِصْعَةَ عَلَيَّ فُمَهَا تَطْلَعُ البِنْتُ لَامَهَا
- 19) اِقْلِبِ القِدْرَةَ عَلَيَّ فَمَهَا تَطْلَعُ البِنْتُ لَامَهَا.
- 20) مَيِّنْ تَطْلَعُ البِنْتُ الكَّاسَ لِفُمَهَا تَدِيرُ مَا دَارَتْ أُمَهَا.
- 21) تَصِيبُ المُورُو يُخَمِّمُ مَن عَلَقَةَ لِاصْقَةَ فِي لَهَاتِهِ
- 22) هَذَاكَ مَن زَوْجَةُ المَهْمِ بَفْعَالِهَا عَذْبَاتِهِ
- 23) نُوَصِّيكُ يَا حَارِثَ القَدِيمِ بِأَلِكِ مَن الدُّخَانَهُ يَعْصِيكَ
- 24) لَا تَدِيرُ شَيْءَ المَرْأَةِ المَعْفُونَةَ تَتَعَاوَنُ هِيَ وَ الزَّمَانُ عَلِيكَ
- 25) وَحِدَةٌ تَجِيبُ الخَيْرَ مَعَهَا وَ وَحِدَةٌ تَزْعُكُهُ بَعْمُودٍ
- 26) المَرْأَةُ كَيِّ الزَّرْعِ وَبِنِ زَرَعَتِهِ يَنْبَتُ
- 27) المَرْأَةُ إِمَّا دَارَهَا وَ لَا قَبْرَهَا
- 28) البِنْتُ إِمَّا رَاجَلَهَا إِمَّا قَبْرَهَا
- 29) زَوَاجُ لَيْلَةٍ تَدِيرُهُ عَامُ المَرْأَةِ عَمَّارَةٌ وَ لَوْ تَكُونُ حَمَارَةٌ
- 30) اذِّي بِنْتُ الخَيْمَةِ الكَبِيرَةِ
- 31) مَا كَانَ كَيِّ الحَرِثِ تِجَارَةٌ وَ مَا كَانَ كَيِّ الأُمِّ حَيِّبٌ
- 32) مَا يَغْيِرُ المَرْأَةَ غَيْرُ أَوْلَادِهَا
- 33) المَاءُ تَغْلِبُهُ العَقْبَةُ وَ العَقْبَةُ يَغْلِبُهَا الفَارَسُ وَ الفَارَسُ تَغْلِبُهُ مَرَّتُهُ وَ مَرَّتُهُ يَغْلِبُهَا أَوْلَادُهَا.
- 34) المَرْأَةُ بِلَا أَوْلَادٍ كَيِّ الخَيْمَةِ بِلَا أَوْلَادٍ
- 35) المَهْجَالَةُ رَبَّاتٌ فَرْدٌ مَا نَجَحَ رَبَّاتٌ كَلْبٌ مَا نَبَحَ.
- 36) إِذَا تَفَاهَمَتِ العَجُوزُ وَ الكَنَّةُ يَدْخُلُ إبْلِيسُ لِلحِنَّةِ.
- 37) مَا يَغْيِرُ المَرْأَةَ غَيْرُ زِينَتِهَا.
- 38) مَا كَانَ فِي الشِّتَاءِ نَهَارٌ دَافِيٌّ وَ لَا فِي النِّسَاءِ عَهْدٌ وَافِيٌّ.
- 39) شُبُوبُ الرِّجَالِ فِي عَقُولِهَا وَ عَقُولُ النِّسَاءِ فِي شُبُوبِهَا.
- 40) شَمْسُ الغِيَامِ تَخْرُجُ النِّسَاءُ مِنَ الخِيَامِ.

- 41) جَارِي يَا جَارِي لِي تَسْكُنْ حَذَايَا إِذَا مَا شَفْتَش وَجْهِي تَشُوف قَفَايَا.
- 42) إِذَا حَلَفْت فِيكَ الْمَرْأَةَ بَاتَ قَاعِدٌ وَإِذَا حَلَفَ فِيكَ رَجُلٌ بَاتَ رَاقِدٌ.
- 43) سُوقُ النِّسَاءِ سُوقُ مَطْيَارٍ يَا دَاخِلُوا رُؤْدَ بَالِكٍ يَعْطُوكَ مِنَ الرَّبْحِ قُنْطَارٌ وَ يَدُوكَ رَأْسَ مَالِكٍ.
- 44) حَدِيثُ النِّسَاءِ يُونَسُ وَ يَعْلَمُ الْفَهَامَةَ يَدِيرُوكَ عِمَامَةَ مِنَ الرِّيحِ وَ يَحْسُنُوكَ بِلَا مَاءٍ.
- 45) كَيْدُ النِّسَاءِ كَيْدِينَ وَ مَنْ كَيْدَهُمْ جِيَتْ هَارَبٌ مَتَحَزَمِينَ بِاللَّفَاعِي وَ مَتَخَلِّحِينَ بِالْعَقَارِبِ.
- 46) كَيْدُ النِّسَاءِ كَيْدِينَ وَ مَنْ كَيْدَهُمْ يَجُوزُنِي مَتَحَزَمِينَ بِاللَّفَاعِي وَ مَتَخَلِّحِينَ بِالْعَقَارِبِ رَاكِبِينَ فَوْقَ السَّبْعِ وَ تَقُولُكَ الْحَدَا يَا كَلُونِي.
- 47) يَا لِي تَعِيْطُ مِنْ قَدَامِ الْبَابِ عَيْطُ وَ كُونَ فَاهِمٌ
- 48) مَا يَخْصِرُ مَا بَيْنَ النَّاسِ غِي النِّسَاءِ وَ الدَّرَاهِمِ.
- 49) السِّينِ وَ الصَّادِ كَايْنِ الِي عِنْدَهُ امْرَأَةٌ وَ كَايْنِ الِي عِنْدَهُ مَا شَيْبَةَ تَاعِ حَصَادِ.
- 50) الْمَرْأَةُ تَخَافُ مِنَ الشَّيْبِ كِي مَا تَخَافُ النَّعْجَةَ مِنَ الذِّيبِ.
- 51) الزَّرِينِ فِي الدَّفْلَةِ وَ الدَّفْلَةَ مُرَّةً.
- 52) الْخَيْرِ مَرَاً وَ الشَّرِّ امْرَأً.
- 53) الْمَرْأَةُ بِلَا عَقْلٍ كِي الْقَدْرَةَ بِلَا بَصَلِ.
- 54) خَيْرَةَ زِينَةَ وَ زَادَهَا طِينِ الْوَادِ.
- 55) قِضِي صَوَالِحِكُ بَكْرِي وَ تَصَنَّتْ وَ أَشْ يَقُولُ الْفَالُ رَبِّي بِنْتِكَ وَ زَوْجَهَا بَكْرِي قَبْلَ مَا يَكْثُرُ الْقَيْلُ وَ الْقَالَ.
- 56) كَايْنِ الْمَرْأَةِ الِي عَرَفُوهُمَا يَذْبَحُ الطَّيْرِ.

نموذج عن القصص، الحكايات والمهملات

قصة كثير لصحاب: (القصة رقم 01)

وَاحِدَ الشَّابِ كَثِيرَ لَصْحَابِ نَصَحَهُ أَبَاهُ بَاشَ يَحْرَزُ رُوحَهُ مِنْهُمْ وَقَالَ "كَثِيرَ لَصْحَابِ يَبْقَى بِلَا صَاحِبٍ" وَفِي وَاحِدَ الْيَوْمِ قَالَ أَنَا عِنْدِي صَاحِبٌ وَاحِدٌ وَأَنْتَ عِنْدَكَ بَزَّافٌ، نَشُوفُوا شَكُونَ يَرَفْدُوهُ صَحَابَهُ، قَالَ أَبَاهُ رُوحَ لِيَهُمْ وَقَوْلُهُمْ بَابًا قَتَلَ وَاحِدٌ عَاوُنُونِي... رَاحَ الطُّفْلُ وَحَتَّى وَاحِدٌ مَا بَعَا يَعَاوَنَهُ... هَرَبُوا مِنْهُ رَجَعَ لِلدَّارِ مَتَحَصَّرَ وَخَبَرَ أَبَاهُ، قَالَ أَبَاهُ أَنَا عِنْدِي صَاحِبٌ وَاحِدٌ رُوحَهُ قَوْلُهُ بَابًا قَتَلَ وَاحِدٌ... رَاحَ الطُّفْلُ الشَّابِ عِنْدَ صَاحِبِ أَبَاهُ

ومنين وصل عنده خبره، قاله نروحو ضروك ومنين وصلوا للدَّار قاله خبرني وبين راه الميْت نخرزُوه وندفُوه باش نسلكو أيبك...، وثمة لقاو مولا الدَّار (الأب) داروا العشاء تعشاوا وتعلم الولد بلي لا خير في كثيرة لصحاب.

قصة علم النساء: (القصة رقم 02)

كان كآين بكري واحد الفقيه و عنده واحد الرّاجل فاهم و حكيم ، مين قرّاه وعلمه كل شيء قاله بلي لازم عليه يكمل علمه بقراية علم النساء، ضحك الرّاجل و قاله بلي راه واجد و صأي قرأ كل العلوم، و بعد مدة توفي الشيخ الكبير و راح الرّاجل هايم في أرض الله، و في بلاد من البلدان تلاقا مع مرأة عند واحد الحاسي ترقى، بدا يزعم عليها و حكاها واش قاله الرّاجل الحكيم الي قرّاه، قالتله بلي كل واش قاله صح ، و قالتله أنا مرأ نجم نكتلك و نحييك ، فعد يضحك حتى سالتله الدمعة و بانوا سنيه من كثرة الضحك، و على غفلة منه بدأت المرأ تعيط و ترقى و تقطع في حوايجها، و كانوا الشوّالة -فلاحين يحصدوا بالمناجل حذاهم... مين سمعوا المرأ تعيط جاوا يجروا، قالت المرأ لراجل الغريب بلي رايجين يكتلوه، وغادي تتهمه بالإغتصاب ، بدا يبكي و يحاول فيها ، قالتله صأي راني كتلتك، و إذا تبغي نحييك ادخل في الحاسي - البير - و مين جاوا الفلاحين بمناجلهم قالتلهم بلي واحد الرّاجل طاح في البير و لازم نسلكوه قبل ما يموت، جبدوه و راح هاجر من ذيك البلاد باه يزيد يتعلم و يقابل وحدة تعلمه علم النساء وستعرف بلي ما زال ما عرف كل العلم.

قصة إشاء الله (القصة رقم 03)

وحد الخطرة واحد السيّد بغا يتسوق، وبدي معزة لسوق، قاتله مرته قول إنشاء الله، قالها أنا المعزة في الزرية وغدوة ولا بد يكون السوق، أنا رايح رايح (ما بغاش يقول إنشاء الله)، ومن غدوة بكر -كيما كان الحال- في الطريق تبعاته كلبة عزيزة عليه (تاع صيد)، خاف عليها، ربطها بكمبوشه، (العمامة) وكان عاقد الدراهم في الكمبوش، ما جا يوصل لسوق حتى هربت الكلبة، ومعها الدراهم، خلا المعزة عند وحد الدار، ولا يدور ويحوس ويقول للناس الي يصيبهم في الطريق، ما شفتوش إنشاء الله وحد الكلبة ما شفتوش إنشاء الله، ومنين رجع للمعزة لفاها ماتت، ماهو بسوق ماهو بدراهم ماهو بمعزة، ومن ذاك النهار ما خطاتش فمه كلمة إنشاء الله.

نموذج: القصة: ذياب وأبوه الهلالي (القصة رقم 04)

قصة ذياب وأبوه الهلالي: ترددت لدى 03 شباب من عين كرمس ولدى شاب من توسينية وشاب من قصر الشلالة، السن من 33 إلى 36 سنة تتناقلها العائلة، عرفها عن الجد والجدة في مرحلة الصغر، كلهم من أصول صحراوية منطقة البيض، الشاب من توسينية يؤكد أنها سمعها من الجد ومن أفراد في مناسبة ذات طابع ديني (في زاوية بالقرب من مكان الإقامة).

"... رَاكَ عَارَفَ مِين زَاد ذِيَاب بَدَلُوهُ بَوْلِد الرَّاعِي، وَمِين كَبُرُوا، الْأَب شَكَ، رَاكَ عَارَفَ الْكَبْدَةَ تَجَبَد، فَاق، شَكَ بَلِي بَدَلُوهُ وَكَدَه عَلَى خَاطَر شَاف وَكِد الرَّاعِي (إِلِي هُوَ وَكَدَه فَارَس قَافَر شَاطَر) وَوَلَدَه (إِلِي هُوَ وَكِد الرَّاعِي رَاقِد مِيَت مَا يَعْرِش يَرَكَبُ فُوق الْعُود) قَرَّر يَلْمَد جَمَاعَةَ مَن الْعَاقِلِينَ وَيَدِير إِيخْتِبَار بَاه يَعْرِف الْحَقِيقَةَ بَصَح مَا خَبِر حَتَّى وَاحِد (يَدِير لَهُم التَّاسْت-Test).. قَالَهُمْ نَدِير لِيَكُم الْحَنَّة عَلَى الْوَجْه، وَرُوحُوا بِالْعُود، (إِلِي مَكَان مَحْد معروف) وَرَجَعُوا لِيَا، لِي يُوَصِّل الْأَوَّل وَمَا طِيرَش الْحَنَّة مَن وَجْهَهُ هُوَ الْغَالِب، كَيْمَا كَانَ الْحَال، رَا حُوا، وَوَصَلُوا وَرَجَعُوا، رَجَعُوا لِبْن (الْإِبْن الْمَزْعُوم) الْأَوَّل وَبَعْدَهُ ذِيَاب (الْإِبْن الْحَقِيقِي)، مِين وَصَلُوا، الْأَوَّل دَار قَدَام الْجَمَاعَةَ سَخَطَهُمْ بِالْعَبْرَةِ وَالْعَجَاج وَمَا نَزَلش لِيَهُمْ، أَمَا ذِيَاب كَبُر الدُّورَةَ وَحَبَسَ عِنْدَهُمْ بِشُويَّة وَنَزَلَ، هَاهُو الْأَوَّل مَشِي فَارَسَمَا يَعْرِش وَالثَّانِي فَارَس، شَافَت الْجَمَاعَةَ الْأَوَّل بِالْحَنَّة عَلَى وَجْهَهُ وَمَا طَارَتَش، وَالثَّانِي مَا فِيهِش الْحَنَّة (الْأَوَّل كَانَ حَاط وَجْهَهُ، وَالثَّانِي كَانَ يَشُوف لَلْقَدَام وَلَلْحَنَاب، يَاكَ فَارَس)

قَالَت الْجَمَاعَةُ: وَاششَفْتُو مَعَ الطَّرِيق؟ قَالَ الْأَوَّل (الْإِبْن الْمَزْعُوم) مَا شَفْنَا وَأَلُوا، قَالَ ذِيَاب شَفْتَمَر حُول، قَافَلَةَ، فِيهَا حَاشَاكُمْ كَلْبَةٌ مَجْرِيَّة (كَلْبَةٌ وَجَرَانَهَا) وَمَرَا بِالْحَمَل وَجَمَل عَوْر.

قَالَ الْأَوَّل (الْإِبْن الْمَزْعُوم) رَاكَ تَكْذَب مَا شَفْنَا وَلَا شَيْء، وَمَن بَعَدَ قَالَهُمْ سَمَحُولِي أَنَا نُرُوحَ عِنْدَ مَا (الْأُم) وَرَاح. سَكَتَ ذِيَاب وَمَا رَدَشَ عَلَيْهِ.

قَالَت الْجَمَاعَةُ فَسَرَ وَاشَّ شَفْت.

قَالَ ذِيَاب: الْقَافَلَةُ تَبِعَ فِيهَا كَلْبَةٌ، نَلَقَى الْجُرَّةَ (أَثَر) كَامَلَةً لَمَا تَحَطَّ وَيَبْرَكَ الْجَمَلُ نَلَقَى جُرَّةَ نَاقِسَةً، كَلْبَةٌ بَزُوجَ كَرَعِينَ عَلَا خَاطَرَ شَا لِحَرَ (الْجَرَاء) كَانَ مَرْفُودٌ فُوقَ الْجَمَلِ، قَالُوهُ صَحَّ هَاذِي عَرَفْنَاهَا زِيد، قَالَ ذِيَاب، الْمَرَا الْحَامِلُ كِي تَنُوضَ تَحْلِي الْجُرَّةَ تَاعَ يَدِيهَا وَمَقْعَدَهَا بَايْنِ فِي الرَّمْلَةِ، قَالُوهُ زِيد، قَالَ ذِيَاب وَالْجَمَلُ يَأْكُلُ وَيَجْرَرُ بِجِيهَةٍ وَيَقْطَعُ مَن السَّحْرَةَ بِجِيهَةٍ وَمَخْلِي الْمَاكَلَةَ فِي جَرَّتِهِ... قَالُوهُ صَحَّ وَأَنْتَ هُوَ الرَّابِح.

ثُمَّ تَأَكَّدَ الْأَبُ وَقَالَ نَزِيدُ نَحْتَبَرُهُمْ، قَالَ لَوْلَدَهُ (الْإِبْنُ الْمَزْعُومُ) رُوحَ لِحْوَالِكَ وَقُولَهُمْ يَخْبُرُوكَ وَيَفْسُرُوكَ هَذَا الْكَلَامَ سَأَلَهُمْ عَلَى خِيَارِ اللَّبْسَةِ، وَخِيَارِ الْمَاكَلَةِ وَخِيَارِ الْإِسْمِ، بَصَحَ بَلَاكَ تَلَقَى ذِيَاب... رَاحَ الْوَلَدُ لِحْوَالِهِ وَفِي

الرجوع (طريق العودة) لقي ذياب سارح عند الليل (الإبل)، تلاقاه وسقساه، تعاودوا بلخبار، قاله ذياب وأش قالو خوالك في كلام سيدي، قال (الولد المزعوم) خيار اللبسة لحر، وخيار الماكلة التمر وخيار الإسم عمر، قاله ذياب رآك غلط جاوب سيدي وقوله... خيار اللبسة سهول (الموجود المناسب)، وخيار الماكلة جوع وكول (لا تأكل حتى تجوع وعند الأكل لا تشبع لأنه فارس)، وخيار الإسم الرسول (محمد)، راح الولد وجاوب أبيه، شك فيه، قاله أبيه (الأب)، خبرني؟ لقيت ذياب، قال لابن وألوا جيت من طريق خاوية... زاد تأكد الأب يلي الولد ماهوش ولده يكذب قال في ذاته (نزيد نختابرهم) وفي يوم خرج الأب ركب على عودة شهبة وجاء لآقي الخيام والدوار ينده ويقول (بصوت عالي مرتفع) يا عباد الله الليل (الإبل) تخونت، تخونت، خرج ولده يجري وما عرفش يركب على العود وهو يقول كنت عند ذياب نهار الرجوع من عند خوالي... كنت عنده أما ذياب كان موجد روجه ورأفد سلاحه... تأكد الأب أن اللغز فكه ذياب. قال الأب ماعليش نزيد وتأكد... راح للصحرَاء يحوس على الإبل وذياب ومين وصل قال (الأب): يالي في شأو الإبل، مار دش عليه ولا واحد، قال ياليفي وسط الليل (الإبل) ما تكلمش، قاليالي في عقابها، ماتكلمش، قال يا راعي الليل قاله ذياب، راني هنا واشكائين؟ قال الأب علاش ما رديتش عليا وأنا نعيط، قال ذياب أنت ما عيطش عليا على خاطر شأو الإبل رقابها (الرقبة)، ووسطها ذروتها وبطونها (البطن والسنام) والي في عقابها تاليها (الذنب)، ثم عرفه بلي ياكل الحديث، قاله راني زعفان عليك وبأغي نعاقبك، راح الأب شعل النار وبغا يختابره ثاني، منينجا يقيس فيه قاله ذياب علاه رآك بأغي تقيسني في الغالبة والمعلوبة، قال الأب كيف فسر؟ قاله هي غالبة الحطب والماء غالبها، قال الأب والماء شكون غالبه، قاله الماء يغلبه العقبة (المرتفعات) والعقبة يغلبها الفارس والفارس تغلبه مرته والمرأ يغلبوها ولأدها، ثم عرف الأب أن الحقيقة عند الأم راح ليها (يا الواحد يشهدوله بأمه وهي لي تعرف الأب الحقيقي... خرج المستجوب عن سرد القصة للتبرير) راح للدأر وقال للزوجة تاعه، حمي لي الماء وكثري، في كل مرة تقوله راه الماء حامي يقول ليها زيدي زيدي... ومرة من المرات جاء ردها وقال ليها والله وما تخبريني على ذياب نرميك في الماء... قالتله ولدك هذاك غير طلقني... خرج الأب فرحان وخبر ناس العرش والدوار وسمع كامل الخيام.

نموذج، القصة: قصة للتندر (القصة رقم 05).

قصة وردت في كل الفضاء المدروس وتشبهها الكثير من القصص يتناقلها الأفراد منهم من أكد أنه سمعها عن "طالب"، "إمام" مبحوث واحد قال أنه نقلها عن الفاييسوك، وهي تحكى في الغالب بين جماعة الأقران. قالك واحد المصلي نهار جموعه (الجمعة) سمع الإمام يوصف في الإسراء والمعراج والصلاة وقال الإمام كل ما يتزل الرسول يقول النبي موسى رجع وطلب من الله تعالى ينقص في الصلاة، يروح ويرجع حتى بقات خمس صلوات مفروضة علينا، عندها نطق السيد المصلي وقال للإمام: في وسط العاشي ياسيدي كان غير يزيد يحشمهونقصلنا شويًا من الصلاة.

الشعر الشعبي والقصائد:

قصيدة مادنة: (القصيدة رقم 01)

في منام ربي ما تعرف كيف تقيس لقدار ومادنة كيميا وأنت العقار
ومادنة رجال الله جمعوا عليها مادنة رجال الله كبار وصغار
ومادنة قالوا ذا العام نعيدوا عليها مادنة ميمتنا ناقة ميمة حوار
ومادنة تعطف إلا على أهلها مادنة عودة شهبه نفتح للشوفات
منين ربحت ياك جات العين ليها يا الحاسي لخضر بقاوا غير الطرات
كان الحمام يكب هنا وحس خودات ولي خذاها وذراها جات من الحليات
شاوهم في عكرمة وعقاهم في لئات
جاها سبع رعود من الحال غيرهامد ذا على ذاك يدقدق ساعتين
سيدي خالد شد الخالديات ياك ذو شرفة ولا عضايدات
يا لي عينت القرعة تجيك صرعا لا زرع لا زريعة غير زوج معزات
وخليت دارك بيدك وشا سويت فيها
نريخوا في الضايا نذبخوا شويها صدقا على البغداي وينا لي مات
نريخوا في الضايا ونصونوا العودات
في وعدت البغداي وترادفوا العلفات والمكاحل هذا كل شي ومصمار
نتبعو لي تجري ونزيدوا لي طار

نموذج من قصيدة ولد الوهراني (القصيدة رقم 02)

شيخِي يَا شَيْخَ دَنْقٍ وَأَشْ يَصِيرُ يَا شَيْخِي يَا شَيْخَ فِي هَذَا الْجِيلِ الْمَهْمَلِ
 نَخْبِرُكُمْ مَاذَا جَاءِي وَاتَصَنَّتُوا لِهَذَا الرَّأْيِ مَا يَتَقَى لَا بَأْيَ لَا بَأْشًا يَعْدَلُ
 سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ مَا عِنْدَهُ مَقَامَ أَعْطَاوَهُ أَيَّامَ يَحْكَمُ قَلِيلُ
 رَاهِمُ يُجُوا الرُّومَ وَيَحْكُمُوا ذَاقُوا أَلِي هُوَ مَحْرُومٌ عِنْدَهُ رَأً مَبْهَدَلُ
 يُجُونَا يَمْشُونَا بِالْتَرَبَاصِ يَمْلِكُوا ذَا الْبَرِّ وَهُوَ (الهواء) وَبَجَرَ إِلَيَّ يَلْحَقُ الْخَبْرَ غَيْرَ لِعُمْرِهِ طَالَ
 يَضْحَكُوا مَخْلَطِينَ لَا سِنَّةَ لَا دِينَ لِحَبَابِ الزَّرِينِ دَرَقُوا فِي الْحَنْظَلِ
 النَّاسُ النَّقِيِّينَ يَضْحَكُوا مَكْرُوهِينَ وَالنَّاسُ الْفَاجِرِينَ هَدَرْتَهُمْ عَسَلُ
 يُبْهِجُوا بِالْحَرَامِ فِي كُلِّ مَكَانِ
 الشَّرِيعَةَ تَغِيبُ وَيُوحُوا بِالْعَيْبِ يَضْحَكِي مَنْ لَا يَهَيْبُ وَلَا مَنْ يَجَلَلُ
 يَتَقَوَى الْحَرَامَ فِي الْحَوَانِيتِ وَالْحَيَامِ يَتَغَيَّرُ الْكَلَامُ وَيَعْمُ الْجَهْلُ
 الرَّاجِلُ يَشُوفُ وَالزَّوْجَةَ مَكْشُوفِ السَّوْطِ مَعَ الطُّوفِ يَدُوهُ مَسْلَسَلُ
 الْبَنَاتِ الْعِرَازِ مَا صَابُوا لِرَازِ بَعْدَ النَّفْحَةِ تَنْحَازُ وَتُتْرَكَ الرَّاجِلُ
 تَتَسَوَّقُ لِلسُّوقِ وَالْحَلْقَةَ مَطْبُوقِ مَكَيْفِ بَرَشُوقِ وَالرَّأْيِ مَبْدَلُ
 السَّادَاتِ بَعَاوُ وَبِهِمْ رَضَاوُ السَّابِقِ فِي الشَّأْوِ عُمْرَهُ مَا يَرِحَلُ
 إِلَيَّ يَبْغُضُ أَخَاهُ أُمَّهُ وَبَابَاهُ يَقُولُو ذَاكَ رَاجِلُ مَفْضَلُ
 كَاغَطُ الْحَنَّةِ يُولِي سَكْتَنَا الْفَضَّةَ وَالذُّبْلُونَ ذَاكَ هَمَلُ
 يَتَغَيَّرُ الدِّينُ مَالَهُ نَهَائِينَ الْمَرُؤُ الْأَمِينَ مَا بِيَدِهِ يَعْمَلُ
 الْمَرُؤُ الصَّدِيقِ بِالْغَلِّ مَخْمَلُ
 الْمَسْكِينِ يَشُوفُ عَائِشَ تَكْلُوفِ حَاصِلِ وَمَلْهُوفِ مَا بِيَدِهِ يَعْمَلُ
 يَا وَيْحَ الْمَسْكِينِ فِي شَلَّةِ سَنِينَ مَالَهُ حَنِينِ فِي الْحَلْقَةِ كَامَلُ
 تَتَبَدَّلُ الْأَسْعَارُ وَيَرِيبُوا لَصَوَارِ لَا شَائِبَ بُوقَارِ وَلَا عَادَلِ يَوْصَلُ
 يَطَّلِعُ بَابُورِ فِي السَّمَا رَافِدِ الْكُورِ رِيَاشَاتِهِ كَالطُّيُورِ حَسَّهُ يَجْفَلُ
 مَا بَيْنَ وَهْرَانَ وَتَلْمَسَانَ يَهْدُرُوا بِالْحَيْطَانِ عَوْضَ رَاهِ مَقَابِلُ

تَجِي نَاعُورَةٌ تَخْطِفُ الْهَدْرَةَ وَكَانَ أَنْتَ تَضْحَكُ تَسْمَى بِاسْل
تَتَطَوَّعُ لَجِبَالِ بَوَعْرَهَا وَسَهَالِ الْخَلْقَةِ كِيَالِ فِي الْكَاغَطِ تَأْكُلُ
يَهُومُوا لِبَنَاتٍ يَضْحَحُوا مَتَفَرَّقَاتٍ مَا تَبْقَى مَرَا عَلَى يَدِ الرَّاجِلِ
دَارُوهَا فُرْجَةٌ وَهِيَ مَرْهُوجَةٌ مَا تَبْقَى شَايِفَاتٍ كُلُّ مَرَا هَجَالِ
لِبَنَاتِ الزَّايِخَاتِ يَضْحَحُوا مَكْشُوفَاتٍ يَرُوحُ مِنْهَا وَالِي بَقَا يَهْبِلُ
تَدْفَقُ السُّودَانَ عَلَى بَرِّ الْعُرْبَانِ تَتَلَمَّ الْخَزْيَانَ كِي جِلْدِ نَحْلِ
يَقْرَأُوا الْقُرْآنَ يَعْبُدُوا لَوَثَانَ مُسْلِمٍ بِاللِّسَانِ وَالضَّمِيرِ كَحَلِ
مَا رَادُوا زَقَوَاتٍ مَارَادُوا تَشْتَاتِ السَّادَاتِ بَعَاتٍ عَشْرِينَ سَنَةً ذَلِ
نَاظِمٌ ذُو لَبِيَّاتٍ خَبْرُوهُ السَّادَاتِ شَهْرَ الْبِرْكَاتِ مُوَلُودِ مَرْسَلِ
هَادُوا وَزَانِي نَظْمَةً بِالْوَهْرَانِي مَنْ يَعْرِفَنِي مَاوَسَّةً فِيهَا نَازِلِ

ياسابيلني (القصيدة رقم 03)

واجبوني بلي كان والزائر دأثوا الطمعة
حي ولا ميت نُطلببكم جيران صُدوا للظريف في الجماعة
أنا سيدي الشيخ سقام الفُرسان وليا بيه معمرة الفرعة
خاطر وغريب أنجلت من ذا لمقام وراني في عادة الوداعة
مادرت فالطمة ماهجرت على ليمان ماهي لسرقة ولا خديعة
هربت نفسي من نصارة والشيطان ورضات نفسي بصاحب الشفاعة
كيما مر البعير لصحاب العدنان مر من الضيق للوسية
سميع بصير عليم السر والمفاهمة معاه صنعة
قرت بلا كتوب من عند الرحمن مترينها يا ناس طاعة
اسقاني خالقي من الفضل والحسان ومنفضله شجرتي ربيعة
يا سابلي لا تسول في الدنيا ما تدوم شدة سولني على الوجاب لول الصبر خيارت ليفادة
فقيه بلا كتوب هاملكلي ساري مع حمادة
وإذا كانا لفقيه عاقل ربي عنده طريق وحدة
وإذا تختار في المسائل ومفتاح الدين في الشهادة
إلي زكي وصلي مفضل كلي لأبس كسوة جديدة ماذا خلق من الفضائل
عند ليمام لبدى وعند الجواب ساهل إذا قالوا الجهاد عادة
جهاد النفس هو الطائل وبليس عداوتوا شديدة
نغدى للشوف ما نجمل رباط الشوف كي العبادة
وجوادي على الخيول صايل ومعايا كم من حديدة
والرؤم نفاضها تزعل وأنا في سرية الزيادة
وأنا عند العلام لول سبقت ليمان والشهادة
والنفس هونها مسبل خير من المال والقيادة
ومعايا كامل الخصايل وين ما غديت يغدى
دنق للحال يا العاقل باش بيان والفلك يدور كل ساعة

ليام حسابها على شوك الضربان وليبضة بالكحال بقعة
 عاقل وهبيل ما تلاقوا في ميزان ولدنيا حالها طبيعة
 وحتى ضدين ما يجتمعوا في القلب قران والحفض قبالنوا الرفعة
 يا حصراه على فزوع يامات القومان والشوف تجارته الولاعة
 يا سيد الشيخ دور عني العار على الاله وانت انا ضنيت فيك ضني والثمره الوافية ثباته
 عطي دوره عن المغني نعري كي زمان فات اركب على السابقه ودي لاتبطي لاتقول
 حتى باهلي وغريب في زماني منهم رفاقي زفوتا بخبرهم ما يخبروني حيين من القلوب موتى
 الناس يدوروا الفاني وانا باغي الجهاد ياتي محلة
 باها مهني يرهب منهم لي يتعتي اري سلطأها بعيني...
 والمخزن يعرف المعاني ماهوش شلحة ولا زناته
 لحباب الدارقين عني... نهدر كي قالي لساني وما هيش فعالي شماته
 قيطوني للضياف مبني وعياد مربطة سنودا
 يا السلطان الكريم تاتي بالسلطان ينطق بالحق والشريعة
 تنصر دين النبي على دين الخزيان وتعطي للخارجين بيعة
 ولاد الروم تسلط عليهم ثعبان ويصبروا زايلة وزيعه
 من الحاء للقاف الشيوخه اربع اركان آدم والكتاب ربة
 صلاح البر والبحر واهل السودان من فأتوه ما تكون دزعة
 يا السايبي نعيدلك ذاك لي كان والعاقل فالرجال يوعى
 مول القدرة يضيق عليهم لمكان يمشي الرومي بلا وداعة
 وحبیب الله كلشي عنده يهوان مولانا رحلنوا وسيعه
 من قام الدين بالصلاة وصوم رمضان عند الله درجتوا رفيعه
 انا والسامعين ولحباب ولخوان انا والوالدين التابعين والتباعة
 في حرم الهاشمي احمد شارح لديان بفضالوا نختمو الدعاء.

سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي نُجِي نَشُوف لُو طَان وَطَانِكْ وَوَطَانِي (القصيدة رقم 04)

سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي نُجِي نَشُوف لُو طَان وَطَانِكْ وَوَطَانِي وَنَسَال عَلَيَّ لِحَبَاب كَانَ مَزَالُوا قُرْبِكَ عَاد

أَنَا كُنْتُ مَهْنِي مِين كُنْتُ جَاوُدْ جُودَكْ جِيرَانِي وَأَنْتَ تَنْعَرَلِي بِهَمَّتْكَ وَضَامَنْ لَوْلَاد

رَحَلَ الْبَيْضَةَ لِلَّهِ حُرْمَتِكَ عَارَكَ لَأ تَنْسَانِي جَبْنَائِيكَ الصُّلَاحِ وَبَيْنَ طَافُوا فِي كُلِّ بَلَاد

سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي بِجَاهِ لَعْرَجِ مُوَلَا بَغْدَاد

سَيِّدِي جَاهِ اللَّهِ لِأَتَحْيِيْلِي غَرْسِ جَنَانِي حَرِيْلِي سَاقِيْتِي مَعَ السَّهْلِ بِسَبَابِ الْجُوَادِ أَنَا ضَارِي بِيكَ وَبَيْنَ مَا بَتَتْ عَيْنُكَ

تَرَعَانِي فَضْلَكَ عَنِّي سَيْفِي وَضَاقْتِي فِي عَيْنِ الْحُسَادِ

رَحَلَ الْبَيْضَةَ لِلَّهِ حُرْمَتِكَ عَارَكَ لَأ تَنْسَانِي جَبْنَائِيكَ الصُّلَاحِ وَبَيْنَ طَافُوا فِي كُلِّ بَلَاد

سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي بِجَاهِ لَعْرَجِ مُوَلَا بَغْدَاد

وَأَنْتَ جَاكَ الْمَرَآكِشِي مَشْرَقَ لِلْغَرْبِ يِعَانِيْدُورَتَهُ رَمَشِ الْعَيْنِ نَعْرَفَكَ مَفْتَاْحِ الْقُصَادِ يَا سَيِّدِي حَتَّى أَنَا نَضُنُّ فِي

تَضُنَّانِي وَالْدُنْيَا تَهْدِرُ فِيكَ جَادَ الْقَرَمَامِي جَادَ

رَحَلَ الْبَيْضَةَ لِلَّهِ حُرْمَتِكَ عَارَكَ لَأ تَنْسَانِي جَبْنَائِيكَ الصُّلَاحِ وَبَيْنَ طَافُوا فِي كُلِّ بَلَاد

سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي بِجَاهِ لَعْرَجِ مُوَلَا بَغْدَاد

نَحْسَبُ رُوْحِي رِيْشَةَ مَنْ الْعِضَاءِ مَا نِيْشِي بَرَانِي وَالْيَاقِلْعَ شَعْرَةَ مَنْ الْمَهْدَابِ يَتَّبِعُ كُلُّ ثَمَادِ وَأَنْتَ قُلْتَ الْخُدَامَ هَمَّتِي

وَالثُّوبَ الدَّخْلَانِي وَأَنَا حَقِّي فَالْثُّوبَ مَا نَبِيْعَهُ مَا لِيهِ حِيَادِ.

رَحَلَ الْبَيْضَةَ لِلَّهِ حُرْمَتِكَ عَارَكَ لَأ تَنْسَانِي جَبْنَائِيكَ الصُّلَاحِ وَبَيْنَ طَافُوا فِي كُلِّ بَلَاد

سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي بِجَاهِ لَعْرَجِ مُوَلَا بَغْدَاد

وَلِيَا جَيْتَ لِعَوَاطِ مَا يَعْزُوشُ عَلَيْكَ الْفَانِي وَلَا جَاءَ لِيَهُمْ سُلْطَانُ مَا يَدِيرُ وَهَشَ لِيكَ حَنَادِ أَنَا قَلْبِي وَجَوَارِحِي بَعَاوِكَ

يَا ضَيِّ عِيَانِي وَآحِنَا مَتَشْرَكِيْنِ فِي الْمَحَبَّةِ نِيَّةٍ وَجِهَادِ.

رَحَلَ الْبَيْضَةَ لِلَّهِ حُرْمَتِكَ عَارَكَ لَأ تَنْسَانِي جَبْنَائِيكَ الصُّلَاحِ وَبَيْنَ طَافُوا فِي كُلِّ بَلَاد

سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي بِجَاهِ لَعْرَجِ مُوَلَا بَغْدَاد.

وَأَنَا سَيِّدِي زَيْنَ الْقَبَابِ بِيهِ نَاقِرُ عَدْيَانِي وَإِيْدَهُ قُدَامَ إِيْدِي تَحْوَلُ بَيْنَ الشَّفْرَةِ وَزَنَادِ وَ سَيِّدِي عَارَ اللَّهُ لَا تُصُدُّ عَلَيَا

أَنْتَ ثَانِي بَرَكَاتِكَ مِنَ التَّاجِيْلِ لَا تَطْوَلُ فِي التِّيْعَادِ.

رَحَلَ الْبَيْضَةَ لِلَّهِ حُرْمَتِكَ عَارَكَ لَأ تَنْسَانِي جَبْنَائِيكَ الصُّلَاحِ وَبَيْنَ طَافُوا فِي كُلِّ بَلَاد

سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي بِجَاهِ لَعْرَجِ مُوَلَا بَغْدَاد.

وسيدي بعد العزة رميتني في الحبس النصراني بعد ثنين وستين يوماً باقي مايتزاد لكن حمدت الله مادريتش بلي

يتاني مولانا تصريف خفيف عني وعلى العباد.

رحل البيضة لله حُرمتك عارك لا تنساني جنبنا ليك الصلح وين طافوا في كل بلاد

سرحني ياسيدي بجاه لعرج مؤلاً بغداد

نطلب رب العزة نشأ الله يقلبني لمكاني نحضى بين ولادي على فراش مطرح ووساد ويليا ضاقت روجي نعروض

السرّج على شهابي والعدة مكبولة على يد معلم حداد.

رحل البيضة لله حُرمتك عارك لا تنساني جنبنا ليك الصلح وين طافوا في كل بلاد

سرحني ياسيدي بجاه لعرج مؤلاً بغداد

عُمري ما نشقى ما نجبر وأخبرت الدنيا فانيوأننا رزقي مضمون ما نعانّد ربي بعناد ولي كاتبها عالم القفا لازم

تستتاني والي ماهي فالرزق ما تجي ليا ما تتراد.

رحل البيضة لله حُرمتك عارك لا تنساني جنبنا ليك الصلح وين طافوا في كل بلاد

سرحني ياسيدي بجاه لعرج مؤلاً بغداد.

وأنا نحمد ربي ونشكره في الدنيا هناني عندي غير الصلاة واجبة ومراكب لعياد وأنا ركبت العياد غير بيها

فوتت زماني توبة علفات مسقمين وتوبة ندمر لعقاب.

رحل البيضة لله حُرمتك عارك لا تنساني جنبنا ليك الصلح وين طافوا في كل بلاد

سرحني ياسيدي بجاه لعرج مؤلاً بغداد

توبة فالشوفة نتوقو على القبلي والظهراي وتوبة بسناجقنا منينهم للحرمة وجهاد خبرنا شايح في الصحور هولنا

كل مزالي ونصرنا ربي وين ما تهدوا في كل طراد.

رحل البيضة لله حُرمتك عارك لا تنساني جنبنا ليك الصلح وين طافوا في كل بلاد

سرحني ياسيدي بجاه لعرج مؤلاً بغداد.

وما نطقعشي لباس كان رحل البيضاء يرضاً لي نحضى بين السماحات ساير مع عز الميعاد ولا ثوري ساس الكلام

لفاهم كل معاني بين الشدة والخير كي لي ساهي فالتسناد.

رحل البيضة لله حُرمتك عارك لا تنساني جنبنا ليك الصلح وين طافوا في كل بلاد

سرحني ياسيدي بجاه لعرج مؤلاً بغداد.

وَتَجْعَلِي يَا رَبِّي الْخَيْرَ فِي الْقَسَمَةِ لِي يَرْجَالِي كَانَ عَطَاكَ السُّلْطَانَ وَاشْ يَقْلَعْ لِيكَ الْحُسَادَ وَأَنْتَ سَلَاكَ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَتُرْدُ لِي جَانِي جَمِيعَ لِي زَقَا عَلَيْكَ جَبْتُوا مِنْ كُلِّ بِلَادٍ.

رَحَلَ الْبَيْضَةَ لِلَّهِ حُرْمَتِكَ عَارَكَ لَا تَنْسَانِي جَبْنَا لِيكَ الصُّلَاحَ وَبَيْنَ طَافُوا فِي كُلِّ بِلَادٍ
سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي بِجَاهِ لَعْرَجِ مُوَلَّا بَغْدَادٍ.

وَلَدَ مَهَابًا جَبْتُوا مِنَ الْبَحْرِ ذَاكَ لِي نُفْصَانِي عِنْدَكَ بَحْرَ الطُّوفَانَ كِي لِي قَاطِعَ سَاقِيَةَ الْوَادِ لِحِظَةِ إِرْسَلْتُوا قَطَابًا
وَلَاتَ رُوْحَانِي فِي رَمَشَاتِ الْعَيْنِ جَابْتُوا لِأُمُوَا فِي لَوْتَادِي.

رَحَلَ الْبَيْضَةَ لِلَّهِ حُرْمَتِكَ عَارَكَ لَا تَنْسَانِي جَبْنَا لِيكَ الصُّلَاحَ وَبَيْنَ طَافُوا فِي كُلِّ بِلَادٍ
سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي بِجَاهِ لَعْرَجِ مُوَلَّا بَغْدَادٍ.

وَيَأْمَسُ جَبْتَ الْحَبِيبِ ذَاكَ ابْنَ الْمَدَانِيِّ عِلَامِ الْبُرْجِ التَّاغِيَا قَلَعْتَ عَلَيْهَا لِتَحْدَادِ دُونَهُ بَابَيْنِ مَشْرِبَيْنِ كِي الدَّخِيلِ كِي
الْبِرَانِي فَوُتُّوا عَلَى الْعَسَاسِ غَيْرِ سَاهِي مَا بِهِ رَقَادٍ.

رَحَلَ الْبَيْضَةَ لِلَّهِ حُرْمَتِكَ عَارَكَ لَا تَنْسَانِي جَبْنَا لِيكَ الصُّلَاحَ وَبَيْنَ طَافُوا فِي كُلِّ بِلَادٍ
سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي بِجَاهِ لَعْرَجِ مُوَلَّا بَغْدَادٍ.

مُحَمَّدَ قَالَ عَلَيْكَ مِنْ شَبَابٍ وَلَا شَيْبَانِي رَاكَ إِذَا مَا رَدَيْتَنِي بَقَاتٍ مَعَايِرَ تَنْعَادِ مَانِي مَدَاحِ بُجُوعِ غَيْرِ كَانَ أَنْتَ
وَالْمَدَانِي وَلَا رَبِّ الْعِزَّةِ لِي عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ وَالزَّادُ.

رَحَلَ الْبَيْضَةَ لِلَّهِ حُرْمَتِكَ عَارَكَ لَا تَنْسَانِي جَبْنَا لِيكَ الصُّلَاحَ وَبَيْنَ طَافُوا فِي كُلِّ بِلَادٍ
سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي بِجَاهِ لَعْرَجِ مُوَلَّا بَغْدَادٍ.

صَلُّوا يَا مُسْلِمِينَ عَلَى الرَّسُولِ يَا النَّبِيَّ الْعَدْنَانِي وَإِسْمَ الطَّاهِرِ هُوَ شَفِيعِنَا مِنْ عَرْضِ الْعِبَادِ وَلِي مِنْ نُورِ اللَّهِ خَالِقَهُمْ
وَمَوْلَانَا الرَّحْمَانِي مِنْ قَبْلِ يَتَسَمَّى بَلِيسَ وَلَا يَخْلُقُ شَدَادٍ.

رَحَلَ الْبَيْضَةَ لِلَّهِ حُرْمَتِكَ عَارَكَ لَا تَنْسَانِي جَبْنَا لِيكَ الصُّلَاحَ وَبَيْنَ طَافُوا فِي كُلِّ بِلَادٍ
سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي بِجَاهِ لَعْرَجِ مُوَلَّا بَغْدَادٍ.

وَلِي مِنْ نُورِ اللَّهِ خَالِقَهُ مُوَلَّا الرَّحْمَانِي مَنْ قَبْلَنْ يَتَسَمَّى بَلِيسَ وَلَا يَخْلُقُ شَدَادُ لَوْمًا مُحَمَّدًا مَا يَكُونُ لَا دِينَ وَلَا
فُرْقَانِي لَأَكَانَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ طَرِيقِ الرِّيحِ وَلَسَعَادٍ.

رَحَلَ الْبَيْضَةَ لِلَّهِ حُرْمَتِكَ عَارَكَ لَا تَنْسَانِي جَبْنَا لِيكَ الصُّلَاحَ وَبَيْنَ طَافُوا فِي كُلِّ بِلَادٍ
سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي بِجَاهِ لَعْرَجِ مُوَلَّا بَغْدَادٍ.

لَوْ مَا مُحَمَّدٌ مَا يَكُونُ لَأَفْرَضُ وَلَا سُنَّانِي حَبِيبِ اللَّهِ وَجَبْرِيلَ صَاحِبِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ لَوْ مَا مُحَمَّدٌ مَا تَكُونُ رَاحَةً بَعْدَ
الْمِيزَانِي يَشْفَعُ فَالنَّاسُ مُحْضَرِينَ الْقَفْلَ بَلَا زَادَ.

رَحَلَ الْبَيْضَةَ لِلَّهِ حُرْمَتِكَ عَارَكَ لَا تَنْسَانِي جَبْنَا لِيكَ الصُّلَاحَ وَبِنَ طَافُوا فِي كُلِّ بِلَادٍ
سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي بِجَاهِ لَعْرَاجِ مُوَلَّا بَغْدَادِ.

وَالنَّاسُ صَحَابِ الْخَيْرِ يَرْتَجُوا بِالْفَضْلِ وَالْحَسَانِي مِنْ قَبْلِ لَا شَافُوا دُورَهُمْ فِي جَنَّةٍ لَخَلَادِ مُوَلَانَا شَدِيدِ الْعِقَابِ لِلدَّيْنِي
وَالنَّصْرَانِي وَالْعَفُورِ الرَّحِيمِ لِأُمَّةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ.

رَحَلَ الْبَيْضَةَ لِلَّهِ حُرْمَتِكَ عَارَكَ لَا تَنْسَانِي جَبْنَا لِيكَ الصُّلَاحَ وَبِنَ طَافُوا فِي كُلِّ بِلَادٍ
سَرَحْنِي يَا سَيِّدِي بِجَاهِ لَعْرَاجِ مُوَلَّا بَغْدَادِ.

مكان التسجيل بيت المناسبة لقاء بالأقارب ودعوة موجهة لأحد المنشدين ، عدد الحضور تجاوز 35 شخصمن
نفس العائلة، أغلبهم من فئة الشباب مدة التسجيل 14 دقيقة.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتُ أَنْيَا (القصيدة رقم 05)

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمِ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتُ رَحْلَ الْبَيْضَانِ نَعْدَالُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدٌ وَأَنَا بَاغِي زَوْرَأْتُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمِ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتُ رَحْلَ الْبَيْضَانِ نَعْدَالُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدٌ وَأَنَا بَاغِي زَوْرَأْتُوا.

مَوْلَا الشَّهْبَةِ لِي تَجِبِي مَنْ كُلُّ ثَنَاءٍ لَأَ رَاكِبَهَا شَرِيفٌ وَلَا سُلْطَانٌ بِمَالُوا رَاكِبَهَا فَارَسَ الْمَشَالِي بَرَكَهٌ وَعَنَايَا رَفِيقُ
الْجَهْدِينَ فِي يَوْمِ الْحَوْزِ يُوَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتُ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمِ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتُ رَحْلَ الْبَيْضَانِ نَعْدَالُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدٌ وَأَنَا بَاغِي زَوْرَأْتُوا.

وَعَلَيْهَا قَرَبْتُونَ مَشْرِي بِالسُّومَةِ الْعَالِيَا وَحَجَرَ الدِّيَامَانَ وَالشَّلِيلِمَ مَرَقَمَ تَحْبَلُوا النَّزْعَةَ وَالرَّكَابَ جَاوَا مِنَ الْعَرَبِ
هَدَايَا وَعَجَبَةٌ فِي الدَّيْرِ وَحَرَامُوا صَنَعَتْ تَفْصَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتُ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمِ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتُ رَحْلَ الْبَيْضَانِ نَعْدَالُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدٌ وَأَنَا بَاغِي زَوْرَأْتُوا.

هِيَ شَهْبَةٌ مُحْيِيَةٌ فِي الْمَشْلِيَةِ عَالِيَا مَوْلَاهَا فِي الطَّرَادِ يَفْجِي وَالْقَلْبَ عَلَّلُوا وَتَعَاشِي فِي الْبِيَاضِ هِيَ وَالنَّحْمَةُ
الضَّوَايَا وَهِيَ بَانَ الصَّبَاحَ وَاللَّيْلَ مَشَا فِي حَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتُ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمِ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتُ رَحْلَ الْبَيْضَانِ نَعْدَالُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدٌ وَأَنَا بَاغِي زَوْرَأْتُوا.

هَذَا قَوْلِي عَلَيْكَ وَالْفَالُ عَلَيْكَ أَنْتَايَا وَتَجْعَلُ فَضْلِي عَلَى يَدِكَ وَأَنَا عِنْدِي فَالُوا تَحْضُرْ لِي لَيْلَةَ الْبَلَا قُدَامِي وَوَرَايَا
مُحَمَّدَ وَيَنَمَا يَصُدُّ عَيْنَكَ تَرَعَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتُ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمِ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتُ رَحْلَ الْبَيْضَانِ نَعْدَالُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدٌ وَأَنَا بَاغِي زَوْرَأْتُوا.

بَكْرِي كَانَ الْعَلَامَ مَنْسُوبٌ عَلَيْكَ أَنْتَايَا وَكَانَتْ قَاعُ النُّجُوعِ تَتَدَرَّقُ تَحْتَ ضَلَالُوا جَبْنَائِكَ فِي الْجَاهِ بُوَكُمْ عَمَار
بِلَعَالِيَا سَمَاحَةَ السَّمَاخَةِ مَا نَهْدَى مِنْهُمْ وَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتُ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمِ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتُ رَحْلَ الْبَيْضَانِ نَعْدَالُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدٌ وَأَنَا بَاغِي زَوْرَأْتُوا.

وَأَنْتَ خَلَيْتَنَا مَعَايِرَ لِلنَّاسِ شَفَايَا لِعَوَاطٍ عَزَازٍ فِي مَنَاقِمِ مَكْتُوبِكَ قَالُوا وَالْعَوَاطِ مَعَ زِيَادِهِمْ رَاهِمَ جَاوَهِنَا يَا

النَّاسَ الضَّادِينَ رَاهِمَ لِلْكَفْرِ يَوْمًا

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتَ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمِ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَّلُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتَ رَحْلَ الْبَيْضَانِ تُغْدَلُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدٍ وَأَنَا بَاغِي زَوْرَائِنَا.

وَالنَّاسَ لِي غَدَاتٍ سَابَتْ مَنْ غَيْرِ هَوَايَا وَعَلَيْهَا مَا يَدُومُ حَرْبِ الْكَافِرِ بِنِصَالُوا رَانِي نُورِيكَ يَا الْعَاقِلَ وَفَهَمَ مَعْنِيَا
الدُّنْيَا مَا تَدُوشِي عِنْدَ لِي تَزْهَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتَ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمِ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَّلُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتَ رَحْلَ الْبَيْضَانِ تُغْدَلُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدٍ وَأَنَا بَاغِي زَوْرَائِنَا.

فِي هَذَا الْجِيلِ مَبْقَاتُ فِي النَّاسِ نَوَايَا وَتَجَعَلْنَا صَابِرِينَ وَرَجَالَ الصَّبْرِ يَنَالُوا يَتَشَرَّكُوا فِي الشَّرَابِ سَبْسِيهِو وَدَوَايَا يَطْبَعُوا
فِي اللَّبَاسِ حَالَ الرُّومِيِّ مَنْ حَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتَ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمِ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَّلُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتَ رَحْلَ الْبَيْضَانِ تُغْدَلُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدٍ وَأَنَا بَاغِي زَوْرَائِنَا.

تَقَلَّبَ نَجْعُ النِّقَارِ عَمَّارِ النُّجُوعِ الْخَالِيَا تَنْصُرُ قَدُورَ وَلَدِ حَمَزَةَ يَزْهَابُ بِمَحَانُوا يَا النِّيفِ نَدَارِ لِلْمَعَايِرِ وَاللَّوْمَةِ التَّالِيَةِ
وَرَاهِلِي بَعَاشَ مَنْ مَسَّالَةَ تُنْقَسُ مَنْ مَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتَ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمِ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَّلُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتَ رَحْلَ الْبَيْضَانِ تُغْدَلُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدٍ وَأَنَا بَاغِي زَوْرَائِنَا.

وَتَصَنَّتْ يَا الْعَاقِلَ نَعْطِيكَ حِكَايَا بَنِ مَحِيِّ الدِّينِ طَالَ وَعَدُوَ وَبَطَامِيجَالُوا رَانِي نُورِيكِيَا الْعَاقِلَ وَفَهَمَ مَعْنَايَا يَا الدُّنْيَا
مَا تَدُومِشَ عِنْدَ لِي تَزْهَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتَ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمِ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَّلُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتَ رَحْلَ الْبَيْضَانِ تُغْدَلُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدٍ وَأَنَا بَاغِي زَوْرَائِنَا.

مَا غَاضَتْنِي إِلَّا مَسَّالَةَ فِي الدُّنْيَا الْخَالِيَةِ يَا الْحَقْحَضِي غَرِيبَ وَحَبَالَ الْكُذْبِ طَوَالُوا وَأَهْلَ السُّنَّةِ سَكُوتَ وَأَهْلَ
الْبِدْعَةِ جَرَايَا يَا الرَّاجِلَ مَا يَثِيقُ لَأَ فِي نُحُوهِ وَلَا فِي خَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتَ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمِ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَّلُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتَ رَحْلَ الْبَيْضَانِ تُغْدَلُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدٍ وَأَنَا بَاغِي زَوْرَائِنَا.

وَتَلَقِي الْقُضَاةَ دَاعِيًا بِشُبُوهاَلِكْرَايَاوَحَقِّ الْمَسْكِينِ غَابُودَاهُ لِي بَرِيَالُورَاهَا مَن قُوَّةِ الدَّرَاهِمِ تَعَوَّاجِ الْآيَةِ يَدِي حَقُّوا
فُلُوسٍ يَقُولُ مَكْتُوبِي قَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتَ لِيكَ أَنِّيَا مَن يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمَ تَبَانَ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتَ رَحَلَ الْبَيْضَا نُغْدَالُوا
رَحَلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدَ وَأَنَا بَاغِي زُورَانُوا.

رَاعِي لِلْعِيدِ كِي تَكْثُرَ فِيهِ الصَّلَايَا يَحْرَمُ عَلَى لِيْمَامِ رَزُقُوا هُوَ وَعِيَالُوا وَرَبِّي مَنْصَابِلِي نَسَاوِينَ وَيَكُونُوا بَكَايَا يِيكُوا
حَقِّي وَحَقَّهُمْ فَالْدَهْرُ وَتَبَدَّلُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتَ لِيكَ أَنِّيَا مَن يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمَ تَبَانَ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتَ رَحَلَ الْبَيْضَانَ غَدَالُوا
رَحَلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدَ وَأَنَا بَاغِي زُورَانُوا.

رَانِي تَرَأْسَ مَا نَطِيقُ نُرُوحَ بِشَقَايَا مَانِي بَهْنَا وَلَا بِسَيْدِي دَارَقَ بِجَمَالُوا أَوْ رَبِّي مَنْصَابِلِي مَرِيْزِيْقُ مُوَا جَرَايَا بِيْضَا
لِحَنْشُوشِ وَالسَّبُؤَلَةِ تَرَبَّحَ مَن قَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتَ لِيكَ أَنِّيَا مَن يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمَ تَبَانَ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتَ رَحَلَ الْبَيْضَا نُغْدَالُوا
رَحَلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدَ وَأَنَا بَاغِي زُورَانُوا.

عَرَاتِ نَتَاعِ رِيْمِ دَارَتْ بِيهَا لِدَوَايَا يَجْفَلُ مَن رَفَدَتْ صِرَاعِي إِذَا شَافَ خِيَالُوا وَهَامَ يُوْنَسَ الْعَقْلَ تَانِيْسَا وَعَنَايَا هَذَا
يَشْفِي بِحَالِ لَزْرَقِ هُوَ وَ مَثَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتَ لِيكَ أَنِّيَا مَن يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمَ تَبَانَ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتَ رَحَلَ الْبَيْضَا نُغْدَالُوا
رَحَلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدَ وَأَنَا بَاغِي زُورَانُوا.

هَذَاكَ الْعُودَ يَحْجَبُهُ مُوَلَاهُ وَمُوَلَايَا مَدُّوَا بَهْرَاوِلِي وَخَمَلَتْ لِحَرَارِ جَلَالُوا هَذَا وَلِي عَلَيْهِ نُوَصَلُ وَنَخُوْضُ مَايَا
لِلْقَرْمَامِي لِي مَهْبَلْنِي مَهْبَلُ قَلْبِي بَهْبَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتَ لِيكَ أَنِّيَا مَن يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمَ تَبَانَ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتَ رَحَلَ الْبَيْضَا نُغْدَالُوا
رَحَلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدَ وَأَنَا بَاغِي زُورَانُوا.

فِي الْخَمْسَةِ وَثَمَانِينَ جِيْتِ قَاصِدِ سَيْدِي بَهْدَايَا بَعْدَ الْمِيْتِينَ وَأَلْفَ حَطِّ الطَّالِبِ تَتْرَالُوا تَرَحْمَنِي نَاوُوَالِدِينَ وَقُرْبَايَا
وَلَا تَهْلِكُ حَدَّ مَن أُمَّةٌ مُحَمَّدَ بَسُوَالُوا.

يا سيد الشيخ حُرْمَتِكَ هَرَبْتَ لِيكَ أَنِّيَا مَن يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمَ تَبَانَ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتَ رَحَلَ الْبَيْضَا نُغْدَالُوا
رَحَلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدَ وَأَنَا بَاغِي زُورَانُوا.

طَلَبْتِكَ يَا اللَّهُ تَتَقَبَّلْ مِنِّي دُعَايَا يَا أَنْتَ قُلْتَ الْغَرِيبَ يَطْلُبُ وَأَنَا نُوفِلُوا وَرَضِي مَوْلَا مِيَاتِ نَحْلُوتِ وَالسَّرِّ ثَمَانِيَا
وَالْبِرَاكَةِ وَغَيْرَ لَثَامُواوَ عَطَّلُوا.

يَا سَيِّدَ الشَّيْخِ حُرْمَتِكَ هَرَبْتُ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمَ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتِ رَحْلَ الْبَيْضَا نُغْدَالُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدًا وَأَنَا بَاغِي زَوْرَانُوا.

يَا سَيِّدَ الشَّيْخِ حُرْمَتِكَ هَرَبْتُ لِيكَ أَنْيَا مَنْ يَقْصِدُ شَيْخَ لَازِمَ تَبَانٍ عَلَيْهِ فَضَالُوا رَبِّي رَبِّي بَعَيْتِ رَحْلَ الْبَيْضَا نُغْدَالُوا
رَحْلَ الْبَيْضَاءِ بَعِيدًا وَأَنَا بَاغِي زَوْرَانُوا.

مدة التسجيل 14 دقيقة.

تَبْكِي عَيْنِي (القصيدة رقم 06)

زُثَاءُ الشَّيْخِ بُوَعْمَامَةَ قَصِيدَةً تَرْجِعُ إِلَى سَنَةِ 1909

عَزُونِي يَا نَاسَ فِي شَيْخِ الْعُرْبَانَ عَزِيوَعْنَائِي مَفْتَا ح وَرَادِي عَزُونِي يَا نَاسَ فِي شَيْخِ الْعُرْبَانَ عَزِي وَعْنَائِي وَمَفْتَا ح
وَرَادِي تَبْكِي عَيْنِي لُبُوَعْمَامَةَ طُولَ زَمَانٍ تَبْكِي عَيْنِي عَلَى كَسْبِي يِعَانِي .
تَبْكِي عَيْنِي عَلَيْهِ مَفْتَا ح الْبَيَانَ رُكْنَ الرَّحْمَنِ لِيَعْلَى الْخَيْرِ يَهَادِي جَوْهَرَةَ الدِّينِ بَايْتِ رَاقِدِي لَكْفَانَ وَأَنَا مَا حَبْتُلُوا
خَبَرَ يَأْتِكُمَادِي .

عَزُونِي يَا نَاسَ فِي شَيْخِ الْعُرْبَانَ عَزِي وَعْنَائِي مَفْتَا ح وَرَادِي تَبْكِي عَيْنِي لُبُوَعْمَامَةَ طُولَ زَمَانٍ تَبْكِي عَيْنِي عَلَى
كَسْبِي يِعَانِي .
شَمْسَ الضُّحَى مَسَات . . سَارَتْ . يَا لَوْ كَانَ وَأَنَا مَا حَبْتُلُوا خَبَرَ يَأْتِكُمَادِي أَنَا كُنْتُ مَعَاهُ لَأَنْحَسِبَ وَلَدَ السُّلْطَانَ فِي
الْمَمْلَكَةِ وَزِيرٍ تَحْتَ حَضَانِ سِيدِي .

عَزُونِي يَا نَاسَ فِي شَيْخِ الْعُرْبَانَ عَزِي وَعْنَائِي مَفْتَا ح وَرَادِي تَبْكِي عَيْنِي لُبُوَعْمَامَةَ طُولَ زَمَانٍ تَبْكِي عَيْنِي عَلَى
كَسْبِي يِعَانِي .
وَمَتَمَتَّعَ فِي الْهِنَاءِ وَرَاقِدَ فَيَلَامَانَ وَيَذْهَبَ عَنِي الْحُزْنَ وَيَطِيبَ رَقَادِي يَامَرْقَدِنِي عَلَى قَفَا يَا فِي لَامَانُو يَامُورَثِي بِلَادِ
مَنْ غَيْرِ بِلَادِي .

عَزُونِي يَا نَاسَ فِي شَيْخِ الْعُرْبَانَ عَزِي وَعْنَائِي مَفْتَا ح وَرَادِي تَبْكِي عَيْنِي لُبُوَعْمَامَةَ طُولَ زَمَانٍ تَبْكِي عَيْنِي عَلَى
كَسْبِي يِعَانِي .
مَا نَحْذَرُ مَا نَخَافُ مَنْ هَمَالَعَدِيَانَ مَا نَرْحَلُ مَا نَطْوَا لِلشَّعَابِ وَلَادِي مَا نَحْرَثُ مَا نُجُوعُ مِنْ فَضْلُوا شَبْعَانَ وَمَا
عِنْدِي غَيْرَ نَظْمَتُوا هِيَ زَادِي .

عَزُونِي يَا نَاسَ فِي شَيْخِ الْعُرْبَانَ عَزِي وَعْنَائِي مَفْتَا ح وَرَادِي تَبْكِي عَيْنِي لُبُوَعْمَامَةَ طُولَ زَمَانٍ تَبْكِي عَيْنِي عَلَى
كَسْبِي يِعَانِي .
فِرَاقَهُ رَاهُ زَادِي فِي الْقَلْبِ مَحَانَ وَفِرَاقَهُ رَاهُ حَرَمَ مَنْ نَعَّاسَ رَقَادِي وَمَانَسَّاسَ حَبِيبَ قَلْبِيَا لَوْ كَانَ غَيْرَ إِذَا كُنْتُ فِي
قَبْرِ تَحْتَ اللَّحْدِي .

عَزُونِي يَا نَاسَ فِي شَيْخِ الْعُرْبَانَ عَزِي وَعْنَائِي مَفْتَا ح وَرَادِي تَبْكِي عَيْنِي لُبُوَعْمَامَةَ طُولَ زَمَانٍ تَبْكِي عَيْنِي عَلَى
كَسْبِي يِعَانِي .

مَآئِنَسَاثِي حَبِيبِ قَلْبِي يَا لَوْكَانَ غَيْرِ إِذَا كُنْتُ فَرَمَانَ الْأَبْدِيِّ رَوَعَ قَلْبِي رَوِيَعٌ مَا بَعَدُوا سُكْنَانَ يَيْسَ جَلْدِي عَلَى
عَظَامٍ مِثْلِ الْمِنْدِيلِ.

عَزُونِي يَا نَاسَ فِي شَيْخِ الْعُرْبَانَ عَزِي وَعَنَايَتِي مَفْتَا حِ وَرَادِي تَبْكِي عَيْنِي لُبُوعَمَامَةٍ طُولَ زَمَانٍ تَبْكِي عَيْنِي عَلَى
كَسْبِي يِعَانِي.

وَشَعْلُ الْمَطْحُونِ شَارِبِ الرَّادِي سَكْرَانَ وَسَمِ الثَّعَالَيْنِ قَطَعَ وَصَالَ كَبَادِي رُوحِي يَا ذُنْيَاتِ الْعُرُورِ وَالْبُهْتَانَ زَلْبَحْتِنَا
مَعَ.....

عَزُونِي يَا نَاسَ فِي شَيْخِ الْعُرْبَانَ عَزِي وَعَنَايَتِي مَفْتَا حِ وَرَادِي تَبْكِي عَيْنِي لُبُوعَمَامَةٍ طُولَ زَمَانٍ تَبْكِي عَيْنِي عَلَى
كَسْبِي يِعَانِي.

كَلْبِي مَا كَانَ فِي مَجَالَسٍ فِي لَحْوَانَ وَفَوْقَ الْكُرْسِيِّ يَخَاطَبُ كَلَامَ الْهَادِي كَلْبِي مَا كَانَ فِيصْرَاعِ سَيْرِ الْقَوْمَانَ بَعْلَامَهُ
لِلجَهَادِ قَامَ لَعَادِي.

عَزُونِي يَا نَاسَ فِي شَيْخِ الْعُرْبَانَ عَزِي وَعَنَايَتِي مَفْتَا حِ وَرَادِي تَبْكِي عَيْنِي لُبُوعَمَامَةٍ طُولَ زَمَانٍ تَبْكِي عَيْنِي عَلَى
كَسْبِي يِعَانِي.

لَوْ شَفْتُمْ مَا فَعَلْبَشِينِ الدِّيَوَانَ شَهَدَتْ يَوْمِغْرِي وَآخْبَارَ فَنْدِيَعَاوَا يَتَّبِعُوهُ بِمَحَالِ الْجَرْدَانَ لَا عِبْرَةَ لِيَهَذَا حَنِيسِ
الْيَهُودِي.

عَزُونِي يَا نَاسَ فِي شَيْخِ الْعُرْبَانَ عَزِي وَعَنَايَتِي مَفْتَا حِ وَرَادِي تَبْكِي عَيْنِي لُبُوعَمَامَةٍ طُولَ زَمَانٍ تَبْكِي عَيْنِي عَلَى
كَسْبِي يِعَانِي.

عَيَاوَا يَحَاوُلُو يَعْطِيهِمْ لَامَانَ قَالَلَّهُمْ يَا أَهْلَ كُمَّةٍ مِنَ الْبَارُودِي عَيَاوَا يَحَاوُلُوهُ بَثْقَالَ الثَّمَانَ قَالَلَّهُمْ شَهَدُوا وَخَذُوا مَا
عَنْدِي.

عَزُونِي يَا نَاسَ فِي شَيْخِ الْعُرْبَانَ عَزِي وَعَنَايَتِي مَفْتَا حِ وَرَادِي تَبْكِي عَيْنِي لُبُوعَمَامَةٍ طُولَ زَمَانٍ تَبْكِي عَيْنِي عَلَى
كَسْبِي يِعَانِي.

مُولِ الزَاوِيَةِ طَعَامَكَ لِلجِيعَانَ فِي الشَّدَةِ وَالرَّخَا دَوَامِ الْأَبْدِيِّ يَجُوهُ الزَّائِرِينَ مِنْ بَرِّ السُّودَانَ وَتَجِيهِ الْكَابِشَةَ مِنْ
الْبَغْدَادِي.

عَزُونِي يَا نَاسَ فِي شَيْخِ الْعُرْبَانَ عَزِي وَعَنَايَتِي مَفْتَا حِ وَرَادِي تَبْكِي عَيْنِي لُبُوعَمَامَةٍ طُولَ زَمَانٍ تَبْكِي عَيْنِي عَلَى
كَسْبِي يِعَانِي.

يجوه الزايرين من بر السودان وتجيئه الركاب جاء من البغدادى الجريري والمنيعي والعطوان وأهل النية ذا جاء وذا
غادي.

عزوني يا ناس في شيخ العربان عزري وعنايتي مفتاح ورادي تبكي عيني لبوعمامة طول زمان تبكي عيني على
كسبي يعاني.

ومثله لأهل المقدادي وابن الوليد الصيد الفتان وسيف الله في المصادمة كي الأسدي.

عزوني يا ناس في شيخ العربان عزري وعنايتي مفتاح ورادي تبكي عيني لبوعمامة طول زمان تبكي عيني على
كسبي يعاني.

عبد الله بنوا ملال وجعفر من عليه آتيت نشادي....وعلى التوبة الشيخ ليسيدي....

عزوني يا ناس في شيخ العربان عزري وعنايتي مفتاح ورادي تبكي عيني لبوعمامة طول زمان تبكي عيني على
كسبي يعاني.

ومثل سماحتنا كبير على السرحان بالهمة وسلاح كلش يقدي خف المجبود وتسطار بالميزان وركاب العرب فات
نجمة بلهادي.

عزوني يا ناس في شيخ العربان عزري وعنايتي مفتاح ورادي تبكي عيني لبوعمامة طول زمان تبكي عيني على
كسبي يعاني.

تبكي عيني عليه مفتاح البيان ركن الرحمن على الخير يهادي والصلوات عليك يا النبي العدنان الصلوات عليك يا
النبي الهادي.

عزوني يا ناس في شيخ العربان عزري وعنايتي مفتاح ورادي تبكي عيني لبوعمامة طول زمان تبكي عيني على
كسبي يعاني.

عزوني يا ناس في شيخ العربان عزري وعنايتي مفتاح ورادي تبكي عيني لبوعمامة طول زمان تبكي عيني على
كسبي يعاني.

شَيْخُ الْمَقَامِ (القصيدة رقم 07)

(رثاء الشيخ بلكبير شيخ زاوية من الجنوب الغربي الجزائري).

يَا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلْنَا كِي لِيْتَامَ بَحْرَ الْعُلُومِ رَاحَ وَخَلَّا فَاَلْمَقَامِ.
يَا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلْنَا كِي لِيْتَامَ بَحْرَ الْعُلُومِ رَاحَ وَخَلَّا فَاَلْمَقَامِ.
عَالَمَ تَوَاتَ كَانَ مَضْوِي لَمَكَانِي وَلِيَوْمَ رَاهَ رَاحَ عَنَّا وَابْسَطَ ظَلَامِ.
يَا نُمُوتَ بَرَا حَتَّى مَوْتَ الصَّبِيَانِي نُمُوتَ سَيِّدِي عَالَمَ لَعَامِ.
خَبَرُوا مَنِينَ جَانَا بِالسَّمِ سَقَانِي وَاهَمَ زَادَنَا وَيَرَشِي لِعُظَامِ.
يَا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلْنَا كِي لِيْتَامَ بَحْرَ الْعُلُومِ رَاحَ وَخَلَّا فَاَلْمَقَامِ.
آه هَمَ الْفِرَاقَ مَاذَا شَيَّبَ صَبِيَانِي وَمَاذَا عَيُونُ طَارَ عَلَيْهَا لَمَنَامِ.
مَاذَا قُلُوبَ شَعَلَتْ فِيهَا نِيرَانِي عَافَتْ الْمَاءَ وَسَمَحَتْ فِالطَّعَامِ.
يَا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلْنَا كِي لِيْتَامَ بَحْرَ الْعُلُومِ رَاحَ وَخَلَّا فَاَلْمَقَامِ.
آه وَيَعْدَرُ حَالِنَامَنَ جَرَبَ لَمَحَانِي يَفْسِرُ الْحَدِيثَ وَيَفْهَمُ لِكَلَامِ.
وَلِي وَمَا حَرَقَ مَنَ فَرَقَةَ لِحَوَانِ يَرُوحَ قَوْلَ وَيَزِيدُ التَّلَوَامِ.
يَا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلْنَا كِي لِيْتَامَ بَحْرَ الْعُلُومِ رَاحَ وَخَلَّا فَاَلْمَقَامِ.
آه يَبِكِي عَلَيْهِ كُلَّ الْعَرَبِ الْوَهْرَانِي الصَّحْرَاءَ مَسْلَمَةَ لِيهِ حَقًا لَتَسْلَامِ.
يَبِكِي الْوَسْطَ وَالشَّرْقَ وَكُلَّ وَطَانِي وَالْحُزْنَ عَمَّهَا جَمَلَةً بِالتَّمَامِ.
يَا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلْنَا كِي لِيْتَامَ بَحْرَ الْعُلُومِ رَاحَ وَخَلَّا فَاَلْمَقَامِ.
آه يَبِكِي طَفِيلَ جَاءَ فِي عُمُرُوا صَبِيَانِي قَاصِدَ زَاوِيَةَ وَقِرَايَةَ وَطَعَامِ.
عَدَى سَنِينَ وَحَرَجَ مِنْهَا فَرَحَانِي يَفْتِي فِالْعُلُومِ وَيَصَلِّي إِمَامِ.
يَا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلْنَا كِي لِيْتَامَ بَحْرَ الْعُلُومِ رَاحَ وَخَلَّا فَاَلْمَقَامِ.
آه يَبِكِي عَلَيْهِ مَنَ قَصَدُوا وَرَجَعُ هَانِي تَبِكِيكَ الْكُتُوبَ اللَّوْحَ وَلَقَامِ.
تَبِكِي عَلَيْهِ كُلَّ دِيَارِ الْعُرْبَانِي تَبِكِي عَلَيْهِ كُلَّ شَيْوُخِ الْإِسْلَامِ.
يَا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلْنَا كِي لِيْتَامَ بَحْرَ الْعُلُومِ رَاحَ وَخَلَّا فَاَلْمَقَامِ.
آه مُحَالِ بَاشَ تَنْسَى مُولَ الْبُرْهَانِي فِي كُلِّ قَلْبٍ عِنْدُوا ذِكْرَ وَمَقَامِ.
فِي كُلِّ شَبْرٍ مَنَ وَطَنِي قَبْرُوا دَانِي وَتَلَامَذَةَ تَضْوِي فِي كُلِّ غَمَامِ.

يا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلَانَا كِي لِيْتَام بَحْر الْعُلُوم رَاح وَخَلَا فَاَلْمَقَام.
 سَيِّلَكْبِير مُوَلَا السَّر الرَّبَانِي بَحْر الْعُلُوم بَحُورُوا مَا تَنْعَام.
 وَالْجُود وَالْكَرَم وَالزُّهْد وَلِيْمَانِي مُحَال مَا يُوْفِي حَقُّو نَظَام.
 يا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلَانَا كِي لِيْتَام بَحْر الْعُلُوم رَاح وَخَلَا فَاَلْمَقَام.
 آآه عُمُرُو مَسْخَرُوا مَنْ أَجَلِ الْقُرْآنِي حَتَّى إِنْ جَاوَر الْمُلْك الْعَلَام.
 وَالْيَوْم رَاه عَلَا قُطْب الزَّمَانِي وَرَحَل بَلَا وَدَاع وَمَنْ غَيْر سَلَام.
 يا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلَانَا كِي لِيْتَام بَحْر الْعُلُوم رَاح وَخَلَا فَاَلْمَقَام.
 وَالْمُوت حَقَّ وَنَزُوهُ الدُّنْيَا فَانِي مَاذَا حَبَاب فَرَقْتَهُمْ بِالتَّحْتَام.
 وَإِذَا حَلَات تَرْجَع حُدَج وَقَطْرَانِي مُحَال عِرْهَا يَا خُوتِي مَا دَام.
 يا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلَانَا كِي لِيْتَام بَحْر الْعُلُوم رَاح وَخَلَا فَاَلْمَقَام.
 مَا دَام لَأ أَنِّيَا وَلَا سُلْطَانِي لَأ فَرْق بَيْن مَحْكُومِينَ وَحُكَّام.
 حَتَّى حَبِيْبِنَا الرَّسُول الْعَدْنَانِي يَالِي مَفْضَلُوا رَبِّي عَلَى الْأَنَام.
 يا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلَانَا كِي لِيْتَام بَحْر الْعُلُوم رَاح وَخَلَا فَاَلْمَقَام.
 كِي جَاتَسَاعْتُوا وَدَعَاهُ الْوَحْدَانِي مَا دَام لَأ شَهْر لَأ سَاعَةَ لَعَام.
 يَدْرِي السَّر يَا رَبِّي يَا رَحْمَانِي وَرَحْمَ الْخَلْق يَا ذَا الْجُود وَلَكَرَام.
 يا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلَانَا كِي لِيْتَام بَحْر الْعُلُوم رَاح وَخَلَا فَاَلْمَقَام.
 آآه وَاللَّهِ يَا الْمُوَلَّا خَالَق لِكُوَانِي رَازِق الْحُوت وَلِي وَسَط الْأَرْحَام.
 إِقْبَل الشَّيْخ فِي جَنَّة الرِّضْوَانِي جَازِيهِ خَيْر عَنْ أُمَّة الْإِسْلَام.
 يا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلَانَا كِي لِيْتَام بَحْر الْعُلُوم رَاح وَخَلَا فَاَلْمَقَام.
 إِقْبَل الشَّيْخ فِي جَنَّة الرِّضْوَانِي جَازِيهِ خَيْر عَنْ أُمَّة الْإِسْلَام.
 إِرْزَق كُلُّ أَهْلُوا صَبْرُو سَلْوَانِي وَيَتَّبِعُوا طَرِيق الشَّيْخ الْهُمَام.
 يا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلَانَا كِي لِيْتَام بَحْر الْعُلُوم رَاح وَخَلَا فَاَلْمَقَام.
 وَيَحَافِظُوا عَلَيَّ ذَا الْوَرثِ الرَّبَانِي بِيَهُم الزَّوَايَةَ تَعْمَر بِالْدَوَام.
 يَا أُمَّة النَّبِيِّ الرَّسُولِ الْعَدْنَانِي عَظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ فِي هَذَا الْإِمَام.
 يا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلَى لِي مَشَا وَخَلَانَا كِي لِيْتَام بَحْر الْعُلُوم رَاح وَخَلَا فَاَلْمَقَام.

آآه وَرَحْمَ يَا اللّٰه مَن جَابِلًاوَزَانِي وَالسَّامِعِينَ لِأَقْوَالُو اِهْتِمَام.
نَظْمَ الْقَوْلِ وَلَدِ سَوِيَقَاتِ مَعَانِيحُبِّ الشُّيُوخِ نَخْرَجَ مُنُوَا لِكَلَام.
يَا سَامِعِينَ رَانِي نَبِكِي مَقْوَانِي عَلِي لِي مَشَا وَخَلَّانَا كِي لِيَتَامِ بَحْرُ الْعُلُومِ رَاحَ وَخَلَّا فَاَلْمَقَام.

يَا الْمَدَانِي زَيْنَ النُّورِ يَرْجُؤُا مَنْصَلَاوَا عَلَيْكَ (القصيدة رقم 08)

الصلوة والسلام عليك يَا الْمَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ يَرْجُؤُا مَنْ صَلَّأُوا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
يَرْجُؤُا مَنْ صَلَّأُوا عَلَيْكَ ظَاهِرَةً مَا فِيهَا تَشْكِيكَ قَدْ مَا فِي مَلِكِ الْمَلِيكِ وَلِيَدَايِرِ بِهِ الصُّورِ
الصلوة والسلام عليك يَا الْمَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ يَرْجُؤُا مَنْ صَلَّأُوا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
قَلِيلَ عَلَيْكَ لَوْ جَاتِ كَثِيرَ نِكَافِيكَ ذَا الْمَهْدِيَةِ مَهْدِيَةِ لَيْكَ يَا كَرِيمِ الشَّرْفَاءِ وَالْكُورِ
الصلوة والسلام عليك يَا الْمَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ يَرْجُؤُا مَنْ صَلَّأُوا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
قَبْلَنْ تَخْلُقَ فِي بَطْنِ أُمِّكَ فَرَشَ تَلَقَّا بِيكَ عِلْمِ الْفَانِي وَالسَّمَاوَاتِ وَسَبْعَ جُحُورِ النُّورِ
الصلوة والسلام عليك يَا الْمَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ يَرْجُؤُا مَنْ صَلَّأُوا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ
سُرُورِ.

كُنْتُ عِنْدَ اللَّهِ مَسْمِيكَ لَا نَبِيَّ قَبْلَكَ وَلَا بَعْدِيكَ وَاحِدَ لِي مَا لِيهِ شَرِيكَ صَوْرَكَ مِنْ قَبْضَةِ النُّورِ
الصلوة والسلام عليك يَا الْمَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ يَرْجُؤُا مَنْ صَلَّأُوا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ أَلْفَ وَأَلْفِيكَ عَلَى الصَّحَابَةِ وَآلِ بَيْتِكَ قَدْ مَا دَارَتْ بِيكَ قَصُورِ
الصلوة والسلام عليك يَا الْمَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ يَرْجُؤُا مَنْ صَلَّأُوا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
لَوْ دَرَكْنِي شَيْءٌ زَادَ بِنَجِيكَ نَوْصَلَ بَقْدَامِي لَيْكَ نِقَابِلَ صَبَاحِكَ وَنَمْسِيكَ مَا يَكُونُ شُورَاكَ مَحْقُورِ
الصلوة والسلام عليك يَا الْمَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ يَرْجُؤُا مَنْ صَلَّأُوا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
قَبْلَ جَبْرِيلَ خَلَقْتَ أَنْتَ وَقَبْلَ آدَمَ نَشَأْتَ أُمَّتِكَ خَيْرَ لَأُمَّتَا لِي خَلَقَهَا دُنْيَا وَدَهُورِ
الصلوة والسلام عليك يَا الْمَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ يَرْجُؤُا مَنْ صَلَّأُوا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
يَا الْمُصْطَفَى زَيْنَ الزَّيْنِ يَا حَبِيبَ اللَّهِ وَجَبْرِيلَ بِيكَ فَرَحُوحُورَاتِ الْعَيْنِ ضَيْفَتِكَ جَنَّاتِ الْحُضُورِ
الصلوة والسلام عليك يَا الْمَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ يَرْجُؤُا مَنْ صَلَّأُوا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
يَا النَّبِيَّ سَيِّدَ الثَّقَلَيْنِ لَوْلِيْنَ مَعَ الْآخِرِينَ نَخَاتِمِ إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ هَكَذَا فِي الْحَقِّ الْمَشْهُورِ
الصلوة والسلام عليك يَا الْمَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ يَرْجُؤُا مَنْ صَلَّأُوا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
الصَّلَاةَ عَلَى مُوَلَا الْبُورَاقِ قَدْ مَا فِي مَلِكِ الْخَلَّاقِ وَالسَّجَرِ يَنْعَدُ بَلُورَاقِ فِي مَسَاكِنِ جَنَّاتِ الْحُورِ
الصلوة والسلام عليك يَا الْمَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ يَرْجُؤُا مَنْ صَلَّأُوا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
قَدْ مَا صَلَّأُوا الْعُشَاقَ وَالْقَلَمَ وَلِلْوَاخِ وَلَطَبَاقِ وَالْمَلَايِكَةَ تَقْسَمُ لِرِزَاقِ سَايِرَةِ عَلَى طُولِ الْعُمْرِ
الصلوة والسلام عليك يَا الْمَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ يَرْجُؤُا مَنْ صَلَّأُوا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ

قَدْ مَدْحُوكَ أَهْلَ التَّحْقَاقِ بِلِخْلُوفٍ مَعَ بُوَلَطْبَاقِ كَنَانِي أَنَا وَيَاكَ إِتْفَاقِ المَوْكَلِ مَا هُوَ شِ غُرُورِ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا المَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَرَبِّجُوهَا مَن صَلَّاهَا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
 بِلِمْحَبَّةِ تَعَمَّرَ لَسُوقِ كُلِّ حُبِّ حَبِيبِهِنْدَاقِ لِنَظْرَةٍ فِي القَلْبِ وَلِرِمَاقِ نَحْمَدُ اللهَ حَمْدًا شَكُورِ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا المَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَرَبِّجُوهَا مَن صَلَّاهَا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
 المِحْبَةِ تَبْغِي المِيثَاقِ وَأَهْلَهَا يَزُكُّوا بِالتَّصَدَاقِ شَاشَ طَبَّ القَلْبِ إِيْلًا ذَاقَ فِي مَقَامِ المَحْبُوبِ يُزُورِ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا المَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَرَبِّجُوهَا مَن صَلَّاهَا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
 مَا بَعَا قَلْبِي التَّفَرَّاقِ كُلِّ يَوْمٍ يَزِيدُ التَّشْوَاقِ شَاشَ وَأَلْحَشَ عَلَيَّ مَن طَاقَ يَا طَيِّبَ القَلْبِ المَضْرُورِ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا المَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَرَبِّجُوهَا مَن صَلَّاهَا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
 إِخْتَمَ صَلَاتِكَ بِالجَمَلَةِ عَلَيَّ مَا فِي مُلْكِ المَوْلَى وَمَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى لِي رَفَدَهَا عَلَيَّ قَرْنَ الثُّورِ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا المَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَرَبِّجُوهَا مَن صَلَّاهَا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
 الحَمَلَةَ لِي هَبَطَ مَنهَا مَا وَكَلَى يَا السَّامِعِ يَنْشُدُ لِيْنَا صَلَّاتِ مُحَمَّدَ تَكْتَرُ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا المَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَرَبِّجُوهَا مَن صَلَّاهَا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
 قَدْ مَا كَسَبُوا المَوْلَا والحِجَارِ وَعَدَادِ الرَّمْلَةِ وَمَاخِفَاتِ لَأَ مَسَالَةَ وَرِيْشِ مَن طَارُوا بِبِهِ طَيُورِ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا المَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَرَبِّجُوهَا مَن صَلَّاهَا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
 قَدْ مَا خَطَّ البَسْمَلَةَ وَحُرُوفِ النِّيَّةِ والحَيْلَةَ هَدِيَّتِ إِمَامِ الفُضْلَاءِ حَبِيبِ اللهِ سِرَا وَجَهُورِ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا المَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَرَبِّجُوهَا مَن صَلَّاهَا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
 الصَّلَاةِ عَلَيَّ النَّبِيِّ العَدْنَانَ قَدْ مَا فِي المُلْكِ وَلَرَّكَانِ وَمَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ وَالْعَزْمِ وَأَلْمَلِكِ يَدُورِ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا المَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَرَبِّجُوهَا مَن صَلَّاهَا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
 قَدْ حَقَّ كُتُوبِ القُرْآنِ وَمَا نَزَلَ فِيهِ مَنْتَفَنَانَ الفُرْقَانَ وَمَن كَرَّمَ ذَاوُدَ بِالزَّابُورِ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا المَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَرَبِّجُوهَا مَن صَلَّاهَا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
 مَنِينَ زَادَ شَفِيعِ الأُمَّةِ فَرَحَتِ بِيَةِ الأَرْضِ مَعَ السَّمَاءِ فَرَحَتِ النَّاطِقِ وَالبِكْمَةِ وَزَخْرَفَتِ كُلَّ أَنْوَاعِ الشَّجُورِ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا المَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَرَبِّجُوهَا مَن صَلَّاهَا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
 نَزَلَتْ عَلَيْهِ العِمَامَةَ وَجَاتِ مَن لَبَعَادِ حَلِيمَةَ وَجَاوَهَ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَةِ يَحْمَدُوهَا بِتَسْبِيحِ الطُّيُورِ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا المَدَانِي زَيْنَ النُّورِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَرَبِّجُوهَا مَن صَلَّاهَا عَلَيْكَ أَلْفَ فَرَحَةٍ وَأَلْفِينَ سُرُورِ
 جَابَلَهُ رَضْوَانَ اللَّبْسَةِ وَجَابَلَهُ جَبْرِيلَ الطَّاسَةَ المُلْكِ مَا خَصَّتْ خَصًّا وَجَاتِ لَمَلَاكِمَعَاهُ تَزُورِ

الصلوة والسلام عليك يا المداني زين النور الصلاة والسلام عليك يربحوا من صلوا عليك ألف فرحة وألفين سرور
 حابدوا من قبله الناقصة الشياطين الوسوسة كي... عالم ما في الصدور

الصلوة والسلام عليك يا المداني زين النور الصلاة والسلام عليك يربحوا من صلوا عليك ألف فرحة وألفين سرور
 يا بنادم ربي وصي على الزكاة والصلاة الخمسة عس نفسك بالعساسة بحال خوف النجع المنصور

الصلوة والسلام عليك يا المداني زين النور الصلاة والسلام عليك يربحوا من صلوا عليك ألف فرحة وألفين سرور
 يا بنادم تاقى مولك يا بلغفلة الواد داك والقبر وحسابه يربحاك يا النائم وأنت المغرور

الصلوة والسلام عليك يا المداني زين النور الصلاة والسلام عليك يربحوا من صلوا عليك ألف فرحة وألفين سرور
 يا النبي زين الحالة بعيت تلبس عندك حلة دار منختيار النزلة على يمين مقامك محجور

الصلوة والسلام عليك يا المداني زين النور الصلاة والسلام عليك يربحوا من صلوا عليك ألف فرحة وألفين سرور
 يا الله منصابو ومن صاب يا كريم تكافي لطلاب ما يشوف المداح عذاب لي يسلك منكرو ونكير

الصلوة والسلام عليك يا المداني زين النور الصلاة والسلام عليك يربحوا من صلوا عليك ألف فرحة وألفين سرور
 يا حبيب الله المختار ولد بلخير بعى التحرار والدنيا والحضار ديرلهم في العز قصور

الصلوة والسلام عليك يا المداني زين النور الصلاة والسلام عليك يربحوا من صلوا عليك ألف فرحة وألفين سرور
 دير لي دار في التخييار كي الشاري بألف الدينار عار ورميت عليك العار في الخلود مقامي محجوز

الصلوة والسلام عليك يا المداني زين النور الصلاة والسلام عليك يربحوا من صلوا عليك ألف فرحة وألفين سرور

قصيدة المراكشي (كرامات الشيخ بوعمامة) (القصيدة رقم 09)

كلام سيدي كلام ضريف جميل ما نهدي عندي ملامة
الراكب فوق السبع ماهوش ذليل ومن خالط سلطان يدمي
بين كتافي كان ضاقت الشيخ الطويل زاهي بيه شنا وهمة
ومن عرض الدنيا ضوأو فوقي قندييل حرمة سيدي يا الفهمة
إديتوني لي ما يوروهش للكيد واجبت من اليافوت عرمة
غرست جناني على ساقية السيل لا خضرة لا كاف في الماء
رزقني ريشبوب بنائه لي نسوق الربح بلا ندامة

برم يا سيدي عليا يزهي القلب لي محير وأنا نبغي مزية الشيعة فوق من الظاهر
أنتايا محسوب ليا ونحسبك في العيتنعر ندهت بيك لا ولية ولدها كودام يزر
درت سبع ماء دهمية من كل فكايأ مخير رسلت حرطاني خفية و كلم سيد الشيخ يفظر
ثم لعيت على قطايا (الروحانية نتاع الشيخ) كوني ولي كان يحظر.

فوق الناس نبغي ثنايا ولي نظرها مخير
ولآت مهايا ثنايا لمول لقباب تصدر
لخيرة ولا الدنيا ونبغي في الجنة محرر
ويجي ولدك يامهايا يحضر في الميعاد ساير
فوق الناس نبغي ثنايا وإلى نرضاها مخير
شبوب العالي معايا وين ما نغدى منور

نار حبيبي شاعلة في القلب شعيل كي الدليل بلا خدامة
حُب العالي جاب للقرض تخلخيل راحل ونجوعي مقيمة
يا راحل البيضة العار عليك دخيل لا تحافيني بكلمة
إلى ينسى صاحبوا ماهوش رجيل لا نعة لا نيف زعمة
حتى أنا دايرك في المال وكيد وزراقك في البيت قسمة

نبغي رزقي ما يفارقني شي صيل وتقتت بالمال ديمًا ترها لي ليام ومراكب الخيل ما نتعب حتى بخدمة

يحضني رزقي كي خيالي وين نميل وين غديت يكون ثمة
وعدت المراكشي ليها تاويل ولزم يقصد سيد لأمة
ورزقوا ربي سباب المرض طويل ثم عطل بهلاك حمة
غداو الحجاج وهدأو القليل وولاده و نساها حرمة

مِنْ بَرَا مَا لَقَا لِلشَّرْقِ دَلِيلَ عَمَدٍ وَ قَصَدَ بُوعَمَامَةَ
 مِنْ وَسَطِ أَلْبَلِ جَاءَ وَ دَخَلَ نُصَ اللَّيْلِ وَ رَقَدَ عِنْدَ كِرَاعِ بَكْمَةَ
 نُطَقَلَهُ سَيِّدِي، اللهُ، مَا هُوشَ بِخَيْلِ عُمْرُكَ لَا تَرَكَ بِجَشْمَةَ
 الْحَاجَةَ لِي جِيتَ تَقْضَاتِ قَبِيلِ... وَرَبِّي يَرْجِي كُلَّ غَمَّةِ
 تَلَقَّوْا لَتْنَيْنِ فِي حُكْمِ الْجَلِيلِ رَبِّي عِلْمٌ غَيْرُ هُوَمَا
 رَفَدُوا عَلَى الشَّهْبَةِ الْخَطْوَةَ فِيهَا مِيلٌ مَا هِيَ خَفَتَهَا حَمَامَةَ
 رَفَدُوا عَلَى الشَّهْبَةِ وَ سَارَتْ وَ عَدُّوا صَاحِبَ الشَّفَاعَةِ
 دَأْتُوا عَوْضَ الْمَنَعَتِ مَا شَافَ لِسَيِّدِي جَمَاعَةَ خَفَاتِ مِنَ الْعَيْنِ خَفَةَ
 عِنْدَ النَّبِيِّ غَيْرَ سَاعَةَ
 رَاكِبَهَا تَسْعِينَ يَوْمَ عَدَادٍ بِجَيْلٍ ثَلَاثَةَ شَهْرٍ عِنْدُوا مَقَامَةَ
 يَسْتَنِّي فِي خَاوُتُوا وَ نَهَارَ فَضِيلِ ثَمَ لَقَا لِحَبَابِ ثَمَّةِ
 قَالُوا لَوْ نَسَوْنَاكَ سَوَالِ هَبِيلٍ وَ حَنَا خَلِينَاكَ ثَمَّةَ قَالَهُ مِنْ رَجُوعِ سَلِيلِ رَحَالِ الْخَيْلِ حَتَّى نَعُودُوا فِي السَّلَامَةِ
 الْمَرُو لِي جَابِنِي رَقَبَةَ وَ رَجِيلَ عَزَّ مِنْ لِي جَابَتِ أَمَا.
 رَاكِبَ بَيْضَةَ قَاوِيَةَ فِي بَحْرِ النَّيْلِ هَلَكُوهَا مُوجَاتِ فِي الْمَاءِ
 رَكَابَ عَلَيْهَا يَوْضَحُ كِي الْقَنْدِيلِ وَ لَا يَشْعَلُ كِي النَّجْمَةِ
 حَتَّى هِيَ صَافِيَةَ مِنَ النَّعْتِ سَهِيلِ وَ الرَّمَاحِ مَعَ كَمِيمَةَ
 مُوَلَاهَا لَبَدَا عَلَى لَعْقَابِ شَلِيلِ مَتَحَلِّي مُوَلَا قِيَامَةَ
 خَلَطُوا رَاعِي الشَّهْبَةَ صَابُوا يَتَنَّى لَوْعَدُوا طَافَ الْبَيْتِ مَعَ الْكَعْبَةِ وَ قَبَضَ الشَّبَاكَ بِيَدُوا...
 لِيَامَ لِي هِيَ صَعْبِيَةَ بِسَبَابِ الرُّسُولِ سَعَدُوا وَ الْعَالِيِ مُوَلِ الْحَبَّةِ شَدُّوا ثَمَّةَ مَقِيمِ عِنْدُوا
 سَيِّدِ الْحَاجِ بَعَا بَهْبَةَ تَوْحَشَ وَ هُوَ وَ لَادُوا وَ نُجُوعُوا يُولُوا غَرَابًا مَرَاكَشَ هِيَ بِلَادُوا
 حِينَ لَقَا ثَمَّةَ الطُّلْبَةَ قَالُوا لَوْ ذَا الرَّأْيِ عِيدُوا جَبَدَهُمْ عَنَوَانَ كِتَبَةَ مِنْ كَاغَطِ مَكَّةَ بُجُودُوا
 قَالُوا ذِي الشَّيِّ مَشْيِي كَذِبَةَ وَمَا شَفْنَا مِنْ طَافَ وَ حَدُّوا قَالِ لَهُمْ مَا هَيْشَ كَذِبَةَ رَاهِ رَبِّي دَارِي بَعْدُوا
 وَإِذَا قُلْتُوا غَيْرَ كَذِبَةَ وَ لَغَائِبِ حَضَرُوا شَهُودُوا وَ قَتِ الظُّهْرِ الشَّيْخِ يَتَوَضَّى بَعْغِيلِ وَ جَهُّوا
 عَادَ يَسِيلُ بِالْمَاءِ سَمِعَ سَيِّدِ الْحَاجِ بِكَيْوَا زَادَ زَعِيلِ مَاخَلَاوَهُ غَدَا لِحَيْمَةَ
 خَلَطَ لِلطُّلْبَةَ لِقَاهُمْ فِي التَّبْدِيلِ وَقَطَعَ بِيَهُمْ بَيْرَ ظَلَمَةَ

بِعَيْنِي شَفُّتُوا مَعَ النَّبِيِّ وَصِيْلَ كَيْفَاهُ تَقُولُوا أَنْتُمْ مَأْ

رَضَاوَا الطُّلَبَةَ بِسَيِّدِ الْحَاجِّ وَكَيْلِ لِلْعَالِي يَعْطُوا الخِدْمَةَ

يَا عَالِي الْجُودَانَ الْوَحِيدَ الْجَلِيلَ كَيْفُوا تَرْزُقْنِي الْحُرْمَةَ

جَبْنَآلِكَ فِي الْجَاهِ حَمَزَةَ وَالْفُضَيْلَ وَلِي رَبَّآثُوا حَلِيمَةَ

جَبْنَآلِكَ فِي الْجَاهِ مِنْ قَرَأُوا كُتُبَ الْخَلِيلِ وَلِي يَسْقُوا بِهِ كُرْمَةَ

أَهْلِي وَسَهَارِي مَعَ الْقُصَارِ حَمِيلٍ مِنْ وَحْشِ الْمَحْبُوبِ مَا تُرْقُدُشِ اللَّيْلَ نَتَعَدَى بِشَنَاهِ دِيمَا وَاش يَرْضِي بُوعَمَامَةَ

جزء من متن الياقوتة (القصيدة رقم 10)

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

بدأت بحمد الله قصدا لنجح ما أروم من استفتاح نظم القصيدة وأهدي صلاة وسلاما ثم وأزكى تحياتي على المجتنبى الهادي شفيع البرية.

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

صلاة وتسليما كثيرا مجددا إحاطة علم الله في كل لحظة وبعد ففضل الله يؤتية من يشاء. بمحض تفضل ومن ورحمة لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

ومهما اجتنبى عبدا سعيدا لقربه فخيره وذاك ليس لعله ويمنع من ينسأه جلي بعدله ويحرم فيض الفيض من غير قلة لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

ولما رأيت القوم جدوا في سيرهم إلى المقعد الأسمى بصدق العزيمة جرت للتأسي نفسي ثم تعلقت بأنياب أرباب النفوس الأبية.

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

وحامت على حماهم ثم خيمت بقرهم فزاحتهم لشركة ولما تفاوضنا مشى بيننا برمنا عقود من عهود وثقة لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

تبايعنا بيع البت ليس كبيع من يرى المخزى ثم يتشيبا لإطالة فصرنا وصار حلف صدق ودنا وداد المهابة يداوي الصدور السليمة.

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

وبعد تعاطينا... نبتغي فنون العلوم يا لها من عطية فلما أدير الأباريق بيننا من الشوق تتلوها كؤوس المحبة لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

ونحن نشوانا نتقي شرب خمرها بكلتا اليدين في الأواني المعدة وحين انتهى بنا الشراب على النبي قضاه لنا الرحمن وفق المشيئة.

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

سكرنا وهمنا في الشراب وبينما أنا في حال غيبة وإفاقة دعيت هلم فاستمعت ندائه فلبيته أيضا بحسن الإجابة لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

وأداني منه إذ فهمت مراده وغاب مرادي كله في الإرادة وأشهدي عوالم الخلق كلها وخيري فاخترته دون مرية

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

فنيث فلم يغني الفنا عن بقائنا وليس البقاء حاجبا عن فنايتي ولا الفرق حاجب لاجتماعنا ولا الجمع ...

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

فكن مقتدي بنا وثق في كلامنا وجد في سيرنا تفز بالمودة فإنني عبد القادر بن محمد سليل أبي الربيع نفذ السماحة

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

فإنني عبد القادر بن محمد سليل أبي الربيع السماحة ولا فخر غير أنني عبد لقادر وأحمد ذو الحسن أقوى وسيلة

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله شفيعنا رسول الله

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله خاتمها رسول الله

تَهْدِمُ صُورَ فَرْنَدَةَ (القصيدة رقم 11)

تَهْدِمُ صُورَ فَرْنَدَةَ وَفَرُّوا مَنَّهُ الْكُفَّارُ
لَا دَوِيَّ قَدَالٍ وَلَا الْكِرَامِدَةَ مَا بَقِيَ فِيهِ إِلَّا الْجِدَارُ
مَا أَسْوَدَ ذَاكَ النَّهَارَ رُؤُوسَ وَفَرَائِسَ مَتَطَايِشَتَهُ
جِيُوشَ تَأْكُلُ فِي الْعَبَارِ حَسَدَهَا ظَلَامَ الْعَيْشَتَهُ
أَحْصِنَتَهُ تَصْهَلُ رَائِيَةً فِي الْوَعْرِ وَسَيُوفَ رَاوِيَةً مَتَقَارَنَتَهُ
السَّمَاءُ لَهَبَتْ فِيهِ النَّارَ وَالشُّوفَ غَابَ عَلَيَّ لَبَّارُ
لَحِقَتْ جِيُوشُ بِنِ زَمَارٍ مَعَ رَجَالِ الْمَعْلَقَةِ لَتَزُمُوا
حَطْمُ وَقْدَالِ بَنِي الْأَنْصَارِ وَعَلَى جِبَالِ تَأْفَرَنْتَ هَجَمُوا
تَعَقَّدَتْ حَيُولَ وَرَمُوحَ وَبَشَرَ وَالْمِيْزَ عَلَى الْعَيْنِ تَلَفُ
مَا يَنْفَرُزُ مَهْزُومٍ مِنْ مُنْتَصَرَ شَيْءٍ مَفْتُولٍ وَشَيْءٍ حَيٍّ مَكْتَفُ
دِرَقَتْ جِبَالُ سَوَارِ اللَّيْلِ لَا قَمَرَ فِي السَّمَاءِ وَلَا نُجُومَ ظَهَرَ
وَبِالزَّغَارِيدِ وَالْمَصَابِيحِ وَالْقَنَادِيلِ انْظُمُوا جَيْشَنَا لِمَعْسَكِرُ

(القصيدة رقم 12)

هذه منظومة على الشيخ بوعمامة نظمها المقدم السيد المهناي من أولاد سيد الشيخ (في عشرين رمضان المعظم بعد وفاة الشيخ بوعمامة عام 1326)¹

عزوني يا الناس في سيدي العربان

عزوني يا الناس في سيدي العربان	عزوني يا الناس في سيدي العربان
تبكي عيني عليه ما طال الزمان	تبكي عيني عليه ما طال الزمان
تبكي عيني اعليه مفتاح البيان	تبكي عيني اعليه مفتاح البيان
تبكي الأرض والسما والحيوان	تبكي الأرض والسما والحيوان
تبكي الوحوش والطيور مع الحيتان	تبكي الوحوش والطيور مع الحيتان
من فقدك يا الشيخ بوعمامة ادخلها خدلان	من فقدك يا الشيخ بوعمامة ادخلها خدلان
طيب قلبي على الهيب بلا نيراني	طيب قلبي على الهيب بلا نيراني
مثل المطعوم شارب الدادا وسكرا	مثل المطعوم شارب الدادا وسكرا
بعد غطايا اصبحت من الستر عريان	بعد غطايا اصبحت من الستر عريان
بعد نزوهي اصبحت في حالت لخران	بعد نزوهي اصبحت في حالت لخران
مانرقد على قفأي في الأمان	مانرقد على قفأي في الأمان
ما نحرث ما انجوع من فضله شبعان	ما نحرث ما انجوع من فضله شبعان
ما نأذر ما انخاف من هم العديان	ما نأذر ما انخاف من هم العديان
في وقته نحسب ولد السلطان	في وقته نحسب ولد السلطان
واليوم ايتيم اعدم قليل الاجفان	واليوم ايتيم اعدم قليل الاجفان
جوهره الدين بايت في الأكفان	جوهره الدين بايت في الأكفان
لوشتم بما افعل بشيين الديوان	لوشتم بما افعل بشيين الديوان
انشاهدمذا افعل الشيخ	انشاهدمذا افعل الشيخ
اعياوا يحاربوه بمحال الجرذان	اعياوا يحاربوه بمحال الجرذان
عزوني وعنايتي ومفتاح أورادي	عزوني وعنايتي ومفتاح أورادي
طول الحياة والدموع على نخدي	طول الحياة والدموع على نخدي
ركن الرحمة إلي على الخير ايهادي	ركن الرحمة إلي على الخير ايهادي
وتجوبها جبال بالنواح اتصادي	وتجوبها جبال بالنواح اتصادي
والدواب أصناف كل جميع مع الفردي	والدواب أصناف كل جميع مع الفردي
ييس نباها اشوايف واقعادي	ييس نباها اشوايف واقعادي
ساكنلي في الضمير مشاعا له قادي	ساكنلي في الضمير مشاعا له قادي
سم اثعابين قاطع اوصال اكبادي	سم اثعابين قاطع اوصال اكبادي
ما نعرف وشت اهداف سل اوسادي	ما نعرف وشت اهداف سل اوسادي
مالي تدبير كيف نعمل يا وعدي	مالي تدبير كيف نعمل يا وعدي
من ورثني ابلاد من غير ابلادي	من ورثني ابلاد من غير ابلادي
ما عندي غير نظرتة هي زادي	ما عندي غير نظرتة هي زادي
ما نرحل ما انطول اشقى بولادي	ما نرحل ما انطول اشقى بولادي
في المملكي وزير تحت حرم سيدي	في المملكي وزير تحت حرم سيدي
محقوق الناس نطلب اللقمت في ايدي	محقوق الناس نطلب اللقمت في ايدي
وأنا ما جبت خبر يا تكمادي	وأنا ما جبت خبر يا تكمادي
لو كنت يوم قري واخبر فندي	لو كنت يوم قري واخبر فندي
بوعمامة بالمرشالاليوتي	بوعمامة بالمرشالاليوتي
لا عبرة ليه ذا القنيس اليهودي	لا عبرة ليه ذا القنيس اليهودي

¹ - زوزو عبد الحميد: ثورة بوعمامة (1881-1908)، جانبها السياسي (1883-1908)، الجزء الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983. ص 125-129.

اعياؤ يرودوه يعطيهم الأمان	قال لهم يهلا كم من برودي
اعياوا يرودوه بثقيل الثمان	قال لهم شهدوا وخذوا ما عندي
مثله علال بوجدرة مول السرحان	ضرار ولا نمثله والمقدادي
ابن الوليد خالد الصيد الفتان	سيف الله في المصادمة كالأسدي
عبد الله بومنادهزام الخزيان	ابن جعفر عليه اوت تنشادي
لو حضر في زمانهم ليه الرجحان	شيخ السلوك من عليه اعتمادي
يا مول الزاوية طعامك للجيغان	في الشدة والرخاء وادوام الأبدى
عنده فقرة ضراف في الحضرة فرسان	أصحاب التربية على الامام الجنيدي
مثل اسمحات راكبين على الربعان	والهمة واسلاح من كلش يقدي
مثل المجدود واسطار بالميزان	وأركاب جديد فات نجمت بالهادي
ايجوه الورددين من بر السدان	واتجيه لركاب امن اطرا في وازيادي
وايجوهالزاييرين من عرش احميان	واتجى لعمور لشيخ كلش يهدي
واتجيشعنب الشايب كي الشبان	أهل النية ذاك جأي أو ذاك غادي
جال منيعي واجريري والعطون	واتجى لركاب شامي والبغدادي
بسقها كامل الفصل فايض الايمان	واللي جاشي على فضل يدي
دخلت عليك بارجال اهل العرفان	هاذوك الشارين كاس الودادي
تضمني ما انخاف يا سيد الضمان	كيفاش انخاف انا انخاف وانت رفادي
بجاهك ما انكون عند الله حشمان	كي نتمان يكون لي مرادي
يفتح لي اقصور ننضر في الجنان	فاحت عنى اروايح المسك الجدى
بستقيني ليلة نروحلة عطشان	مالي والناس في اظلام الا وحدي
ولده الطيب كامل الدين وحسان	واطرق بيت الرشاد كالامام الجندي
أوت الحكمة اصغير في حال الشبان	منها حكما تب الفين أهل الوجدي
سبحان اللي اعطى الحكمة للقبان	اصل الحكمة يورثه وفق العهدي
كلي ما كان في المجالس بين لخوان	اعلى الكرسي ايخاطب بمحدث الهادي

كلي ما كان في اسر سير القومان
تبكي عيني للبعمامة طول ازمان
افرقه راه زاد لي للقلب احمان
والصلاة اعلى النبي طه العدنان

اعلامه لجهاد قادم للهادي
تبكي عيني اعلى مدكس ميعادي
وافراقه راه حرم انعاس رقادي
والسلام اعليك يا المصطفى الهادي

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المراجع والمصادر:

قائمة القواميس المعاجم والموسوعات:

1. أنابيل موني بيتسي ايفانز: "العولمة المفاهيم الأساسية" ترجمة أسيا دسوقي، إعداد الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، 2009.
2. أندرو إدجار، بيتر سيدجويك، ترجمة هناء الجوهري، محمد الجوهري، "موسوعة النظرية الثقافية، المفاهيم والمصطلحات الأساسية"، الطبعة الثانية، المركز القومي للترجمة، القاهرة مصر، 2014.
3. أوزوالد ديكر، جان ماري سشافير، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عباس، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2007.
4. إيكهيو لتكرانس، "قاموس مصطلحات الأنتولوجيا والفلكلور"، ترجمة محمد الجوهري، حسن الشامي، دار المعارف، الطبعة الأولى، مصر، 1976.
5. باتريك شارودو، دومنيك مغنو؛ "معجم تحليل الخطاب"، ترجمة المهيري عبد القادر، صمود حمادي، المركز الوطني للترجمة تونس، منشورات دار سيناترا، تونس، 2008.
6. بن فارس بن زكرياء أبو الحسن أحمد، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، المجلد الخامس دار الجليل، 1991.
7. بيار بونت وميشال إيزار وآخرون، "قاموس إثنولوجيا أنثروبولوجيا"، ترجمة مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع مجد، الطبعة الثانية، بيروت لبنان، 2011.
8. جوردون مارشال: "موسوعة علم الاجتماع"، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المجلد الأول، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة)، الطبعة الثانية، مصر. 2008.
9. حسن شحاتة، زينب النجار، حامد عامر، "معجم المصطلحات التربوية والنفسية"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة مصر، 2003.
10. حمدان محمد: "معجم مصطلحات التربية"، دار كنوز المعرفة، الطبعة الأولى، عمان الأردن، 2006.
11. خياط يوسف، "معجم المصطلحات العلمية والفنية"، المجلد السابع، دار الخليل، دار لسان العرب بيروت، لبنان. 1995.
12. ريمون بودون وف بوريكو: "المعجم النقدي لعلم الاجتماع"، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة، الجزائر، 1986.

13. سمير كرم، "الموسوعة الفلسفية"، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى، بيروت لبنان، 1974.
14. شارلوت سمور سميث، "موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية"، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع تحت إشراف محمد الجوهري، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 1998.
15. شاكر مصطفى سليم، "قاموس الأنثروبولوجيا"، (إنجليزي عربي)، الطبعة الأولى، 1981.
16. صليبا جميل: "المعجم الفلسفي"، الجزء الأول، الشركة العالمية للكتاب، بيروت لبنان، 1994.
17. طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس: "مفاتيح إصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع"، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، سبتمبر 2010.
18. عبد الحميد يونس، "معجم الفلكلور" (مع مسرد إنجليزي عربي)، القاهرة، مصر 1982.
19. عبد المنعم حنفي، "الموسوعة النفسية علم النفس والطب النفسي"، مكتبة مدبولي، مصر، 2003.
20. القيس نايف نزار، "المعجم التربوي وعلم النفس"، دراسة أسامة، عمان الأردن، 2006.
21. الكافي عبد الفتاح إسماعيل، "معجم المصطلحات عصر العولمة (مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية نفسية وإعلامية)" الثقافية للنشر والتوزيع، 2003.
22. لسان العرب لابن منظور. تحت إشراف على عبد الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر.
23. لطيف زيتوني "معجم مصطلحات نقد الرواية"، عربي إنجليزي فرنسي مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت لبنان، 2002.
24. م. روزنتال، ب. يودين: "الموسوعة الفلسفية"؛ ترجمة سمير كرم: دار الطليعة بيروت، لبنان، 1987.
25. معجم العلوم الاجتماعية مجمع اللغة العربية القاهرة مصر 1975.
26. المعجم الفلسفي، تحت إشراف مجمع اللغة العربية، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة مصر، 1983.
27. المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، تحت إشراف منى شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، مصر 2004.
28. معن خليل العمر، "معجم علم الاجتماع المعاصر"، دار الشروق، عمان الأردن، 2000.

29. الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1999.

30. هادي العلوي، "من قاموس التراث الأهالي للطباعة النشر والتوزيع، العراق، 1988.

31. وجدي فريد محمد: "دائرة معارف القرن العشرين"، المجلد العاشر، دار الفكر، بيروت بدون سنة نشر.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم الحسين: "الشفوي والبصري في الموروث الأدبي والجمالي الحساني"، سلسلة أبحاث، منشورات وزارة الثقافة المغرب، مطبعة دار المناهل، الرباط المغرب، 2010.
2. ابراهيم نبيلة: "قصصنا من الرومنسية إلى الواقعية"، دار العودة، بيروت لبنان، 1974.
3. أركون محمد، ميلا جوزيف: "من منهاتن لبغداد، ما وراء الخير والشر"، ترجمة عقيل الشيخ، دار الساقى، بيروت لبنان، 2008.
4. أنجس مورييس: "منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات علمية" ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصة، الجزائر، 2004.
5. أوجيه مارك، بول كولانين: "الأنثروبولوجيا"، ترجمة جورج كتورة، سلسلة نصوص، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، 2008.
6. بارث رولان: "الكتابة في الدرجة صفر"، ترجمة محمد نديم، 2002.
7. بنكراد سعيد: "السيمائيات؛ مفاهيمها وتطبيقاتها"، الطبعة الثانية، دار الحوار للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 2005.
8. بوبريك رحال: "بركة النساء، الدين بصيغة المؤنث"، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010.
9. بوتفوشت مصطفى: "العائلة الجزائرية التطور والخصائص"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
10. بوحبيب حميد: "مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجية"، دار الحكمة، الجزائر، 2009.
11. بوحدية عبد الوهاب: "الإسلام والجنس"، ترجمة هالة العوري، الطبعة الثانية، رياض ريس للكتاب والنشر، مكتبة مدبولي القاهرة، مصر، 2001.
12. بورايو عبد الحميد: "الأدب الشعبي الجزائري، دراسة في أشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر" دار القصة للنشر، الجزائر 2006.

13. بورديو بيار: "أسباب عملية، إعادة النظر بالفلسفة"، دار الأزمنا الحديثة، الطبعة الأولى، لبنان بيروت، 1998.
14. بورديو بيار: السلطة والرمز، ترجمة عبد السلام بن عبد علي، دار توبيقال، الدار البيضاء-المغرب، 1986.
15. بوشارب شرفي فوزية: "سيكولوجيا القيل والقال، تحليل نفسي واجتماعي لممارسات اجتماعية شفوية" دار هومة للطباعة النشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
16. بوغازي الطاهر: "القيم التربوية مقارنة نسقية"، الطبعة الأولى، منشورات الحر، بني مسوس الجزائر، 2010.
17. بيومي محمد أحمد: "علم الاجتماع القيم"، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002.
18. جسوس سمية نعمان: "بلاشومة، الجنسانية النسائية في المغرب"، ترجمة عبد الرحمن حزل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2003.
19. جلاوجي أحمد: "أشعار شعبية من قبائل جرجرة، قراءة نقدية لكتاب هانوتو"، دار زرياب، الجزائر، 2001.
20. جويلي محمد: "الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي"، دار سيرار للنشر والتوزيع، تونس، 1992.
21. حسين موسى: "ميشال فوكو، الفرد والمجتمع" المكتبة الفلسفية، دار التنوير للطباعة النشر والتوزيع، تونس، 2009.
22. حفناوي بعلي: "مدخل إلى نظرية النقد الثقافي المقارن، المنطلقات، المرجعيات، المنهجيات" منشورات الاختلاف (الجزائر)، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت لبنان)، الطبعة الأولى، 2007.
23. حمدوش رشيد: "مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة، إمتدادية أم قطعية؟ دراسة ميدانية مدينة الجزائر نموذجاً توضيحياً"، دار هومة للطباعة النشر والتوزيع الجزائر، 2009.
24. حنفي بن عيسى: "محاضرات في علم النفس اللغوي" الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
25. حنفي بن عيسى: "محاضرات في علم النفس اللغوي"، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

26. حيمر عبد السلام: "التمثلات في سوسولوجيا الخطاب؛ من سوسولوجيا التمثلات إلى سوسولوجيا الفعل"، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008.
27. خليل أحمد خليل: "علم الاجتماع الخيال وفلسفة الخيال"، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1996.
28. خواجه أحمد: "الذاكرة والتحويلات الاجتماعية من مرآة الأغنية الشعبية، حالة تونس الحاضرة قبيل الحماية أثناءها وبعدها"، منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس 1998.
29. دوتي إدموند: "الصلحاء؛ مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر"، ترجمة محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014.
30. رابح لحسن: "أضرحة الملوك النوميديين والمور"، دار هومة، الجزائر 2007.
31. ريكور بول: "من النص إلى الفعل، أبحاث في التأويل"، ترجمة محمد برادة، حسان بورقية، منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 2001.
32. الزاهي فريد: "الجسد الصورة والمقدس في الإسلام"، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999.
33. زرواتي رشيد: "مناهج البحث في العلوم الاجتماعية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، الجزائر، بدون سنة نشر.
34. الزياتي عز الدين: "التواصل اللفظي والتواصل غير اللفظي" دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، 2008.
35. زياد محبك محمد: "من التراث الشعبي، دراسة تحليلية للحكاية الشعبية"، دار المعرفة بيروت لبنان، 2005.
36. سعدي محمد: "الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق"، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.
37. سعدي محمد: "التشاكل الإيقاعي والدلالي في نص المثل الشعبي الجزائري"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
38. سيد الرفاعي: "المأثورات الشعبية؛ النظرية والتأويل"، الناشر المدى، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، 2005.
39. سيغموند فريد: "الطوطم والحرام"، ترجمة: جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان.
40. شابحة بذاك: "الممارسات السحرية للمجتمع القبائلي"، منشورات دار السعادة، الجزائر.

41. الشاذلي المصطفي: "الحكاية الشفوية بالمغرب وفي بلدان المتوسط"، منشورات زاوية لفن والثقافة، المغرب، 2009.
42. شبال عبد الملك: "الجنس والحريم روح السراري، السلوكات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير"، ترجمة عبد الله زارو، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010.
43. شتا علي: "نظرية الدور والمنظور الظاهري لعلم الاجتماع" مطبعة الإشعاع مصر، 1999.
44. صلاح محمود علام: "القياس والتقويم التربوي والنفسي، أساسياته وتطبيقاته وتوجيهاته المعاصرة"، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، 2000.
45. طلعت إبراهيم لطفي: "أساليب وأدوات البحث الاجتماعي" دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1990.
46. طوالي نور الدين: "الدين والطقوس والتغيرات"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، منشورات عويدات بيروت لبنان، 1988.
47. عابد الجابري محمد: "التراث والحداثة"، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1991.
48. عبد الجليل عطية أحمد: "النظرية العامة للقيمة، دراسة للقيم في الفكر المعاصر"، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.
49. عبد الغني عماد: "سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكالات من الحداثة للعولمة"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2006.
50. عبد الله بن محمد: "سيكوباتولوجيا الشخصية المغربية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
51. العطري عبد الرحيم: "سوسيولوجيا الشباب المغربي؛ جدل الإدماج والتهميش"، الطبعة الأولى، طوب بريس، المغرب 2004.
52. غانم عبد الله عبد الغني: "طرق البحث الأنثروبولوجي"، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2004.
53. غلام الله بوعبد الله: "مبادئ في علم النفس الاجتماعي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
54. غلنر ارنست: "مجتمع مسلم" ترجمة أبو بكر بقادر، دار المدار الإسلامي، توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، ليبيا، يناير 2005.
55. غيوب نادية: "الشخصية الأنثروبولوجية العجائبية في رواية مائة عام من العزلة لغابريال غارسيا ماركيز، أنماطها مواصفاتها، أبعادها"، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو الجزائر، 2012.

56. غيرتس كليفوردي: "تأويل الثقافات؛ مقالات مختارة"، ترجمة محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2009.
57. فاتن محمد شريف فاتن: "الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة؛ دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية"، الطبعة الأولى مركز دراسات الوحدة العربية، 2007.
58. فروم إيريك: "حوار الثقافات والتزعة الإنسانية"، حميد لشهب، محمد سبيلا، جيرار خوري وآخرون (مجموعة من المترجمين)، منشورات توب إديسون، الطبعة الأولى، الدار البيضاء المغرب، 2007.
59. كاسيير أرنست: "اللغة والأسطورة" ترجمة سعيد الغانمي، الطبعة الأولى، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009.
60. كامل محمد المغربي: "السلوك التنظيمي، مفاهيم وأسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم"، الطبعة الثانية، دار الفكر، 1995.
61. لوبيترون ديفيد: "أنثروبولوجيا الجسد والحداثة"، ترجمة محمد عرب صاصيلا، الطبعة الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1997.
62. محفوظ محمد ابو حميدة: "قراءة في الأسطورة"، اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، ليبيا، 2006.
63. محمد الجوهري؛ علياء شكري: "مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا"، بدون دار للنشر، القاهرة 2007.
64. مرتاض عبد الجليل: "اللغة والتواصل، اقترابات لسانية للتواصل الشفوي والكتابي"، دار هومة، الجزائر، 2000.
65. مرتاض عبد الملك: "تحليل الخطاب السردي"، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
66. مرقومة منصور: "القبيلة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، مقارنة أنثروبولوجية" ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
67. منديب عبد الغني: "الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب"، منشورات إفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، المغرب، 2010.
68. هارلبس، وهولبورن: "سوسيولوجيا الثقافة والهوية"، ترجمة حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2010.

69. وغيلسي يوسف: "التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري؛ كلام في المنهج. فعل الكلام" دار الريحانة للكتاب، الجزائر، 2007.
70. يحيوي حمد جمال: "خصائص الرجل والمرأة وشؤون الزواج والأسرة"، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2002
- المجلات والدوريات والملتقيات:
1. بوبعيو بوجمعة: "الأدب العجائبي؛ الوظيفة والمفهوم" مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف، العدد السادس، 2008.
 2. بوجمعة رضوان: "أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل، محاولة تحليل أنثروبولوجي"، تحت إشراف زهير إحدادن، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية، قسم علوم الإعلام والاتصال، السنة الجامعية، 2006-2007.
 3. بوزة صالح: "المناهج والمقاربات المنهجية في بحوث الإعلام" عن مجلة الثقافة (وزارة الثقافة الجزائرية) العددان سبتمبر ديسمبر، 110-111، سنة 1995.
 4. الجلاصي بثينة: "الأبعاد الأنثروبولوجية في تجربة الفتوة الروحية عند الأولياء الصالحين في منطقة القبائل"، الطبعة الخامسة لأعمال الملتقى الدولي "تصوف؛ ثقافة؛ موسيقى" 14-16 ديسمبر 2008، من أعمال المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ (CNRPAH الجزائر)، تنسيق زعيم خنشلاوي.
 5. الجندي محمد علي: "رؤية تحليلية للولاية الصوفية"، الملتقى الدولي، تصوف؛ ثقافة؛ موسيقى، 2010، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ. 2010(CNRPAH)، الطبعة الخامسة.
 6. الجوهري محمد: "الحكي الشعبي بين التراث المنطوق والأدب المكتوب"، المؤتمر الدولي السابع لقسم اللغة الفرنسية وآدابها، طبعة أولى سنة 2009، دار العين للنشر، القاهرة، مصر، 28-30 مارس 2009.
 7. الحاج بن مومن: "إستراتيجية الخطاب لدى العرب الرحل" سلسلة ندوات ومناضرات رقم 163، التراث الشفوي وسؤال الهجرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، الطبعة الأولى، 2006.

8. ريجتكاران محمد رضا: "زيارة بيت الله، بيان السعادة للحلاج"، أعمال الطبعة الرابعة الملتقى الدولي، تصوف ثقافة موسيقى، الجزائر، 2008، CNRPH.
9. سعيدوني ناصر الدين، أين كتب ابن خلدون "مقدمات". مجلة مواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ العدد رقم 03 ديسمبر 2008.
10. عبد الله بن معمر: "الأنثروبولوجيا النبوية وحدودها العلمية والإبستمولوجية"، مجلة الآداب العدد العاشر (خاص بأعداد أعمال ملتقى المناهج) مارس 2006.
11. العجمي فالح بن شبيب: "دور المثل الشعبي في صناعة القيم، قيم التخلي عن المسؤولية نموذجاً،" مجلة الخطاب الثقافي، دراسات العدد الثاني، السعودية.
12. فرفار جمال: "سوسيولوجيا القيم والعولمة،" مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ عن جامعة معسكر، العدد رقم 03 ديسمبر 2008.
13. مطري خولة: البحث العلمي والجنندر "النوع البشري" أية علاقة الرسائل الجامعية في علم الاجتماع بتونس نموذجاً؛ أعمال ملتقى دولي: النساء والمعرفة في العالم العربي المعاصر، المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ 9-11 ديسمبر 2009 (CNRPAH الجزائر). نشر سنة 2011.
14. مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، عدد خاص أبريل 2005.
15. محمد خالد: "صيرورة الممارسة الصوفية"، أعمال الطبعة الرابعة الملتقى الدولي، تصوف ثقافة موسيقى، الجزائر، 2008، CNRPH.
16. مسعودي ليلي: "العبارات المسكوكة والتصورات النمطية للنساء في الوسط القروي أو الحضري، (بلاغة الملائسة بين النساء قراءة في المأثور الشفوي عبد العزيز أعمال كلية الآداب الفينطرة، منشورات الفنك. المغرب.
17. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، "أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر"، الدور الربيعية أبريل 2001، مطبعة المعارف الجديدة المغرب.
18. معلمي عبد الوهاب: "السبيل إلى الحداثة" مجلة مقدمات، المجلة المغاربية للكتاب، 1996.

Les Encyclopédies et les Dictionnaires :

- Encyclopédie Berbère, XXVII (KIFAN, KEF) Institut de recherche et d'études sur le monde Arabe et Musulman (Aix-en-Provence) Centre De recherche Berbère (INALCO-Paris), France,
- Gaston Mialaret, Vocabulaire de l'éducation, PUF, Paris, 1979.
- Gilbert de Landsheere, Dictionnaire de l'évaluation et de la recherche en éducation, 2e édition, PUF, Paris 1992.
- Gilles Ferréol, Dictionnaire de sociologie, Armand Colin 3^{ème} Edition, Paris, 2004.

Les Livres :

- Fanny Colonna: Savants et paysans, OPU, Algérie, 1987.
- Kadra Kadaria Fatima : Les Djedars: monuments funéraires Berbères de la Région de Frenda, OPU, Algérie, 1983.
- Rezsö Rudolf: Sociologie des valeurs 'Armand Colin, Paris ' 2006.
- Bérard Victor: Indiction générale de l'Algérie ou description géographique, historique et statique de toutes les localités, comprises dans ses trois provinces, 2em Edition, EditeurLibraire Bastide, Alger1858.

Les Revue et Les Articles :

- Bourdieu .P, Vous avez dit populaire, In: Acte de la recherche en science sociale, n46 Mars 1983.
- Basset Rêne: Les dictons satiriques de Sidi Ahmed Ben Yousef le journal Asiatique Paris, 1890.
- Bauchenaki Mounir : Récentes recherches et étude de l'Antiquité en Algérie. In: Antiquités africaines' (pp9-28)-1980.
- Bayle des Hermens, Influences sahariennes dans le néolithique de la région de Tiaret (Algérie). In Bulletin de Société préhistorique de France. 1963. Tome 60 'N° 1-2. (pp79-91).
- Dally E. 315e séance.- 5 Août 1875 In Bulletins de Société d'anthropologie de Paris. II Série. Tome 10 '1875. (pp 494-499).

- Correspondances de M. Broca, le Dolmens de la province d'Oran, (pp494-495).
- Cadenat Pierre Découverte d'un milliaire à Martimprey (Oranie). In: Antiquités africaines, 4,1970. (pp. 119-123).
- Cadenat Pierre. Le foyer préhistorique de Benia du Nador (Département de Tiaret, Algérie). In: Bulletin de la Société préhistorique française. Études et travaux, Tome 61, n°2, 1964. (pp. 481-491).
- Cadenat Pierre. Notes d'archéologie tiarétienne, In: Antiquités africaines, 1988. (pp. 43-66).
- Cadenat Pierre, Picard Gilbert-Charles. La villa berbéro-romaine d'Aïn-Sarb, (département de Tiaret, Algérie) suivi d'une Note sur l'ordre éolisant d'Aïn-Sarb. In: Antiquités africaines, 1974. (pp. 73-88).
- Bayle des Hermens R. Les industries préhistoriques de la cité Fronzy, Tiaret, Algérie. In: Bulletin de la Société préhistorique française. Études et travaux, Tome 61, n°1, 1964. (pp. 65-83).
- De la Blanchère René. Les Souama de Mécherasfa, In: Mélanges d'archéologie et d'histoire, Tome 2, 1882. (pp. 390).
- Exploration scientifique de L'Algérie pendant les années 1840 «1841 « publiée par ordre de gouvernement «imprimerie Royale «1842.
- Héron de Villefosse Antoine. Inscriptions milliaires des environs de Tagremaret (Algérie). In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 31^e année, N. 2, 1887. (pp. 258-262).
- Jean Jolly : de l'empire romain à l'invasion berbère «le Harmattan «1996.
- La France illustrée ; oran chef-lieu (galica- BNF).
- Fabre, Monographie de commune indigène Tiaret Aflou.
- Perrin R : Le Sersou. Etude de géographie humaine (Première article), In: Méditerranée, 1^e année, n°2-3, 1960. (pp. 61-118).
- Plan Directeur d'aménagement « ANAT » et d'urbanisme «Commune de Frenda «mission 1.
- Révision de PDAU Agence national d'aménagement de tiran (Frenda) phase 1mars 2008.
- GUÉNARD, Les Djedar de Frendah, In: Société de Géographie et D'Archéologie d'Oran 1908. (P264).
- CANAL (J.), Tiaret, monographie ancienne et moderne, In, Société des géographes d'archéologies d'Oran TOM M XXe 1900,(P1-45).

Thèse et Mémoire :

- Kadra Kadaria Fatima : Etude des Djeddars. Mausolées de tradition berbère dans la Wilaya de Tiaret. Thèse de doctorat d'IIIe cycle soutenue à Aix-en-Provence en 1974.
- Fonds de la sous-préfecture de Tiaret (département d'Oran) 1938 – 1956 par Barbara Sanchez stagiaire, archives de Provence sous la direction de danielhick ; 2010. Archives nationale d'outre-mer (France).

"العنوان"

معاني وأشكال القيم السلوكية من خلال التقليد الشفوي لدى الشباب تيارت نموذجا.

الملخص:

تم العمل في هذه الدراسة على موضوع معاني القيم وشكل السلوك لدى الشباب بولاية تيارت، من خلال الاستخدام الاجتماعي للغة والتقليد الشفوي المتجذر على اختلاف أنواعه، ع التركيز على أكثر الأشكال تداولاً وربطها بمفاهيم سوسولوجية مثل الفضاء، المحلي، الفاعل، السلطة البناء الاجتماعي التمثلات والتصورات... الخ، كانت الانطلاقة بالدراسة المنهجية، القصد منها التعرف على المنطقة والتقرب من الفئة المدروسة والتمكن من رصد الشفويات، تم تناول المتن وفق منهج موضوعاتي الغاية منه تصنيف القوالب اللغوية ووصف السلوكيات المرتبطة بها، تناولت الدراسة أيضا تصنيف للقيم حسب المحتوى (قيم اجتماعية، دينية اقتصادية قيم على علاقة بالنوع الاجتماعي) كل هذا مع الإشارة إلى قوة الكلمة المولدة للمعنى في المجتمع المحلي، فتساند النصوص يخدم وظيفة اجتماعية كما أن استدعاء المتن ليس نشاط ثانوي عفوي بل له غاية وقصد يمكن أن تخضع للتحليل الأنثروبولوجي.

الكلمات المفتاحية: الشفوية، التقليد، المعنى، القيم، شكل السلوك، محتوى القيم.

Intitulé :

« **Sens et formes des valeurs comportementales dans la tradition orale chez les jeunes. Cas de la wilaya de TIARET. »**

Le travail dans cette étude porte sur le sujet des significations et les forme des valeurs du comportement chez les jeunes dans la wilaya de Tiaret, à travers l'usage social de la langue et la tradition orale enracinés dans ses différents types, un focus sur les formats les plus utilisés en les reliant aux concepts sociologiques tels que l'espace, le local, l'acteur, le pouvoir, la construction sociale, les représentations et les perceptions. Le commencement par l'étude monographique visait à identifier la région, de se rapprocher du groupe étudié et être en mesure de collecter les oralités et de traiter les textes conformément à une méthodologie objective en vue d'une catégorisation des modèles linguistiques et de décrire les comportements qui leur sont associés. L'étude a également abordé la classification des valeurs selon le contenu (sociales, religieuses, économiques, valeurs et le genre social) tout cela en référence à la puissance générée par la signification du mot apparue dans la communauté locale, le soutien des textes, remplit une fonction sociale et l'usage des textes n'est pas une activité secondaire ou spontanée, mais plutôt intentionnée et qui peut faire l'objet d'une analyse Anthropologique.

Mots clés : L'oralité – Le sens– Les valeurs– forme de comportement– contenu de valeurs.

The title :

Meanings and forms of behavioral values through the oral tradition of young people of Tiaret –Model

Abstract :

This study was conducted on the subject of the meanings of values and behavior of young people in Tiaret city, through the social use of language and oral tradition rooted in various kinds, with focusing on the most common forms of communication and link them with sociological concepts such as space, local, actor, authority, social construction, representations and perceptions; The starting with the monographic study, it is intended to identify the area and approach to the studied category, and to be able to observe verbal speeches, and addressing the stanzas according to an objective approach, its purpose is to classify language patterns and describe related behaviors, the study also included the classification of values by content (social values, religious and economic values, and values related to social type), all this with reference to the power of the words that generating meaning in the community, so supporting texts serves a social function, as that the calling of stanzas is not a spontaneous secondary activity but has a purpose and target that can be subject to anthropological analysis.

Keywords : verbal, imitation, meaning, value, behavior type, values content